

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

علوم اللغة

دراسات علمية محكمة تصدر أربع مرات في السنة

كتاب دوري

مع، ٨، ع، ٥٤، ٢٠٠٥

(حقوق الطبع والنشر محفوظة، ولا يسمح بإعادة نشر هذا العدد كاملاً أو أي قسم من أقسامه، بائي شكل من أشكال النشر أو استنساخه أو ترجمته، أو احتفاظه في أي شكل من أشكال نظم استرجاع المعلومات، إلا بإذن كتابي من الناشر، قيمة الاشتراك السنوي:

٨٠ جنيهاً مصرى

٨٠ دولاراً أمريكياً

سعر العدد

٢٠ جنيهاً مصرى

٢٠ دولاراً أمريكياً

اسعار خاصة للطلبة:

المراسلات

توجه جميع المراسلات الخاصة إلى:

دار عريب للطاعة والنشر والتوزيع

ص. ب (٥٨) الدواوين - القاهرة ١١٤٦١ - جمهورية مصر العربية

تليفون ٧٩٤٢٠٧٩ فاكس ٧٩٥٤٣٢٤

المحتويات

الصفحة

البحث

- الوظائف الإحالية لجملة الصلة في القرآن الكريم د. أشرف عبد البديع عبد الكريم ٩
- جدلية الأضداد في التراث العربي بين الواقع اللغوي والتعسف د. هاشم محمد سويفي محمد ١٣٣
- الظواهر الصوتية في استدراكات ابن حجر في كتاب (فتح الباري في شرح صحيح البخاري). د. صبحي إبراهيم الفقي ١٩٧
- اسم الفاعل (دراسة نظرية تطبيقية في البنية الصرفية والاستعمال النحوي) د. فكري محمد سليمان ٢٤٩
- الرسول ﷺ والشعر د. محمد نافع مصطفى ٣٢٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تہذیب

يضم هذا العدد من سلسلة علوم اللغة (٢٢) الذي يصدر بإشراف د. سعيد حسن بحيري، أستاذ علوم اللغة، ووكيل كلية الألسن لشؤون التعليم والطلاب مجموعة من البحوث اللغوية في مجالات متعددة، فالبحث الأول يندرج تحت علم لغة النص، إذ أنه يتناول الوظائف الإحالية لجملة الصلة في القرآن الكريم. أما الثاني فيتناول قضية لغوية تراثية من منظور جديد، وهو جدلية الأضداد في التراث العربي بين الواقع اللغوي والتعسف. ويندرج الثالث تحت البحث الصوتي، إذ يعالج الظواهر الصوتية في استدراكات ابن حجر في كتاب (فتح الباري . . .). أما الرابع فيدخل تحت الدرس الصرفي النحوى، إذ يتناول اسم الفاعل في البنية الصرفية والاستعمال النحوى، دراسة نظرية تعليمية. أما البحث الأخير وهو الرسول (ص) والشعر فيه تفنيد لكثير من الآراء المغلوبة حول موقف الرسول (ص) من الشعر.

وبعد ٠٠٠ فارجو أن يتسع صدر الباحثين لكلمة أخيرة . سبق أن نوهت أن الهدف من هذه المجلة مؤازرة الباحثين الشبان في المقام الأول ، فمن الواجب عليهم إذن إعانتنا على تحقيق ذلك الهدف . ولما كانت طاقة النشر في المجلة محدودة فقد رجوت ألا ترسل لي البحوث التي تزيد عن (٥٠) صفحة . وللأسف قوبل الرجاء بغضب وزوراً وعدم تفهم . وبعد مناقشة مضنية أحيرز أن ترتفع الصفحات إلى (٧٠) صفحة ، وأأمل بعد ذلك أن يقتضي الشياب ويرضوا عنا إن شاء الله .

وتشهد أسرة تحرير المجلة سعادتها أن تهدي هذا العدد أيضاً إلى أستاذنا العالم الجليل
أ. د. محمد عوني عبد الرءوف ، أطال الله في عمره ومتعمد بالصحة والعافية جزاء ما قدم ويقدم
للتلاميذ .

وَاللَّهُ الْمُوْقِنُ وَالْهَاكُمُ الْمُسْوَدُ السَّبِيلُ

أسرة التحرير

شروط النشر

- يقبل هذا الكتاب نشر الدراسات والأبحاث في علوم اللغة ، ونتائج البحوث الاستكشافية ، والمراجعات العلمية ، وتقارير الممارسات والمشروعات والأنشطة العلمية، وعروض الكتب اللغوية المتخصصة العربية أو الأجنبية .
- يفضل أن تكون الدراسة في حدود ١٥٠٠٠ كلمة ، والمراجعة العلمية في حدود ٦٠٠٠ كلمة ، والتقرير في حدود ٢٠٠٠ كلمة ، وعرض الكتاب في حدود ١٥٠٠ كلمة .
- يشترط ألا يكون العمل قد سبق نشره أو قدم للنشر في أي مكان آخر .
- تخضع الأعمال المقدمة للتحكيم ، وينظر صاحب العمل بقبوله أو بملحوظات التحكيم أو الحاجة إلى المراجعة .
- تقدم الأعمال بخط واضح ، أو مطبوعة على الحاسوب .
- تقدم الرسومات بشكل جاهز للاستنساخ المباشر .
- يراعى في الاستشهادات المرجعية الدقة في التوثيق واقتضاء بيانات الوصف ، والاطراد في ترتيب عناصر البيانات .
- يعبر ما ينشر في هذا الكتاب عن رأي كاتبه ولا يمثل بالضرورة رأي المحرر أو الناشر .
- لا يعاد نشر أى عمل مما ينشر في هذا الكتاب الدوري إلا بإذن كتابي من الناشر .
- يخضع ترتيب المواد في النشر لاعتبارات فنية ولا علاقة له بمكانة المؤلف أو قيمة العمل .

الوظائف الإحالية لجملة الصلة في القرآن الكريم

تضارف العناصر الموصولة مع العناصر اللغوية الأخرى في تماسك النص

د. أشرف عبد البديع عبد الكريم

كلية دار العلوم - جامعة المنيا

١/ الإطار العام :

١/١ : موضوع البحث :

أشير إلى أنني أحاول أن أركز على عدد من العناصر لها أهميتها، تُعد ركناً أساسياً في علم لغة النص؛ أعني العناصر الموصولة، وقد شهدت العناصر الإحالية والإشارية اهتماماً من الباحثين المحدثين^١، غير أنني لم أر دراسة خاصة بالاسم الموصول، تتطرق

* يقول ابن يعيش: فالصلة مصدر، كالوصل من قوله: وصلت الشيء وصلاً وصلة، والمراد أن الجملة وصل لها، فاماً تسمية سببويه لها حشوأ، فمن معنى الزيادة؛ أي أنها ليست أصلاً، وإنما هي زيادة يتم بها الاسم ويوضح بها معناه، ومنه فلان من حشو بنى فلان؛ أي من اتباعهم، وليس من صميمهم . شرح المفصل ١٥١/١، ويفضي بنا هذا التنويع إلى رأس الملاحظ، ونوردها على وجه الاختصار:

١- وقد اخترت تسمية الجمهور (صلة) على تسمية سببويه (حشوأ)؛ لأن تسمية :

أ - الجمهور فيها ما يشير صراحة إلى الوظيفة الحقيقة للاسم الموصول .

ب - وتسمية سببويه فيها عكس ما في رأي الجمهور، إذ يشير إلى أنها حشو، أي زيادة، وبناء على ذلك يمكن الاستغناء عنها، وهذا عندي يحتاج إلى إعادة نظر.

ج - أن تفسير ابن يعيش لكلام سببويه، فيه ما يوحي بأنه يمكن الاستغناء عنه، وهو رأي فيه نظر، خاصة (كما سيأتي في : ٢٠/٢) أن جمهور النحاة قد اجمعوا على أن جملة الصلة تتبعاً جميع الحالات الإعرابية من رفع ونصب وجر، وتمكنها هذه الموارد من اعتبارها أساسية في الشأن، خاصة وأنه يقربها من المبتدأ والخبر، ومالمـا نذهب بعيداً، وقد ذهب النحاة إلى أنها جملة خبرية (ينظر: شرح المفصل ٣٠١/٣) ينطبق عليها ما ينطبق على تلك، والجملة الخبرية، ليست محل جدل بين النحاة في اعتبارها أساسية وليست فضلة .

١ ثبت بعض الدراسات في هذا الشأن على سبيل التمثيل لا الحصر، منها من أشكال الربط في القرآن الكريم د. سعيد حسن بحيري. نسيج النص للأزهر الزناد، علم اللغة النصي د. صبحي =

تعلم لغة النص – في حدود ما أعلم – على الرغم من المقاربة بين اسم الإشارة والاسم الموصول، والتي أشار إليها النحاة في أكثر من موضع .

ومن ثم فبان البحث يركز على دور الاسم الموصول في انحصارك وانسياك بنية النص، ويأتي هذا الدور من خلال مستويات عدة متشابكة حيناً ومتقاربة حيناً آخر، إلا أن التشابك والتفارق – على الرغم مما يبدو من اختلاف – يعمل كلاهما معاً على تماسك بنية النص، كما يأتي ذلك بفضل بيان من البحث .

١/٢ : أسباب اختيار البحث :

- ١- لم أجد أحداً من الباحثين المعاصرین – على حد علمي – تعرض لدور اسم الموصول في تماسك بنية النص، على الرغم من اهتمامهم الخاص بقضايا أخرى كثيرة ومكررة لديهم جميعاً .
- ٢- الكشف عن نموذج للإحالات خاص باسم الموصول وبيان السمات المميزة له .
- ٣- توسيع رؤية نحو الجملة بالنسبة للاسم الموصول من خلال ما توصلت إليه اللسانيات النصية، ويعد القرآن الكريم مادة ثرية لهذا الجانب التطبيقي .

١/٣ : مادة البحث :

تقوم هذه الدراسة على مادة محددة، وهي القرآن الكريم، فيما يتعلق باسم الموصول .

١/٤ : الدراسات السابقة :

أنجز عدد من الدراسات في العربية تقع في حوزة علم لغة النص، وهي توجه أهميتها لقاء الضمائر ودورها في انسياك وانحصارك النص، وتأتي في إطارين، الأول : ما دار حول "نحو الجملة"، ويمثله ما قدمه صاحب كتاب "الإبهام والمبهمات في النحو العربي". الثاني : راح يقدم تصورات القدماء وتطعيمها بمعالجات حديثة، ومن ثم نستعين بالاثنين معاً؛ تصورات القدماء، ورؤية المحدثين . وعلى الرغم من الخطوة المهمة التي عرض لها صاحب كتاب : الضمير العائد ولغة أكلوني البراغيث، في التحليل والمعالجة،

= إبراهيم الفقي، ولكاتب هذا البحث فصل في رسالته للدكتوراه : دلالة التراكيب عند الزمخشري، بعنوان : البنية الدلالية والإحالية للضمائر: الفصل والشأن والإشارة، غير منشورة بكلية دار العلوم بالمنيا، ١٩٩٩ م .

مما ينبي عن طرح القديم برؤيه جديدة، إلا أن الذي ظل مانأ، أنه لم يستطع التخلص من معالجة القماء، وعلى ذلك لم تتعد المعالجة عنده حدود أسوار الجملة، ذلك أن معالجته لم تتعد الجملتين في أقصى الحالات الواردة لديه .

أما دراسة محمد البعلوي : ملاحظات في لغة القرآن من خلال اسمي الإشارة والموصول، فهي تعالجها من منظور متباين، خاصة أنها تركز على الاستعمالات التي ندت عن رؤية النحاة والمفسرين في طرح حلول لها، إضافة إلى تبدل هذه الأدوات عبر التاريخ، وكيف كانت حتى صارت أمراً مفضياً، واعتمد في ذلك على رؤية الباحث الإنجليزي راين، وحاصل ذلك أنها تغدو في التناول تلقاء جوانب عده ومختلفه مما هو معتمد هنا، على الرغم من كون الأدوات واحدة .

أما ما أورده صاحب كتاب : "الضمائر في اللغة العربية" فإنه نظر نظرة القدماء، ولم أر شيئاً مرضياً فيما يتعلق بالمعالجات اللسانية النصية، التي يمكن أن يقدم بها الضمائر ودورها في تماسك النص، وعليه، فإن معالجته مفارقة لما نريد بحثه في الانطلاق من رؤية "نحو الجملة" وتوسيع النظر فيها، فيما يمكن أن تكشف عن جوانبه عناصر هذا البحث .

١/٥ : أهداف البحث :

- ١- توضيح أهمية اسم الموصول في انسبك وانحباك بنية النص القرآني .
- ٢- استخلاص " قاعدة النص " لكل ضمير على حدة، وصولاً إلى قواعد النص الحاكمة للموصولات في النص القرآني .
- ٣- الكشف عن العناصر اللغوية الحاكمة، والتي لا تقل أهمية عن اسم الموصول، بما يشكل منها سمات نصية مهمة .
- ٤- بناء على ما ورد في (٢) ، (٣) نستطيع استخلاص "محدد النص" وهو حسب رؤية ايزنبرج : السمات العامة التي يتشكل منها النص .

١/٦ : منهج البحث :

كنت قد قدمت تصورات الباحث الألماني إيزنبرج حول نظرية النص^٢، ويعد طرحاً نظرياً، يحتاج إلى أن تختبر جوانب معاييره، فيما يقدم إضافة واعية في إثراء جوانب البحث في العربية.

٢/٠ : ملاحظات حول تصورات نحو الجملة :

فرق بوسمن تفريقاً مبيناً بين الضمير الموصول Relativpronamen وجملة الصلة Relativsatz، وذهب إلى أن اسم الموصول يمثل القواعد المباشرة للأسماء (العبارة الاسمية أو حدود الجملة) : العلاقات وتقسيم العناصر الوصفية مثل ضمير الإشارة - حسب رؤية بوسمن - العامة الواردة في الضمير الموصول، أو فيما يرتبط به، وبالتالي تقسيم عناصر جملة الصلة إلى :

- ١- الضمير الموصول (الذي، التي، أي) .
- ٢- صفة الموصول (أين ، متى،).
- ٣- ويمكن أن يكون الاسم الموصول عنصراً أساسياً كان يأتي خبراً .

وإذا تدبرنا الأمر مع معالجة النحاة العرب وجدناها تكاد تكون واحدة، وبالتالي فإن موجز رؤية نحو الجملة واحدة، بيد أن التمايز في أن "نحو النص" يوسع من هذه الروية، ويفيد من المنطلقات القديمة ولا يل蜚تها .

تعد جملة الموصول في الألمانية من الجمل الجانبية Nebensatz، بمعنى أنها فرعية، وأرى أنها جملة ذات صلات سابكة؛ أي أنها ذات صفتين تبدوان متناقضتين، غير أن من يرجع النظر يجدها كلاً منها تتتسق مع الأخرى، فإذا حاولنا أن نطبق هذه الروية على العربية تحديداً، وعلى النص القرآني على وجه أخص، تبيّن لنا مدى اتساقها مع العربية، ويتبدى ذلك من خلال ملاحظين يبيّنان ذلك :

٢ أشير إلى أن هذا البحث بعنوان : العناصر الأساسية المكونة لـ "نظرية النص" إيزنبرج نموذجاً، دراسة تحليلية نقدية .

٣ ينظر :

الأول : ما يتعلق بالإحالات المعجمية، سواء مع الذين أم الذي كما ورد في مواضع من البحث .

الثاني : ما يتعلق بالمواضع المشاكلة في النص القرآني، دون أن ترد فيها الإحالات المعجمية باستعمال الاسم الموصول في الآيات التاليات (البقرة : ٦٤ ، ٦٦ ، ٨٩ ، ٩٩ ، ١٩٧ ، ٢٥٨) على سبيل المثال .

ويتبين من خلال ذلك أن جملة الصلة، إنما هي جملة زائدة في المبني، وعلى الرغم من ذلك تؤدي إلى زيادة في المعنى، حسب عبارة ابن عييش، وبالتالي فإن وظائف جملة الصلة هي تلك التي وردت أو تمثل عناصر البحث الأساسية هنا، غير أنها يمكن أن نلاحظ أنها وظائف يمكن أن تكون إضافية، بيد أنه من يمعن النظر يجد أن جل هذه الوظائف قائمة على التماسك بين أكثر من جملة، وبالتالي فإن هذه الدراسة تحاول أن تظهر وظائف جملة الصلة، فيما لها صلة بالتماسك النصي في القرآن الكريم .

أشار النحاة^{*} إلى أن الفاظ الأسماء الموصولة هي : الذي والتي والذان واللذان (بالألف والياء). والألي، والذين، واللاتي، واللواتي، وما ومن وأيَّ وآية، وذو الطائية، وهذا بعد ما الاستفهامية واللام^٤ .

بيد أن هذه الأدوات ليست واحدة من حيث اطرادها في القرآن الكريم، واكتفى بأن أشير إلى الإحصاء الذي قدمه البعلوي^٥ ، كما يلى :

الجمع	المثنى	المفرد	النوع
الذين : ١٠٨٦	الذان : ١ الذين : ١	الذي : ٢٨٨	المذكر
اللاتي : ١٠ اللاتي : ٦	اللذان : ٠ التي : ٠	التي : ٦٧	المؤنث

* لم أشا أن أذكر تعريفات الاسم الموصول من حيث الإبهام والدلالة والتركيب، فذلك أمر مقرر في الدرس النحوي، وقد كفاني مؤونة البحث في ذلك ما قدمه د. إبراهيم برؤس من معالجة وافية ينظر: الإبهام والمبهمات في النحو العربي ص ٥١ : ٦٦.

٤ الرضي: شرح الرضي على الكافية ٣/١٦ . وينظر ابن عييش: شرح المفصل ٣/١٣٨ .

٥ محمد البعلوي: ملاحظات في لغة القرآن الكريم من خلال اسمى الإشارة والموصول ص ٧٤ .

ويستيقظ نظرنا في الجدول السابق أمور هي :

١- أنه لم يحتوى إلا على عدد محدود من الأسماء الموصولة، وترك ما أورده "الرضى" : ما، من، أي، أيه، ذو الطائبة، وذا بعد ما الاستفهامية، واللام، وبالتالي لم يذكر منها إلا زيادة على النصف تقريباً، بناء على العدد الإجمالي، وربما يكون إسقاطه هذه الأدوات؛ لأنها إما خلافية لـدي النهاة، وإما تكون ورودها في القرآن قليلاً، وخلاصة ذلك، أن هذه الأسماء يمكن تفسيمها، كما يأتي :

الفئة الأولى : تمثلها : الدين، الذي، التي، من، ومن ثم تمثل الأكثر وروداً في القرآن وتركيزها عليها في هذا البحث .

الفئة الثانية : تمثلها عندي حسب الورود : من، ما، اللاتي، اللاتي من حيث مناقشتها .

الفئة الثالثة : تمثلها : أيه، ذو الطائبة، واللام، وهي التي تمثل خروجاً عن القياس إلى حد السمع أو الحالات النادرة، ويتحصل لنا مما سبق عدد من الملاحظ نوردها على سنة الاختصار:

١- أن حاصل عناصر "الفئة الأولى" أنها تمثل في جملتها العناصر الأساسية المكونة لاسم الموصول في القرآن الكريم، والقضايا الأساسية لعناصر هذا البحث .

٢- يتحصل من "الفئة الثانية" أنها تمثل قيمة لا تنكر في إظهار عناصرها، وهي وإن كانت تلتقي في بعض الجوانب مع أسماء "الفئة الأولى"، بيد أنه رغم ذلك تبقى لأدواتها سياقاتها، وإن تدخلنا في بعض الجوانب .

٣- لا تمثل عناصر "الفئة الثالثة" أيه أهمية فعلية في كشف جوانب أخرى، تضاف إلى عناصر الفتنين السالفتين الذكر، ولذا فإن قيمة عناصرها تمثل الصفر، وعليه، فإنه لن يكون لأدواتها قيمة فعلية في هذا البحث .

وسوف ندلل على الأسباب الداعية لإهمالنا للعناصر المكونة لـ"الفئة الثالثة" خاصة وأن ورودها في القرآن الكريم يشكل في عاقبة الأمر الصفر، كما أنها حسب رؤية "نحو الجملة" قائمة على التقييد، وبالتالي والأجدر أن يعرضوا لها؛ لأن الغاية هنا وثمة ليست واحدة .

أورد النحاة أن معنى الموصول : لا يتم بنفسه ويقتصر إلى كلام بعده تصله به ليتم اسمها، فإذا تم بما بعده كان حكمه حكم سائر الأسماء التامة، يجوز أن يقع فاعلاً ومضافاً إليه ومبتدأ وخبراً، وتشير عبارة ابن يعيش إلى :

١- الغلقة القائمة بين الاسم الموصول والحرف واسم الإشارة، على الرغم من عدم الإشارة الواضحة، إلا أن ثلثتهم يحتاج إلى ما يبينه ويوضحه، أو ما يجعله يفيد معنى عبارة ابن يعيش .

٢- أن دلالة اسم الموصول والإشارة والحرف في ذاتها تمثل الصفر، على الرغم من المفارقات القائمة بينها، فيما يمكن أن يجعل لها كياناً تعمل في إطاره .

فإذا كانت الموصولات تكمل دلالتها من خلال صلتها التي ترفعها إلى مضاف الأسماء في إفادتها معنى، فإن اسم الإشارة يحتاج ليس إلى جملة الصلة، وإنما إلى اسم يوضح معناه (يُفسّر به)، والحالة مختلفة مع الحرف، الذي لا يحتاج إلى جملة صلة أو اسم يشير إليه ويوضح معناه، وإنما إلى اسم يضاف إليه، ومن هنا، فإن ملاحظة عامة، تجمع بين عراها على النحو التالي :

١- أن كليهما لا يفيد بنفسه، إذ هو اسم ناقص الدلالة في ذاته بعبارة ابن يعيش .

٢- أن كليهما يعتمد على شئ آخر يعمل من خلاله، وهو المكمل، أو ما يمكن أن نطلق عليه العنصر الأساسي في بناء البنية اللغوية، فإذا اعتبرنا الموصولات والإشارات والحراف أساسية هنا، فإن مكملاتها لا تقل عنها أهمية في هذا الشأن .

٣- ويتحصل مما ورد في النقاط السابقة الذكر، أنها تندرج ضمن المبهمات، وإذا كانت هذه النقاط مجتمعة تمثل جوانب الاتفاق، فإن جوانب الافتراق واضحة لا ريب، ولعل أجمع تقسيم وأختصره في ذلك ما يلي :

أ - اعتماد "الموصولات" على جملة الصلة المتأخرة : توضح معناها وتفسر مبنها .

ب - اعتماد "العناصر الإشارية" على أسماء متقدمة أو لاحقة؛ تفسّر مبنها وتوضح معناها .

ج - اعتماد الحروف على ما ينضاف إليها، فتؤدي بذلك معنى .

٦ ابن يعيش : شرح المفصل ١٣/٣، وينظر : عباس حسن : النحو الوافي (هامش) ١ / ٣٤٠ .

وإذا كانت هذه العناصر تمثل جوانب الافتراق بين ثلثتهم، فإن ثمة عنصرا يقع ضمن حدود الموصولات، لا يعمل إلا إذا أضيف، وأعني به (أي) حينما تكون موصولة، وتمثل هذه نقطة التقاء بين الموصولات والحرروف، تضاف إلى ما هو وارد أعلاه.

وتبقى كلمة لا مناص من إيرادها، أن عناصر المطابقة، إنما تجسّد بشكل ضمني ما هو وارد في (٣)، أقصد وقوعها جميعاً ضمن المبهمات، وقد أدرك النحاة ذلك، حين قرروا الموصولات بأسماء الإشارة^٧، لما لها من علقة تجمع بينها، وفيما يلي بيان ذلك :

- ١- أن احتياج العناصر الإشارية إلى ما يوضح معناها ويزيل إبهامها، يجعلها تقع في مصاف المعارف .

- ٢- احتياج الموصولات إلى جملة الصلة التي تليها، تتباوا من خلالها مكانة وسيطى بين المعارف، وقد أدى النهج الذي استعمله النحاة مع كل منها إلى وقوعهما مرموماً ضمن المعارف .

يدرك الأستاذ عباس حسن أن : القسم الثاني من المبهمات هو الاسم الموصول: الذي والتي ومن وما، وكلها معارف بصلتها، فبيانها بما بعدها أيضاً، إلا أن أسماء الإشارة تبين باسم الجنس، والموصلات تبين بالجمل بعدها أو أشباه الجمل، والذي يدل على أنها معارف أنه يمتنع دخول علامة النكرة عليها وهي (رب)، وأنها توصف بالمعارف نحو : جاعني الذي عندك العاقل، وتقع أيضاً وصفاً للمعارف : جاعني الرجل الذي عندك، وكلها مسببة، لأنها لا تخص مسمى دون مسمى، كما كانت أسماء الإشارة^٨، ويقتضي الإنصاف أن نشير إلى عدد من الملاحظ على النحو التالي :

- ١- ليس في كلام الأستاذ عباس ما يفيد بتجاوزه حدود "نحو الجملة" ، فكلامه عن أن الموصولات توضح بالجمل بعدها أو أشباه الجمل ليس فيه شيء عن العلاقة القائمة بين هذه الجمل فيما بينها، وإنما حديث محدد في حدود "نحو الجملة" .

- ٢- إذا كنا واثقين أن الاسم الموصول، إنما تبيّنه جملة الصلة بعده مباشرة، فإنه يفترض إلى موضع يزيل إبهامه، ومن ثم يحيل إلى :
 - أ - صلة الموصول اللاحق/ المتأخر .

^٧ يقرن ابن يعيش الموصولات بأسماء الإشارة، ويلح على ذلك في مواضع عدة؛ ينظر : شرح المفصل ٣ / ١٤١، ١٣٩.

^٨ عباس حسن : النحو الوفي ١/٢٤١.

- ب - تحتاج جملة الصلة : الاسم العبهم والاسم المفسر إلى جملة يحيلان إليها في قربه وبعده من "صلة الموصول" وقد تكون :
- قبله مباشرة (داخل حدود الآية) .
 - قبله في الآية السابقة (خارج حدود الآية) .
 - قبله (ويفصل بينهما بآية أو بعدد من الآيات) .
 - إحالة خارجية .
 - إحالة خارج أسوار السورة .

وتمثل الإحالات إلى متقدم - على اختلاف فيما بينها - السمة الجوهرية التي تميزها، وإن كانت ليست واحدة من حيث المعيار المفهومي (kohärenz)، إذ تعمل من خلال عدد من الوظائف الإحالية التي يمثلها النص القرآني :

- المقابلة (المقارنة) .

- التفسير المعجمي :

١ - داخل حدود الآية .

٢ - خارج حدود الآية .

وخلال الملاحظ الأخير، أنه يمثل سمة فعلية، على أساس الورود، فهو أكثر من التفسير المعجمي داخل حدود الآية، على أن هذا لا يمنع من وجود سمات إحالية أخرى، نشير إليها في موضعها من البحث. وهكذا تتجاوز الإحالات إلى ما هو أوسع من جملة الصلة إلى خارج حدود الآيات، بل خارج حدود السور والأجزاء، وهذا ما يطلق عليه مصطلح "الربط" وهو عندي مصطلح عام، ويضم مستويين :

١ - التماسك النحوي (kohäsion)^٩ .

٩ د. فريد عوض حيدر : اتساق النص في سورة الكهف، ثمة بعض الملاحظات التي يمكن أن أبيان فحواها فيما يلي :

في ص ٨ حين عرج الباحث على تحديد دلالات بعض المصطلحات، وذكر :

١ - النص والخطاب .

٢ - مفهوم الاتساق (التماسك) : cohesion

=

= في المصطلح (٢) قرن مفهوم الاتساق بمفهوم التماسك وجعلهما شيئاً واحداً، والأمر عندي غير ذلك، وموجز ذلك أن الباحثين العرب على اختلافهم لم يترجموا مصطلح (cohesion) بالاتساق (ينظر لكاتب هذا البحث : الدرس النحوي النصي ص ١٤١، ١٤٠) وحتى مصطلح (coherence) (بالإنجليزية و kohärenz بالألمانية) لم يترجمه الباحثون العرب كمكافئ لهذا المصطلح، إلا أن د. تمام حسان قدم له أكثر من ترجمة (ينظر لكاتب هذا البحث الدراسة المشار إليها أعلاه ص ١٠٨)، وبالتالي فإن الترجمة العربية المكافأة للاتساق لم تأت كمقابل للمصطلح cohesion، وإنما جاءت ترجمة لمصطلح coherence ولم تكن ذاتعة بين الباحثين، وإن كانت فهي جاءت لغير ما تعارف عليه الباحثون، إذ قدموها ترجمة coherence بـ (الحبك)، والتناسق، والاتساق، والتماسك، والاتساق والتقارب، والالتحام (د. اشرف عبد البديع، ص ١٠٨، مرجع مذكور أعلاه)، أما مصطلح cohesion فقد ترجم بـ : التضام، السبك والتماسك، الرابط النحوی، الالتحام (شرف عبد البديع، ص ١٤١، ١٤٠، مرجع مذكور أعلاه). ونلاحظ التداخل بين هذه المصطلحات لدى الباحثين من ناحية، ومن ناحية أخرى، نجد الباحثين الذين تعرضوا لهذه المصطلحات لم يستعملوا مصطلح الاتساق إلا ما ورد عند شيخنا تمام حسان، وهو أمر جدير بإدامة النظر .

والذي أجده أيضاً لافتاً للنظر حين حدد مفهوم الاتساق (ص ١٣) قال : والاتساق في النص عبارة أيضاً عن علاقات لغوية ودلالية تعمل على تماسكه، وترتبط أجزائه، وهذه العلاقات تكون شبكة نصية تعين على تفسير النص .

وإذا كان الباحث قد نقل هذا النص عن شيخي أ.د. محمد حماسة وارتضاه، إلا أنني الاحظ أن هذه الفهم قد يحمل على غير ما حمل، فإذا كان الباحثون يرون :

١ - أن الاتساق إنما هو ترجمة لمفهوم coherence وليس المفهومي cohesion ، وبناء عليه تحتاج إلى إعادة نظر، وقد أشرت منذ قليل إلى ذلك .

وعلى سبيل الفرض النظري، وليس الإمبريقي أن ترجمة coherence بالاتساق صحيحة أو العكس، إلا أن الذي لا نرتضيه أن يحمل هذا المفهوم على أن يكون جاماً للمصطادين معاً : coherence، إذ لكل منها دلالة تخصه وجوانب تعدد، وهذه رؤية الباحثين الغربيين والعرب كافة، ولم يكن أحد المفهومين يحمل الاثنين معاً، وإنما خلطاً خطأ كبيرين، وأزيد الأمر توكيداً بما أورده الباحث (ص ١٣) حين فرق بين مصطلحي الاتساق والتماسك عند محمد خطابي، وهما مصطلحان مختلفان، كل منهما يختص بدلاله محددة على ما أسلفت فيه القول، فإذا كان الاتساق عند خطابي (كما يحتاج ما هو وارد عنده ص ١٢) فيما يتعلق بتحديد مصطلح الاتساق) يحتاج إلى إعادة نظر مبنية وهو في تحديده لمصطلح "الاتساق" عند خطابي وعند هاليدي ورقية حسن يقع في إشكالية التداخل بين المصطلح مما هو غامض عليه، وبالتالي ينقض ما أورده عاليه (ص ١٣) .

=

٢- التماسك الدلالي (kohärenz) .

وكلاهما يعملان من خلال صلات شابكة من العلاقات اللغوية والمفهومية؛ ليؤدي كل منهما ليس الوظيفة، وإنما الوظائف المختلفة في النص القرآني .

٣- علة البناء المتطابقة لدى الموصولات والإشاريات، تجعل كلاً منها يقع المواقع الإعرابية المختلفة، ويمكننا إيراد ذلك في الجدول التالي :

اسم الإشارة	الأسماء الموصولة	الحالة الإعرابية	م
جاء هذا الرجل	جاء الذي مرَّ	فاعل	-١
رأيت هذا الرجل	رأيت الذي مرَّ	مفعول	-٢
مررت بهذا الرجل	التقى بالذي مرَّ	مجرور	-٣
هذا الرجل في البيت	الذى في البيت محمد	مبداً	-٤

٤- يتبيّن من العنصر السابق (٣) أن الموصولات وأسماء الإشارة كليهما يمكن الحكم عليه بالصدق أو الكذب؛ أي أنهما جملة خبرية، وهذا ما تتبّه إليه ابن يعيش من أن : من الجمل التي تقع صفات، يريد من الجمل التي توضح وتبيّن، وهي الجمل المتمكّنة في باب الخبر، وصلاح فيها أن يقال : فيه صدق أو كذب، وجاز أن تقع صفة للنكرة^{١٠} .

= ويُعود (ص ١٤) مرة ثانية إلى ما نقله عن د. حماسة، وأنه مفهوم يحوي الجوانب اللغوية، وهو أمر لم يتفق عليه الباحثون بل لم يعهدوه أصلًا. على أية حال هناك جوانب خلاف بيني وبين المؤلف في كثير من المصطلحات، إذ يقدم لها تفسيرًا وتوضيحاً على غير ما ألفه الباحثون جمعياً، ولم أتبّعه خطوة بخطوة .

وعندني أن إقامة هذه التصورات السالفة الذكر، بناء على ما توصل إليه، أن مفهوم الاتساق إنما يشمل الجوانب اللغوية والعلاقات الدلالية(ص ١٤)، هو إعادة لكلام د. حماسة الوارد قبله(ص ١٣) قدم به في تحليل جوانب البحث إلى تقديم تصورات ما كانت ينبغي أن تكون في مثل هذا الموضوع، بناء على عنوانه، إذ يشير العنوان إلى شئ، ويقود التحليل - بناء على مقدماته النظرية التي تحتاج إلى صياغة نظرية دقيقة، وإلى إعادة نظر- إلى شئ آخر. ولن أطيل في نقد هذه التصورات، إذ تحتاج إلى مقال خاص بها لبيان وجوه المطابقة والمختلفة، إذ ثمة جوانب كثيرة للخلاف بيني وبين تصوراته وتحليلاته .

١٠ ابن يعيش : شرح المفصل ٣ / ١٥٠ .

وحاصل رأيه في كونها تقع في الجملة الخبرية، أو هي خبرية، وليس إنسانية (طلبية) على حد قوله، وعلى الرغم من ذكره جوانب الاختلاف بين الجملة الخبرية والإنسانية، فيما يتصل بالموصولات، إلا أنه لم يشر صراحة أو ضمنا إلى نقاط الاتفاق. وما يمكن أن نلحظه على تصورات النهاة حول الموصولات والإشارات نوجزه في الملاحظ الآتية على وجه الاختصار :

ـ ما يتعلق باسم الإشارة :

- ـ أشار النهاة إلى أن أسماء الإشارة، لابد لها من اسم يحيل إليه يفسره ويبينه .
- ـ أن النهاة لم يبينوا مدى قرب أو بعد هذا الاسم من موقع اسم الإشارة، فقد يكون :
 - ـ في الجملة ذاتها، وبالتالي فإن الحاله لم تتعذر حدود " نحو الجملة " .

ـ إلى متقدم (بالنسبة للنص القرآني) :

ـ داخل حدود الآية .

ـ الآية السابقة مباشرة .

ـ داخل السورة (وقد يفصل بينه وبينها عدد من الآيات) .

ـ خارج سور، وهو يأتي في :

ـ السور السابقة مباشرة .

ـ السور السابقة (ويفصل بينها بعدد من السور) .

والامر معكوس للإحاله إلى متاخر .

وليس من ظلل لريب أن تحديد هذه التصورات لم يشر إليها نحو الجملة، وإن ذكروا أنه مرتبط باسم يحيل إليه يفسره ويوضح معناه، إلا أن هذه الوظيفة في إطار الاستعمال الفعلى للنص القرآني، ربما لا تتفق في بعض جوانبها مع رؤية نحو الجملة .

وتتبغي الإشارة إلى أن التمايز بين تصورات " نحو الجملة " والبحث هنا مرده إلى الاختلاف في الاعتماد على المادة المعالجة والمنهجية المتتبعة عند كلٍّهما، فإذا كانت تصورات النهاة منقوله من واقع الاستعمال اللغوي في القرن الثاني الهجري، والبحث هنا يعتمد على النص القرآني، وبالتالي فإن المادة مختلفة، ويعودي هذا الاختلاف إلى الافتراق في عدد من النقاط الأساسية بين ما ورد وما سيرد، وتاتي مناقشة ذلك في حينه بفضل بيان .

يذكر الأستاذ عباس حسن أن النحاة : يطلقون على أسماء الإشارة وأسماء الموصول أسماء خاصة، وهو المبهمات؛ لوقوعها على كل شيء، من حيوان أو نبات أو جماد، وعدم دلالتها على شيء معين، مفصل، مستقل، إلا خارج على لفظها، فالموصول لا يزول بفهمه إلا بالصلة^{١١}.

إلا أن هذه السمة الفعلية / الحقيقية تتسع فتشمل الضمائر؛ لأنها لا تخلو من ابهام وغموض ... سواء أكان للمتكلّم أم للمخاطب أم للغائب، فلا بد لها من شيء يزيل ابهامها، ويفسر غموضها . فاما المتكلّم والمخاطب فيفسرها وجود صاحبها وقت الكلام، فهو حاضر يتكلّم بنفسه، او حاضر بكلمة غير مباشرة . وأما ضمير الغائب فصاحبها غير معروف؛ لأنه غير حافز ولا شاهد ؛ فلا بد لهذا الضمير من شيء يفسره ويوضح المراد منه، والأصل في الشيء الموضّع أن يكون - في غير ضمير الشأن - متقدماً على الضمير ومذكوراً قبله^{١٢}.

وتكمّن وجوه الافتراق في أن الرؤية الأولى خاصة، بينما الثانية عامة، فإذا كانت الضمائر تحتاج إلى ما يفسرها ويوضح معناها، فإن ذلك ينطبق أيضاً على الاسم الموصول واسم الإشارة .

وإذا كان النحاة يرون أن الضمير يفسّر ما هو وارد قبله خلافاً لضمير الشأن؛ أي أنه يحيل إلى متاخر، وهي رؤية تحتاج إلى إعادة نظر على ضوء ما هو وارد في النص القرآني من الحالات اللفظية والمفهومية المتقدمة والمتاخرة، وليس قصدي أن الروابط تقتصر على الربط داخل حدود الجملة فقط .

وقد أدت نظرة الربط داخل حدود الجملة لدى النحاة، أنها ظلت ربطاً ضيقاً أيضاً؛ لأن تصوراتهم النهائية، لم تتجاوزها، غير أننا إذا وسّعنا النظرة في ظل التصورات الأرحب، التي يمكن أن تفرز دلالات يقبلها التفسير ولا يردها النص، ونسخّل من خلال ذلك دلالات جديدة، لم يأخذها النحاة بعين الاعتبار، وربما لم يشر إليها المفسرون كذلك، حسب ما اطلعنا عليه من كتب التفسير، فلم نجد إشارة محددة داخل حدود الآية، وإن وردت بعض

^{١١} عباس حسن : النحو الوافي ١ : ٣٣٨ - ٣٣٩ .

خلصت في دراستي للدكتوراه إلى أن ضمير الشأن يحيل إلى لاحق وإلى سابق، وهي رؤية مفارقة لرؤية نحو الجملة، ينظر تفصيلاً موسعاً حول ذلك في : دلالة التراكيب عند الزمخشري، ص ١٨٨ : ١٨٩، ١٩٤ : ١٩٦.

^{١٢} عباس حسن : النحو الوافي ١ : ٢٥٥ .

الإشارات التي يمكن أن تستثمر في ظل العلم الجديد الوارد (علم لغة النص) وتستغل بشكل جيد، إلا أن ما جاء منها – فيما أظن – بقصد أو بدون قصد في إطار المنهج المقترن لتحليل النص القرآني .

وعلى آية حال، فإنني تتبع النصوص المتعلقة بالأسماء الموصولة في النص القرآني، واعتبرته نصاً واحداً وانطلقت منها، وقد أدي هذا فيما أحسب إلى طرح رؤية جديدة مما سعى النحاة إلى تطبيقه على النص القرآني، إذ لم نجد في كتاب "معاني القرآن" للأخفش الأوسط – على الرغم من أهميته – إسهاماً، يمكن أن يستثمر في إطار التحليل النصي، خلافاً لما هو وارد في "معاني القرآن" للفراء، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج وغيرهما^{١٢} .

ويعد عمل الزجاج السالف الذكر حصيلة الأفكار والتصورات المطروحة قبله، على أن من المتأخرین من أفاد ما أورده الزجاج في معانیه، كالعکبri في "التبیان فی إعراب القرآن" ويدل العنوانان ومقارنة النصوص عند كليهما – الزجاج والعکبri – على أن الأخير ينقل النص كاملاً عن الأول، ونؤكّد هذه الرؤية بمقارنة ما أورده كل منهما في تفسير الآية/٥ من البقرة ولقمان /٢ : ٣ مثلاً، وهذا نجد إشارات يمكن أن توجه التوجّه السديد، وتستثمر الاستثمار الأمثل، على الرغم من قناعتي بأن منطلقاتهم كانت مفارقة عما نسعى إلى استخلاصه، إلا أن هذه الآراء التي وردت في سياقات تفسيرهم للآيات القرآنية من منطلق مختلف، تدل – بشكل ضمني – على إمكان وجود علاقات بمستويات عدّة من الآيات، وأن تصوراتهم تعدد حدود الآية الواحدة، بمعنى أنهم وضعوا أيديهم على التصورات الأولى التي يمكن الاطلاق منها، غير أن التحليل، سار فيما بعد في منحي مختلف، ولم يكتمل إلا عند قليل منهم، ولهذا فإن ثمة كتبًا أساسية في هذا المجال ككتاب الفراء : معاني القرآن ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج والتبیان للعکبri وانتبذ كتاب "معاني القرآن لأبي عبيدة" والأخفش الأوسط مكاناً قصياً، وكان أهون الشركاء في هذا المجال، فيما أتصور .

^{١٢} أحسب أن هذه الاتجاه في تفسير النص القرآني يحتاج إلى دراسة مفصلة لاستخلاص الأفكار الأساسية التي اعتمد عليها في تفسير النص القرآني وبيان العناصر النصية الفاعلة لديهم، وقد أشرت إلى هذه الفكرة في كتابي : الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن ص ١٧ ، ١٨ .

وإذا كان " نحو الجملة " قد عزى الأسماء الموصولة إلى طائفتين، تفترنان وتفترقان في آن واحد، إلا أن جوانب التحليل – كما سيأتي – تدل بوضوح على أنها ليست واحدة في القرآن الكريم، وقد أفضت هذه الرؤية إلى إيجاد دلالات جديدة، مما يدل على سياقات متنوعة، تتبع بطبيعة الحال وجودة دلالية عده .

وقد أدت هذه التصورات إلى أن أنماط (الذين) وردت أكثر من غيرها من الأسماء الموصولة، ويبدو أن هذه الرؤية ليس عليها معول في القرآن الكريم، إذ نجد – رغم قلة الأنماط – الوظائف ذاتها، مع الأنماط الأقل؛ لتمثل ذلك الحشد الحاشد من النصوص الكثيرة، وبالتالي فبان هذه الرؤية تحتاج إلى أن نرجع البصر فيها كرتين^١. ومن هنا فإن المعول الأساسي الذي يمكن أن نعول عليه، هو المقاربة الدلالية التي تجمع هذه الصلات الشابكة بين الأسماء الموصولة، ومن ثم، فإن المقاييس الدقيق أن تجمع الوظائف لهذه الأسماء من خلال :

– تتبع وظائفها في النص القرآني .

– توسيع النظر فيما ورد في " نحو الجملة " .

– بيان الوجوه التي تحتملها السياقات من خلال مقارنة النصوص، ومن هنا فإن تقسيمات " نحو الجملة " للأسماء الموصولة من حيث الخصوصية والعمومية، ليس لها قيمة فعلية في ربط النص، مادام كل عنصر يقدم سبكاً وحبيكاً على المستوى العام، وبالتالي فإن اعتبار العام والخاص ليس عليه معول عندي، وإنما المعول الحقيقي يعزى إلى قيمته ودوره الجوهرى في عملية انسياك وانحباك النص، ومن هنا جاءت من الأسماء الموصولة العامة (من ، ما) تشتراك وتضارع ما هو خاص (الذين ، الذي ، التي) من الأسماء الموصولة أيضاً ... وبالتالي تتدخل من حيث الخاص والعام في الوظائف الدلالية التي ترتبط النص من خلالها .

وربما يكون توزيع " نحو الجملة " لهذه الأسماء، من حيث الخاص والعام، أن لكل منها دلالات تتميز بها، أو سمات تعمل من خلالها، كما أشرت إلى ذلك، بيد أننا ننظر إليها نظرة مفارقة :

– توسيع جوانب الربط الوارد في " نحو الجملة " .

^١ ينظر تفصيلاً مفصلاً حول الأسماء الموصولة العامة عند عباس حسن : النحو الوفي ٤٤٩/١ : ٣٦٨ .

- الإفادة من التصورات المطروحة لدى المفسرين .
- الإفادة من مقارنة النصوص وإقامة علاقة مقارنة بينها .
- لا يقتصر البحث على ما هو وارد داخل حدود أسور الجملة، بتقديم تفسيرات أخرى في مواضع شتى من القرآن الكريم، وإذا فعلنا ذلك – وأظن أن ذلك ليس محالاً – يمكننا أن نستخلص تصورات ومفترضات جديدة، تظهر جوانب تماسك النص القرآني .

وإذا غدونا تلقاء الأسماء من حيث الوظيفة القائمة على ربط هذه الأدوات بما يسبقها ويلحقها تبين لنا حقيقة مؤداتها أن (الذين، الذي، التي) تمثل الملامح الأساسية للعناصر السابقة والhabakha هنا، ونierz جوانبها كما يلى :

- ١- الإحالـة المعجمـية .
- ٢- المقارـنة/ المـقابلـة .

- ٣- الربط ، ويمثل وظيفة عامة تشتـرك معه (من) في أنها تؤدي إلى :
 - أـ المـقابلـة .
 - بـ الـربـط .

وتمثل هذه الوظائف ربطاً لما هو فوق الجملة (الآياتان وأكثر)، كما تشير الدراسة إلى ذلك في موضعه من البحث، غير أن ثمة مقاربة دلالية ومنهجية في أن واحد، تربط بينها جميعاً، وأذكر هذه المقاربـات موجـة :

- ١- أن هذه الأسماء تعمل على الربط (سواء أكان ذلك داخل الجملة أم خارجها) .
- ٢- أن : الذين، الذي، التي، ما، تشتـرك في وظيفة المـقارـنة .

٣- تشتـرك : الذين، الذي، التي، ما، في الـربط داخل حدود الجملة، وعلى الرغم من أن ربط هذه الأدوات يتجاوز حدود الجملة، كما تظهر ذلك الـدراسة في أحد جوانبها، إلا أنه يظل ربطاً بين عناصر الجملة الواحدة كذلك، وهذا ما أشار إليه النـحـاة بـإعادة الضـمير إلى الـاسم المـوـصـول، وبالتالي يـحدـثـ رـبـطاًـ بيـنـ بنـيـةـ الجـملـةـ الواـحـدةـ .

وعلى هذا الأساس، فإن العلاقة بين هذه العناصر مجتمعة هي : الـربط، وهو بدوره مفارقـ من اسم لآخر تبعـاً لـالـسـيـاقـاتـ الـمـخـلـفةـ وـالـأـنـماـطـ الدـالـةـ عـلـيـهـ، وبالتالي فإنـ هذهـ الرـؤـيـةـ تـؤـدـيـ إـلـىـ أنـ الـرـبـطـ، قدـ يـكـونـ :

- ـ دـاخـلـ حدـودـ الجـملـةـ .

- فوق الجملة .
- بين الأجزاء بعضها ببعض .
- بين البنية الكلية المكونة له، ولذا، فإن الروابط ليست واحدة من حيث :
- الوظائف الرابطة (الدلالية) .
- الأنماط وتردداتها في النص القرآني .
- ربطها داخل الجملة وخارجها .
- ربط البنية اللغوية للنص القرآني كله .

وعلى هذا، فإن جوانب المقاربة والمفارقة ليس عليها ظل لريب، وعلى أساس الربط ودوره ينبغي أن يكون التقسيم الذي على أساسه ينبغي أن تكون التفريعات، على ما هو وارد داخل حدود الجملة والشروط (الشرائط) التي على أساسها أقام نحو الجملة تصوره؛ لأن النص القرآني قد وردت فيه أنماط أحسب أنها لم ترد عند نحاة الجملة، وإن وردت خرجوها على أنها شاذة ولا يقاس عليها، غير أن هذه السياقات تتبيح هذا الاستخدام، وليس فيها لبس، وإنما تناسب هذه الاستعمالات، وما تحيل إليه، وتؤديه من دور سابق وحابك، وعلى أساس هذا كله، فإن تقسيمات نحو الجملة للأسماء الموصولة الواردة في صدر البحث، وال المشار إليها في مظانها، تحتاج إلى إعادة نظر على ضوء الروابط النصية وما تؤديه من وظائف .

٣/٠ : الوظائف الإحالية لجملة الصلة ودورها في تماسك النص في القرآن الكريم

١/٣ : الوظائف الإحالية لجملة (الذين) ودورها في تماسك النص :

لا ريب أن المتبع لبنيّة (الذين) في النص القرآني، يمكن أن يخلص إلى الوظائف الإحالية لها من خلال ورودها في السياقات المتباعدة، وينبغي أن نقرر أن مثل الوظائف تشتراك فيها مع بعض الأسماء الموصولة الأخرى، كما يأتي بيانه فيما بعد من البحث .

وإذا كان من قول بداية، فإن السمة الغالبة هي "الربط" الذي تختص به الأسماء الموصولة، وبالتالي فبانه وظيفة عامة، وبناء على النص القرآني والسيارات المتعددة، يمكننا أن نستخلص عدداً من الوظائف الدلالية والإحالية لـ (الذين) بجانب الوظيفة الحقيقة المشار إليه أعلاه .

وتمثل وظيفة المقابلة / المقارنة أو التفسير المعجمي الوظائف الفعلية لجملة "الذين"، وتجرد الإشارة إلى أن هاتين الوظيفتين لا تأتيان من خلال شكل واحد، إذا تأتي المقارنة بين المؤمنين والكافرين بأشكالها المختلفة، وقد تتعدى الآيتين أو أكثر في تفصيل لأحد جانبي المقابلة، ويسبق هذا التفصيل في أحابين كثيرة وصف لهما، بينما يبقى التفسير المعجمي في كل حالاته - تقريباً^{١٥} - متجاوزاً حدود الآية الواحدة ... وقد تتدخل الوظائف الإحالية بين الأسماء الموصولة محدثة انسياكاً وانحباكاً يتجاوز ذلك كله إلى مواضع أخرى من النص القرآني، كما سيظهر ذلك التحليل بشكل واضح، ولعل وظيفة المقابلة هنا تأتي من خلال عدد من المظاهر النصية نستجلّي جوانبها في المطلب التالي :

١/١/٣ : المقارنة / المقابلة مع (الذين) :

١/٠ : المقارنة من خلال : إماً أو أمّا .

١/١ : المقارنة تتعدى حدود الآية .

١/٢ : المقارنة داخل حدود الآية .

١/٣ : المقارنة بعدم استعمال : إما أو أمّا .

^{١٥} ألفت النظر إلى أن المقارنة تأتي مع (الذين) داخل الآية، لكن السمة الغالبة هي ورودها كثيراً حين تتعدى حدود الآية الواحدة .

- ١/٢ : المقارنة تتعدي حدود الآية .
- ٢/٢ : المقارنة داخل حدود الآية .
- ٠/٣ : المقارنة من خلال (لكن) .
- ١/٣ : تتعدي حدود الآية الواحدة .

بالإضافة إلى مقارنات أخرى لـ (الذين) مع أسماء موصولة أخرى منتشرة في مواضع عدّة من النص القرآني (و سنشير إليها في حينها من البحث) نظراً لأنّها أقل استعمالاً .

ويبدو أن المقابلة من خلال (إما / أمّا) تأتي في سياقات كثيرة مما يجعلها في المرتبة الأولى، بينما تأتي المقابلة بدونها في مواضع عدّة أيضاً، إلا أنها دونها قليلاً، أو تقترب منها، وتمثل هذه رؤية أولية، على أن المقابلة بـ (لكن) تمثل استعمالاً نادراً، مما هو قبلها، حيث لم تظهر الاستعمالات القرآنية إلا في مواضع يسيرة .

كما أقرّوا – بناء على ما ورد أعلاه – أن هذه الأدوات (إما – أمّا – لكن) إنما هي عناصر إضافية مساعدة على بيان وجوه المقابلة، وليس أساسية عندي، ولا أدل على ذلك أن وجوه "المقابلة" بدون هاتين الأداتين واضحة في مواضع أخرى . وإذا كانت هذه الملحوظات العامة، فإنني أحاول أن أفصل القول فيها تحديداً فيما يختص بوظيفة المقابلة، كما يمثله الاستعمال القرآني .

١٠٠ : المقارنة والتفصيل بـ (إما/أمّا) .

١/١ : المقارنة والتفصيل تتعدي حدود الآية .

كما في قوله تعالى «يَوْمَ ثَبَيِّضُ وُجُوهٌ وَسَنُودٌ وَجُوهٌ فَامَّا الَّذِينَ اسْنَدُتْ وُجُوهُهُمْ اكْفَرُهُمْ بَعْدَ اِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْתُمْ تَكْفُرُونَ وَامَّا الَّذِينَ ابْيَضُتْ وُجُوهُهُمْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنَاهُوا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ بِرِيدٍ ظَلَماً لِلْغَالِمِينَ» آل عمران ١٠٦ : ١٠٨ ، وفيما يتعلق بهذا الشأن، يرى الرمانى^٦ أن (إما) من الحروف الهوامل، ولها موضعان :

^٦ الرمانى : معانى الحروف ص ١٢٩، وقد أشار المرادي إلى أن ابن مالك وغيره يرون أن (إما)، حرف تفصيل . الجنى الدانى في حروف المعانى، ص ٥٢٢ .

أحدهما : أن تكون لتفصيل الجمل، نحو قوله : جاعني أخوتك، فاما زيد فاكرمنه، وأما عمرو فاهنته، وأما جعفر فاعتبرت عنه ...
 الثاني : أن تكون قطعاً وأخذها في كلام مستأنف ...
 الثالث : هي قيمة مركبة، وذلك قوله : أما منطلقاً انطلقت معك ...

وإما وظيفة " التفصيل " ، فإنها الوظيفة التي تتفق مع سياقات مثل هذه الموضع، وبالتالي تكون وظيفتها مضفورة، بمعنى أنها تؤدي وظيفة التفصيل من ناحية، ومن جهة أخرى تؤدي وظيفة المقابلة في آن واحد، ولم يشر النحاة إلى أن (أما) تؤدي الوظيفتين معاً، وكل ما أشاروا إليه أنها تؤدي وظيفة التفصيل .

وأما (أما) فقد أشار المرادي إلى عدد من الوظائف الدلالية كـ : الشك والإبهام والتخيير والإحالات، والتفصيل^{١٧} ، وما نريد إثباته أن ثمة مشاركة فعلية / حقيقة بين (اما وأما) وهي وظيفة التفصيل، وهي تتبيح إيجاد عدد من البدائل والصيغ المقترحة، وعلى الرغم من ذلك تظل وظيفة مهمة، ويضيف البحث هنا فيما أرى وظائف جديدة لم يشر إليها النحاة، غير أن الذي يبقى واضحاً وضوحاً مبيناً أن وظيفة التفصيل هي التي بقيت واضحة أو مستمرة مع اسم الموصول في القرآن الكريم على الأقل، وإن وردت وظائف دلالية أخرى فيما يتعلق بسياقات أخرى مغايرة، وهنا نشير إلى أنها إ حالات مقارنة، وتاتي في شكلين :

الأول : مقارنة وإحالات معجمية معاً، ويمثل ذلك ما هو وارد في البقرة « ولنبلوئكم بشيء مِنَ الخوفِ والجُوعِ وتنقص مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثُّمَرَاتِ وَبَشِّرُ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ * أَوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُهَنَّدُونَ » ١٥٥ : ١٥٧ وتعمل عملياً معاً، عمل الإحالات العجمية، ويمثلها :
 - ما هو وارد في الآية/ ١٥٦ (الذين إذا أصابتهم مصيبة) .

- وباتسي وصف هذا التفسير (الإحالات المعجمية) في الآية التالية/ ١٥٧ (أولئك عليهم صلوات مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُهَنَّدُونَ) كنائية عن الصابرين وتاتي المقارنة بين هذه الآيات من خلال المقابلة مع ما يليها (غير مباشرة) من الآيات، وتحديداً في

١٧ المرادي : الجنى الداني في حروف المعاني، ص ٥٣٠ .

الآية / ١٥٩ «إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَثُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَثُهُمُ الْأَعْنُونُ» .

ومن ثم نجدها تعمل من خلال ضفيرتين، الإحالـة بالمقابلة والإحالـة المعجمـية، وكلـيهما يعمـدان بشـكل مباشر أو ضـمنـي إلى التـماـسـك النـصـيـ، الذـي نـرـيد أنـ نـظـهـر جـوانـبهـ فيـ هـذـا الـبـحـثـ، وـعـلـى الرـغـمـ منـ آنـ كـلـيـها يـرـتـبـطـ بـالـآخـرـ بـعـلـاقـةـ المـقـابـلـةـ، إـلاـ أنـ الإـحالـةـ معـ "الـذـينـ" لـيـسـتـ بـواـحـدـةـ، فـفـيـ الـأـولـىـ تـحـيلـ إـلـىـ ماـ قـبـلـهـاـ (ـمـتـقـدـمـ)، وـفـيـ الـثـانـيـةـ تـحـيلـ إـلـىـ الـلـاحـقـ (ـمـتـاـخـرـ)، وـكـلـيهـما يـعـمـلـانـ عـلـىـ تـماـسـكـ بـنـيـةـ النـصـ، وـهـذـاـ وـجـهـ منـ وـجـوهـ الـرـوـابـطـ النـصـيـةـ الـخـاصـةـ باـسـمـ الـمـوـصـولـ، وـمـاـ يـدـلـ عـلـىـ وـجـوهـ الـمـقـابـلـةـ عـدـدـ مـنـ الرـكـائزـ نـبـرـزـهـاـ فـيـ الـمـلـحوـظـ التـالـيـ :

ـ المـوـضـوعـ الـأـوـلـ : اـسـمـ الـمـوـصـولـ : يـحـيلـ إـلـىـ الصـابـرـينـ، وـيـفـسـرـهـاـ اـسـمـ الـمـوـصـولـ فـيـماـ تـلـاهـ، وـمـوـضـوعـ اـسـمـ الـمـوـصـولـ الـثـانـيـ : الـذـينـ يـكـتـمـونـ مـاـ أـنـزـلـ اللـهـ، وـهـوـ مـوـضـوعـ مـقـابـلـ الـأـوـلـ .

ـ وـصـفـ "الـصـابـرـينـ" الـذـينـ جـاءـ ذـكـرـهـمـ فـيـ الـآـيـةـ السـابـقـةـ بـ (ـأـوـلـئـكـ)، وـجـاءـ الـوـصـفـ الـثـانـيـ مـعـ (ـالـذـينـ) (ـأـوـلـئـكـ يـلـعـثـهـمـ اللـهـ وـيـلـعـثـهـمـ الـأـعـنـونـ) وـتـظـلـ الـمـفـارـقـةـ وـاضـحةـ فـيـ آنـهـ مـعـ "الـذـينـ" الـأـوـلـىـ تـائـيـ (ـأـوـلـئـكـ) وـمـعـهـاـ فـيـ الـآـيـةـ التـالـيـةـ، مـاـ يـدـلـ عـلـىـ آنـهـ يـتـعـدـىـ إـلـىـ مـاـ فـوـقـ الـجـمـلـةـ الـوـاحـدـةـ، فـيـ حـيـنـ مـعـ "الـذـينـ" الـثـانـيـ يـبـقـيـ دـاـخـلـ أـسـوـارـ حدـودـ الـآـيـةـ، وـنـسـتـنـجـ منـ ذـكـرـ أـنـ التـماـسـكـ مـنـ خـلـالـ "الـتـفـسـيرـ الـمـعـجمـيـ"، يـتـعـدـىـ حدـودـ الـآـيـةـ، وـمـنـ ثـمـ فـيـ التـماـسـكـ أـوـسـعـ مـنـ التـماـسـكـ الـإـحالـيـ إـلـىـ الـلـاحـقـ، الـذـيـ يـتـجاـوزـ الـآـيـةـ الـوـاحـدـةـ، إـلاـ أـنـ (ـالـذـينـ) الـثـانـيـ يـمـكـنـ أـنـ يـأـتـيـ الـوـصـفـ الـذـيـ يـعـدـ وـاحـداـ مـنـ أـوـجـهـ (ـوـجـوهـ) الـرـبـطـ لـيـمـتدـ إـلـىـ مـسـاحـةـ أـكـبـرـ عـلـىـ سـطـحـ الـقـرـطـاسـ، كـمـاـ هـوـ هـنـاـ، إـذـ نـلـاحـظـ الـوـصـفـ فـيـ الـآـيـةـ / ١٦٢ (ـخـالـدـيـنـ فـيـهـاـ لـاـ يـخـفـ عـنـهـمـ الـغـذـابـ وـلـاـ هـمـ يـنـظـرـونـ)، وـهـوـ مـرـتـبـطـ بـمـاـ قـبـلـهـ مـنـ حـيـثـ وـحدـةـ الـمـوـضـوعـ، فـالـآـيـةـ / ١٦١ (ـأـوـلـئـكـ عـلـيـهـمـ لـغـةـ اللـهـ وـالـمـلـائـكـةـ وـالـنـاسـ اـجـمـعـيـنـ) وـمـنـ جـهـةـ أـخـرىـ تـرـتـبـطـ الـآـيـةـ / ١٥٨ـ بـمـاـ يـلـيـهـاـ بـعـدـ مـنـ الـرـوـابـطـ النـصـيـةـ، وـالـتـيـ يـمـكـنـ اـسـتـظـهـارـهـاـ فـيـ الـعـاـنـصـرـ التـالـيـةـ :

ـ تـرـتـبـطـ هـذـهـ الـآـيـةـ بـمـاـ قـبـلـهـ (ـالـذـينـ) / ١٥٦ـ مـعـ مـاـ يـلـيـهـاـ فـيـ (ـ١٥٩ـ) عـنـ طـرـيقـ الـمـقـابـلـةـ فـيـ الـمـوـضـوعـ .

ـ (ـأـوـلـئـكـ) تـرـبـطـ بـيـنـ أـجـزـاءـ الـآـيـةـ الـوـاحـدـةـ فـيـ (ـ١٥٩ـ) .

- ويأتي الاستثناء في (١٦٠) كدليل على أن هذه الآية (الموضوع) مرتبطة بما قبلها في الآية (١٥٩)، وكما ينطبق للموضوع السابق (١٥٩)، ويأتي الوصف كتأكيد لموضوع الاستثناء، وكما ينطبق للموضوع الأول.

- وترتبط الآية/١٦١ بما قبلها من خلال رابطين :

١- المقابلة في الموضوع .

٢- الربط من خلال التكرار، ففي الآية / ١٥٩ «أولئك يلعثُمُ اللهُ وَيَلْعَثُمُ الْمُاعِنُونَ» وفي الآية/١٦١ «أولئك علَّيْهِمْ لعنةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسُ أَجْمَعُونَ» .

٣- وهكذا، فإن ثمة مقابلات أخرى بين دلالات الصيغ .

وبناء على ذلك، يتحقق التماسك من خلال التكرار اللغطي، إعادة (اللعنة) في صيغة الفعل (يلعنهم)، وصيغة الفاعلين (اللاعنون)، بما يدل على التجدد والحدوث، كما جاء ذكرهم (وصفهم) يلعنون من قبل الحق أولاً والناس ثانياً، بينما ورد الوصف في (١٦١) بالاسم (العنة الله) بما يدل على ثبات هذا النعت وديمونته، وهي صفة تتفاوت مع ما ورد في / ١٥٩ ، إذا كانت الأولى تدل على التجدد والحدوث، في حين أن الثانية/١٦١ تدل على أن الوصف ثابت لهم بيقين، وإذا كان الوصف في الآية / ١٦١ بـ (أولئك)، فإنه في الآية التالية (١٦٢)، يعقبها وصف صريح بـ(خالدين)، وبالتالي فإن الأمر متعلق بما قبلها من الآيات، ويؤكد ذلك بأنهم « لا يُخَفَّ عنْهُمُ العذَابُ وَلَا هُمْ يَنْظَرُونَ» : توكيداً لما سبق وتوثيقاً لعراه .

ومما هو ليس محل جدال بين النحاة، أن الصفة تلي الموصوف، وهي من القواعد الثابتة، ولما كانت « خالدين فيها لا يُخَفَّ عنْهُمُ العذَابُ وَلَا هُمْ يَنْظَرُونَ» البقرة/١٦٢، واقعة في صدر الآية/١٦٢ ، وعلى هذا فإن الموصوف واقع في الآية السابقة « (الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَأْتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ ..) البقرة/١٦١ ، وهذا يتحقق التماسك بالصفة، أو بالحال الدال على حال القوم المذكورين في الآية السابقة، ثم يأتي الربط بين الآية/١٦٢، ١٦٣ بـ(الواو) .

وتاتي الآية / ١٦٤ مرتبطة بالآية/١٦٣ بـ(الله واحد لا إله إلا هو ... ، وفي الآية التالية/١٦٤ دل على ذلك من خلال قدرته على خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار، والفالك التي تجري في البحر. وما أنزل من السماء من ماء ... وبث فيها

من كل دابة وتصريف الرياح والسحب المسخر بين السماء والأرض ... ثم يستمر التماسك النحوي والدلالي فيما تلى هذه الآيات من خلل :

– الرابط بالواو .

– ضرب الأمثال، وفي ذلك توضيحاً وتفسيراً لقوة الله، الذي خلق ما جاء في الآية / ١٦٤ وهكذا . وفي قوله تعالى في آل عمران / ١٩٠ : ٢٠٠ ، ويمكن أن أبرز جوانب التماسك النحوي والدلالي فيما يرتبط بجملة الصلة فيما يلي :

– تعد جملة الصلة « **الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتذكرون في خلق السماوات والأرض ...** » الآية / ١٩١ تفسيراً معجّماً للفظ الوارد قبلها في نهاية الآية، أولي الألباب / ١٩٠ .

– تأتي إحدى من نوع آخر، وهي إحدى ترادف، فيما يرتبط بلفظ الجملة " الله " السوارد في آية / ١٩١ ، نجد المرادف المعجمي (الضموني) له في الآيات التاليات / ١٩١ : ١٩٤ ، وكلها تبدأ بلفظ (ربنا) في صدر الآيات (٤) مرات، وهو مناد، حذفت أدأة النداء، دلالة على القرب الحاصلة بين العبد وربه، أو أن الله قريب إلى حد لا يحتاج فيها إلى استخدام أدأة النداء (يا)، وهذا تحقيق لقول الله تعالى « **وإذا سألك عبادي عنّي فبأني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعاني ...** » البقرة / ١٨٦ .

– تأتي الإحالة المعجمية من خلل تكرار الاسم : ربنا في الآيات من (١٩١ : ١٩٤) .

– تأتي إحدى الضمائر المختلفة التي تعمل على تماسك بنية النص من خلل :

١ – تماسك بنية الآية الواحدة .

٢ – تماسك بنية الآيتين / الآيات كما أبناها عن ذلك أعلاه .

٣ – تماسك بنية النص القرآني .

– وحدة الموضوع " الدعاء " وأنه في كل الآيات ١٩١ : ١٩٤ ، إنما هو صادر عن المؤمنين، باستعمال الضمائر التي ذكرتها أعلاه، ولما كان السياق واحداً والمؤمنون كلهم طريقهم واحد، وقلوبهم تلهث بدعاة واحد، فإن الضمائر المستخدمة تكاد تكون واحدة كذلك، وكان الحق سبحانه وتعالى يريد أن يقول إذا كان :

* لم أر وجهاً لذكر نص هذه الآيات كاملة؛ لأنه يستغرق مساحة كبيرة على سطح القرطاس، ومن ثم فإن متابعة التحليل هنا، يحتاج إلى متابعة الآيات في موضعها من النص القرآن .

١- الموضوع واحداً .

٢- المؤمنون يدعون بداعٍ واحدٍ

ترتب على ذلك أن الضمائر المستعملة (١٩٤: ١٩١) تكاد تكون واحدة، وهي في الوقت ذاته تعمل على الربط بين الخالق سبحانه، وبين هؤلاء المؤمنين الذين يرجون رحمته ويختلفون عذابه، وحول هذين العنصرين يكونان المركز في هذه الآيات تقوم الروابط النحوية بتماسك النص بشكل عام .

وإذا كان تحليل الروابط (المشار إليها أعلاه) صحيحة – وهي إن شاء الله كذلك – فإن الله قد استجاب دعاءهم مباشرة، ويدل الرابط (الفاء) على أمرين لا يمكن إنكارهما :
– السرعة، وهي رؤية تدعمها وتؤكد لها رؤية نحو الجملة .
– ربط الآيات السابقة، بما هو وارد في هذه الآية .

– تمثل الآية (١٩٥ / من آل عمران) نتيجة لما هو وارد في الآيات السابقات، فبناء على الدعاء الذي استغرق آيات أربع، جاءت النتيجة المرتبطة بالآيات السابقات، واستخدام الفاء الدالة على التعقيب والسرعة، بائي لا أضيع عمل عامل منكم .. والذين هاجروا وأخرجوا لأكفرن عنهم سيناتهم ويدخلون جنات تجري من تحتهم الأنهر ... إلخ، وذكر النها أن معنى (لكن) في جميع مواضعها الاستدراك^{١٨} .

ويختلف النظر في هذه الوظيفة (الاستدراك) في معنى المصطلح استدرك يقول ابن منظور: في مادة (الدرك) : اللحق، وقد أدركه ... وتدارك القوم؛ تلاحقوا، أي لحق آخرهم أولهم، وفي التنزيل " حتى إذا ادراكوا فيها جميعا " ... والدرake اتباع الشيء ببعضه على بعض في الأشياء كلها ... واستدرك الشيء بالشيء : حاول إدراكه به^{١٩} ، ولما كانت دالة على طلب الاستدراك، وبالتالي فإن الاستدراك، إنما يدل على أن شيئاً أدرك أو طلب إدراكه، ويُفاد من كل ذلك، أن ثمة مقابلة أو مفارقة بين ما هو قبل لكن، مما هو بعدها، وبالتالي فإن ثمة مقابلة غالباً، وهي تتعدى حدود الجملة، فيما أظن، ومن هنا، فإن هذه الرؤية يمكن أن تستثمر الاستثمار الأمثل في ظل اللسانيات النصية .

١٨ ينظر الزجاج : حروف المعاني ص ١٥ ، المرادي : الجني الثاني في حروف المعاني ص ٥٨٨ .

١٩ ابن منظور : لسان العرب ٢ / ١٣٦٣ ، ١٣٦٤ .

ثم تأتي المقابلة في الآيات التاليات آل عمران / ١٩٦ : ١٩٧ ، لفريق آخر مقابل للفريق الأول، وهو فريق الكافرين، كمقابل لفريق المؤمنين الذي استغرق طيلة الآيات (١٩٥ : ١٩٠) ثم يأتي الاستدراك بـ (لكن)، ويدل هذا على شيئين :

١ - أن فريق المؤمنين يأتي كمقابل لفريق الكافرين .

٢ - عطف طائفة المؤمنين (الآيات من ١٩٠ : ١٩٤)، وكان الحق يريد أن يقول : لا يغرنك الذين كفروا، فإنما هي حياة قصيرة، ويأتي وصفها في الآية التالية بـ (متع) كوصف لتقلب في الآية السابقة (١٩٦) دليلاً على أن لها وقتاً محدوداً ولا بد من زواله، ومن ثم ثُمَّ فإنها مكملة لها، وهنا مكمن التماسك النحوية في النص، ثم يأتي وصف "متع" بانه قليل، ولما كان قليلاً / قصيراً أو هو قليل على أصل الوصف، مقارنة بالحياة الآخرة الأبدية، (لهمَّ الْحَيَاةُ لَوْ كَثُرُوا يَعْلَمُونَ) العنكبوت / ٦٤ ، ولما كانت كذلك – وهي كذلك – ونتيجة لكرههم في البلاد، فإن النتيجة الواقعية هي (مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبَئْسَ الْمَهَادُ)، ويدرك العكاري : أن (متع قليل)؛ أي تقلبهم متع، فالمعنى مذوقف^{*} .

وأرى أن تصور أصحاب كتاب معاني القرآن مفارق لما ذهبت إليه، ففي جعل (متع) صفة يكون فيه ارتباط بينه وبين الآية السابقة، خلافاً لو جعلناه مبدأ، وهنا تتفصل العلاقة عمّا قبلها، وبالتالي فإن اعتبارها (صفة) فيه إظهار لجوانب التماسك، خاصة أن الصفة والموصوف كالشيء الواحد، وقد أثبتت عن ذلك .

كما أن (لكن) تدل على الاستدراك^{*} ، فاما العطف فيكون في عطفها على طائفة من الآيات الخاصة بالمؤمنين، وأما "الاستدراك" إنما يأتي كمقابل لفريق الكافرين، وفي كلتا الحالتين تعمدان إلى تماسك الآيات بعضها ببعض، وأن بعضها أخذ برقاب بعض .

وإذا كان الوصف في آل عمران / ١٩٧ (مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبَئْسَ الْمَهَادُ)، فإن الآية التالية (لِكُنَّ الَّذِينَ اتَّقُوا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَاحَتَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَتْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

٢٠ العكاري : التبيان في إعراب القرآن ٢٦١ / ١، وهو تصور مقارب لما ورد عند الزجاج في : معانى القرآن وإعرابه ١ / ٥٠١، ويبدو أن العكاري أخذته عنه أو ربما نقل نقل فحواه، فلن بين الموضعين للتوضيح المقاربة .

* أشار القرطبي أن (لِكُنَّ الَّذِينَ اتَّقُوا رَبَّهُمْ) استدراك بعد كلام تقدم فيه معنى النفي، لأن معنى ما تقدم ليس في تقلبهم في البلاد كبير الارتفاع، لكن المتقوون لهم الارتفاع والخلد الدائم. الجامع لأحكام القرآن ٤ / ٣٢١ .

ثُرِّزاً مَنْ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلأَبْرَارِ) / ١٩٨، أي أن التقوى نتيجتها : جنات تجري من تحتها الأنهر. وجاء الوصف بـ(خالدين فيها ...)، وتأتي آل عمران / ١٩٩ مرتبطة بما قبلها من خلل :

– الربط بالعطف (الواو) .

– وحدة الموضوع، فالحديث في الآيات السابقة عن المتقين .

ويأتي الفعل (اتقوا) باستعمال ضمير الفاعلين (الواو)، وهنا إشارة وجيزة، أن الضمير يحيل إلى موضع آخر من النص القرآني في تحديد لصفات المتقين، وأقصد ما ورد في البقرة / ٢ : ٥ ، وبناء عليه، فإن الإحاللة هنا ليست إلى :

– داخل حدود الآية .

– داخل حدود السورة .

– وإنما إلى سور السابقة مباشرة (في بدايتها) .

– وتمثل الإحاللة إحالة إلى متقدم .

– الإحاللة إلى مواضع (المتقين) في النص القرآني في سور اللاحقة، تسمى إحالة إلى لاحق وهي إحالة لفظية .

– وثمة إحالة ضمنية إلى صفات المؤمنين كـ: المختفين والمحسنين والصابرين وعباد الرحمن والمؤمنين ... وهي إحالة ضمنية، وهي بدورها تحيل إلى سابق في ذات السورة وفي سور السابقة، وإلى لاحق في سور القرآنية وفي داخل السورة .

وهكذا تتماسك بنية النص، ليس من خلال تعاقب الآيات، وليس من خلال الروابط السحوية فحسب، أعني أن تكون الآيات متالية، وإنما من خلال الإحاللة المعجمية والتفسيرية .

البنية الدلالية العليا الأساسية (الإيمان وجزاؤه)

الوحدات الدلالية الثانوية

الأفعال اللغوية

يذكرون / يتذكرون / يتفكرون / خلق / قتا / سمعنا /
ينادي / توفنا / آتنا / وعدتنا / لا تخزننا / لا
تختلف / استجاب / لا أضيع / قاتلوا /
وقاتلوا / أكفر .

الإيمان

ووحداته

ومشتقاته

الدلالية

الإيمان و نتيجته

النص

و تعد البنية الدلالية الإنجازية هي التي تفرض وظيفة الأفعال اللغوية، وهي متربة على البنية الدلالية الأساسية، ومن هنا نجد أن الأفعال كلها تقع في دائرة الأفعال التي تنتمي إلى الجذر الإيماني، وما ينتمي إليه .

وتختسم آل عمران بعدد من الروابط الإحالية، تحيل إلى موضع مختلف من النص القرآني « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَأَنْجُوا اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٢٠٠ ، ولنا مع هذه الآية وقفه، في محاولة لكشف الروابط النصية فيها، وبيان ذلك ما يأتي :

١- الضمير في الفعل (آمنوا) يحيل إلى عدد من المواقع في القرآن الكريم، نذكر بعضا منها هنا على سنة الاختصار في المطلب التالي :

١ / ٢ : دور بنية الفعل (آمن) والفعل (كفر) وما ينتمي إليهما في تماسك النص :
أ- تحيل إحالة لفظية إلى كل المواقع المذكور فيها الفعل (آمن) وجذره وصيغه .

ب- يحيل الضمير (الواو) في الفعل (آمن) إلى تلك الصفات الواردة لهؤلاء المؤمنين :

وبالتالي فإن الإحالـة في الفعل (آمنوا) تشير إلى لاحق/ متاخر في عدد من المواقع من السور، والتي تمثل بدورها المركز الذي تدور في فلكه كل الإحالـات المتعلقة بالإيمان كوصف، أو بالإيمان ك فعل، ومن ثم تمثل هذه المواقع المذكورة عاليـه العناصر الأساسية التي تقدم تفسيراً لهؤلاء المؤمنين أو للصفات التي ينبغي للمؤمنين أن يتـحلوا بها، وتتأتي الضمائر مع هذه الأفعال بمثابة الجوانـب الثانـوية التي تستمد أهميتها من هذه المراكـز والمواقع التي ترتبط بها في مواطنـ شـتـى، و تكون هذه العلاقة إلى متـاخر وإلى متـقدم، حسب وضع الآية والسورة – مثـلـاًـ فإذا كانت في سورة البقرـة، فإن الإحالـة إلى متـاخر في كل المواقع التي وردـ فيها (آمن / آمنوا) في كل السورة الوارـدة قبلـ هذه الآيات المشارـ إليها أعلىـ، والأمر معـكوسـ مع المواقع التي وردـت عـقبـ هذه السورة، فإن الإحالـة تكون إلى متـقدمـ، ومن ثم فإن الإحالـة الخاصة بذلكـ، يمكنـ أن تـأتيـ معـ هذه المواقع على النحو التالي في القرآنـ الكريم :

* أحـيلـ إلى بعضـ مواقعـهاـ فيـ النـصـ القرـآنـيـ تـجـنبـاـ لـالـإـطـالـةـ الـأـنـفـالـ / ٢ : ٤ ، التـوـبـةـ / ٧١ : ٧٢ ، المؤـمنـونـ / ١ : ١١ ، النـمـلـ / ١ : ٤ ، الحـجـراتـ / ١٥ ، ١٠ ، علىـ سـبـيلـ المـثالـ .

١- يأتي الفعل (آمن/آمنوا) في سورة : البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، ليحيل إلى متاخر/ لاحق، من ناحيتين :

الأولى : يحيل إلى الموضع السالفة الذكر التي تفسر الجذر الدلالي للمؤمنين .

الثانية : يحيل إحالة لفظية إلى كل الموضع المذكور فيها (آمن/ آمنوا) أو ما هو على شاكلته :

١- يأتي الفعل (آمن/آمنوا) وما هو قريب منه في السور التالية الحجرات، وبالتحديد بداية من سورة (ق) حتى نهاية القرآن، كل الإحالات فيها تمثل إحالة واحدة، إلى سابق .

٢- الموضع التي ورد فيها الفعل (آمن/آمنوا) في السور التي تعد تفسيراً معجماً، والمذكور أعلاه، تمثل الإحالات فيها إحالة معرفة، بمعنى أنها في كل سورة من سور المذكور فيها التفسير المعجمي، تكون كالتالي :

- يأتي الفعل (آمن/آمنوا)، داخل السورة، فإذا كانت عقب التفسير المعجمي داخل موضع من الموضع المذكورة أعلاه، فإن الإحالة تكون إلى متقدم، وإذا كانت سابقة، فالإحالات إلى متاخر، وتوسيع الدائرة مع السور فتختلف موضعها تبعاً لموقعها .

وإذا كان الحديث عن الفعل (آمن/آمنوا) فإنه جذر دلالي من (آمن) ويأتي منه آمنوا، آمننا، آمنت، آمنوا، الإيمان، وتقع كل هذه الأفعال للصفات المذكورة فيما مضى، وذلك في مقابل جذر دلالي آخر لا يقل أهمية عن جذر (آمن) وهو الجذر (كفر)، وفي رأيي أن هذين الجذرین الدلاليین يمثلان سمة جوهريّة يقوم عليها بناء النص القرآني .

١- نلاحظ أن هناك جذوراً دلالية تدور في فلك كل جذر، فإذا كان جذر (المؤمنين) يمثل عنصراً أساسياً يدور في إطاره عدد من الألفاظ التي تعد من مشتقاته، وأقصد الفاظاً مثل : المتقين (البقرة / ٢ : ٥)، الخاشعين (البقرة / ٤٥، ٤٦)، المخبتين (الحج / ٣٤ : ٣٥)، الصابرين (آل عمران / ١٥ : ١٦)، (البقرة / ١٥٤ : ١٥٧)، المتقين (الأتباء / ٤٨ : ٤٩)، العباد (آل عمران / ١٦)، أولي الأbab (الرعد / ١٩ : ٢٤) و(آل عمران / ١٩٠ : ١٩)، المحسنين (لقمان / ٣ : ٥)، والمتقين (الزمر / ٣٥ : ٣٤)، التقوى (الأعراف / ١٥٦ : ١)، وتدل مقارنة النصوص في النص القرآني على المشاكلة الدلالية لما تدل عليه هذه الجذور الدلالية، فمن يتتبع الإحالات المعجمية / التفسيرية للجذور التي تقع ضمن إطار دلالة (المؤمنين) يجد تداخلاً بين صفات المؤمنين من ناحية، وصفات الصابرين والمخبتين والمتقين وعباد الله وأولي الأbab، والمحسنين من ناحية أخرى، وهذا ما جعلني أرجح أن

هذه الجذور الدلالية لهذه الصفات تقع في حيز واحد؛ نظراً لأنها تضم صفات تكاد تكون واحدة، أو ينبغي أن يتحلى بها المؤمنون ... إلخ .

٢- أما الجذر الدلالي للفعل (كفر) المقابل التقليدي للفعل (آمن) فيأتي في عدد من الجذور الدلالية، تدور في فلكه، وتؤدي دوره، ونخص بالذكر : المسرفين : (الشعراء/ ١٥١ : ١٥٢)، المشركين (فصلت/ ٦ : ٧)، الظالمون(الأعراف/ ٤٤ : ٤٥) و(العنكبوت : ٥٨ : ٥٩)، المكذيبين (الطور/ ٤٨ : ٤٩)، الفاسقون (البقرة/ ٢٦ : ٢٧) ... إلخ ، ومما يؤكد العلاقة القائمة بين جذر (المؤمنين) وطائفة من الجذور الدلالية الأخرى أن القرآن الكريم قد سوّى بين :

- الفلاح ومن يدعوا إلى الخير (آل عمران/ ١١٤) .

- التسوية بين المتقين والمحسنين (فصلت/ ٣٣ : ٣٤) .

- التسوية في الصفات وتدخلها بين هذه الصفات بعضها ببعض، مما يعكس تداخلاً بينها في الصفات، وأنها في عاقبة الأمر تؤدي إلى معنى واحد، وكذلك الأمر بالنسبة للجذر (كفر) وما يدور في فلكه من جذور دلالية مثل :

١- التسوية بين الكفر والفسق (النور / ٥٥) .

٢- التسوية بين الكفر والفسق والظلم (المائدۃ / ٤٣ : ٤٥) .

٣- التسوية بين الكافرين والمنافقين (النساء / ١٣٨ : ١٣٩) .

٤- التسوية بين الظلم والكذب (آل عمران / ٩٤) .

٥- التداخل في الصفات بين هذه الجذور الدلالية، مما يجعلها جمیعاً تصب في معنى واحد، وهو المقابل للجذر (آمن)، وعلى هذا الأساس، فإن الفعل (آمن) الوارد قبلاً في آل عمران نضيف إليه إحالة أخرى، يمكن أن نطلق عليها : الإحالاة الترادفية .

ويلاحظ على صفات المؤمنين، أن منها قليل مكرر، إما ضمناً وإما بالألفاظ ذاتها، إلا أنها تبقى في عاقبة الأمر مكونة لصفات أساسية، يجب أن تتوافر في المؤمن، ولا أدل على ذلك، استخدام أداة القصر إنما مع السياقات المختلفة التي وردت فيها صفات المؤمنين، خلافاً لما هو وارد في سورة المؤمنين، وبالتالي فإن هذه الصفات " يجب " وليس " ينبغي " أن تتوافر في شخصية من تنطبق عليه صفة المؤمن . وتجدر الإشارة إلى أن صيغة " يا أيها الذين آمنوا " في النص القرآني كله، تأتي في بنية لغوية ثابتة، أو بتغير دقيق : تأتي إما في صورة :

— يا أيها الذين آمنوا افعل أمر .

— يا أيها الذين آمنوا لَا تفعلوا نهي .

— يا أيها الذين آمنوا حرمت عليكم الميّة والدم ولحم الخنزير — متضمن معنى الأمر .

— يا أيها الذين آمنوا — (بصيغة اسم الفعل) .

دون تحديد من هم الذين آمنوا ؟ وأحسب أن هذه الصيغة تأتي في النص القرآني فيما يجب أو لا يجب فعله، فيما يتعلق بهؤلاء المؤمنين، ولم يذكر شيئاً عن صفاتهم؛ لأنها ذكرت في مواضع منثرة، وبالتالي يمكن أن نخلص إلى :

١- أن هذه الرؤية تؤكد مقوله المفسرين : إن القرآن يفسر بعضه بعضاً .

٢- أن مثل هذه المواضع — الواردة عاليه — وغيرها من النص القرآني، إنما تحيل بشكل مباشر أو ضمني إلى تلك المواضع في سورة الأنفال والنور والمؤمنين والجرارات، وهكذا ينکات كل موضع ورد فيه الذين آمنوا أو شيء عن المؤمنين، مع تلك الموضع الواردة سابقاً، ويؤدي هذا الطرح إلى توكيد أن النص القرآني :

— يفسر بعضه بعضاً .

— سبك وحبك بنية النص القرآني عن طريق الإحاله .

وكانني أنظر إلى هذه الآيات التي وردت في سياقات عدة في صفات هؤلاء المؤمنين، وأن الله سبحانه حريص على إيمانهم الحقيقي (أولئك هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًا) الأنفال، وبالتالي تتبدي قسمات العلاقة بين تلك الصفات، وبين ما هو وارد في سياقات أخرى من هذه الصفات : يا أيها الذين آمنوا، وكان الله حريص على أن يبقى هؤلاء المؤمنون على حالهم، ومن ثم جاءت الصورة معهم بـ : افعل أو لا تفعل في صورها المشار إليها أعلاه . وهكذا تكتشف العلاقة بين أصحاب هذه الصفات وبين الأوامر والنواهي المتعددة، ونوجز ذلك فيما يلي :

١- إحالة ضمنية إلى ما ورد في مواضع أخرى .

٢- أن هذه الموضع " يا أيها الذين آمنوا " إنما هي متعلقة بتلك الصفات، ويؤدي هذا إلى :
— سبك وحبك بنية النص القرآني .

— أن كل هذه الموضع مع " يا أيها الذين آمنوا " إنما هي متممة ومكملة للمواضع الأخرى، وبالتالي فإن أي حذف لمثل هذه الموضع، إنما ينتج عنه خلل في هيكل النص

القرآن مبني ومعنى، لأنه "... مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ" الأتعام / ٣٨ ، و "مَا لَهُ هَذَا الْكِتَابُ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا" الكهف / ٤٩ .

وقد جمع بينهم في آية / ١٩ ، حين يكون بين الإيمان بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا ... ويدلنا لفظ "الإيمان" ومشتقاته بالمقابل التقليدي لهذا اللفظ، وهو لفظ "الكافرون" وما يحيط به من مشتقات، ومن خلاله تتبادر السمات الجوهرية التي يمثلها، ومن خلال استقراء الموضع الوارد فيه، تبدو خصائصه التركيبية والدلالية، إذ نجد المقابلة بين المؤمنين، وهذا في كل مواضع النص القرآني نجد المقابلة بين الله ورسوله من ناحية، والكافرين من ناحية أخرى، أو بين المؤمنين والكافرين بشكل مباشر، وحتى المؤمنين من بني إسرائيل، وفي كل السياقات تأتي النتيجة، إما بالدعاء عليهم (« وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ » آل عمران / ١٤٧ ، وإما بوصف (« وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ») التوبة / ٣٧ ، وإما بالدعاء بالنجاة من هؤلاء القوم (« وَنَجَّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ») يونس / ٨٦ ، وإما بالدعاء بأن لا تكون معهم (« وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ») هود / ٤٢ ، أو بالاستهزاء من دعائهم (« لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ يَشَاءُنَّ إِلَّا كَبَاسِطٌ كَفَنِيهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِيَأْلِفِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ » الرعد / ١٤ ، أو نتيجة كما في (« ثُلُكُ الْجَنَّةُ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ثَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَكْلَهَا دَائِمٌ وَظَلَّهَا تِلْكَ عَقْبَىَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَعَقْبَىَ الْكَافِرِينَ التَّارُ ») الرعد / ٣٥ .

وتجدر الإشارة إلى ملاحظة وثيقة الصلة بتلك الوظائف الدلالية لجملة الصلة؛ أقصد أن مقابلة قائمة بين صفات المؤمنين وصفات الكافرين، بناء على ما ورد سابقاً، ومن ثم يمكن القول إن المقابلة القائمة بين الفريقين، ليست بين الجوانب المعجمية القائمة بين دلائل المؤمنين والكافرين على السواء، وإنما المقابلة قائمة بين كل صفة يختص بها كل فريق والفريق الآخر.

غير أن البحث في جوانب الصلة قد كشف عن جوانب أخرى تضاف إلى المقابلات الواردة هنا في البحث، وهذه المقابلات التي يمكن أن نضيفها إلى المقابلات السابقة، هي أن المؤمنين وصفاتهم الواردة في عدد من مواضع النص القرآني، يمكن أن أطلق عليها الصفات المباشرة، والحال كذلك فيما يتعلق بصفات الكافرين، هذه ملاحظة أولى، أما الملاحظة الثانية، فهي أنها نلاحظ أن الحق سبحانه يستخدم في مواضع كثيرة مع الصفات المباشرة كلمات معجمية، مع فريق المؤمنين وفريق الكافرين .

وهنا يمكن أن أثبت تلك الألفاظ التي يمكن أن نصفها بمعادل طبيعي للمؤمنين والكافرین، وهنا أحاول أن أسطر الدلالات المعادلة للمؤمنين، وأذكر منها : المتقين، المحسنين، المصلحين، المختيّن، الصالحين، التائبين، العابدين، القائمين، السائحين، المؤمنين، المفاحيحين، الأمراء بالمعروف، الناهيّن عن المنكر، المتوكّلين، الصابرين، الصادقين، القانتين ، المنافقين، والمستغفرین بالأسحار ، آل عمران/ ١٧ .

ويمكن تحديد دلالة الكلمات بشكل آخر، فنجد لها تعطي معنى من معاني المؤمنين أو الكافرین، وهي ترد عقب الإحالة بالذى أو بالذين التي تأتي دائما في بداية الآية، وتكون الإحالة فيها (الذى، الذين) إحالة معجمية؛ أي إحالة إلى الآية السابقة مباشرة، وبالتحديد إلى الكلمة الأخيرة من الآية السابقة، وتسمى إحالة (الذين/ الذى) إحالة معجمية، وداخل حدود السورة، ويمكن تأمل عدد من الآيات التي تعطي ملحاً مهماً لمثل هذه السمات الخاصة بالمؤمنين والكافرین على السواء .

وفي مقابل المعادلات الدلالية للفظة المؤمنين، نجد لفظة الكافرین، وهذا نجد أيضاً معادلات دلالية، أظن أنها تحمل سمات الكافرین، وإن كان لكل وحدة دلالية خصوصيتها التي تميزها عن غيرها من الألفاظ الأخرى، ويمثل مجموع هذه المعادلات الدلالية للألفاظ التي تؤدي دلالة الكافرین، وبالتالي فإن مثل هذه الألفاظ، إنما تمثل دلالات خاصة لكل تلك المعاني التي يؤديها لفظ الكافرین، أو لفظ المؤمنين، وهذا تجتمع هذه الألفاظ الخاصة مع الاسم الموصول المذكور أعلاه، والذي يمثل الإحالات إلى سابق خارج الآية، وبالتحديد إلى الآية السابقة مباشرة .

وهذا لا يمكن أن تقوم مثل هذه المعادلات الدلالية مقام للمؤمنين أو الكافرین في إطارها العام، أعني أن دلالاتها خاصة، وكل لفظة دلالية تؤدي دوراً محدوداً في كشف جانب لا تؤديه اللفظة الأخرى، وهذه الخصوصية لكل معادل دلالي لأي جزء من هذين الجذرين، وعدم خروج أي منها عن الدور الدلالي المنوط بها، هو الذي أكسب المؤمنين، والكافرین الدلالة العامة، أعني ما تحمله كل منها من دلالات مختلفة، غير أنها تدور جميعها في ذلك واحد، وتحت سماء واحدة، أعني أن المعادل الدلالي :

- ١- المؤمنين — كل الألفاظ المؤدية إلى الجنة (اللفاظ كثيرة) .
- ٢- الكافرین — كل الألفاظ المؤدية إلى النار (اللفاظ كثيرة) .

وبالتالي فبان ما يمكن أن نخلص إليه أن المؤمنين والكافرين، تمثلان مجالين دللين مختلفين ومتقابلين في آن واحد، إلا أن كل الدلالات المعجمية التي تدور في ذلك كل منها تؤدي دلالته وتكشف عن بعض جوانبه، بيد أنه رغم الاختلافات والتداخلات الدلالية لكل هذه الألفاظ، إلا أنه يظل لكل مجموعة دلالتها الفارقة والمكونة لبنيتها، ومن هنا فإن العمومية الدلالية للمؤمنين والكافرين والخصوصية لتلك المجموعة التي تدور في ذلك كل منها، هي التي جعلت مثل هذه الألفاظ للمجالات الدلالية، وكل مجموعة تدور في ذلك كل المؤمنين أو الكافرين، وبالتالي تمثل المؤمنون المعنى النهاني والأخير لحصيلة المعاني الخاصة التي تمثلها ألفاظ كل مجموعة على حدة، هذه العمومية للمؤمنين والكافرين أعطت مساحة من الإمكانية أتاحـت فيما أظن أن تمثل هذه الألفاظ التي تدور في فلكها تحيل إلى هذين اللفظين؛ لأن معناهما عام، ومن ثم تستوعب كل المعاني التي يحملها كل لفظ، وبناء على ذلك يمثل هذان اللفظان مركزين من الإحالات ، وهـذا نجد : يا أيها الذين آمنوا، وعلى الاتجاه المقابل نجد المكافئ الدالـي لـلـكافـرـين، وفي كل وصف يصف المنافقـين، الكاذـبـين، الخـاسـرـين، المـطـفـفين، الذين يـصـدـونـ عن ذـكـرـ اللهـ، والـذـينـ إذا ذـكـرـوا بـآـيـاتـ اللهـ اـتـخـذـوـهـاـ هـزـوـاـ، بـإـضـافـةـ إـلـىـ كـلـ الصـفـاتـ وـالـسـلـوكـ المـؤـدـيـ إـلـىـ النـارـ، أـيـاـ كـانـ اختـلـافـ الـأـلـفـاظـ، كـمـاـ أـنـ الـمـعـادـلـاتـ الدـلـالـيـةـ التيـ تـدـورـ فـيـ فـلـكـ المـؤـمـنـينـ، تـؤـدـيـ جـمـيعـهـاـ إـلـىـ الجـنـةـ، كـمـاـ يـشـيرـ إـلـىـ ذـكـرـ النـصـ الـقـرـآنـيـ .ـ هـذـهـ الـخـصـوصـيـةـ لـلـمـعـادـلـاتـ الدـلـالـلـاتـ لـلـأـلـفـاظـ كـلـتاـ المـجـمـوعـتـينـ وـالـعـمـومـيـةـ هـيـ التـيـ جـعـلـتـهـ قـابـلـاـ لـأـنـ يـحـيلـ وـيـحـالـ إـلـيـهـ فـيـ النـصـ الـقـرـآنـيـ .ـ

كما أن سمة جوهرية أخرى، وهي أننا كما رأينا في ضمائر الوصل مع "الذين، الذي" مثلاً تحيل إما إلى سابق، وإما إلى لاحق، هـكـذـاـ بـصـورـةـ مـوجـزـةـ، أـمـاـ تـرـكـيبـ :ـ يـاـ أيـهاـ الـذـينـ آـمـنـواـ وـ"ـيـاـ أيـهاـ الـكـافـرـونـ"ـ وـمـاـ نـحـوـ مـنـ التـراـكـيبـ، فـبـاـنـهـ يـحـيلـ إـلـىـ سـابـقـ وـإـلـىـ لـاحـقـ فـيـ آـنـ وـاحـدـ؛ـ لـأـنـ الـآـيـاتـ الـمـفـسـرـةـ لـلـفـظـةـ الـمـؤـمـنـينـ،ـ قـدـ تـكـوـنـ بـالـنـسـبـةـ لـأـيـةـ مـتـقـدـمـةـ،ـ وـقـدـ تـكـوـنـ مـتـأـخـرـةـ،ـ وـيـقـعـ تـرـكـيبـ يـاـ أيـهاـ الـذـينـ آـمـنـواـ مـوـقـعـاـ وـسـطـاـ .ـ وـثـمـةـ مـلـاحـظـةـ أـوـدـ أـنـ أـشـيرـ فـيـهاـ إـلـىـ آـنـ :ـ

- ١ـ إـحـالـةـ إـلـىـ الـكـافـرـ الـوـارـدـةـ صـفـاتـهـمـ فـيـ مـوـضـعـ آـخـرـ مـنـ النـصـ الـقـرـآنـيـ .ـ
- ٢ـ فـيـهـاـ مـقـارـنـةـ بـيـنـ الصـفـاتـ الـوـارـدـةـ فـيـ آـيـةـ /ـ ٨ـ٤ـ،ـ وـمـاـ هـوـ وـارـدـ فـيـ آـيـةـ /ـ ٨ـ٥ـ،ـ وـالـعـلـاقـةـ بـيـنـهـمـاـ عـلـاقـةـ مـقـابـلـةـ بـيـنـ صـفـاتـ الـمـؤـمـنـينـ وـصـفـاتـ الـكـافـرـينـ،ـ وـبـالـتـالـيـ تـكـوـنـ الإـحـالـةـ

مزدوجة، إحالة إلى سابق في ٨٤، وإحالة إلى لاحق في ٨٥، ثم يلي الوصف الثاني الوارد في آية ٨٥ : الذين كفروا نتيجة في الآية ذاتها : أولئك أصحاب الجحيم .

﴿الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ الآيات / ١، إحالة إلى متقدم خارج النص، وبالتالي فإن الإحالات إلى متقدم داخل حدود الآية (داخل السورة) وإلى متقدم مباشرة على الضمير الموصول (الذي) .

ثم تستمر الإحالات الخارجية إلى الذات العلية في الآية الثانية والثالثة، بيد أننا نجد الإحالات إلى لفظ الجملة (الله) في الآيات في هذه السورة ليست واحدة، ففي الآية الأولى، استخدم (الذي) فقط، في حين الآية الثانية استعمل ضميرين : هو، الذي، ومن هنا تكون الإحالات مزدوجة في نظري، أقصد استعمال الضميرين؛ الفصل والوصل معاً، على أنني أقرر ابتداء أن مثل هذه الصيغة تتعدد في القرآن بشكل لافت للنظر، مما يستدعي متابعة لها في سياقاتها المختلفة؛ لاستخلاص النتائج الفاعلة .

ويجب أن أشير إلى أن تكرار ضمير الفصل (هو) مع (الذي)، يمثل إحالة إلى الذات العلية، وهي إحالة خارجية، ليست موجودة في النص، غير أنه إذا كان النص القرآني من عند الله، وبالتالي ليس موجوداً فيه، إلا أن صفات الذات العلية مذكورة في سياقات متفرقة منه، تظهر قدرته سبحانه، وفي هذه السياقات نجد استعمال الصيغة التالية "هو الذي" (٥٦) مرة في القرآن، وكل مرة نجد الصفات المذكورة في كل موضع مختلفة عن ذلك الموجود في موضع آخر، وبالتالي تخلص هذه السياقات جميعها إلى تقديم صور كاملة عن قدرة الحق سبحانه، كما يلاحظ أن كل التراكيب بعد (هو الذي) جاء بصيغة الأفعال الماضية والمضارعة، كل حسب ما تعلمه السياقات، إلا في موضع واحد من سورة الزخرف / ٨٤ «وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ» . واستعمال الجار وال مجرور : له، الذي يتقدم الجملة للتخصيص، وفي مثل هذه الموضع نلاحظ شيئاً :

الأول : هو الذي صنع هذه الأشياء المذكورة مع : هو الذي .

الثاني : مترب على الأول، وبما أنه صنع كل هذه الأشياء، ومن ثم تأتي الموضع المستخدم فيها الجار وال مجرور والمتقدم على الجملة بإفاده التخصيص، وأنها له وليس لغيره، كنتيجة طبيعية صنعها .

وفي هاتين الحالتين، تربط ضمائر الفصل أو الموصولة هذه السياقات بعضها البعض، كنتيجة حتمية بأن هذا النص القرآني مرتبط ببعضه بعضاً، ومن هنا تتحقق مقوله أن النص القرآني نص واحد .

وينبغي أن أشير إلى أن المقابلة بين صفات المؤمنين وصفات الكافرين، إن صفات المؤمنين تقع كمقابل طبيعي لصفات الكافرين، وأحسب أن الحق قد صور الكافرين ك مقابل للمؤمنين، المائدة / ٤ : « وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ »، ومن هنا تأتي المقابلة بين من يقوم بذلك الصفات، وبين من لم يحكم في صور شتى وطرق متعددة، وهنالاحظ أن ذكر الإيمان ومتعلقاته بشكل مباشر، في حين تأتي أشكال لا متناهية منها الكذب، ونكران وجود النبيين والجحود بائع الله، والتواكل، وكل ما هو مقابل لصفات الإيمان ... ومن ثم تتعدد صوره وأشكاله، حتى الكذب يدرج صاحبه في الإطار المقابل لمن لا يؤمن بآيات الله « إِنَّمَا يَقْتَرِي الْكَذِبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ » النحل/١٠٥ ، ولا أدل على العلاقة القائمة بين الكذب والكفر، أنه عقب الآية السابقة ذكر صراحة الكفر والإيمان « مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بِإِيمَانِ... » النحل/٦ . وبالتالي فإذا كانت المقابلة بين :

الكذب → ← الإيمان ، النحل / ١٠٥ .

الكفر → ← الإيمان ، النحل / ١٠٦ .

وهكذا، فإن طريق الكفر متشعبه وطريق الإيمان واحدة .

١- الضمير الثاني (اصبروا) يحيل إلى :

- سابق / متقدم .

- خارج حدود الآية .

- خارج أسوار السورة الواحدة .

- السورة السابقة مباشرة، وبالتحديد إلى الآية / ١٥٥ : ١٥٧ في قوله تعالى « وَلَا نُبَلُّوْنَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالْأَنْثَرَاتِ وَبَشَرَ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُّصِيبَةٌ... » هنا نلحظ أن سمات الصبر واردة وروداً محدداً في السورة السابقة، وبالتالي فإنها تحيل إلى هذا الموضع مع ما ورد في سورة البقرة في

تفصيل لصفات هؤلاء الصابرين، الذين ﴿ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ ويترتب على هذا الفعل قوله وعمل / تصديقاً ما يلي :

– (أَولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّنْ رَبِّهِمْ) .

– (وَأَولَئِكَ هُمُ الْمُهَنَّدُونَ) .

وكنتيجة محققة، إذا تحقق قولهم فعلاً وعملاً.

وإذا كان هذا الموضوع يمثل مركز الدائرة، لما يتعلّق بالفعل "اصبروا" في النص القرائي، فإن هناك مواضع عدة، تعد مراكز توضيحية ثانوية، لما هو وارد في سورة البقرة، ونبّر عناصرها فيما يلي :

في الحج/ ٣٤ : ٣٥ وردت الصابرون كصفة من صفات المختفين * (وبَشَّرَ الْمُخْتَفِينَ * الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) ، وفي الأحزاب/ ٣٥ « وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ ... اَعَدَ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَاجْرًا عَظِيمًا »، وفي آل عمران/ ١٥ : ١٧ « ... وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ يَقُولُونَ ... الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفَقِينَ وَالْمُسْنَئَفِرِينَ بِالْأَسْنَحَارِ » وبالتالي جاء كوصف للذين « يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقَاتِلْ عَذَابَ النَّارِ » الآية/ ١٦ مباشرة، وهي توضيح/تفسير لصفات العباد في الآية السالفة/ ١٥ قبلها، وهذا يبيّن هذا الملحوظ عدداً من الاستنتاجات السابقة الذكر وال المتعلقة بـان الوصف بعد رابطاً نصياً، وإن كان لا يتجاوز حدود الآيتين أو الثلاث، على آية حال، فإنه يتتجاوز حدود الجملة/ الآية إلى ما هو فوق ذلك، وهذا ما تسعى الدراسة إلى تعميق النظر فيه .

وفي سورة البلد/ ١٧، يأتي الحديث عنمن يريد أن يقتتحم العقبة (وهو جبل)، ولن يتّأتى ذلك إلا من خلال : فك (تحرير) رقبة، (او إطعام في يوم ذي مسْغَبَة) يتّيماً أو

* يذكر القرطبي في (وجلت قلوبهم) ... وصفهم بالخوف والوجل عند ذكره، وذلك لقوة يقينهم ومراعاتهم لربهم، وكأنهم بين يديه، ووصفهم بالصبر وإقامة الصلاة وإدامتها. الجامع لأحكام القرآن ١٢ / ٥٩، وقد ذكر العكبري عدداً من التصورات – كما هو شأنه في مواضع أخرى – فقال : (الذين إذا ذكر الله) يجوز أن يكون نصباً على الصفة، أو البدل، أو على إضمار المعنى، ورفعاً على تقديرهم. التبيان ٢ / ١٧٨، وقد أبنت عن رأيي في موضع سابق لمثل هذا الرأي ورجحت كونها صفة لتدلل على الملاصقة .

مسكينا ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبَرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾، ثم يأتي الوصف لهذا الفعل باستخدام ضمير الإشارة مع المؤمنين، والضمير الثالث (هم) مع الكافرين، فقال في نتيجة ذلك عن المؤمنين ﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾، البلد / ١٨، عقب فك رقبة أو إطعام المسكين أو اليتيم، وفي مقابل ذلك جاء وصف الذين كفروا بهذا الفعل، ولم يقدموا شيئاً ﴿ هُمْ أَصْحَابُ الْمَشَانِمَةِ ﴾ البلد / ١٩، ولم يكتف الوصف، كما في الآية السابقة مع المؤمنين، وإنما أكد في الآية / ٢٠ ﴿ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ﴾، أي محكمة الغلق، وفي ذلك تخويفاً وزجراً لأولئك الذين يكفرون بآيات الله، ولم يقوموا بفعل المؤمنين السابق، وهو ما لم يغفله الحديث عن أصحاب الميمنة، والله أعلم .

ويلفت النظر في الآية / ١٨ (الواردة عاليه)، بما هو وارد في سورة الانشقاق / ٧ : ٩، ﴿ قَامَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسِّبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنْقُلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴾ وهو كنایة عن الفوز في الآخرة، فقد رُوِيَ عنه صلي الله عليه وسلم، أن أول من يأخذ كتابه بيمنيه يوم القيمة عمر بن الخطاب ... وهو فوز ما بعده فوز، وأي فوز !!! وهنا نلحظ تفسيراً لما هو وارد لاحقاً في آية البلد من خلل الإحالات :

– إلى سابق (ليس في ذات الآية أو السورة) .

– إلى ما هو قبلها بعد من سور .

تنتج هذه الإحالات العلاقة القائمة بين النصوص (الانشقاق والبلد) ومن خلال هذين الملحوظتين، تتماسك وتتشابك السور المتباينة مكاناً المتتماسكة نصاً ومضموناً، وهذا يتحقق التماسك من خلال ربط :

١ – آمنوا، الإيمان في سورة آل عمران / ٢٠٠، الذي يمثل مركزاً ثانياً بما هو وارد في سورة : الأنفال، التوبة، المؤمنون، النمل، الحجرات، وفي ذلك تماسك لربط بنى السور من جهة، وربط وتماسك نصوصها اللغوية من جهة ثانية .

٢ – اصبروا إحالات هذا الموضوع (آل عمران / ٢٠٠) إلى متقدم من السور السابقة (البقرة) مباشرة، وبالتحديد في الآيات ١٥٥ : ١٥٦، وبالتالي يتماسك الموضوع بما هو وارد ثمة في سورة البقرة .

٣ – رابطوا إحالات إلى (الذين آمنوا) داخل حدود الآية، وبالتالي تعمل على تماسك بنية الآية الواحدة .

٤ – انقووا تحيل :

أـ إحالة لفظية : وتمثلها على سبيل المثال البقرة/ ٢١٨٠ ، ١٩٤ ، ٢٤١ ، آل عمران/ ٧٦ ، وبالتالي فهي متقدم في السورة السابقة مباشرة .

- إحالة إلى متأخر / لاحق، ويمثلها ما هو وارد في سورة :

- (الأنبياء/ ٤٨ ، ٤٩) ومن هنا فالإحالة إلى لاحق متبعاً .
- (الفرقان/ ٧٤ ، ٧٦) ومن ثم فالإشارة إلى لاحق متبعاً أكثر .
- (القلم/ ٣٤) وبناء على هذا فالإحالة إلى لاحق ناتي (بعيد) .
- (النبأ/ ٣١ : ٣٦) ومن ثم فالربط يشير إلى متأخر جداً .
- (الليل/ ٥ : ٧) الإحالة إلى متأخر في نهاية النص القرآني تقريراً .

وبناء على ذلك، فإن مواضع الإحالة اللفظية والإحالة الترافقية الضمنية قربها وبعدها، إنما يمثل عملية نسبية، فليس لها موضع أو مساحة مكانية محددة، وتختلف درجة قربها وبعدها عن الحال إليه، وبالتالي لم أر قاعدة في النص القرآني يمكن أن تحدد مدى المسافة بين العنصر الإشاري والعنصر الإحالى، وإنما هي عملية نسبية حسب السياق وموضع السورة .

ونتبين أن هذا النمط القرآني (آل عمران/ ٢٠٠) إنما يمثل نموذجاً يمكن أن ترد فيه الأفعال الواردة ثمة، بأنها تشير إلى هذه المواضع، وبناء على ذلك، فإن هذه المواضع الإحالية المتعلقة بكل فعل من هذه الأفعال، يمكن أن يحيل إليها أي فعل ورد في القرآن الكريم، وتعمل هذه الإحالات من خلال عدد من الملحوظات، التي قد تكون :

- تقابلية (مقارنة) في موضعها (وصف وفي ذات الوقت مفسرة) .
- مفسرة (توضيحية)، وهي في الوقت ذاته موضحة لمعناها .

والمقارنة، قد تكون باستخدام :

- (إما / أما) الدالة على المقابلة/ المقارنة مع (الذين) وجملة الصلة .
- (الذين) وجملة الصلة للمقارنة أيضاً، وهذه الملاحظة تؤكد أن (الذين) وجملتها قد تكون مقارنة بدون (إما/ أما)، وفي حالة وجودها يدعم السياق اللغوي (وسوف ناتي لهذا العنصر فيما يلي من البحث) .

وإذا كانت (الذين، الذي) تأتي في سياقات عدة من النص القرآني، لتكون تفسيراً / توضيحاً لجزء معجمي ورد في نهاية الآية السالفة الذكر (أو في الآية السابقة في بعض

الآيات)، ثم تأتي (الذين/ الذي) كجملة مفسرة للجزء المعجمي في بداية الآية التالية، وقد يتجاوز التفسير أكثر من آية، بمعنى أنه يمكن أن تقدم أكثر من وصف، كل واحد منها يمكن أن يكون تفسيراً كافياً، وتتعدد جملة الصلة بتنوع الموضوعات، وهذا النمط يعد خروجاً على ورود الجذر الدلالي الوارد في نهاية الآية :

— وإنما يأتي التفسير المعجمي هنا في بداية الآية .

— ويترتب على الملحوظ الأول أن الآية التالية لا ترد في كل الحالات مبتدأة بجملة الصلة، وإنما تتبدى ملامحها من خلال الأشكال التالية :

١- تأثر في (غالبية) الآيات مستعملة جملة الصلة في بداية الآيات .

٢- تأثر في (بعض) الآيات باستخدام (الفعل) قبل جملة الصلة .

٣- تأثر في (بعض) باستعمال الضمير الثالث (هو) قبل جملة الصلة. وأبقى على هذه التصورات لمعالجتها في موضعها من البحث . أعود لأفضل القول بفضل بيان، فيما يتعلق بسورة آل عمران في العناصر التالية :

— الجذر (آمن) ومنه المؤمنون، وقد ورد في القرآن :

— إنما + المؤمنون + الوصف في آية واحدة أو آيات .

وفي مثل هذه الحالة لا تأتي جملة الصلة تبعاً لذلك في الآيات التاليات، وإنما تأتي مباشرة في ذات الآية، ويتبدي ذلك بوضوح في الأنفال / ٢ : ٤، والحجرات / ١٠ : ١٥، ويبدو أن شدة الارتباط بين (إنما) وما يردد قصده، يأتي وراءها مباشرة، دون الانتظار إلى الآية الأخرى، وإن كنت أذهب أن ورود التفسير المعجمي للكلمة في بداية الآية، لما هو وارد في نهاية الآية السابقة مباشرة، مبدوعاً بجملة الصلة، لا يحتاج إلى وقف أو سكت، وإن حدث سكت خفيف؛ لاتصال المعنى الأول (الجذر الدلالي) بما يليه من التفسير المعجمي، وعلى الرغم من هذا فإنها تبقى — رغم العلاقة الحميمة — في مرتبة أدنى من بنية (إنما) .

— على أن آية الحجرات / ١ (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَاصْبِرُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ وَأَئْقُوا اللَّهَ

لِغَلَّمْ ثُرَّحْمُونَ)، يخالف فيه أنماط (إنما) المشار إليها في :

١- أنه حال من (الذين) الاسم الموصول وبالتالي حال من الصلة .

٢- لم يستخدم فيه ضمير الإشارة المهم (أولنـك) وال المشار إليه كتفسير وتوضيح لصفات هؤلاء القوم .

ومن يمعن النظر في هذه الآية يجد اختلافاً كثيراً بينها وبين أنماط (إنما)، إذ جاء القصر موجزاً، أدى إلى عدم احتياجه إلى موصول يربط بين الموصوف السابق، والصفة اللاحقة من خلال (الذين)، وهكذا لم تستعمل، وقد أدى القصر الموجز إلى عدم ذكر صفات هؤلاء من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن السياقات تشير إلى أنها تختص بمواضع الخلاف بين المؤمنين بعضهم بعضاً، ومن ثم فهي تمتاز عن الآيات الأخرى من هذه الجهة الثانية.

وعلى الرغم من المقاربة بين البنية اللغوية للأفعال الإنجازية لنمطي (إنما) في الأنفال/٤٠٢٠١٥ والحرجات/١٥، إلا أن اختلافاً قائماً، يبدو من خلال الحجرات/١٥، فلم تذكر لهم إلا صفات ثلاثة : الإيمان، عدم الارتياح، الجهاد في سبيله، أما في الأنفال/٢٠٤ فقد جاء ذكر خمس صفات في ثلاثة آيات : الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً، التوكل على الله، إقامة الصلاة، الإنفاق، وبالتالي :
- طال الوصف من ناحية .

- جعلُ (أولنـك) في صدر آية جديدة، فيه تأثير أكثر على المتلقـي، ومن ناحية أخرى يشير إلى أن (هؤلاء) المؤمنين أقل شيء أن يفرد لهم وصف خاص بهم في آية واحدة؛ لأنهم جديرون بها، وأكـدت الآية هذا المعنى بلفظ (حقاً) الدال على التوكيد والقصر، مثلما دلت (إنما) في مواضع السابقة على قصر هذه الصفات على هؤلاء المؤمنين .

وقد ذكر العـكري هنا في هذا الموضع أنه مثله في النساء ** . بـيد أن ثمة تمـايـزاً بين السياقين، ففي النساء/١٥ مع الكافرين، في حين أن آية الأنفال مع المؤمنين باستعمال العناصر اللغـوية ذاتها، وهو أنا ذا أذكر ما أورده العـكري في ذلك (حقاً) مصدر؛ أي حق ذلك حقاً، ويـجوز أن يكون حالاً؛ أي أولـنك هـم الكافـرون غير شـكٍ ** . وارجـح اعتبارـها مصدرـاً مؤكـداً، بدلاً من كونـها حالـاً، وأدلـل على ذلك من خلال التناصـ في العناصر التالية :

* قارن بين صفات المؤمنين في الأنفال/٢٠٤ وبين صفات المختبـتين في الحجـ/٣٤ : ٣٥ ، وتشـترك السورـتان في إيرـاد صفات مشـتركة، وهو ما يـؤكد ما أورـدته في مواضع سابقـ من البحث من أن هذه جـذور معجمـية مـختلفـة، غير أنها تـقع في حـيز واحد .

** أشار مـحقق (التبـيان) /١٤٧٢ في الـهامـش إلى أنه مثلـه في النساء .

٢١ العـكري : التـبيان /١ ٢٣١ .

١- أن هذه الآية؛ من الأنفال، تأتي كوصف من جهة، ونتيجة لما هو وارد قبلها من الآيات للمؤمنين من جهة ثانية .

٢- يأتي هذا الوصف باستعمال (أولئك)، ويؤكد بأكثر من مؤكد على النحو التالي :

أـ ضمير الفصل (هم) الدال على التوكيد .

بـ (حَقًا) المصدر المؤكّد لهذه الصفات من ناحية، وتدعيم أن (هم) ضمير فصل دال على التوكيد، وليس مبتدأ .

جـ استعمال الجملة الاسمية : أولئك هم المؤمنون .

ءـ أن اعتبار (حَقًا) مصدراً مؤكّداً يتسبّق مع الوصف، خاصة إذا كان الوصف يزيد هذه الصفات، ومن ثم بعد اعتبارها توكيدها أنساب من اعتبارها حالاً الذي ينافق الوصف فيما أرى .

وبالتالي فإن التفسير/ الإحالة المعجمية لجذر (المؤمنين) لم يأت في آية تالية، وإنما ورد في ذات الآية، وإن وردت له صفات أخرى في بعض الآيات التالierات، إذ زاد الوصف عن الآية، بيد أن القاعدة الأساسية، هي أن الوصف مع (إنما) ورد على غير العادة في آية (إنما) وإن امتد إلى أبعد من ذلك في آيات تاليات .

على أن هذا التفسير المعجمي يأتي في صور أخرى مختلفة؛ نظراً لأنها جملة الصلة، وفي هذه الحالة تكون خبراً للمؤمنين، وبالتالي تستوي مع (المؤمنين) بـ (إنما) أو بدونها، كما في التوبة/ ٧١، ٧٢، وتمثل هذه علامة فارقة بين البنيتين، أما حين تأتي (الذين) كتفسير لما هو وارد في الآية السابقة، فالامر مفارق، إذ المعنى يكون – حيـنـئـذـ – مكتـلـاًـ نـهـاـيـةـ الآـيـةـ السـابـقـةـ، وـيمـكـنـ أنـ يـكـنـىـ بـهـ دونـ إـهـدـارـ لـالـعـمـنـىـ الـعـامـ، وـمـنـ هـنـاـ كـانـ تـفـسـيـرـيـةـ لـالـعـمـنـىـ الـعـجـمـيـ .

وأرى أن ورود التفسير المعجمي – كما أبنا فيما ورد أعلاه – مع (إنما)، إنما يمثل ركيزة أساسية في البنية اللغوية، لا يمكن غض الطرف عنه، أو إهضام حقه، وبالتالي يكون :

١- أساسياً من ناحية .

٢- وهو مترب على الأول، أن يعرب خبراً، وهو أمر متم للمبتدأ : المؤمنون، ذلـكـ هـيـ الحالـ معـ (إنـماـ)ـ وـغـيـرـهـاـ،ـ حـيـنـ تـكـوـنـ :

أ— داخل الآية .

ب— جملة خيرية، وهي مترتبة على الأولى .

ج— مع (إنما) أو بدونها .

— المؤمنون + الصفات (التفسير المعجمي) ويأتي ذلك في إطار نوعين :

* المؤمنون + صفاتهم (في آية واحدة) ويمثلها ما جاء في التوبة/٧١، ٧٢، وينطبق عليها ما ينطبق على قاعدة (إنما) .

* المؤمنون + صفاتهم (في آيات تاليات) .

وتمثلها سورة المؤمنين/١:١١، حيث إنها تفسيرية، وإذا كان النهاة قد ذهبوا إلى أن جملة : الذين، إنما هي صفة للمبتدأ، فهذا لا ريب يدخل في سورة المؤمنين، وهذا يدخل تحت هذا التصور الألفاظ الخاصة بلفظ (الكافرين)، وما يندرج ضمه، كما حدث مع المؤمنين .

وهكذا يتحقق التماسك النحوي والدلالي معاً، من خلال التفسير المعجمي، فإذا كان التماسك النحوي ظاهر لا ريب فيه، عندما يكون تفسيراً للفظ المعجمي في نهاية الآية، فإنه يشتمل عليهما معاً حين يكون داخل الآية، وخبراً للمبتدأ من ناحية أخرى، وهو أقوى عندي من الأول، للأسباب المذكورة في موضعها عاليه . على آية حال، تتبعي الإشارة إلى أن هذا التفسير المعجمي، سواء أكان للمبتدأ والجذر الدلالي أم لما هو وارد في نهاية سابقة، إنما يبقى في حالاته :

— لا يتجاوز الآية الواحدة، وهو ربط على مستوى بنية الآية .

— يتتجاوز الآية أو الآيتين، وبالتالي فإن دائرة الربط تتجاوزها إلى ما هو أوسع وتماسكه أكبر .

وإذا كان هذا التصور يتجاوز حدود الجملة أو الآية، فإننا يجب أن ندعم هذه الرواية بطرح تصورات أخرى في مثل هذه المواقع، خاصة ما ورد في المؤمنين والأنفال نموذجاً، إنما يحيل إلى :

١— الإحاللة الضمنية : داخل حدود الآية تحيل إليها الضمائر، وكل الضمائر تمثل قضايا ثانوية تصب في القضية الأساسية (الإيمان)، وهي هنا تمثل المركز، ومن ثم تحيل إليها كل الضمائر الواردة في الآية، خاصة أنها مبتدأ، وكل ما هو وارد معها يمثل الخبر،

والمبتدأ أصل، والخبر فرع، وعلى ذلك فالضمائر في داخل حدود الآية من خلل الضمائر المختلفة، إذ لم تخل كلمة (اسم/ فعل) من الضمير في الآية/ ٢، إلا لفظ الجلالة (الله)، وهو لا يضاف إلى شيء، و(إيماناً) وحرف الجر (على)، وما دون ذلك، فكل الآية تحيل إلى (المؤمنين) مما يشكل منها عنصراً مركزاً مهما تحيل إليه كل الضمائر.

٢- الإحالات اللفظية :

- خارج حدود الآية السابقة :

تنتهي بـ (إن كنتم مؤمنين/ ١، وتبدأ الآية/ ٢ بـ (إنما المؤمنون) ومن ثم،
في الإحالات التكرارية لربط بنية الآيتين معاً.

كما أن الإحالات الضمنية في الآية التالية، ليس فيها تكرار لفظي مباشر، وإنما تكرار ضمني (غير مباشر) لصفات عده، وذلك من خلل صلة الموصول (الذين يقيمون....) والضمائر الحاصلة في الآية في (يقيمون، رزقناهم، ينفقون) إنما تحيل إلى المؤمنين (٢)، وفيه نوع من التوكيد، أن هذه الضمائر في (٣)، إنما هي للمؤمنين في (٢) مما هو وارد في (٤) بالإحالات اللفظية التكرارية في إعادة لفظ (المؤمنين) واستخدام (حقاً) التوكيدية، ثم تتوالى الإحالات بالضمائر، وهي تعمل على :

- اختزال مساحة لا يأس بها على سطح القرطاس.

- الرابط داخل البنية اللغوية للآية الواحدة، وإذا تجاوزت ذلك يكون من خلل صلة الموصول .

- في حين تبقى الإحالات اللفظية تعمل :

- داخل الآية الواحدة .

- من خلل أكثر من آية .

- ربط البنية اللغوية للسورة من خلل الإعادة اللفظية لفظ الواحد في صور شتى، إذ يأتي لفظ (المؤمنين) بصيغة الاسم في موضع، ويأتي بصيغة الفعل (أنموا) في موضع آخر، ومن خلل هاتين الصيغتين تتبدى قسمات الإحالات اللفظية، في حين تبقى ثمة إحالة داخلية، أعني داخل الآية من خلل الضمائر.

وإذا رجعنا البصر في سورة الأنفال، نجد أن المؤمنين ترد بالصيغ المختلفة في موضع كثيرة بصيغة (أنموا) : يا أيها الذين آمنوا، مع ورود صيغة المؤمنين في مواطن

أقل من السورة، وما يمكن أن نشير إليه هنا بقصد الإحالات في هذه السورة، أنها تعمل على مستويين :

الأول : داخل حدود السورة، وقد ورد تفصيله بفضل بيان أعلاه .

الثاني : خارج هذه السورة، ويتمثل في :

— السور السابقة واللاحقة، من خلال :

النكرار اللفظي أو الضمني كما ورد هنا في الآفال .

وبناء عليه، فإن هذه المواقع تحيل إلى ما هو داخل الآية، وداخل السورة، ومن ناحية أخرى، فإنها تحيل إحالات مماثلة (لفظية وضمنية) إلى ما هو خارج السورة . وإذا ما وسعنا الرؤية إلى ما فوق السورة أو الجزء؛ فإن ذلك يأتي خالما :

— الإحالات اللفظية للمؤمنين وللكافرين ومشتقاتهما في أن كل موضع، إنما يحيل إحالات تكرارية إلى المواقع الأخرى .

— الإحالات الضمنية، وذلك من خلال الضمائر التي تدعمها جملة الصلة، والتي تجعلها تتجاوز حدود الآية الواحدة من خلال عدد من الصلات الشابكة . وهكذا نوسع الدائرة لتشمل النص القرآني كله، وبالتالي يجب لا نقصر علاقة هذه الآيات بعضها ببعض داخل حدود الآية أو الآيتين، أو حتى داخل البنية اللغوية للسورة . على آية حال، فإن هناك قضايا إحالات رابطة أخرى بين السور أو داخل السور، أشار إليها القدماء .

وفي قوله تعالى «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِّلّٰٰتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيَبْشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا * وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْنَدُتَ لَهُمْ عَذَابًا إِلَيْمًا» الإسراء/٩،١٠، ومحاجز هذا النمط يتمثل في أنه :

١- يمثل إحالات معجمية داخل حدود الآية، في أن جملة الصلة : الذين يعملون الصالحات ... تعد تفسيراً معجماً .

٢- تعدد الآية/٦ مقابلة / مقارنة مع ما هو وارد في الآية/١٠، من حيث التقابل اللفظي، وهنا يجب أن أشير إلى أن المقابلة، تأتي من خلال عدد من الركائز الأساسية، نوجزها فيما يلي :

أـ أن تكون المقابلة (المقارنة) مقابلة ثانوية؛ أي أن تأتي بين الفاظ تقع في فلك لفظ الإيمان من ناحية، وأخرى تقع في دائرة الكافرين .

ب - أن تكون المقابلة مباشرة؛ لأن تأتي بين الإيمان والكفر، وهي مقابلة مباشرة .

ج - أن تكون المقابلة باستخدام النص بأي شكل من أشكاله، كما هي الحال مع نمط الإسراء/٩،١٠، وأحسب أن السمة التي تجمع بين هذه العناصر الثلاثة الدالة على المقابلة بأشكالها المختلفة تدل على المقابلة .

٣ - وينبغي أن نشير إلى أن تنوع الأشكال التركيبية، بما تحتوي عليه من أدوات ربط، والتنوع في استعمال الأسماء والأفعال على اختلافه، إنما هو شكل من :
- الإبداع القرآني .

- ثراء النص القرآني .

- إعجاز النص القرآني .

- قدرته على تقديم تفصيلات جديدة يقبلها النص ولا يردها، وهذا يؤكد الروائية الفائلة، بأنه لا تنقضى عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد، وأن إعجازه، إنما هو إعجاز لغوي في الأساس الأول .

وقد ناقش د. خليل عميرة ضمير الفصل والشأن والإشارة والموصولات، ويلاحظ عليها بشكل عام أن معالجته ظلت في حدود ضيقـة، ففي قوله تعالى ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ حَاسِبُونَ﴾ المؤمنون/٢، قال : فيؤدي الاسم الموصول (الذي) دور المسند إليه، مسندـه خائـعون، ثم تحولـت الجملـة ... حيث يؤدى الضمير (هم) دور المحدد المخصص المزيل للإبهام في الاسم الموصول السابق عليه، فضلاً عن توكيـده^{٦٦}، وبالتالي غـدـى تلقـاء توجـه آخر بعيدـاً عن التحلـيل النصـي من ناحـية، وظلـ تحلـيلـه في حدود نحوـ الجملـة التي اقتصرـت تحلـيلـاته عـلـيهـ من ناحـيةـ أخرىـ، وأوجـزـ ذلكـ فيماـ يـليـ :

١ - لم يحاـولـ أنـ يـبيـنـ عـلـاقـةـ هـذـهـ الآـيـةـ بـمـاـ قـبـلـهـ، كـمـاـ فعلـ كلـ منـ: القرطـبـيـ والعـكـبـيـ، وأـشـيرـ إلىـ ذـلـكـ فـيـ مـوـضـعـهـ مـنـ الـبـحـثـ .

٢ - انشـغلـ فـيـ تـحلـيلـهـ بـالـتـحـوـيـلـاتـ الـأـسـاسـيـةـ الـتـيـ عـلـيـهـ الـجـمـلـةـ، كـمـاـ هوـ مـبـيـنـ عـنـهـ .

٣ - رـكـزـ فـيـ اـسـتـخـلـاصـ الـدـلـالـةـ لـضـمـيرـ (ـهـمـ)ـ دـاخـلـ حدـودـ أـسـوارـ الآـيـةـ، وـكـانـ الأـجـدـىـ وـالأـجـدـرـ أـنـ يـذـكـرـ رـبـطـهـ بـمـاـ قـبـلـهـ، وـبـالـتـالـيـ تـبـدوـ الـعـلـاقـةـ الـحـاـصـلـةـ بـيـنـ الـآـيـتـيـنـ أوـ الـآـيـاتـ .

^{٦٦} د. خليل عميرة : آراء في الضمير العائد ولغة أكلونى البراغيث ص ٣٥ .

وهكذا بقيت تصوراته – على الرغم من أهميتها وعمقها – في إطار "نحو الجملة"، وتدل النماذج المختارة على أنه ركز على موقع الاسم الموصول في النص القرآني، وكانه يريد أن يقول إنه واسم الإشارة يُعرّبان حسب موقعهما في الجملة.

على أن هذا التصور، لا ينفي الإعراب الذي أقامه كل من القرطبي والزجاج والغكري أن هذه الأسماء الموصولة، كما هي في النموذج السالف الذكر، تعرب صفة أو مفعولاً، وفي كلتا الحالتين نشعر بمحاولة ربط هذه الآية بما قبلها، أما في حالة إعرابها مبتدأ فتنفصل (الذين) عما هو وارد قبلها، مما يشير بشكل ضمني إلى انتقالها عما قبلها.

وإذا كنت قد ذكرت عدداً من العناصر، فذلك لأنها السمة الأساسية، وتأتي العناصر الأخرى للتمثيل صور المقابلة، وهنا ينبغي أن أشير إلى أن وظيفة (الذين) تمثل في :

١- كونها رابطة بين الجملتين / الآيتين، وتمثل هذه الوظيفة الفعلية .

٢- المقابلة، وتكسب أهميتها من خلال :

– المقابلة (المقارنة) بين فريقين متضادين .

– (الذين) التي تأتي مع كل فريق بوجه عام .

على أن هذه الموضع، تعمل على التماسك النصي، من خلال الربط المفهومي (المقابلة) في هذه الموضع فقط، وتجاوز ذلك إلى ما هو أبعد، ويتبدي هذا الملحوظ بوجه عام من خلال الضمائر المختلفة؛ فعلى سبيل المثال تأتي المقابلة بين المؤمنين وبين الكافريين؛ الذين آمنوا، وما يدور في فلكها من جذور معجمية، والذين كفروا ومتعلقاتها، ومن ثم فالضمائر هنا، إنما تشير إلى موضع منتشرة من النص القرآني، وقد أبنت عن ذلك بفضل بيان في موضع آخر من البحث، وبالتالي فإن الإحالة تتجاوز :

– حدود الآية .

– حدود الآيتين .

– حدود الثلاث آيات .

– حدود السورة إلى آفاق أوسع وأرحب إلى عدد من السور والأجزاء .

– حدود الجزء الواحد .

٢/١/٣ : الإحالـة المعجمـية التفسـيرـية بـ (الذـين) :

١/٢ : التفسـير المعجمـي داـخل حدـود الآـية .

٢/٢ : التفسـير المعجمـي خارـج حدـود الآـية .

١/٢ : التفسـير المعجمـي داـخل حدـود الآـية :

قال تعالى « وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُوَنَا وَإِذَا خَاطَبُهُمْ
الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا » الفرقان/٦٣، ويمثل هذا النمط مفارقة عن الأنماط الأخرى، في أن
الصنفة هي (الخبر)، وبالتالي لابد من وجوده ليتم المعنى، هذا من ناحية، ومن جهة
أخرى، فإنه يتافق مع ما جاء في التوبة/٧١، ٧٢ في أنه :
— داـخل الآـية .

— خـبر للمـبـتـداـ (عـبـادـ الرـحـمـنـ) أو اـعـتـبـارـهاـ صـفـةـ أـفـضـلـ، كـماـ ذـهـبـتـ إـلـىـ ذـلـكـ فـيـ مـوـضـعـ
آـخـرـ، وـيـفـارـقـ الـأـنـمـاطـ الـأـخـرـ فـيـ الـفـرـقـانـ فـيـمـاـ يـلـيـ :

- ١ـ أـنـ الإـحالـةـ تـتـجاـوزـ حـدـودـ الآـيةـ إـلـىـ نـهـاـيـةـ السـوـرـةـ، وـهـوـ مـاـ لـيـسـ مـوـجـودـاـ فـيـ (التـوـبـةـ) .
 - ٢ـ أـنـ الإـحالـةـ فـيـ الـأـنـفـالـ/١: ٢ـ، لـمـ تـاتـ مـنـ خـلـلـ عـطـفـ جـمـلـةـ الـصـلـةـ (الـذـينـ....ـ) باـسـتـعـمالـ حـرـفـ الـعـطـفـ (الـوـاـوـ)ـ، وـإـنـماـ جـاءـتـ مـنـ خـلـلـ :
- جـمـلـةـ الـصـلـةـ (الـذـينـ....ـ) .
- الضـمـائـرـ الـمـتـنـوـعـةـ .

وفي الفرقان تجاوزت الروابط بإضافة (الواو) العاطفة زيادة على الروابط الواردة
في الأنفال، وهكذا تأتي جملة الموصول التفسيرية مع (الذين) في مواضع ستة تقاد تكون
متتالية .

٢/٢ : الإحالـة المعجمـية التفسـيرـية خارـج حدـود الآـية :

وـيـنـقـسـمـ بـدـورـهـ إـلـىـ قـسـمـيـنـ :

الأول : أـنـ يـاتـيـ مـعـ نـمـطـ مـنـ الـأـنـمـاطـ الـتـيـ تـحـيلـ إـحـالـةـ مـعـجمـيـةـ (يـكونـ خـبـراـ)، دـاـخلـ حدـودـ
الـآـيـةـ، ثـمـ يـتـجاـوزـ الآـيـةـ باـسـتـعـمالـ جـمـلـةـ الـصـلـةـ(الـذـينـ)، وـهـذـاـ النـوـعـ قدـ فـصـلتـ فـيـ القـوـلـ .

الثـانـيـ : يـاتـيـ التـفـسـيرـ المعـجمـيـ لـكـلـمـةـ وـارـدـةـ فـيـ نـهـاـيـةـ الـآـيـةـ، وـتـكـونـ جـمـلـةـ الـصـلـةـ فـيـ بـدـايـةـ
الـآـيـةـ التـالـيـةـ مـبـاشـرـةـ، وـيـمـثـلـ هـذـاـ النـوـعـ نـمـطـاـ آـخـرـ لـهـ سـمـائـهـ الدـلـالـيـةـ، وـإـذـاـ كـانـ الـرـابـطـ فـيـ

الأول بين الآية الواحدة من جهة، وبين الآيات التالیات من جهة أخرى، فإن النمط الثاني يربط من خلال ربط جملة الصلة أو إحالتها بما قبلها .

ونلاحظ أن الآيات القرآنية التي ترد فيها هذه الإحالات المعجمية لجذر دلالي وارد قبلها في الآية السابقة مباشرة، إما أن يكون متعلقاً بالألفاظ التي ترد ضمن حدود لفظ (المؤمنين) أو لفظ (الكافرين)، ومن هنا نرى أن مثل هذه الموضع تفسيراً معجّماً لأحد هذين العنصرين، وبالتالي نرى تفسيراً للمتقين (البقرة/٢:٥) والمحسنين (القمان/١:٥)، والمؤمنين (النمل/١:٤) والكافرين (الطور/١١، ١٢) والمسرفين (الشعراء/١٥٢) ... وهكذا إلخ، هذا فيما يتعلق بالإحالة المعجمية إلى كلمة محددة، سواء أكان داخل الآية أم خارجها (قبلها)، وبناء عليه، فإن الإحالات، إنما هي إلى سابق .

٣/٢ : الإحالة المعجمية خارج حدود الآية والمقارنة :

كنت قد أشرت في موضع سابق في ثانياً معالجة الإحالة التقابلية إلى الإحالة المعجمية؛ لأن الأنماط القرآنية تشتمل بطريق التداخل على وظيفة المقابلة من ناحية، والإحالة المعجمية من ناحية أخرى، وتلتف هذه الظاهرة النظر في مثل هذه الموضع إلى أن كل الموضع التي فيها الإحالات المعجمية خارج حدود الآية تقرباً تشتمل على وظيفة المقابلة، وهي وظيفة مفهومية كوظيفة الإحالة المعجمية، وقد أدت هذه الرؤية إلى أن هناك عناصر يمكن أن تتدخل هنا بما ورد ثمة، إلا أن طبيعة المعالجة تبرر ذلك ولا ترده فيما يتسم ببعضها البعض، وبالتالي فإن هذا التداخل تفرضه طبيعة المعالجة وطبيعة النصوص المتداخلة وظيفياً فيما بينها؛ نظراً للتشاكل بينهم من الناحية الوظيفية .

على أن هناك أنماطاً قرآنية توجز وظيفة (الذين) المشار إليها أعلاه، وأشار فقطر إلى بعض الموضع توكيداً للفكرة وبياناً لجوانبها، وأحسب أن هذا النوع إنما يمثل إيجازاً للوظائف الموصولة لجملة (الذين) الواردة قبلـ (الرعد/٢٥، والنمل/٢:٥، النحل/٢٧:٣٤، الكهف/٣:١٠٨) وفيه :

١- إحالة معجمية في ١٠٤ إلى «(الأخسرين أعمالاً)/١٠٣»، ثم وصف في ١٠٥، وهي إحالة تتجاوز في ربطها حدود الآية إلى الآيتين .

٢- المقابلة / المقارنة بين «(الأخسرين أعمالاً)/١٠٣»، ووصفها في (٤:١٠٦) وبين (الذين أمنوا)/١٠٧، ووصفهم في (٨:١٠٨)، وهي مقابلة تحقق ربطاً أوسع من الرابط المعجمي في الواقع، خاصة إذا كان مع مثل هذا النمط، وبالتالي فإنه :

- أـ إذا كانت المقارنة فقط يكون الربط أضيق .
- بـ - تتوسع الدائرة، إذا كان معها وصف (مقارنة + وصف في آيات تاليات) .
- جـ - لربط الأوسع تتحقق فيه :
- الإحالة المعجمية .
 - الإحالة بالمقارنة، وهي إحالة مفهومية، كما أشرت إلى ذلك أعلاه .
 - الإحالة بالوصف والربط .

وتعمل هذه الإحالات مجتمعة على تماسك بنية النص القرآني من ناحية، وتوسيع الدائرة البحثية من ناحية أخرى، وإذا كانت الأنماط السابقة تأتي في صلات شابكة ومترادفة، فإننا نوجزها في الركائز التالية :

- ١ـ التفصيلية، تفسيراً لجذر (المتقين) الواردة في نهاية الآية قبلها .
- ٢ـ المقابلة بين (المتقين) وصفاتهم (٢:٥) وبين (الذين كفروا فيما تلا ذلك (ابتداء من/٦....) .
- ٣ـ النتيجة والجزاء، لكل من المتقين والكافرين .

ويمثل نموذج البقرة /٢:٥ نموذجاً متمايزاً من حيث عدم اشتتماله على ما ورد عالياً، ونضيف زيادة أن وصف (الذين) الثاني (الكافر) في الآية /٤، جاء في آية تالية /٥، في حين ورد في البقرة خلافاً لذلك، إذ جاء وصف الطائفتين بما يشكل ملهماً جوهرياً، بيد أن وصف (المتقين) في الآية /٤، ٣، جاء نتيجة في الآية /٥ باستعمال ضمير الإشارة (أولئك) مررتين، الأول : تفسير/توضيح . الثاني : إضافة إلى المعنى الأول : توكيداً وتدعيماً له، ولم يأت وصف (الذين كفروا) بضمير (أولئك)، وإنما بـ (لهم عذاب اليم) البقرة /٧ .

وفي هذا السياق يرى الزجاج : أن موضع (الذين) جر تبعاً للمتقين، ويجوز على المدح، كأنه لما قيل : هدى للمتقين، قيل : من هم؟ فقيل : الذين يؤمنون بالغيب /٢، ويجوز أن يكون موضع (الذين) نصباً على المدح أيضاً، كأنه قيل : أذكر المؤمنين ^{٢٢} .

^{٢٢} الزجاج : معاني القرآن وإعرابه /١ ، ٧٠ ، ٧١، ويبدو أن العُكْبَرِي قد نقل آراء الزجاج، كما هي، ينظر : البيان /١ ، ٢٤ .

وفي تحليل الزجاج لكلمة (المطوفين) قال : وقد فسر أمره في السورة، فقال « الذين إذا أكالوا على الناس يستوفون » ^{١٤}.

٢/٣ : الوظائف الإحالية لجملة (الذي) ودورها في تماسك النص :

يستلفت النظر بشكل أولى أن (الذي) في القرآن تعمل من خلال مستويات إ حالية عدّة ومتداخلة في أن واحد، إلا أنه يبقى لكل منها سياقه الخاص به، وهكذا يتحقق التماسك من خلال الربط الخارجي (خارج النص) أو إلى ما هو موجود في النص (داخل النص)، ويمكن أن نبرز جوانب ذلك في المطلب التالي :

٢/٠ : الإحالات المعجمية :

١/٢ : خارج حدود الآية (أو الآيات) .

٢/٢ : داخل حدود الآية الواحدة .

١/٢ : الإحالات المعجمية خارج حدود الآية :

قال تعالى « وَتَوَكَّلْنَا عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَكَّ حِينَ تَقُومُهُ * وَتَقْلِبُكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْغَلِيمُ » الشعراة/٢١٧:٢٢٠، وفي (ولئن سالتهم مَنْ خلقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقُهُنَّ الْعَزِيزُ الْغَلِيمُ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لِّغَامِنَتْهُنَّ * وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْرَرُ فَانشَرَتْ بِهِ بَلَدَةً مَيْتَا كَذَلِكَ يُخْرِجُونَ * وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلُّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفَلَكِ وَالنَّاعْمَ مَا تَرْكَبُونَ * لِتِسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذَكَّرُوا بِنُعْمَةِ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ » الزخرف/٩ : ١٣، ونستعين أن الآية / ١٠ : الذي جعل لكم الأرض إنما هي :

١ - إحالة عامة ، ويفاد ذلك من صلة الموصول .

٢ - إحالة إلى ساق (في الآية السابقة مباشرة) .

^{١٤} الزجاج : السابق /٥: ٢٩٧ ، والقرطبي : الجامع لأحكام القرآن /١: ١٦٢ . وأشار إلى بعض الموضع الآخرى : لقمان/٢: ٧، الزمر/١٧: ٢٠، فصلت ٦ : ٨، النجم/٣١: ٣٢، البروج/٩: ٩، المطففون /١: ٥، المعارج/٢٤: ٣٥، الماعون/٤: ٧ .

٣- من خلال الإحالـة، نستنتج أن صلة الموصول وما بعده، إنما هي إحـالة تفسيرية لذلك الجذر الدلالي الوارد قبله في الآية السابقة مباشرة .

٤- ثم ترتبط الآيات بما يليها (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) / ١٢ بما هو وارد قبلها، من خلل :
أـ الإحالـة إلى متقدم في أنه خارج حدود الآية، وبالتحديد في الآية / ٩ :
العزيز الرحيم .

بـ الإحالـة إلى سابقـ - أيضاـ - من خلل (هو)، كما هو وارد في الرقم (١)
الوارد قبله .

وهـذا تتضـافـر هذه العـناصر لـتـعمل على تـماـسـك بنـيـة النـصـ من خـلـل هـذـه العـناـصـرـ
المعـجمـيـةـ والـتوـكـيـدـيـةـ . وـعـلـى آيـةـ حـالـ، فـانـ هـذـهـ العـناـصـرـ تـعـتمـدـ العـناـصـرـ الـلغـوـيـةـ وـالـعـناـصـرـ
المـفـهـومـيـةـ، وـهـمـاـ العـنـصـرـانـ المـخـتصـانـ بـالـنـصـ المـكـتـوبـ .

٥- من يرجع النظر في مثل هذه الآيات يجد غالباً أنه بعد الإحالـة المعـجمـيـةـ :
أـ تـاتـيـ عـناـصـرـ لـغـوـيـةـ، كـضـمـانـرـ الإـشـارـةـ فـيـ تـفـسـيرـ/ـ تـوـضـيـحـ لـمـاـ هوـ وـارـدـ مـعـ صـلـةـ
الـمـوـصـولـ .

بـ عـناـصـرـ لـغـوـيـةـ أـخـرىـ، كـأـدـوـاتـ الـعـطـفـ :ـ ثـمـ، الفـاءـ، الـوـاـوـ ...ـ الـخـ .

جـ يـلـيـ هـذـهـ عـناـصـرـ الـلغـوـيـةـ عـناـصـرـ مـفـهـومـيـةـ حـابـكـةـ لـبـنـيـةـ النـصـ، كـالـمـقـابـلـةـ وـالـتـفـصـيلـ
(الـوـصـفـ)، وـالـإـحالـةـ الـمعـجمـيـةـ، وـهـيـ سـمـةـ جـوـهـرـيـةـ لـاـ تـنـفـكـ عـنـ الـمـوـاضـعـ التـيـ وـرـدـتـ فـيـهاـ
(الـذـيـ) كـبـنـيـةـ تـفـسـيرـيـةـ لـلـبـنـيـةـ الـلـغـوـيـةـ قـبـلـهاـ، وـأـنـ هـذـهـ الـقـاعـدـةـ مـاـ وـرـدـ فـيـ سـوـرـةـ الـمـاعـونـ /ـ ١ـ :ـ
٣ـ، لـيـسـ فـيـهاـ مـقـابـلـ، وـإـنـ جـاءـتـ الـآيـاتـ التـالـيـاتـ مـعـطـوـفـةـ بـ (ـالـفـاءـ)، وـهـيـ إـحالـةـ مـعـجمـيـةـ
أـيـضاـ، لـكـنـ مـعـ (ـالـذـينـ)، وـتـعـدـ هـذـهـ سـوـرـةـ مـتـمـيـزـةـ مـنـ حـيـثـ إـحالـةـ الـمـعـجمـيـةـ، إـذـ الـآيـاتـ /ـ
٢ـ، ٣ـ تـفـسـيرـاـ مـعـجمـيـاـ لـمـاـ هوـ وـارـدـ فـيـ /ـ ١ـ (ـإـرـأـيـتـ الـذـيـ يـكـذـبـ بـالـذـينـ)، فـيـ حـيـنـ تـعـدـ الـآيـاتـ
٥ـ :ـ ٧ـ تـفـسـيرـاـ مـعـجمـيـاـ لـلـآيـةـ /ـ ٤ـ (ـفـوـيـلـ لـلـمـصـلـيـنـ)، وـتـحـتـويـ عـلـىـ إـحالـةـ مـعـجمـيـةـ مـعـ (ـالـذـيـ)
وـ(ـالـذـينـ)ـ .

وـتـمـثـلـ إـحالـةـ الـمـعـجمـيـةـ سـمـةـ جـوـهـرـيـةـ فـيـ هـذـهـ سـوـرـةـ بـالـتـحـدـيدـ، وـفـيـ سـوـرـةـ
(ـالـنـاسـ)ـ كـذـلـكـ، إـذـ لـمـ تـرـدـ الـمـقـابـلـةـ، حـيـثـ جـاءـتـ الـآيـاتـ /ـ ٥ـ، ٦ـ تـفـسـيرـاـ مـعـجمـيـاـ لـلـآيـةـ /ـ ٤ـ (ـمـنـ
شـرـ الـوـسـوـاـسـ الـخـنـاسـ)ـ .

وفي مثل هذه الحالات لا تنفصل صلة الموصول عن العنصر المعجمي في الآية السابقة، فسواء أكان وصفاً أم مدحاً، فإن الصفة والموصوف، والمدح والممدوح لا ينفصل أحدهما عن الآخر، وإنما هما كالشيء الواحد.

وقد اقترب الزجاج بشكل ملحوظ إلى ما نريد إيضاحه، وهي رؤية دقيقة من حيث الروابط النصية، إذ يرمي إلى أن الروابط لا تعتمد على الروابط اللفظية فحسب، وإنما ثمة أنواع من الإحالات المفهومية (Kohärenz) القائمة على التماسك الدلالي، وعليه فإن التماسك أساسه هنا دلالي في المقام الأول، وهو ما رأيناه موجوداً بشكل موجز عند الزجاج والقرطبي والعكاري وغيرهم في مواضع متفرقة، وهو ما ليس موجوداً عند الأخفش في معانٍ القرآن، على أنه وإن كان قد أشار إلى بعض المواضع، فلم يشر إلى أن هذه المواقع تشكل ملحة رئيسياً مع الاسم الموصول في القرآن الكريم، سواء كان مع (الذين أو الذي أو التي)، ومما يؤكد هذا الملحوظ – أنه لم يشر إلى أنها قاعدة عامة في القرآن الكريم – أنه :

- ١- قد أشار في عدد من المواضع إلى ذلك، ولم يشر إلى ذلك في المواضع الأخرى .
- ٢- لم يشر إلى أن مثل هذه المواقع يوجد ما يماثلها في المواضع الأخرى، أو أنها قد ذكرت في مواضع أخرى، بما يشكل منها جميعاً في عاقبة الأمر سمة جوهيرية، وأن الجهة بينها ليست منفكة . وينبغي أن نشير إلى أن (الذين) حين تكرر في آيات بعديّة متتالية، كما في (المؤمنين) المشار إليه، تكون :

أ- إحالة معجمية رابطة بأكثر من آية، كما في الروم / ٢٠ : ٢٥ مع الفارق .
ب- تفصيلية / تفسيرية، كما في المؤمنين / ٥٧ : ٦١، الفرقان / ٦٢ : ٧٧ .

ج - وهي هنا في (٢) عنصر مقابلة، (الشعراء / ٧٧: ٨٢، الزخرف / ٩ : ١٤)، وينطبق هذا الملحوظ على العناصر الموصولة الأخرى التي تتجسد فيها مثل هذه السمة الأساسية .

٢/٢ : الإحالات المعجمية داخل حدود الآية الواحدة :

الإحالات المعجمية إلى متقدم داخل حدود الآية، وتتأسّي في إطار نوعين، نذكرهما كما يلى :
- الإحالة إلى السابق (إحالة مباشرة)، وهي إحالة معجمية، كما هي في النوع السابق (إلى شيء خارج نطاق الآية)، ويمثل ذلك ما هو في الأعراف / ١٥٨ (فَلَمْ يَا إِلَهًا إِلَّا إِنِّي

**رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يَخْسِي وَيَعْصِي
فَامْتَحِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ الَّتِي أَمَّى الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلْمَاتِهِ وَأَتَيْعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهَدُونَ** ».
ويحتوى هذا النمط القرآني على احالتين :

الأولى : تتمثل في أن ما ورد فوق الخط مع (الذي) الأولى، يمثل إحالة معجمية إلى (رسول الله) قبله مباشرة .

الثانية : أن ما ورد فوق الخط مع (الذي) الثانية يمثل إحالة معجمية إلى (النبي الأمي) الوارد قبلها مباشرة، وعلى الرغم من أن هذه الإحالات داخل الآية، إلا أنها تظل إحالة متقدمة، ويمكن أن نطلق عليها إحالة ضيقه / محدودة تربط داخل حدود محددة (الآية ٢)، وذلك في مقابل ربط متوسط خارج حدود الآية / ٣ ، إلى ما هو أكبر من ذلك بداية السورة بوسطها أو آخرها إلى خارج حدود السورة والجزاء إلى الأجزاء .

غير أن العكبري يركز في قوله (الذي له ملك السموات) في موضع نصب بإضمار أعني أو في موضع رفع على إضمار هو، ويبعد أن يكون صفة لله، أو بدلاً منه، لما فيه من الفصل بينهما باليكم وحاله، وهو متعلق برسول ^{٢٠} .

وفي إبراهيم / ٢ * **(اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِّكُفَّارِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ)** وفي الآية / ٣٩ **(الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكَبِيرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لِسَمِيعُ الدُّعَاءِ)**، وفي النمل / ١٥ **(وَلَقَدْ آتَيْنَا دَأْوَةً وَسَلِيمَانَ عِلْمًا وَقَالَا حَمْدُ اللَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ)** .

والروم / ٤٠ **(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمْيِئُكُمْ ثُمَّ يُحِيِّكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مِّنْ يَقْعُلُ مِنْ ذَلِكُمْ مَنْ شَئْتُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشَرِّكُونَ)** ^{١١} .

^{٢٠} العكبري : التبيان / ١ ، ٤٦٣ ، ولم يشر إلى هذا التحليل الفراء والقرطيبي والزجاج في كتبهم .
* ينظر الوجوه الإعرابية التي أشار إليها صاحب التبيان / ٢ ، ٣٥ ، ولم أشا أن أعيدها كاملة تجنباً للتكرار، على أساس أن نصوصاً مشاكلاً ذكرت في مواضع أخرى من البحث، وربما يكون العكبري قد نقل الفكرة عن الفراء وطورها ينظر الفراء : معاني القرآن / ٢ ، ٦٧ : الله الذي : يخفض في الإعراب ويرفع الخفض على أن تتبعه (الحميد) والرفع على الاستئناف لافتصاره من الآية. وقد ذكر القرطيبي هذه الآراء قبل ذلك كله ينظر : الجامع لأحكام القرآن / ٩ ، ٣٣٩ .

^{٢٦} نسأء مواضع أخرى : سبا / ١ ، فصلت / ٢١ ، ٣٧ ، ٣٩ ، الأحقاف / ٣٣ ، الطلاق / ١٢ ، على سبيل المثال ، وأحسب أن تحليل مثل هذه الآيات مشاكل لمثل التحليل الوارد في المتن أعلاه.

على أننى ينبغي أن أشير إلى أن هناك بعض المواقع التي جاءت الإحالات فيها إلى غير الذات العلية، وهى مواقع محددة فيما أرى، كما يلى :

- الصافات / ٢١ «هذا يوم القتل الذي كنتم به تُذَبَّون» .
- الطور / ٥ «فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاوِفُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْنَعُونَ» .
- النجم / ٣٧ «وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَقَى» .
- حالة لفظية :

كما في القصص / ١٥ «وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى هِينِ غَلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَلَانِ هَذِيَ مِنْ شَيْعَتِهِ وَهَذِيَ مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شَيْعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذِي مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ» ، ونحاول أن نعلم على جزء من الآية، وهو «فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شَيْعَتِهِ» يحيل إلى ما هو سابق داخل الآية في (هذا من شيعته)، وبالتالي فالربط لفظي داخلي ضيق (داخل حدود الآية)، وبعد الربط الإحالى المباشر إلى الذات العلية ربطة أكثر انتشاراً في النص القرآني مما هو وارد هنا، ونوجز عناصر الإحالات المعجمية في العناصر التالية :

- ١- الإحالات إلى سابق (خارج الآية السابقة مباشرة أو داخل الآية) .
- ٢- تعد الإحالات هنا حالة معجمية؛ بمعنى أنها تحدد وحدة معجمية محددة وتفسرها جملة الصلة التالية لذلك .
- ٣- تعد الإحالات إلى سابق (خارج أو داخل الآية) إحالة محدودة ومقارنة، كما سيأتي، على أنها تعمل على الربط النحوى من جهة، والتماسك الدالى من ناحية أخرى، وهذا ما تكونه الإحالات اللفظية والمبشرة والمعجمية .
- ٤- على الرغم من جعل الإحالات هنا محدودة (بناء على تصور ما هو قائم داخل الآية أو الآيتين) إلا أننا يمكن أن ننظر إلى لفظ الجلالة (الله) في المواقع المذكور فيها، أنه يمثل حالة لفظية (تكرارية) :
- تعد هذه الإحالات المذكورة (في الإحالات المعجمية) فيما يتعلق بورود لفظ الجلالة (الله) في النص القرآني مركزاً بالنسبة لـ (الذى) وما ورد في سياقات أخرى تدور في فلكه .
- الإحالات (خارج حدود الآية أو السورة)، وهى بدورها تأتى في إطار نمطين :
 - الأول : اللفظي (التكراري) .

- الثاني : الضمني / الترادي، وكل من هذين النمطين يمكن أن يتفرع إلى :
- متقدم إلى الآية السابقة مباشرة، ويمثل ما هو وارد في :
 - متقدم إلى أول السورة (خارج وداخل حدود السورة) على أية حال، فإنني أفصل القول في كل نوع على حدة، على النحو التالي :
 - الإحالات اللغوية :
 - الإحالات اللغوية خارج حدود الآية، وهي تعد تفسيراً معجمياً لما هو وارد قبلها من الجذر الدلالي، ونأخذ :
 - الإحالات المعجمية داخل حدود الآية :

كما في قوله تعالى الأنعام / ١٤ «أَفَغَيْرُ اللَّهِ أَتَيْغِيْ حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ النُّكْمَ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِّنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا يَكُونُنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ» مما هو وارد فوق الخط : وهو الذي .. يعد تفسيراً معجمياً لما هو وارد قبل لفظ الجلالة (الله)، وهذه الإحالات داخل هذه الآية تعمل على تماسك :

- البنية اللغوية للأية الواحدة :
- أن لفظ الجلالة (الله) الوارد هنا يحيل إحالات لغوية على النحو التالي :
- ١ - يحيل إحالات لغوية داخل حدود السور، وهي أيضاً تأتي في إطار نوعين :
 - أ - إحالة قبلية، وتأتي في إطار نوعين :
 - الإحالات المتوسطة :
- داخل حدود السورة؛ وتمثلها كل المواقع التي ورد فيها لفظ الجلالة (الله) مذكوراً في السورة .

- الإحالات الموسعة : وتمثلها كل المواقع التي ورد فيها لفظ الجلالة (الله) في السور السابقة، وهي تتسع وتضيق تبعاً لقربها وبعدها، وبناء عليه، فإن كل موضع من هذه المواقع يعد مركزاً بالنسبة للآخرين لفظ الجلالة (الله)، وهكذا تتقاطع المواقع وتتدافع بما يخلق فيما منها شبكة من العلاقات اللغوية الماثلة على سطح القرطاس .

ب - إحالة لاحقة (بعدية) : وتأتي من خلال نوعين :

- ١ - الإحالات الضيقة : داخل حدود الآية (إلى لاحق) .

٢- الإحالـة المـتوسـطة : داخـل حدـود السـورـة، وـأقصد بـهـا المـواضـع التـي وـردـ فـيـها لـفـظـ الجـالـلة (الـله) فـيـ الـآيـات الـلاحـقة، وـيـخـتـلـف الـكـم الـلـاحـق وـالـسـابـق مـنـ الإـحالـة الـلـفـظـية تـبـعاـ لمـوـقـعـ الإـحالـةـ فـيـ النـصـ، فـلـيـسـ عـلـىـ هـذـاـ الـأـمـرـ مـعـوـلـاـ كـبـيرـاـ فـيـ تـمـاسـكـ النـصـ .

٣- الإـحالـةـ الـأـوـسـعـ : خـارـجـ حدـودـ السـورـةـ، وـتـمـثـلـهـ المـواـضـعـ التـيـ وـردـ فـيـهاـ لـفـظـ الجـالـلةـ (الـله)ـ فـيـ المـواـضـعـ الـلـاحـقةـ فـيـ كـلـ السـورـ .

٤- الإـحالـةـ الضـمـنـيـةـ :

وـإـذـاـ كـانـتـ الإـحالـةـ الـلـفـظـيـةـ تـاتـىـ مـنـ خـلـالـ لـفـظـ وـاحـدـ أـيـاـ كـانـ، فـالـإـحالـةـ الضـمـنـيـةـ تـبـعاـ لـسـيـاقـاتـ مـتـنـوـعـةـ، أـعـنـىـ أـنـ لـفـظـ الجـالـلةـ (الـله)ـ مـثـلاـ، يـمـثـلـ إـحالـةـ ضـمـنـيـةـ إـلـىـ : رـبـكـ، خـالـقـ السـبـماـوـاتـ وـالـأـرـضـ، أـوـ الـحـيـ الـقـيـومـ ...ـ الـخـ، وـالـعـكـسـ، فـالـإـحالـةـ لـاـ تـقـتـصـرـ عـلـىـ مـاـ هـوـ دـاخـلـ الـآـيـةـ، وـإـنـماـ توـسـعـ الدـائـرـةـ لـيـرـتـسـطـ النـصـ الـقـرـآنـيـ مـنـ خـلـالـ هـذـهـ إـحالـاتـ الـمـخـتـلـفةـ وـالـمـتـنـوـعـةـ، وـعـلـىـ آـيـةـ حـالـ فـيـنـ إـحالـةـ الضـمـنـيـةـ يـمـكـنـ أـنـ تـقـسـمـ كـمـاـ هـيـ الـحـالـ معـ تـقـسيـمـاتـ إـحالـةـ الـلـفـظـيـةـ الـمـشـارـ إـلـيـهاـ أـعـلـاهـ، وـنـكـتـفـيـ بـالـإـشـارـةـ تـجـنـبـاـ لـلـتـكـرارـ، وـثـمـةـ إـحالـةـ ضـمـنـيـةـ أـخـرـىـ، تـجـسـدـهـاـ الضـمـائرـ الـإـحالـيـةـ دـاخـلـ الـآـيـاتـ وـالـسـورـ، وـهـنـاكـ إـحالـاتـ ضـمـنـيـةـ أـخـرـىـ، سـوـفـ نـشـيرـ إـلـيـهاـ فـيـ سـيـاقـهـاـ مـنـ الـبـحـثـ، وـعـلـىـ هـذـيـنـ النـوـعـيـنـ مـنـ إـحالـةـ الضـمـنـيـةـ تـعـتمـدـ السـورـ الـقـرـآنـيـةـ، عـلـىـ أـنـ المـواـضـعـ الـتـالـيـةـ فـيـ النـصـ الـقـرـآنـيـ، تـمـثـلـ مـاـ هـوـ وـارـدـ عـالـيـهـ خـيرـ تـمـثـيلـ؛ـ وـلـيـسـ كـلـ المـواـضـعـ، وـإـنـماـ تـمـثـلـ سـمـاتـ أـسـاسـيـةـ ^{٢٧}ـ :

ـ إـحالـةـ الـمـعـجمـيـةـ خـارـجـ حدـودـ الـآـيـةـ

لـكـنـهاـ لـيـسـ كـمـاـ هـيـ مـعـ (ـالـذـيـ)ـ بـشـكـلـ مـباـشـرـ، خـاصـةـ أـنـهـاـ مـعـ (ـالـذـيـ)ـ تـاتـىـ عـلـىـ شـكـلـ :

ـ هـوـ الـلـهـ ...ـ هـوـ الـذـيـ ...ـ الـلـهـ الـذـيـ ...ـ

وـمـنـ هـنـاـ، فـالـأـمـرـ مـخـتـلـفـ، كـمـاـ هـوـ وـارـدـ ثـمـةـ مـعـ (ـالـذـيـ)ـ وـقـدـ جـاءـتـ الإـشـارـةـ إـلـىـ ذـلـكـ فـيـ مـوـضـعـ مـضـىـ مـنـ الـبـحـثـ، وـنـوـجـزـ جـوـانـبـ الـاـخـتـلـافـ بـيـنـهـاـ فـيـمـاـ يـلـىـ :

ـ ١ـ أـنـ جـمـلـةـ الـصـلـةـ مـعـ (ـالـذـيـ)ـ تـعـدـ تـفـسـيـرـاـ مـباـشـرـاـ لـلـجـذـرـ الـدـالـلـيـ الـوـارـدـ فـيـ الـآـيـاتـ السـابـقـةـ مـباـشـرـةـ .

^{٢٧} الأنعام/١٤١، ١٦٥ . الأعراف/١٨٩ ، التوبـةـ/٣٣ ، يـونـسـ/٢٢ ، الرـعدـ/٣ ، الفـرقـانـ/٤٦ ، فـاطـرـ/٣٤ ، الأـحزـابـ/٤٣ .

- ٢- أن جملة الصلة مع (الذي) تأتى معطوفة على جمل / آيات سابقة، وليس الأمر مع (الذين) على هذه الشاكلة .
- ٣- أن جملة الصلة مع (الذين) و(الذي) تعرّب مبتدأ، إلا أن التمايز بينهما يكمن في أن جملة الصلة مع (الذي) يمكن أن تحيل إلى :
- سابق داخل الآية .
 - سابق إلى الآية السابقة مباشرة .
 - سابق ويفصل بينه بعده من الآيات .
 - سابق في النص القرآني .
 - خارج النص القرآني وتمثله الإحالـة مع الذات العلية في مواضع عـدة .
- أما جملة الصلة مع (الذين)، فلا يمكن أن تحيل إلى :
- سابق في الآية السابقة مباشرة، وبالتحديد في الكلمة الأخيرة، وقد أبنا عن ذلك فيما تمت مناقشته بفضل بيان .
 - سابق في الآية السابقة، وبالتحديد إلى جذر دلالي داخل الآية، وليس الأخيرة، وقد تمت مناقشة مثل هذه الموضعـ .
- ٤- أن جملة الصلة مع (الذين) و (الذي) تشتـركـانـ فيـ أنـ كـلـيـهـمـاـ يـحـيلـ إـلـىـ :
- سابق داخل الآية .
 - نهاية الآية السابقة مباشرة .
 - إلى مواضع سابقة من السورة .
 - إلى مواضع أخرى سابقة من النص القرآني ، ويأتي هذا النوع من خـلالـ :
 - الإـحالـةـ الـلفـظـيـةـ .
- ـ الإـحالـةـ الضـمنـيـةـ (ـ وـقـدـ أـشـرـتـ إـلـىـ مـثـلـ هـذـهـ الإـحالـاتـ بـشـكـلـ وـاضـحـ فـيـماـ مـضـىـ)ـ :
- إلى لاحق : وهو كما ورد في الإـحالـةـ إلىـ سـابـقـ،ـ وـلـكـنـهاـ مـعـكـوـسـةـ .
- ٥- أن جملة الصلة مع (الذي) ثـعـربـ خـبـراـ،ـ وـهـوـ مـعـرـفـةـ مـنـ خـلـلـ جـمـلـةـ الـصـلـةـ،ـ وـلـيـسـ نـكـرـةـ كـمـاـ فـيـ :
- هو الله الذي . الله الذي خلق . ربكم الذي ...

وبالتالي فإنها جملة أساسية لإيضاح المعنى وتكامل أجزائه بالنسبة الآيات، وبناء عليه، فإنها عنصر قوى ومهم في تأكيد الدلالة المرجوة ، إلا أن الأمر مع (الذين) على مثل هذه الحالة، من الناحية الإعرابية ، وإن كنت أتصور أن قرب صلة الموصول (الذين) من الموضع المفسرة لها تضعف بشكل أو باخر من قيمتها الذاتية، إذ المعنى الأساسي مرتبط في الذهن بما هو قبله مباشرة، ومن هنا يقل من استقلالية (الذين) في مثل هذه الموضع فيما أحسب، على أن الإحالـة المعجمية خارج حدود الآية، تأتـي في النص القرآني من خلال عدد من البنية اللغوية، التي يمكن أن نبرز عناصرها كالتالي :

- إحالـة معجمية إلى متقدم في آيات سابقة (تفصل بينهما آية أو اثنتين أو أكثر كما في قوله تعالى « (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لِكُمُ النُّجُومَ لِتَهْدِوَا بِهَا فِي ظُلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ فَذَفَّنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِّنْ نُفُسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقْرٌ وَمُسْتَوْدَعٌ فَذَفَّنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ * وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتٍ) الأتعـام / ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ومن هنا فإن هذه الآيات مع جملة الصلة فيها :

وهو الذي جعل . وهو الذي أنشأكم . وهو الذي أنزل .

استعمال العطف (الواو) ثم الضمير (هو) + صلة الموصول (الذي + الفعل) وهو متنوع ويـدل على وحدانيـته من ناحـية، وعلى قدرـته على أن يجعل وينـشا وينـزل في آن واحد من ناحـية أخرى، وكل هـذه المـوضـعـ تحـيلـ إلى :

- ما هو سابق في الآية (٩٥)، مع الأخـذ في الاعتـبار أن الآية (٩٦)، إنـما هي تفصـيل لتـلك الصـفات الـوارـدة في الآية السـابـقة لها مـباـشرـة من خـلـال الإـحالـة بالـضـمـائرـ المتـنوـعةـ فيـهاـ .

- أن كل ما هو وارد في (٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩) (هو الذي + الفعل)، إنـما يـحـيلـ إلى شـئـ واحدـ فيـ (٩٥)ـ :ـ أنـ اللهـ فـالـقـ الـحـبـ وـالـنـوـىـ ...ـ وـهـذـهـ الرـؤـيـةـ تـدـعـمـ ماـ رـأـيـتـهـ قـبـلـاـ،ـ تـعـدـ الصـفـاتـ والمـصـدرـ وـاحـدـ،ـ وبـالتـالـيـ فـانـ الآـيـةـ /ـ ٩ـ٥ـ تـعـدـ مـرـكـزاـ أـسـاسـياـ لـهـذـهـ الآـيـاتـ،ـ وـأـنـهاـ فيـ هـذـاـ المـوضـعـ (٩٥)،ـ إنـماـ يـحـيلـ إـحالـةـ :

ضـمنـيـةـ إـلـىـ سـابـقـ أوـ لـاحـقـ :

- لما هو وارد قبلـهاـ فيـ الآـيـةـ أوـ الآـيـاتـ فيـ السـوـرـةـ أوـ السـوـرـ السـابـقـةـ مـباـشرـةـ منـ خـلـالـ الضـمـائرـ .

- للـصـفـاتـ الـوارـدةـ لـلـذـاتـ الـعـلـيـةـ فيـ السـوـرـةـ مـباـشرـةـ أوـ فيـ السـوـرـ السـابـقـةـ .

— لفظية إلى سابق أو لاحق، وقد أشرت إلى هذا النوع فيما مضى، وإنما تطبق العناصر السابقة عليها فقط، وفي قوله تعالى « إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَدْبِرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مَنْ يَغْدِرُ إِذْنَهُ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاغْبُدُوهُ إِفْلَا تَذَكَّرُونَ » يونس/٣، ويمثل هذا النمط إحالات إلى خارج السورة في كل الموضع التي ورد فيها لفظ (رب)، وهي :

— إحالة إلى كل سور السابقة .

— إحالة إلى كل سور اللاحقة .

وهذه الإحالات تكون :

— لفظية إلى لفظة (رب) .

— ضمنية إلى لفظ الجلالة (الله) وصفات الحق سبحانه في هذه الموضع، وهذه الإحالات أيضاً إلى سابق وإلى لاحق، إما إلى سابق خارج السورة، وإما إلى لاحق داخل السورة والسوره اللاحقة (التالية)، وتمثل الإحالات إلى لاحق :

— داخل حدود الآية (ذلكم الله ربكم ...) .

— داخل السورة في الموضع التي ذكرت فيها لفظة (رب)، وهي إحالة لفظية بحثة وإلى صفات الحق الأخرى، وهي إحالة ضمنية .

وتمثل جملة الصلة : الذي خلق السموات والأرض ... جملة تفسيرية لما هو وارد قبلها داخل حدود الآية الواحدة في (إن ربكم الله)، وكل هذه العناصر الإحالية القريبة والبعيدة سواء على مستوى الإحالات الضيقه أم الإحالات المتوسطة أم الإحالات الموسعة التي تعمل على تماسك أجزاء بنية :

— الآية الواحدة من جهة .

— هذه الآية مع ما قبلها وما بعدها من جهة ثانية .

— السورة ودخولها في علاقات رابطة (بأنواعها المختلفة من جهة ثالثة) .

— أجزاء الجزء الواحد .

— اللغة لمثل هذه الموضع في القرآن الكريم مجتمعة .

ثم تأتي الآية/٥ من يونس «هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَتَازلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّنَينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُقْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ»
لتحيل :

- ١- إحالة لفظية، إلى ربكم في الآية / ٣ من السورة ذاتها .
- ٢- إحالة ضمنية، وتمثلها الضمائر الواردة في الآية / ٣ ، وكل من الضمائر في (٤) والضمير (هو) وصلة الموصول في (٥)، إنما تحيل إلى المركز في السورة (ربكم) في الآية (٣)، وتحليل إليها كل المواقع الواردة في السورة، فيما يلى ذلك بشكل مباشر أو غير مباشر .

وفي الإسراء/٦٦ «رَبُّكُمُ الَّذِي يُرْجِي لَكُمُ الْفَلَكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا» نلاحظ أن (ربكم) لم يأت باستخدام أدوات العطف المختلفة، اعتمادا على الرابط اللفظي بين هذه الآية والأية التي تسبقها مباشرة، ويتمثل في :

- "وكفى برَبِّكَ وَكِيلًا" في الآية السابقة مباشرة/٦٥ .
- إحالة إلى (٦٠) "وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ" .
- إحالة إلى (٤) "وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" .
- الإحالـة إلى متـأخر :
- إما إلى متـأخر داخل السـورة .
- وإما إلى السـور اللاحـقة .

وهـناك الإحالـة الضـمنـية :

- إلى سابق :

- دـاخـل السـورـة .
- دـاخـل السـورـ السـابـقـة .

- إلى لـاحـق :

- دـاخـل السـورـة .

* أشير إلى بعض المواقع الأخرى، اكتفاء بما ورد من تحليل، أرجو أن يكون محققاً الهدف كما في الأنبياء/٣٣ القصص/١٨، الروم/٢٧، غافر/١٣، ٣٨، ٣٠، ٦٤، ٦٥، ٦٧، الشورى/٢٥، الفتح/٤، الأحزاب/٣٢ .

— داخل سور اللاحقة .

— داخل أسوار الآية الواحدة .

وأما الإحالة الضمنية، فهي أن تشير إلى المعاني التي به أو الدالة على الذين في قلوبهم مرض المنافقين والكافرين، وما ينتمي إلى كل منهما .

— إحالة إلى خارج السورة :

﴿الرَّبُّ أَنزَلَ آيَاتَ الْكِتَابِ وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾
الرعد / ١ .

﴿الرَّبِّ أَنْزَلَكَ بِكِتابَ إِلَيْكَ لِتُخْرُجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ يَأْتِنَ رَبَّهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ
الْحَمِيدِ﴾ إبراهيم / ١ .

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بَعْدَهُ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكَنَا حَوْلَهُ
لِتُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الإسراء / ١ .

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ الفرقان / ١ ، ويلاحظ على مثل هذه الموضع فيما يتعلق بالإحالة أنها :

— خارجية، على أساس أن لفظ الجلالة (الله) أو ما يتعلق به لم يأت ذكره في النص؛ أي في بداية الآية مباشرة .

— خارج حدود السورة، حيث ورد في مواضع أخرى توضح (الذي نزل الفرقان)، كما هي الحال بالنسبة لسوره الفرقان الواردۃ أعلاه، وتعد الإحالة التي خارج حدود السورة احتالین : قبلية، وبعدية .

وكليهما إحالة لفظية، وقد تأتي فيها الإحالة الضمنية، في الذي نزل الكتاب بالحق أو (أنزل) بصيغة التعديـة بالهمزة أو أنزل عليك القرآن ... الخ ، ولا ريب أن المعنى واحد، كما هو وارد، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن هذه الآيات الأولى في هذه السور غالباً ما تكون تمهدًا لما هو قبل ذلك، حيث تأتي الآيات التالية لذلك تفسيراً معجمياً لما هو وارد قبلها، كما في النمل (٣)، إنما هي تفسيرية من ناحية، ومن ناحية أخرى، فهي إحالة معجمية إلى (المؤمنين) في الآية / ٢ ، ووصف السابقة لها مباشرة .

والفرقان/٢ «الذى له ملک السماوات والارض ولم يئذن ولدا ولم يكن له شريك في الملك ...» حيث هي تفسير لما هو وارد قبلها في الآية/١.

«الذى نزل القرآن»، والحال كذلك بالنسبة لما هو وارد في الرعد وإبراهيم في الموضع المذكورة سلفاً، وتمثل هذه صفة أساسية في مثل هذه الموضع، باستثناء آية الإسراء/١، والكهف/١.

- إ حاله إلى خارج النص (الربط) الوظيفة الأساسية .

كما في قوله تعالى «أفرأيْتَ الْذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأَوْتَيْنَ مَالًا وَلَدًا * اطْلُعْ الغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنَ عَهْدًا» مريم/٧٧، ٧٨ .

وفي طه/٧١ «قَالَ آمَنَّنَا لَهُ فَبِلَّ أَنَّ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الْذِي عَلِمْكُمُ السُّخْرَ فَلَا قَطْعَنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلَافٍ وَلَا أَصْلَبَنَكُمْ فِي جَذْوَعِ النَّخْلِ وَلَا تَعْلَمُنَّ أَيْنَا أَشَدُ عَذَابًا وَأَبْقَى» . وكذلك في الأنبياء/٣٦ «وَإِذَا رَأَكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوا أَهْدَا الَّذِي يَذَكُرُ إِلَهَتُكُمْ وَهُمْ يَذَكُرُ الرَّحْمَنَ هُمْ كَافِرُونَ» .

ونلاحظ على هذه الآيات، خلافاً لكل الآيات والموضع السابقة، حيث تعتمد الإحالـة على السياق غير اللغوي، كما يسميه بحيرى في موضع متفرقة من دراساته .

ففي آية مريم / ٧٧، لم تأت الإشارة فيها إلى صفة صاحب هذا القول، وإنما يشير المقام^٨ ... وفي الأنبياء الأمر بين، إذ السياق غير اللغوي سياق تكذيب بما جاء به الله، وقد آمن السحرة، بما في ذلك كبيرهم، وبما أن الأمر متعلق به، وهو الأساس في إيمانهم، والنتيجة : لأقطعن أيديكم ... ولا أصلبكم في جذوع النخل ...) ولا شك أن هذا العذاب، إنما هو بسبب إيمانهم، وهنا يبرز دور المقام في تحديد المراد . وواضح أن آية الأنبياء/٣٦ الأمر فيها مرتبط بالمقام كذلك، إذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأن الكفار حاولوا أن يبعدوه عما كان يعبدوا، والاستفهام دال على السخرية والاستهزاء، ولا شك أن

* ينظر تصور العكاري حول قوله تعالى (الذى له) كما ورد في مواطن سالفه الذكر . التبيان ٢١٠/٢ .

^٨ جاء في أسباب النزول للسيوطى : أخرج الشيخان وغيرهما عن خباب بن الأرت، قال : جئت العاص بن وائل السهمي أتقاضاه حقاً لي عنده، فقال : لا أعطيك حتى تكفر بمحمد، فقلت لا حتى تموت، ثم تبعث، فقال : إذا لم يبعث ؟ فقلت : نعم، فقال : إن لي هناك مالا و ولدا، فنزلت هذه الآية ص ١٨٠، وقد أورد القرطبي قبل ذلك تفصيلاً موسعاً حول ذلك، الجامع لأحكام القرآن ١١/١٤٦ .

المقام يشير إلى أن النبي الأمي هو المقصود **﴿هُذَا الَّذِي يَذَكُّرُ الْهَمَّكُمْ﴾**، وعلى هذا، فإن مثل هذا النوع لا يعتمد على البنية اللغوية، وإنما يعتمد على المقام في توضيح بنائه اللغوية، خاصة وأنه ليس مذكوراً.

ـ الإحالـة إلى مواضع أخرى من السور القرآنية :

١ـ كما في قوله تعالى **﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمْعًا وَيَنْشِئُ السَّحَابَ الثَّقَالَ﴾** الرعد/١٢ .

٢ـ وفي س/٨٠، ٨١ **﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مُنْهَثُونَ أَوْ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بِأَنْ وَهُوَ الْخَلَقُ الْعَلِيمُ﴾**

١ـ تحليل الآية الأولى البقرة/٢٠ **﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطُفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَسْوِاً فِيهِ﴾** .

٢ـ الروم/٢٤ **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمْعًا وَيَنْزَلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحِينِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾** وتحيل آية سـ إـحالـة إلى الآيات التالية من النص القرآني^{١٩} : ومن هنا فإن آية الرعد/١٢، تمثل :

١ـ عنـصـراً إـحالـياً يـقدم تـماـسـكاً نـصـياً .

٢ـ تمـثل الإـحالـة إـحالـة لـفـظـية .

٣ـ هذه الإـحالـة تـشير إلى سـابـق متـقدـم أو متـاخـر .

في حين أن آية سـ/٨١ تمثل :

١ـ عنـصـراً إـحالـياً يـعمل على سـبـك وـحـبـك بنـيـة النـصـ .

٢ـ إـحالـة لـفـظـية .

٤ـ هذه الإـحالـة الـلفـظـية تحـيل إلى سـابـق فـقـطـ، وـتمـثل هـذـه عـلـامـة فـارـقـة بـيـن النـوـعـيـنـ .

أما أـشـكـالـ (الـذـي) في القرآن الـكـرـيمـ، فـنـوـجـزـها في الأـشـكـالـ التـالـيـةـ :

ـ فعل + فـاعـل + مـفـعـولـ .

ـ فعل مـاضـ فـقـطـ .

٢٩ الأنعام/١، ٧٣ ، الأعراف/٥٤ ، يونس/٣ ، هود/٧ ، إبراهيم/١٩ ، ٣٢ النحل/٣ ، الإسراء/٩٩ ، الكهف/٥١ .

– فعل مضارع فقط .

– جار و مجرور (شبه جملة) + مبتدأ .

– فعل مضارع + اسم موصول + جار و مجرور .

– ضمير (مبتدأ) + جار و مجرور + خبر .

– فعل + جار و مجرور + مفعول .

– جملة الشرط + جواب الشرط .

– جار و مجرور + الاسم الموصول + جملة .

– جار و مجرور + جملة فعلية .

وبالتالي استخدم مع الذات العليّة، ومع لفظ الجلالة (الله)، وهذا الاستعمال يأتي في عدد من الأشكال التالية :

– مع لفظ الجلالة مباشرة : الله الذي سخر .

– مع لفظ الجلالة باستخدام الضمير: هو الذي

– مع لفظ الجلالة بشكل ضمني : الذي أدمكم بأموال .

١- مقارنة بين المؤمنين والكافرين (بعدم استعمال إما) .

٢- معجمية تفسيرية : الذي خلق .

٣- تأسی "الذی" مقارنة مع أداة موصولة أخرى مثل (ليس)، ومن خلال النص القرآني، نجد أن "الذی" جاءت من خلال نوعين :

الأول : مع الذات العليّة، وتمثل السمة الأكثر وروداً وانتشاراً في القرآن مع "الذی" .

الثانية : جاءت مع أخلاط شتى وإحالات عدّة، وعلى الرغم من التنوع في الإحالات، فيما ورد في مثل هذا الموضوع، إلا أن أنماط هذا النوع جاءت قليلة مقارنة بما جاء في النوع الأول .

وإذا كنت قد أشرت إلى حالات النوع الثاني، فإن حالات النوع الأول الأكثر ترددًا في النص القرآني، يمكن أن نشير إلى التصور العام على هذا النحو :

١- إحالة مباشرة باستخدام لفظ الجلالة (الله) .

٢- إحالة ضمنية باستخدام الضمير (هو) .

٣- إحالة باستخدام صفة من صفاته تعالى مع (الذی) .

وهنا نلاحظ أن هذه الإحالات الواردة أعلاه، كلها تؤدى إلى ربط النص سواء كان الرابط مباشراً، أعنى الإحالة داخل الآية إلى سابق أم إلى لاحق، وهنا نشير إلى أن هذه الإحالات تمثل الإحالات فيها شيئاً واحداً، وهي الإحالة إلى متقدم مباشر داخل حدود الآية بشكل أولى، ثم إن هذا الذي هو داخل حدود الآية (الذات العلية) تحيل إلى مواضع أخرى من النص القرآني تفسرها وتوضح معناها، وبالتالي فإن إحالة مثل هذا النوع يمكن أن تتصورها على النحو التالي :

- ١ - الإحالة القريبية : تحيل إلى ما هو متقدم أو إلى لاحق داخل الآية أو السورة .
- ٢ - الإحالة البعيدة : وهي الإحالة إلى المواضع الأخرى من النص القرآني التي تفسر هذا الموضع أو ذاك .

على أنني أقرر أن مثل هذه الإحالات، ليست بدرجة واحدة، أو هي ليست سواء، إذ أحسب أن الإحالة الضمنية هي الأقوى، وأنها تأتى في المرتبة الثانية، وتأتى الإحالة باستخدام الصفات المذكورة في مواضع أخرى من النص، فتجعل منها إحالة تحتاج إلى مطابقة النصوص لإظهار العلاقات القائمة بين مثل هذه المواضع، وما تدل عليه من ترابط في بنية النص القرآني، وهكذا فإن الترتيب الوارد أعلاه له دلالته، كما أبنت عن ذلك بفضل بيان، وبناء على ما ورد أعلاه، فإن النوعين الذين تقوم بهما "الذي" يمكن أن يكون كالتالي :

- ١ - أن السمات الدلالية الحاكمة لتلك التراكيب التي ترد مع الذات العلية مفارقة تماماً لتلك الدالة على أشياء أخرى كثيرة، فمع الذات العلية تؤدى :
 - أ - الرابط بالإحالة المباشرة (الذات العلية) .
 - ب - الإحالة الضمنية (هو) .
 - ج - الإحالة بالصفات .

وتكون الإحالة في كل هذه المواضع إحالة متاخرة داخل حدود الآية، وربما الآيات التالية مباشرة، غير أن مقارنة النصوص مع "الذي" التي لم ترد مع الذات العلية ووردت في سياقات أخرى، تبين أنها تكون :

- ١ - مقارنة بين صفات أو فريقين : المؤمنين والكافرین باستخدام (الذي) مع كل منها .
- ٢ - المقارنة بين فريقين ... باستخدام أداة "من" من ناحية" و"الذي" من ناحية أخرى .

٣- تكون الإحالـة معجمـية وتفـسـيرـية، وـهـنـا تـكـشـفـ السـيـاقـاتـ عـنـ خـلـافـاتـ فـيـ بـنـيـةـ التـرـاكـيبـ مـعـ كـلـ فـرـيقـ، خـاصـةـ أـنـهـاـ تـؤـدـىـ إـلـىـ التـماـيزـ، وـيمـكـنـ أـنـ تـحـيلـ إـلـىـ مـتـقـدـمـ دـاخـلـ السـوـرـةـ فـيـ الـآـيـاتـ المـتـقـدـمـةـ : الـذـيـ لـمـ تـنـتـنـيـ فـيـ يـوـسـفـ / ٣٢ـ .

وـهـوـ الـذـيـ مـدـ الـظـلـ، الرـعدـ / ٣ـ، تـحـيلـ إـلـىـ :

١ـ مـتـقـدـمـ مـنـ الـآـيـةـ / ٢ـ مـنـ السـوـرـةـ ذـاتـهـ .

٢ـ إـحالـةـ إـلـىـ مـتـقـدـمـ لـيـسـ مـوـجـودـاـ فـيـ النـصـ الـقـرـآنـيـ، إـنـمـاـ يـقـعـ خـارـجـهـ، ثـمـ يـاتـيـ العـطـفـ فـيـ (٣ـ) وـفـيـ (٤ـ) وـفـيـ (٦ـ)، وـبـعـدـ ذـكـرـ يـاتـيـ الـوـصـفـ/ـ النـتـيـجـةـ أـكـثـرـ مـنـ مـرـةـ أـولـنـكـ ..ـ أـولـنـكـ ..ـ أـولـنـكـ، الرـعدـ / ٦ـ، وـيـلـاحـظـ عـلـىـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ (أـمـ حـسـبـ) كـمـ ذـكـرـ دـ.ـ فـرـيدـ عـوـضـ بـعـدـمـاـ عـرـضـ لـأـقـوـالـ الـمـفـسـرـينـ خـلـصـ إـلـىـ رـأـيـ، أـعـرـضـ لـهـ كـالتـالـيـ :

فـإـحالـةـ هـنـاـ خـارـجـيـةـ عـلـىـ اـعـتـبارـيـنـ، الـأـوـلـ : أـنـ الـمـرـسـلـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ لـمـ يـذـكـرـ اـسـمـ رـسـوـلـهـ صـرـاـحةـ فـيـ نـصـ الـقـصـةـ .ـ الـثـانـيـ :ـ أـنـ الـخـطـابـ لـهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ، وـلـكـنـ الـمـقـصـودـ بـهـ غـيـرـهـ، وـغـيـرـهـ أـيـضاـ (أـهـلـ الـكـتـابـ) لـمـ يـرـدـ لـهـمـ ذـكـرـ فـيـ نـصـ الـقـصـةـ ...ـ وـيـمـكـنـ اـعـتـبارـ هـذـهـ إـحالـةـ دـاخـلـيـةـ، عـلـىـ اـعـتـبارـ أـنـ الـقـصـةـ جـزـءـ مـنـ نـصـ كـبـيرـ هوـ سـوـرـةـ الـكـهـفـ،ـ فـتـكـونـ إـحالـةـ إـلـىـ الرـسـوـلـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ الـمـذـكـورـ بـلـفـظـ لـغـوـيـ بـدـلـ عـلـيـهـ،ـ فـيـ أـوـلـ آـيـةـ مـنـ السـوـرـةـ فـيـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ (الـحـمـدـ لـلـهـ الـذـيـ اـنـزـلـ عـلـىـ عـبـدـهـ الـكـتـابـ)ـ الـكـهـفـ / ١ـ .ـ

وـبـنـاءـ عـلـيـهـ، فـبـنـ الـإـحالـتـيـنـ مـمـكـنـتـانـ مـنـ النـاحـيـةـ الـفـعـلـيـةـ، وـهـيـ رـوـيـةـ مـفـارـقـةـ لـرـوـيـةـ "ـ نـحـوـ النـصـ"ـ الـذـيـ يـرـيدـ أـنـ يـقـيمـ تـصـورـاتـ جـدـيـدةـ مـبـاـيـنـةـ لـتـلـكـ الـمـتـبـعـةـ فـيـ "ـ نـحـوـ الـجـمـلـةـ"ـ،ـ وـإـذـاـ كـانـ "ـ نـحـوـ الـجـمـلـةـ"ـ يـرـىـ أـنـ هـنـاكـ بـعـضـ الـمـوـاـضـعـ تـحـتـمـلـ إـعـرـابـيـنـ،ـ وـتـشـيرـ هـذـهـ رـوـيـةـ إـلـىـ أـنـهـاـ تـحـتـمـلـ الـمـعـنـيـيـنـ مـعـاـ،ـ وـأـنـهـ لـمـ يـمـكـنـ الـجـزـمـ بـتـرـجـيـحـ أـحـدـ الـمـعـنـيـيـنـ عـلـىـ الـآـخـرـ،ـ وـهـذـهـ رـوـيـةـ يـرـدـهـاـ "ـ نـحـوـ النـصـ"ـ وـلـاـ يـقـبـلـهـاـ،ـ وـتـمـثـلـ هـذـهـ عـلـامـةـ فـارـقـةـ بـيـنـ الـنـحـوـيـيـنـ .ـ

وـبـالـتـالـيـ فـنـحـوـ الـجـمـلـةـ يـرـىـ الرـأـيـيـنـ،ـ دـوـنـ أـنـ يـرـجـعـ أـحـدـهـمـاـ عـلـىـ الـآـخـرـ،ـ أـمـاـ نـحـوـ الـنـصـ فـيـرـجـعـ أـحـدـ الـمـعـنـيـيـنـ بـقـرـيـنـةـ مـنـ قـرـائـنـ الـنـصـيـةـ الـتـيـ أـشـارـ إـلـيـهـ كـلـ مـنـ إـيـزـنـيـرـجـ وـطـوـرـهـاـ فـيـمـاـ تـلـاـ ذـكـرـ كـلـ مـنـ بـوـجـرانـدـ/ـ دـرـسـلـرـ،ـ وـمـنـ ثـمـ يـرـدـونـ رـوـيـةـ قـبـولـ الـاـحـتمـالـيـيـنـ مـعـاـ،ـ وـبـرـجـحـونـ أـحـدـ هـمـاـ بـقـرـيـنـةـ مـنـ قـرـائـنـ الـنـصـيـةـ .ـ

٣٠ـ دـ.ـ فـرـيدـ عـوـضـ حـيـدرـ : اـتـسـاقـ النـصـ فـيـ سـوـرـةـ الـكـهـفـ صـ ٤٢ـ ،ـ ٤٣ـ .ـ

٣١ـ أـشـيرـ إـلـىـ بـحـثـ دـ.ـ تـمـامـ حـسـانـ :ـ نـحـوـ الـجـمـلـةـ وـ نـحـوـ النـصـ صـ ٤ـ :ـ ١٣ـ،ـ حـيـثـ مـعـالـجـةـ فـرـيدـةـ لـمـثـلـ هـذـهـ النـوعـ،ـ وـيـحـتـاجـ النـصـ الـقـرـآنـيـ إـلـىـ دـرـاسـاتـ مـعـمـقـةـ لـاـخـتـارـ فـاعـلـيـةـ وـجـهـةـ نـظـرـ نـحـوـ =

اما تصور " نحو الجملة " فيمن جاء ذكرهم، فقد سارت فيه رؤية د. فريد عوض حين اعتبر الإحالات خارجية وداخلية في آن واحد، وبالتالي فإنه يرتضيهما معاً، وهو ما يرفضه " نحو النص " ويصر على تحديد إحدى الإحالاتين التي يعود عليها الضمير وترجم من معايير النص المقترنة عند علماء النص، وما تصوره د. فريد يظل واقعاً لا ريب ضمن أسوار " نحو الجملة " .

وتحمة ملاحظة أخرى تتعلق بهذا الشأن، وذلك اعتباره أن النبي صلى الله عليه وسلم، لم يأت ذكره مباشرة داخل حدود القصة، وبناء عليه، اعتبر أن الإحالات خارجية، ببناء على وروده في خارج القصة، وهو أمر فيه نظر، ذلك أن النص القرآن كله يعد نصاً واحداً، ومن هنا فالإحالات ليست إلى خارج النص، وإنما الإحالات إلى :

- خارج حدود الآية / الجملة .
- داخل حدود السورة .

- وبناء على ذلك، فإن الإحالات هي إحالات إلى متقدم داخل حدود السورة، ومن ثم فإن الإحالات تعمل على ربط بنية النص من خلال إعادة اللاحق على السابق، وهو أمر لم يشر إلى أهميته الباحث .

- ولم يشر إلى علاقة سورة الكهف بما هو وارد في موضع آخر من النص القرآني، وأقصد به الآية الأولى من سورة الإسراء (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعْنَدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى) وهكذا تمثل الإحالات هنا إ حالات "ترادف" كما أشار إليها واورزنياك، وهكذا تمثل الإحالات بين اللفظين المتراوفين ليس ربطاً بين بنية السورة، وإنما تتعدى بعلاقة المرادفة إلى ربط بين بنية السورتين، وأشار إلى توضيح ذلك، لما فيه من توكيده، بما يلى :

* في سورة الإسراء/١ «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعْنَدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى» .

* في سورة الكهف/١ (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عِنْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عَوْجَا) يلاحظ أن الآية الأخيرة من سورة الإسراء (وَقَلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ

= الجملة، وكنت قد اطلعت على تصورات أولية لمثل هذه الآراء عند أصحاب معانى القرآن، وبخاصة الفراء .

فِي الْمَلَكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الْأُذْلِ وَكَبِيرٌ ثَكِيرًا»، وفي بداية سورة الكهف «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عَوْجَا»، نلاحظ الربط بإعادة اللفظ في آخر الإسراء/ ١١١، وأول الكهف من خلال ما ورد فوق الخط ... ويمكن أن نشير إلى علاقة الترابط بين هاتين السورتين، وما لها علاقة هكذا «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عَوْجَا» الكهف/ ١.

الحمد لله : إحالة معجمية إلى الإسراء/ ١١١ ، ربطها بنهاية السورة التي قبلها .

عبده : إحالة معجمية إلى أول الإسراء ، وهكذا ترتبط :

-- بداية سورة الكهف/ ١ بنهاية سورة الإسراء : الْحَمْدُ لِلَّهِ .

-- بداية سورة الكهف ببداية سورة الإسراء : عَبْدِهِ .

ولا يخفى أن التماسك النحوي والدلالي بين العناصر المكونة للبنية اللغوية التي تعمل على تماسك بنيته وترتبط أجزائه، وهي لا ريب واحدة مما تكسب النص القرآن اعجازه . وتبقى ملاحظة تتعلق ببداية سورة الكهف و نهاياتها، وأعني لفظ : عبده / ١ ، بعده / ١١٠ .

وكان العلاقة قائمة بين اللفظين بعلاقة المقابلة وأن (عبده) تفيد الخصوص والثانية (بعادة ربه) تفيد العموم، وأن جعل محمد صلى الله عليه وسلم عبدا له، وهو ما يتربّط عليه صلاح الكون كله، وهم القوم الذين يرجون لقاء ربهم «فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبِّهِ فَلَيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكَ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا» الكهف/ ١١٠ ، ومن هنا تقع أحداث السورة بين ما يفيد الخصوص وما يفيد العموم، وكان قصة الكهف كلها، إنما هي تحفيز لهم الكافرين بضرب الأمثال، وهو ما جعل الحق يعيد ذكر قصة ذى القرنيين في السورة مررتين، لما في ذلك من الردع بالتذكير لما حذر للأمم السابقة .

وإذا كان في ذلك ردعا (القصص والتذكير في السورة) فإن النتيجة المترتبة على ذلك هي نهايتها (مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبِّهِ فَلَيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكَ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) / ١١٠ وهي نتيجة تنسق مع ما ورد في بداية السورة .

وإذا كان ما ورد من نتائج القربي بين الآيات بعضها ببعض، وكذلك السورتين صحيحا - وهو إن شاء الله كذلك - فإننا يمكن أن نبرر أن بداية سورة الكهف تمثل بؤرة الدائرة بين السورتين، أو تمثل المحور الذي من خلاله تعمل الروابط المختصة بسبك وحبك النص، من خلال بيان وجوه علاقتها :

- ببداية سورة الإسراء .
- بنهاية سورة الإسراء .
- بنهاية سورة الكهف / ١١٠ .
- الكهف :
- بالإحالات الواردة في سورة الكهف .
- بالإحالات (الضمائر) العائدة إلى السور القرآنية المختلفة :
- المتقدمة في سورة سابقة مباشرة أو يفرق عنها عدد من السور .
- اللاحقة في السورة التالية أو يفرق عنها عدد من السور . وهكذا تؤدي هذه العلاقات المتشابكة بين الضمائر إلى التماسك النحوي والدلالي معاً إلى انسجام وحدة النص .
- وهكذا فإن ارتضائه إحالتين يخرجه عن دائرة " نحو النص " إلى دائرة " نحو الجملة "، وبالتالي تظل روئته واقعة في إطار النحاة القدامي، وذلك من خلال :
 - ١- ارتضائه إحالتين (خارجية، داخلية) تخرجه من دائرة حدود " نحو النص " وتدخله ضمن خطوط " نحو الجملة " بناء على ما هو وارد سلفاً في التحليل .
 - ٢- إشارته إلى الإحالة بالنسبة للضمير (الضمائر) إلا أنه لم يشر صراحة إلى أهمية هذه الإحالات، وأنها لم تتعد حدود الآية الواحدة إلى عدد من الآيات :
- داخل السورة، وبالتالي تجاوزت الآية الواحدة .
- خارج إطار السورة، وبالتالي، فإن الرابط قائم، ليس بين بنية السورة الواحدة، وإنما يتتجاوز ذلك إلى ربط بين بنية عدد من السور، قد تكون متقدمة أو لاحقة، وهكذا يتقطع عدد من السور ويتدخل مع سور أو سورة أخرى، وتمثل هذه الرواية أن آيات السورة الواحدة تتقطع وتنسجم ليس فيما بينها، وإنما تتجاوز ذلك إلى تقطيع مع آيات آخر، تؤدي إلى الانسجام والالتحام ولا تؤدي إلى التناقض، وهذا ما لم يشر إليه الباحث .
- وإذا كانت الموضع التي تأتي فيها (الذى) أو (الذين) داخل الآية/ الجملة، أعني عدم ورودها في صدر الآية؛ كما هي الحال مع الإحالة المعجمية، وهنا ملاحظة أود استثمارها، أن رؤية أصحاب كتب معاني القرآن في قوله تعالى (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أَنْزَلَ فِيهِ الْقُرْآنَ) البقرة/١٨٥، يرون : الذي أنزل، أحدهما : هو خبر مبتدأ ممحوظ، تقديره هي

شهر، يعني الأيام المعدودات، وبالتالي يكون نعماً للشهر، أو لرمضان، والثاني : هو مبتدأ^{٣٢} .

وموجز رؤية أصحاب كتب معاني القرآن أن : الذي أنزل، فيها وجهان، أي يحتمل أكثر من دلالة حسب رؤيتهم، غير أننا يمكننا أن ننظر إلى هذه الرؤية من وجهة نظر نصية مختلفة، خاصة أنها ترتضى الرؤيتين، وهي قريبة من رؤية " نحو الجملة " في ارتضائهما الرؤيتين معاً، وهي مفارقة لرؤيه " نحو النص " .

ونستطلق في ذلك، من خلال رؤية علماء البلاغة " الذين يرون أن (الخبر) في أساسه هو صفة للمبتدأ، ويؤدي هذا التصور إلى أن اعتبار الذي أنزل... خبراً لشهر رمضان، أو هو صفة، وبالتالي فالرؤيتان في الواقع الأمر تؤديان إلى تماسك الجزء الثاني من الآية بالجزء الأول منها .

وعلى الرغم من ذلك، فإن اعتبار (الذي أنزل...) صفة صريحة، جديرة عندي من اعتبارها خبراً، وإن كانت صفة ضمناً . ونبين أهمية اعتبارها صفة حين ترد (الذى ، الذين ، التي) في صدر الآية، فإن اعتبارها صفة يجعل منها صفة مائزة مرتبطة بما هو وارد في الآية السابقة مباشرة، أما جعلها خبراً، فإن هذه الرؤية تجعلها معزولة عن الآية السابقة .

وببناء على ذلك، فإني لا أرى وجهاً لما ذهب إليه أحد الباحثين أن : الموصولات ودورها في التماسك النصي يعتمد في أغلب الأحيان على الجملة الواحدة^{٣٣} ، والترابط في هذه السورة، إنما :

— يتجاوز حدود الآية الواحدة .

— وحدة الموضوع التي تدور أحداث السورة حولها، إنما هو موضوع واحد، ولنأخذ

^{٣٢} ينظر حول ذلك : الفراء : معاني القرآن ١١٢/١، ١١٣، الزجاج : معاني القرآن وإعرابه ١/٤٥٣، الغكوري : التبيان ١٣٠/١، ١٣١، الزجاج : إعراب القرآن المنسوب للزجاج ٧٤٣/٢ .

* ينظر حول هذا التصور لدى الجرجاني : دلائل الإعجاز ص ١٤٨، ١٤٩ .

^{٣٣} د. صبحي إبراهيم الفقي : علم اللغة النصي ١/١٩٨، وإن حاول في مواضع كثيرة أن يكشف الترابط بين هذه العناصر (١/١٩٨، ٢١٤، ٢٢٩، ٢٣٥، ٢٤٠) ومواضع أخرى، لا داعي لحصرها .

نوجا لما أورده الباحث في سورة الملك، حينما أشار^{٢٣} إلى الأرقام التالية من سورة الملك : ١، ٢، ٣، ٥، ١٣، ١٥، ١٦، ١٧، ١٩، ٢١، ٢٣، ٢٤، ٣٠ ، كان الأجر به بدلاً من أن يقول : فهذه المخلوقات كلها – والتي ذكرتها الآيات – تقع في ملك الإله تبارك وتعالى، وكان الآيات من (٢) إلى آخر السورة تفصيل لهذا الملك، وهذا التفصيل كلما طال احتاج إلى رابط يربطه بمركز / نواة النص أو جملة الأساس، وهذا ما حدث في هذه السورة، والسور التي سبق تحليلها^{٢٤} .

هذا الكلام فيه تحليل جزئي مقتطع من ناحية، ومن جهة أخرى كان الأولى أن يشير إلى ملحوظين يدعمان هذه الرؤية ويؤكد إيضاحها، ويبدو ذلك ناصعاً من خلل :

- ١- الفعل (تبارك) الذي لم يرد في النص القرآني إلا خاصاً بالحق سبحانه، وهذا يؤكد أنه خاص بتنزيه المولى وتعظيم شأنه .

- ٢- أن هذه المواقع التي ورد فيها الفعل (تبارك)، إنما تحيل إلى المواقع الأخرى، وهي إحالة لفظية، وبالتالي تحدث إحالة بين هذه المواقع المختلفة من خلال التركيز (أو تذكر) الفعل (تبارك) الدال على استحضار عظمته سبحانه .

- ٣- كان ينبغي أن يشير إلى أن التفصيل الوارد في سورة (الملك) إنما يأتي من خلل :
– الربط بين جملة الصلة الواردة في الآية الثانية، وبين الذي بيده الملك في الآية الأولى .
– أن الآية الثانية إحالة معجمية لصفات الذي بيده الملك في الآية الثانية، ويأتي ذلك من خلل : الذي خلق وتبعد ملامح التفصيل (الإحالات المعجمية) في أنها تكررت في الآية / ٣، مع ملاحظة أنها أوردت صفات أخرى للذي بيده الملك، الذي خلق سبع سماوات طبقاً، ثم يأتي العطف، فيما تلا ذلك من آيات بـ (ثم) مرة، و(فأure) مرة أخرى وهكذا، ومن هنا، فإن الضمائر الموصولة وغيرها من العناصر اللغوية تعمل على :

- ١- ربط بنية هذه الآيات بعضها ببعض .
- ٢- ربط بنية السورة كاملة .
- ٣- تحيل إلى مواقع أخرى من خلل الفعل (تبارك) .
- ٤- تحيل إلى مواقع أخرى من النص القرآني، وبالتالي تتجاوز حدود الآية من خلل :

^{٢٤} السابق : ١ / ٢١٤ : ٢١٧ .

^{٢٥} ينظر : السابق / ١ / ٢١٥ .

أ - الفعل (تبارك) يحيل ضمناً إلى الأفعال والمصادر الخاصة بالذات العلية كال فعل : سَبَّحَ، سُبْحَانَ، فِي كُلِّ الْمَوَاضِعِ، وهي أفعال قريبة في معناها من الفعل (تبارك)، وهي إحالة ترادفية .

ب - الفعل (تبارك)، إحالة معجمية، لورود الفعل في موضع آخر .

ج - من خلال الضمائر، وهي إحالات معجمية من ناحية، ومن جهة أخرى إحالات ضمنية، حسب ما يقتضي السياق، وعلى هذا، ينبغي أن يوسع من النظر ليبيّن :

- ليس تماسك الآيات داخل السورة الواحدة .

- وإنما تماسك الآيات داخل النص القرآني من جهة أولى، ولاظهر العلاقات الحابكة لها من جهة ثانية، لأننا لو أبقينا هذه العلاقات داخل حدود الآيات أو السور :

١- لظل الأمر ضيقاً، كما هو في نحو الجملة .

٢- لأضحت كل سورة ماسكة بزمام نفسها معزولة عن غيرها من سور اللاحقة والسابقة، ولاظهرت لنا وحدة النص القرآني من ناحية ثانية .

وببناء على ذلك، فإن رؤيته في بيان تماسك أجزاء السورة الواحدة تناقض ما حاول بيانه في موضع آخر من الكتاب، وهو بيان علاقة السورة بما قبلها وبما لحقها، وهو أمر يقع في مستويين :

الأول : التتابعات الجملية (بنية السطح) .

الثاني : التتابعات السبادية على السطح (بنية العمق)، وهذا العنصران هما المتعلقان بالنص المكتوب^{٣٦} .

غير أننا يمكن أن ننظر إلى هذه الاستعمالات الفعلية من وجهة نظر تحليلية، باعتبار سياقاتها غير اللغوية، فالامر لا يتعلق بتفصيل عادي، وإنما يتعلق بالخلق وبالذات العلية، ولما كان الأمر على هذه الشاكلة، صدرت الآية التفصيلية بالفعل الخاص به سبحانه

^{٣٦} ينظر حول ذلك ما أورده أهل الاختصاص من علماء النص :

R. de Beaugrand , W. Dressler : Einführung in die Textlinguistik, S. ٨ .

د. سعيد بحيري : اتجاهات لغوية معاصرة في علم النص ص ١٦٩ .
والعناصر الأساسية المكونة لنظرية النص ص ٢٨ ، ٢٩ .

(تبارك) ، أو هو فعل خاص بالذات العلية، ونلاحظ أنه لم يرد في النص القرآني إلا معه سبحانه، وبالتالي فإن له استعمالاً خاصاً يتسق مع خصوصية المحال إليه (الله) ، وهذا نخلص إلى أن استعماله ذات خصوصية، كما نلاحظ أنه يأتي في إطار نوعين من التراكيب الرابطة :

الأول : تمثل السمة الفعلية له، من حيث استعماله مع (جملة الصلة) .

الثاني : يأتي دون جملة الصلة، ويترتب على ذلك إنتاج دلالة متمايزة إلى حد ما، وهي الأقل وروداً .

وعلى الرغم من كون النوعين مختلفين بشكل عام، إلا أن السمة النهائية لوظيفة الفعل تظل ماثلة على الرغم من السياقات المختلفة، وهذا يتبعاً الفعل (تبارك) في كلتا الحالتين مكانة : التعظيم والتخفيم للذات العلية، ورغم ذلك تظل ثمة فروق واضحة، أبرز جوانبها فيما يلي من تحليل :

فإذا كانت السمة الأساسية مع الفعل (تبارك) أن يأتي مع صفات الحق سبحانه، وعلى الرغم من ذلك، فإن ملاحظة المواقع التي وردت فيها الآيات، يمكن أن نصنفها من حيث بناء الأفعال الإنجازية إلى ما يلي :

١- جملة الصلة في بداية الآية الفعل (تبارك) يأتي بدون جملة الصلة :

الأعراف/٤، غافر/٦٤.

٢- يأتي الفعل (تبارك) بدون صلة الموصول :

المؤمنون/١٤، الرحمن/٧٨.

٣- يأتي قبل الفعل (تبارك) صلة الموصول :

الفرقان/١، ١٠، ٦١، غافر/٦٤، الزخرف/٨٥، الملك/١.

ومن هنا، فإن ثمة ملاحظة تختص بإحالة جملة الصلة بما هو وارد في آيات الفرقان/١، ١٠، ٦١، إذ يمثل ورود الفعل في بداية السورة/١ « تبارك الذي نزل القرآن على عبده ليكون للعالمين نذيراً » سمة بارزة، قال العكبري : « الذي له ملك السماواتِ

والأرض) (الذى له)، يجوز أن يكون بدلاً من (الذى) الأولى، وأن يكون خبر مبتدأ محفوظ، أو يكون في موضع نصب على تقدير أعني^{٣٧}.

وابدي عدداً من الملحوظات فيما يتعلق برقية العُكْبَرِي، وهي رؤية أرحب، وتحوي ضمنياً بتماسك نصي، يتجاوز حدود الآية لدى النحاة، وأشار إلىها:

١- أن (الذى له) تعد بدلاً من (الذى) الواردہ في الآية الأولى.

٢- أن تكون في موضع نصب على تقدير أعني.

٣- أن تكون خبراً لمبتدأ محفوظ . هذا هو موجز قول العُكْبَرِي، وأفضل فيه القول بفضل بيان كال التالي، إن اعتبار (الذى له) بدلاً أو في موضع نصب، على تقدير : أعني، إنما يشير بشكل ضمني إلى أن :

٤- التماسك النحوي يتجاوز حدود الآية، وبالتالي فالإحالات أو التماسك يتعدى حدود رؤية نحو الجملة .

٥- أن اعتبار (الذى له) منصوبة، على تقدير أعني، تقدر بناء على هذا التقدير جملة تفسيرية أو بتعبير دقيق تفسيرية معجمية، وذلك واضح من تقدير العُكْبَرِي بفعل محفوظ تقديره : أعني، وبالتالي فهي جملة تفسيرية، غير أنها تعد هنا إضافة عناصر تفسيرية أكثر زيادة على ما ورد مع (الذى أنزل....)، وليس بدلاً منها بشكل دقيق، وبالتالي أرجح كونها منصوبة أو بدلاً .

وبعد سرد الأحداث، وبالتحديد في الآية/١٠، يتكرر الفعل (تبارك) بما يحدث تكراراً في المرة الثانية، يربط الثاني (١٠) بما ورد في الأولى (١)، وبعد مساحة مكانية على سطح القرطاس من آيات السورة، آية (٦١)، نجد الفعل يتكرر مرة ثالثة تذكيراً بقدرة الله وتزييها مرة تلو الأخرى، وفي إعادة اللفظ، إحالات فعلية (جملة فعلية) ومذكورة قبلًا ومبشرة، على أساس أنه معروف للمتلقي، ويستطيع أن يحيل إليه بشكل مباشر .

وإذا كان الفعل (تبارك) يعمل على تماسك النص من خلال الإحالات اللغوية، فإن هذه تمثل مركز الدائرة؛ بمعنى أن الإحالات تأتي داخل حدود السورة الواحدة . وإذا قمنا بتوسيع الدائرة قليلاً داخل السورة، فإن مركز الدائرة يتسع ليشمل تسعة أجزاء؛ بمعنى أن

^{٣٧} العُكْبَرِي : التبيان ٢١٠ / ٢

كل فعل (تبارك) يقع في جزء لا يقع فيه الفعل الآخر، وهنا يبدو إحكام التوزيع التكراري من ناحية :

- ١- أن كل سورة تمثل جزءاً لا يقع فيه غيرها .
- ٢- أن التوزيع المتباعد للفعل (تبارك) في الأجزاء المختلفة، إنما يشير بوضوح إلى أنه على الرغم من هذه المباعدة الإحالية التكرارية، فإنه يدل من جهة أخرى على التذكير بنعم الله وقدرته، وهي لا تحصى « وَإِن تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوْهَا » النحل/ ١٨ .
- ٣- أن هذا التوزيع للفعل (تبارك) يجعل كل موضع من هذه المواقع يرتبط عن طريق الإحاللة التكرارية، بالأفعال الأخرى الواردة في مواضع منتشرة من النص، ويشير التكرار إلى التماسك النحوي الذي يقوم به الفعل (تبارك) في جميع المواطن التي يرد فيها . وهكذا تتسع الدائرة من مركزها من سورة الفرقان لتشمل تسعة أجزاء، بدلاً من جزء واحد (١٩) لسورة الفرقان ، ولم يتكرر الفعل (تبارك) إلا في سورة الفرقان ثلاثة مرات، ومن هنا اعتبرتها مركز الدائرة، بيد أن عنصراً آخر، يلفت النظر في الأجزاء الواردة فيها الفعل (تبارك) على النحو التالي :

الجزء	اسم السورة	المرة	م
٩	الأعراف/ ٥٤	الأولى	١
٢٩	الملك/ ١	الأخيرة	٢
١٧	المؤمنون/ ١٤	الثانية	٣
٢٧	الرحمن/ ٧٨	قبل الأخير	٤

- وفي الجزء الرابع والعشرين :

الفرقان/ ١، ١٠، ٦١، يلاحظ العدد (٢٤)، هو رقم الجزء أن الفعل (تبارك) لم

يرد في الأجزاء الأربع قبله، وهو رقم مقسم على :

$$24 = \frac{6}{4}$$

- في الجزء الخامس والعشرين :

الزخرف (٨٥)، وأن الأجزاء الباقية (٥) خمسة أجزاء، وهو متوسط رقم (٢)،

$$. ٢٥ = ٥ \times ٥$$

٣/٢ : وظائف جملة صلة " التي " ودورها في تماسك بنية النص :

تعد (التي) من الأسماء الموصولة الأقل وروداً في النص القرآني، مقارنة بالذين والذى، إذ ورد لها (٥٦) نمطاً، ونلاحظ على هذه المواقع أدناه أنها تليها الصيغ التركيبية التالية :

- ١- فعل ماض : مبني للمجهول .
- ٢- فعل مضارع .
- ٣- ضمير(هو ، أنتم) + خبر .
- ٤- جار و مجرور .

ويعد (٢١) السمة الجوهرية الأكثر انتشاراً في القرآن، وتكررت (٣) مرات، مناسقة بين الضمير (هو) و(أنتم) فيما جاء الجار والمجرور مرة واحدة، وبالتالي تمثل السمة (٢١) ورداً أكثر .

غير أننا نلاحظ أن (التي) حينما وردت في النص القرآني داخل إطار الآية، وهنا نشير إلى أنها كانت ترد في بداية الآية (الهمزة / ٧ ، الفجر / ٨) تكون إحالتها معجمية (تفسيرية)، أي تفسير لaram ذات العماد في سورة الفجر، وتوضح لنا كلمة (الموقدة) الهمزة / ٦، وبالتالي تمثل هذه سمة جوهرية تتعلق بـ(التي) في النص القرآني .

بيد أننا نجد في الرحمن / ٤، ٣ (هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَدِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ) أنها تفسيرية وإحالة معجمية، وبالتالي تمثل هذه سمة مشتركة ومفارقة في آن واحد، وهذه السمة ليست مستعملة في الرحمن / ٣ ، ٤ وحدها، وإنما مستخدمة أيضاً في البقرة / ٤، ومن ثم يمكن أن نخلص إلى أن قاعدة النص الخاصة بـ (التي) في القرآن على النحو التالي :

- ١- إذا كانت في بداية الجملة تكون لها وظيفتان على النحو التالي :
 - أ- تحيل إلى ما هو وارد في الآية السابقة مباشرة، ومن هنا تكون الإحالة إلى متقدم خارج نطاق الآية .

ب - هذه الإحالات المتقدمة، إنما هي تفسير معجمي لما هو وارد في الآية السابقة، وبالتالي تكون الفائدة مزدوجة، فائدة الربط بين جملتين أو أكثر من ناحية، والتفسير من ناحية ثانية .

٢- تكون توضيحية / تفسيرية لما هو وارد قبلها، ويكون هذا داخل حدود الآية، وتكون (التي) داخل الجملة . وتمثل هذه الوظيفة السمة الأكثر وروداً في النص القرآني، وعلى هذا الأساس يمكن اعتبارها الوظيفة التي تمثل قاعدة النص الأساسية في القرآن . ومن هنا نخلص إلى أن ورودها داخل الآية وفيه، وأنها تؤدي في كلتا الحالتين إلى التفسير / التوضيح، إلا أنها في بداية الجملة تزيد وظيفة أخرى (الربط) .

علسي آية حال، فإنها داخل الآية، إنما تؤدي وظيفة الربط أيضاً بجانب التوضيح، إلا أنها في بداية الآية يمكن اعتبارها تربط بين آيتين أو أكثر، في حين أنها داخل الآية تربط، إلا أن ربطها أضيق، وبالتالي يمكن اعتبارها في كلتا الحالتين تؤدي الوظيفتين معاً، بيد أنها داخل الآية تكون وظيفتها :

١- أضيق .

٢- داخل حدود الجملة .

وفي بداية الآية تكون :

١- أوسع .

٢- خارج حدود الآية الواحدة، وهذه هي المفارقة الجوهرية التي نتجلت عن تفسير موقف في النص القرآني، أما باقي النماذج، فإنه لا خلاف حول عملها بشكل إجمالي .

٣- ويمكن أن تحيل (التي) إلى لاحق داخل الآية، وتكون تفسيرية، يوسف/٢٣ فـ " الذي هو في بيته " يحيل إلى لاحق :

- داخل نطاق الآية .

- داخل نطاق الآيات التالية مباشرة .

- داخل نطاق السورة .

وتجدر الإشارة إلى أن (التي) تفارق (الذين) و (الذي) و (من) و (ما) في القرآن الكريم من حيث عدد من المؤانز، نوجز مجلها في العناصر الآتية :

١- أن عددها مقارنة بما سبق ذكره لا يقارن، إذ جاءت أعدادها قليلة .

٢- أن عملها يأتي داخل إطار الآية الواحدة، بخلاف ما جاءت الإشارة إليه، وتمثل سمة جوهرية للاسم الموصول (التي) في القرآن .

٣- على الرغم من السمة الأساسية المذكورة في (٢)، إلا أنها شذت في موضوعين في القرآن (الفجر/٧، ٨ والهمزة /٧، ٦) حيث جاءت تفسيرية في بداية الآية الكريمة، وهذا النطان، وإن لم يمثلا سمة فعلية لها، إلا أنه يرقى بها إلى أن تطاول "الدين" من جهة و(الذي) من جهة ثانية، باعتبارها اسماء موصولاً .

٤- على الرغم من مجيء (التي) داخل الجملة، وهو ما يجعلها تعمل في حدود أضيق مما سبق بيانه، وهي في هذا الصفة المانعة تفرق عن كل من (الذين) و(الذي) و(من)، كما سيرد بيانه .

إلا أننا ينبغي أن نشير إلى أنها في كل السياقات القرآنية التي وردت فيها، إنما تعمل من خلال شبكة أكبر منها، وهي تفصيل أو توضيح لما هو وارد قبلها أو بعدها، وبالتالي تتعدد السياقات المختلفة التي تكتسب وظيفتها من خلالها، وبالتالي فإن سياقاتها قد تكون :

— وصفا .

— إحالة معجمية (مع الذين) .

— مقارنة مع (الذين) باستخدام (اما) أو بدونها .

— وترتبط جملة الموصول (التي) بما يسبقها ويلحقها إما :
— بالضمائر.

— التفسير .

— المقارنة .

— الأدوات العاطفة .

وعلى الرغم من ذلك، إلا أنها في عملها الحقيقي لا تتجاوز حدود الآية، وهي وظيفة التفسير والإحالة المعجمية الوصف داخل الآية، وهي الوظيفة الأساسية بالنسبة (للهين) و (الذى)، وعلى الرغم من الوظائف الراقبة الأخرى التي استخلصناها، بناء على السياقات المتنوعة، إلا أن ورود هذه السمة لدى (التي)، يدعم اعتبارنا الإحالة المعجمية /

التفسيرية عامة والوصفيّة / التفصيليّة خاصّة الوظيفة الأساسيّة لهذه الضمائر فيما يتعلّق بالنص القرآني .

ومن جهة أخرى، فإنّها قد اشتركت مع (الذين والذى) في ورود (التي) في بداية الآية، بما يشكّل منها في عاقبة الأمر الملامح الجوهرية المائزة التي تجعل منها اسمًا موصولاً متميّزاً بشكل أو بآخر عن الأسماء الموصولة الأخرى .

إلا أن الوظيفة مع " الفجر " و " الهمزة " تظل تجعل منها سمة تتجاوز في حدودها إطار الآية، وهكذا يتحقّق الربط بين أكثر من آية، بيد أن الأمر في الواقع الفعلي يتّجاوز حدود الآية – كما ذكرت – خاصة إذا كانت (التي) عضواً في بنية كليّة كبرى لا تكتسب ميزتها الحقيقة إلا في إطار القصّة (أكثر من آية أو عدد من الآيات)، وهكذا تمثل (التي) في كل المواقف التي وردت فيها :

– عنصر ربط (داخل حدود الآية) .

– هذا الربط الداخلي / الضيق، يعمل في سلسلة من العلاقات، تمتد فتشمل أوسع من ذلك بكثير .

– شبكة من العلاقات التي تتجاوز الآية، كما أشرت إليه، وأنّها تأتي في بداية الآية، ويدلّ هذا إن دل على أنها داخل حدود الآية وخارجها، الأمر سواء بسواء، فيما يتعلّق باختلاف السياقات المتنوعة .

٥- تتفق في بعض الجوانب مع (الذين والذى وغيرهما) في أنها تحيل إلى سابق، غير أن حالاتها تظل إلى :

أ – سابق (داخل حدود الآية) وتمثل السمة الفعلية لها .

ب – سابق (خارج حدود الآية) وتمثل السمة الأقل وروداً .

ج – ونستخلص من (١، ٢) أن ربطها ضيق (داخل حدود الآية الواحدة)، إلا في بعض المواقف البسيطة، وبالتالي فإنّ ورودها ضمن شبكة أكبر تجعل جملة (التي) وصلتها ما بين قوسين، أو جملة تفسيرية، وتمثل هذه الوظيفة الأساسية لها، وتعدّ حالة (التي) حالة مباشرة، خاصة أنها تعمل في نطاق .

٤ : وظائف جملة صلة (من) ودورها في تماسك النص :

١- استعمال "من" و "ما" بمعنى "الذي" في آية واحدة، ثم يأتي الوصف، وفي الآية ذاتها تأتي باستعمال (أولئك)، آل عمران/ ١٩٩ .

٢- تأتي "من" الموصولة حاملة معنى الشرط، وبالتالي فإنها تشمل على :

أ - الجملة الأولى : جملة الشرط وتضم (من) الحاملة للشرط .

ب - الجملة الثانية : جواب الشرط وهي تبدأ بالفاء ، وتكون الجملة الثانية (تشتمل) لما هو وارد في الجملة الأولى .

ونشير إلى ملاحظة وثيقة الصلة بما نحن فيه، أن "من" الشرطية تشتراك مع "الذين" في أنهما يأتي خلفه وصف ونتيجة، إلا أن النتيجة مع "الذين" تأتي باستخدام "أولئك"، في حين تأتي النتيجة مع جواب الشرط حاملة المعنى ذاته، مع اختلاف التراكيب واتحاد المعنى . وتجدر الإشارة أن هذا الاستنتاج السابق للمقارنة بين جملة صلة (الذين) و(من) في حالة كونها أداة شرط، إلا أنها تحمل معنى الاسم الموصول، وأحسب أن حملها سمات الشرط، إنما هو نتاج أو لتنقible معنى الجزاء الموجود مع جملة (الذين)، ومن هنا يشتركان ربما لأنهما جملتا الموصول في هذه الصفة، إلا أن جوانب المفارقة تظل مائلة ومرجعها أن جملة (من) التي فيها معنى النتيجة ليست أخيرة، وإنما هي مرهونة بما هو قائم في جملة الشرط الأولى، خلافاً لما هو وارد مع (الذين)، فالنتيجة معها نهائية، كما تدل على ذلك المواقع الواردة معها .

بيد أن جملة الصلة مع (من) التي تحمل معنى (الذي) وليس بجملة شرط، تأتي فيها النتيجة بشكل آخر مختلف، وهو أن تكون النتيجة على شكل التركيب الآتي : ضمير + لا + فعل + فاعل :

وهم لا يظل سون

وهناك من الآيات التي ترد فيها (من) الشرطية وتكون بحاجة إلى جواب الشرط مصحوباً (بأولئك) دليلاً على أن جواب الشرط، إنما هو نتاج ومتربع على جملة الشرط ودليل أيضاً على أن جملة جواب الشرط مع (من) تتقرب إلى حد بعيد في الصيغة الدلالية مع تلك التي تتصرف بها جملة (الذين) في موضع عدة لا يكتفي بجملة أولئك نتاج لفعل الشرط، ثم تأتي "أولئك" كنتيجة لجملة الشرط وجوابها الجملة المعلقة، وبالتالي فإن (أولئك) هنا مرة أخرى جملة الشرط لها حالتان :

الأولى : تأتى كنتيجة وتحققها يعتمد على تحقق فعل الشرط .

الثانية : تأتى كنتيجة للجملة المعلقة، وهي جملة الشرط والجواب على السواء، وبالتالي يمثل عملها مقارنة بينها وبين (أولئك) مع (الذين)، غير أنها في كلتا الحالتين تقدم تفسيراً أو بتعبير آخر، إنما هي جملة تفصيلية لما هو وارد قبلها دائمًا، ونشير أنه إذا كانت جملة الجواب مع (أولئك) أو نتيجة للجملة المعلقة، فإنها في كل تقدم توضيحاً، إلا أنه ينبغي أن نشير إلى أن التفسير مع أولئك الواقعه جواباً للشرط التفصير فيها أضيق أو أن تفسيرها محدد، مقارنة بما هو وارد مع أولئك التفسيرية للجملة المعلقة، فإذا كانت (أولئك) تقدم تفسيراً لجملة الشرط المحدودة الدلالة، فإنها مع (أولئك) جملة الشرط تقدم تفسيراً للجملة الشرط، وربما بما هو أكثر على أساس أن جملة الشرط قد تكون مقارنة مع جملة الصلة الأخرى قبلها، وبالتالي تكون مقارنة مع جملة الصلة الأخرى، وقد تدل على ذلك بالمقابلة بين المعنيين باستخدام جملة الصلة .

وتشير الملاحظات الأولية إلى أن (من) لها سمات أساسية فاعلة، وتتبدىء هذه الملاحظات بوضوح حين نرى وظائفها تقع على مستويات عدة ومختلفة، وهذا نرى أن إحالتها تقع داخل الجملة وفي مواضع أخرى تكون عنصر مقابلة (مقارنة) بين أكثر من آية أو داخل الآية أو تكون تفصيلية ... الخ .

على آية حال، فإن هذه الملاحم الجوهرية المكونة لبنيه وظائف (من) في القرآن تشير إليها فيما يلي بفضل بيان، وألمح مرة أخرى أن الأنماط الواردة في هذا البحث ليست كلها، وإنما أكتفي بما يمثل تصوراً عاماً، دون عرض كل الأنماط، بما يؤدي إلى الإحالة بما لا داعي له، وهذا يقتصر البحث على العناصر الأساسية المكونة لبنيه وظيفة (من) وأعرض لها في المطلب التالي :

٤/١ : المقارنة /المقابلة تتعذر حدود الآية الواحدة :

ـ المقابلة بين (من) و (من) :

وتعد هذه الوظيفة ملهمًا مهما من ملامح تميز الأدوات الموصولة المعالجة، وكذلك (من) حيث تظهر الأنماط المستخلصة^{٣٨}، أنها تتباوأ مكانة مرموقة من بين الوظائف التي تؤدي بها، ولعل تجاوز حدود الآية إلى أكثر من ذلك، إنما هو تجاوز حدود الرؤية المستقلة، وما بنا أن نتبع ذلك، ففي تحليل الآيات ما هو أرجع وأوفق، قال تعالى «وَمَنْ يَغْفِلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ يَجِدُ اللَّهُ غَفْرَانًا رَّحِيمًا * وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبْهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمًا * وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْزُمْ يَهْ بِرِينَا فَقُدِ احْتَمَلَ بِهَنْتَانَا وَإِنَّمَا مُبِينًا» النساء / ١٢ : ١٩، ونلاحظ على هذه الآيات من خلال اسم الموصول (من) ما يلي :

- ١- أنها تقع داخل شبكة من العلاقات الأربع، أي اعتبارها (جملة الموصول) جزءاً في دائرة المربع، وهكذا نلاحظ :
 - عطفها على ما قبلها آية / ١٠٩ .
 - عطفها على ما بعدها آية / ١١٢ .
- تكرار الاسم الموصول (من) مع الفعل (من يكسب) مرتين، والتكرار الضمني مع (من يعمل) على اعتبار أنها على وزن : من يفعل مثلاً .
- تكرار أداة العطف الوحيدة (الواو) ولم تشاركها أي أداة أخرى .
- تعد هذه الآيات (١٠٩ : ١١٢) فيما بينها تفصيلاً لما هو وارد فيما بينها .
- تعد مع ما يليها عناصر مقابلة، ويعد هذا العنصر عنصراً مفهومياً .
- وإذا كانت هذه الملحوظات من خلال شبكة أضيق، فإنها تعمل في محيط أوسع داخل إطار السورة سواءً كانت إلى :
 - سابق / متقدم .
 - لاحق / متاخر .

ويمكن توسيع دائرة الربط، فتشمل النص القرآني كله، أي بتتوسيع دائرة البحث في إطار حدود السورة، وهذه الإحالات على اختلافها تعمل من خلال :

- إحالة لفظية (اسمية أو فعلية) .

^{٣٨} أشير من خلال تتبع الأنماط العامة، إذ البحث معنى في الأساس باستخلاص الأحكام العامة لهذه الوظائف، وليس مشغولاً بالإحصاء، ولعل في هذه النظرة ما يفي بالغرض .

– إحالات ضمنية (اسمية أو فعلية) .

على أنني ينبغي أن نبين أن هذه المقارنة التي تتجاوز حدود الآية، وليس بالضرورة أن يكون بين (من) و(من) لأن هذه تمثل السمة الجوهرية في المقارنة في القرآن بشكل عام، إذ قد تأتي مع (الذين) مثلاً أو أي اسم موصول آخر، ففي قوله تعالى ﴿وَلَا كُضْلَانَهُمْ وَلَا مُنْتَهَيَّهُمْ وَلَا مُرْتَهَيَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلَقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذُ الشَّيْطَانَ وَلِيَّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا * أَوْلَئِكَ مَا وَاهَمُ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا * وَالَّذِينَ آتَيْنَا وَعْدَهُمْ لَمْ يَنْجُوا سَنَدِ الْحَلْمِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَذَّ اللَّهُ حَقًا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِبْلًا﴾ النساء / ١١٩ : ١٢٢ .

ونلاحظ أنني اقتطعت هذه الآيات من سياقها العام، وبالتحديد من بداية الآية / ١١٦ « إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ... » ، ١٢٧ (ويستثنونك في النساء ...)، وبالتالي فإن جملة الصلة تمثل :

– عنصراً مهما ضمن إطار أكبر، وهو وحدة الموضوع الداخلي، وتعمل هذه العلاقات من خلال :

– الإحالات بالضمائر التي تتجاوز حدود الآية .

– الإحالات بالضمائر المختلفة داخل أسوار الآية .

– الربط باداة العطف (الواو) في بداية الآيات وداخلها .

– الربط باداة العطف (ثم) داخل الآيات .

– ينبغي أن نوضح أن (من) في مثل هذه المواقف المختلفة لا تعمل منفردة، وإنما مع أدوات متساوية من حروف العطف، هذا من ناحية، وهناك من العناصر الموصولة الأخرى مثل : الذين، الذي، ما الخ، بجانب الأسماء والأفعال من ناحية أخرى .

ففي المؤمنين / ١٠٢ : ١٠٥ « فَمَنْ ثَلَّتْ مَوَازِيلُهُ فَأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُقْلَحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِيلُهُ فَأَوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * تَلْفِحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالْحُوْنَ * إِنَّمَا تَكُونُ أَيَّاتِي ثَلَّى عَلَيْكُمْ فَكُنُّمْ بِهَا ثَكَدُونَ »، ينبغي أن نشير إلى عدد من الملاحظات نوجزها على النحو التالي :

١- المقابلة / المقارنة بين : من ثللت موازيته، ومن خفت .. وهما عنصران متقابلان .

٢- تأتي النتيجة مع كل منها باستخدام : فأولئك هم المفلحون، فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خامدون .

٣- وتأتي الآيات التالية مفسرة (ابتداء من ١٠٤ : ١١٨) بما هو في الآية / ١٠٣ وترتبط به من خلال عدد من الجسور :

- الضمائر المحيلة في الآيات التالية (١١٠ : ١١٨) وكلها تحيل إلى (١٠٣)، وهكذا تعد هذه الآية المحور الأساسي التي تدور حوله هذه الآيات، وبالتالي تمثل هذه الضمائر في هذه الآيات عناصر ترتبط جميعها بالأساس (١٠٣) : (من) .

٤- نلاحظ أن الآيات التالية لوصف («من حفَّتْ مَوَازِيْنُهُ») استغرقت أكثر من ١٥ آية فسي مقابل آية واحدة «فَامَّا مَنْ ثَلَّتْ مَوَازِيْنُهُ» ترغيباً في الجنة وترهيباً من النار: تلفح وجوههم النار وهم فيه ...) وتمثل الآيات / ١٢٣ : ١٣٥ من سورة طه نموذجاً مشابهاً لما هو وارد في سورة المؤمنين .

ونأخذ نموذجين آخرين كدليل على الترابط النصي القائم بينه من ناحية وال سور الأخرى من ناحية ثانية، وذلك من خلال سورتي الليل والقارعة، أما نموذج القارعة، فان وظيفة (من) تدل على المقابلة / المقارنة، ونؤكد هذه الاستخلاص من خلال :
- (أماماً) الدالة على التفصيل والمقارنة والوصف .

- أن ثمة مقابلة بين فريقين مختلفين : من أعطى، ومن بخل، هذا من ناحية، وهذه المقابلة تقدم تماسكاً دلائياً بين المعنين، وبالتحديد بداية الآية / ٥ : ١٢، وترتبط الآية / ١٣ بما هو وارد في هذه الآيات، ذلك أن الآخرة والأولى هنا ليس المقصود بها الدنيا والآخرة المعروفة، وإنما لها معنى آخر، أن الأولى من أعطى وانتقي وصدق بالحسنى، أما الآخرة من بخل واستغنى وكذب بالحسنى^٩ من ناحية أخرى، وبالتالي فنحن الذين نستطيع التيسير ونستطيع التعسیر، وأن كليهما (الميسر والمعسر) راجع إلينا، ومن هنا، فإن العلاقة القائمة لا ريب فيها، ثم تأتي الآية / ١٤ مرتبطة بما قبلها بـ :

- الفاء الرابطة، وأرى أنها تحيل إلى (من بخل واستغنى)، وبالتالي فإن الإحالة إلى سابق ليس مباشراً، إذ يفصل بينها بأكثر من آية، والآية / ١٥ ترتبط بما قبلها عن طريق الإحالة بالضمير (ها) وترتبط الآية / ١٦ بما قبلها في أنها تمثل إحالة معجمية (تفسيرية)

٣٩ د. تمام حسان نحو الجملة ونحو النص ص ١١ .

للاشفي، ثم تأتي الآية / ١٧ ، ١٨ كمقابل للأيتين / ١٥ ، ١٦ مع الربط (بالواو) الرابطة، والمقابلة بينها من ناحية أخرى، وتعد الآية / ١٨ تفسيراً معمرياً للاتقى في (١٧)، ولعل هذا يمثل الربط العام داخل البنية اللغوية للسورة .

أما الترابط القائم بين البنية اللغوية لهذه السورة والسور القرآنية الأخرى، فقائم على علاقة المشاكلة من ناحية، وعلاقة الإحاللة اللفظية من ناحية ثانية وعلاقة التضمين (الترادف) من ناحية ثالثة.... الخ هذه العلاقات الجامعة بينهما .

أما النموذج الثاني، فيتجاوز الآية الواحدة، فهو من سورة القارعة، أحاول أن أبين بشكل موجز علاقة الارتباط بين الآيات بعضها ببعض داخل السورة على النحو التالي : درج "نحو الجملة" على إعراب القارعة مبتدأ . وما القارعة، ما نكرة تعرب مبتدأ والقارعة (الثانية) خبر، والمبتدأ الثاني والخبر في محل رفع خبر للمبتدأ الأول، هذا موجز رؤيتهم :

إلا أننا يمكن أن نجد لها تصوراً آخر يتسق مع الآيات التاليات، فإذا أمكن لنا أن نعرب (القارعة) خبراً، فإن المبتدأ هنا محذوف تقديره هي، وبالتالي فإن الآية الثانية : ما القارعة ليست مبتدأ وخبراً (وكليهما ليس خبر للمبتدأ الأول (القارعة)، وإنما تعرب في هذه الحالة على النحو التالي :

ما : التعجبية نكارة بمعنى شئ مبتدأ، و فعل التعجب ممحذف تقديره : أعظم وهذا تكون القارعة مفعول به لفعل التعجب أعظم، وهذا تكون بنية الآية كالتالي : ما أعظم القارعة، وقد استدل د. تمام حسان على تدعيم هذه الرؤية بحديث زوج أبي زرع، حين قالت تعجب من حسن معاملته لها : أبو زرع، ما أبو زرع، على تقديره : أبو زرع، ما أعظم أبو زرع، على تقدير فعل ممحذف تقديره : ما أعظم أبو زرع، وهذا هو الدليل الأول. أما الدليل الثاني مضمون نص الآية : وما أدرك ما القارعة، إذا لو كانت القارعة . ما القارعة، كما ذهب النحاة، لما كان هناك داع من إيراد : وما أدرك ما القارعة، وكان الأجر أن تأتي الإجابة على ذلك، كما حدث في سورة طه / ٨٣ « وما أجهلك عن قومك يا موسى » فهي هنا على روایة حفص تعجبية، بيد أننا يمكن أن نتصور لها اعراباً آخر: (ما) مبتدأ نكارة أجهلك خبر للمبتدأ النكرة و (أجهل) مضاف والكاف ضمير من في محل جر مضاف إليه .

بيد أن التفسير الثاني، يتسرق مع الآية الواردة بعدها، فلما كانت سؤالاً : ما أujeاك عن قومك يا موسى ؟ جاءت، الآية / ٥٣ إجابة على السؤال المطروح « قال هم أولاء على أثري وَعَجِلتُ إِلَيْكَ رَبُّ لِتَرْضَى » ولو كانت تعجبية، لما كان هناك داع من إيراد الإجابة في الآية التالية، وهذا ما لم نره في آية القارعة / ٢ على اعتبار أنها سؤال ؛ لأن الآية / ٣ ليست جواباً ، وإنما تهويل لما هو قبلها، ومن ثم تدعم جعلها تعجبياً أقرب إلى المعنى الذي يتسرق مع الآيات ^{٤٠} .

وإن كان لي من قول، فإنني أذكر أن بعد جملة التعجب مثل ما هو وارد في (ومَا أذْرَكَ مَا الْقَارِعَةَ ٣:١ (في القارعة ما القارعة. الحافة وما أذْرَكَ مَا الحافة)) (أصحاب الشَّمَالِ مَا اصحابُ الشَّمَالِ) (أصحاب اليمين ما أصحابُ اليمين) الواقعة / ٢٧ ، نلاحظ أن مثل هذه المواقع، لو كانت استفهامية، لكان يجب أن ترد الإجابة، إلا أن ترجيح اعتبارها تعجبية، لكن في ذكره : أصحاب الشَّمَالِ، ثم يأتي بعدها : ما أصحابُ الشَّمَالِ، تعجب على تقدير فعل مذوف : ما أصعب / أحرق أصحاب الشَّمَالِ، وكذلك الحال مع : ما أصحابُ اليمين، ويؤكد أنها للتعجب الوصف التالي لمثل هذه المواقع (فاصحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا اصحابُ الْمَيْمَنَةِ * واصحَابُ الْمَشَانِمَةِ مَا اصحابُ الْمَشَانِمَةِ) الواقعة / ٨، ٩، قال الفراء تعليقاً على الآية الكريمة : عجب نبيه منهم، فقال : ما أصحابُ الْمَيْمَنَةِ؟ أي شيء منهم؟ وهم أصحابُ اليمين (واصحَابُ الْمَشَانِمَةِ مَا اصحابُ الْمَشَانِمَةِ) عجبه أيضاً منهم، وهم أصحابُ الشَّمَالِ ... ^{٤١} ، ويتصل بهذا الموضوع ما هو وارد في (الحافة ما الحافة) حيث قال : والحافة : مرفوعة بما تعجبت منه من ذكرها، كقولك : الحافة ما هي؟ والثانية : راجعة على الأولى . وكذلك قوله (أصحابُ اليمين ما أصحابُ اليمين) و (القارعة ما القارعة) معناه : أي شيء القارعة؟ مما في موضع رفع بالقارعة الثانية والأولى مرفوعة بجملتها ... ^{٤٢} .

وبالتالي فإن د. تمام حسان استوحى أفكاره منه، وإن طور فيها، وربما يكون اعتمد في تحليله على رؤية بعض المفسرين، ولم يشر إليها من قريب أو بعيد، إلا أن الذي بقى ماثلاً أنه استوحى أفكاره من كتب التفسير بشكل عام، وكتاب الفراء بشكل خاص فيما أعلم .

^{٤٠} ينظر د. تمام حسان : نحو الجملة ونحو النص ص ١٠ .

^{٤١} الفراء : معاني القرآن / ٣ ١٢٢ .

^{٤٢} السابق : ٢ / ١٨٠ .

﴿وَاصْنَابُ الْيَمِينِ مَا اصْنَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ * وَظَلٌّ مَمْذُودٍ * وَمَاءً مَسْكُوبٍ * وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لَا مَقْطُوعَةٌ وَلَا مَمْتُوعَةٌ ...﴾ الواقعة / ٢٧ : ٣٣ .

﴿وَاصْنَابُ الشَّمَالِ مَا اصْنَابُ الشَّمَالِ * فِي سَمْوَمٍ وَحَمِيمٍ * وَظَلٌّ مَنْ يَخْمُومُ * لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ * إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُثْرِفِينَ * وَكَانُوا يُصْرُونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ﴾ الواقعة / ٤١ : ٤٦ ، ﴿الْحَاقَةُ * مَا الْحَاقَةُ * وَمَا أَذْرَاكُمَا الْحَاقَةُ * كَذَبْتُ ثُمُودَ وَعَادَ بِالْقَارِعَةِ﴾ الواقعة / ١ : ٤ .

وبالتالي فإن الوصف يأتي عقب هذه الآيات مباشرة، وليس إجابة على اعتبار أنها سؤال، ويتناسب / ينسجم مع التهويل أو التعظيم من شأن ما هو مورد سواء أكان خاصاً بأهل الجنة أم بأهل النار... الخ .

ويستمر الوصف في القارعة في / ٤ ، ٥ ، وبعد علاقة رابطة، وما هو وارد قبلها في ﴿مَا الْقَارِعَةُ * وَمَا أَذْرَاكُمَا الْقَارِعَةِ﴾ / ٢ ، ٣ وتكون الآياتان / ٥ ، ٤ وصفاً لهما، وتأتي الآيات / ٦ : ١١ لتؤدي أكثر من وظيفة نصية في النص ظهرها كما يلي :

- ١- ترتبط هذه الآيات بما قبلها في أنها تفصيل ليوم القارعة والحاقة، وهو اسماء ليوم القيمة .
- ٢- تؤكد ما هو وارد في (١) بأنها تفصيل، وذلك من خلال :
 - أما الدالة على التفصيل .

- المقابلة بين من ثقلت موازينه ومن خفت موازينه ، وتمثل الآيات ٦ : ٩ آيات للمقارنة من جهة، ومن جهة أخرى، تمثل مقارنة، ثم تعد الآيات ١٠ ، ١١ تفصيلاً للآيتين / ٨ ، ٩ وذلك من خلال تهويل للنار وما فيها من أصناف العذاب باستخدام فعل التعجب : وما أدرك ما هي، وتأتي الآية / ١١ لتؤكد جملة التعجب بأنها : نار حامية، وهكذا ارتبطت الآياتان / ١٠ ، ١١ بالآيتين السابقتين قبلهما مباشرة .

هذا السرط على مستوى السورة يمثل ربطاً مفهومياً، بجانب عدد من الروابط الماثلة في البنية اللغوية باستخدام أدوات العطف، مثل الواو الواردة (٤) مرات في مقابل (الفاء) المستعملة (٣)، وعلى هاتين الأداتين تقوم الروابط اللغوية، بجانب الضمائر الأخرى الكائنة في نص السورة، هذا على مستوى السورة، وهناك ربط آخر على مستوى النص القرآني يتمثل في :

— أن القارعة باعتبارها اسمًا ليوم القيامة، تحيل إلى المواقع الأخرى من أسماء يوم القيمة في النص القرآني، وهذا هي الإحالات الترادفية .

— كما تحيل المواقع الخاصة بمن ثقلت موازينه، ومن خفت موازينه إلى المواقع الأخرى المتعلقة بالثواب والعقاب في النص القرآني، وهي إحالات مثل النوع الوارد أعلاه، على أننا نوضح أن الإحالاتتين المذكورتين هنا، إنما هما إحالات خارج حدود السورة، وهي إحالات إلى :

— متقدم خارج إطار السورة .

— متاخر خارج إطار السورة .

وتعمل هاتان الإحالاتان من خلال الروابط المشار إليها عاليه على تماسك البنية اللغوية الماثلة على سطح الورق، ومن ناحية أخرى تعمل على ترابط العناصر المفهومية لهذه البنية اللغوية وتكامل معانيها .

— مقارنة/ مقابلة داخل الآية لـ (من) :

تدل على الرابط والمقابلة بين أكثر من آية، حسب السياق أو داخل حدود الآية، وهو ربط / أضيق مقارنة بما قبلها، ففي المادة / ١٨ () وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالْأَصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ فَلَمْ يَعْذِبْكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مَّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَعْذِبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ) والمقارنة واضحة بين العذاب والمغفرة، باستخدام (من) ، ومثلها الآية / ٤٠ من ذات السورة، والأيات التاليات تدل على ذلك بشكل بين .

ونأخذ نمطاً فريداً في قوله تعالى (وَقُلَّ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلِيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلِيَكْفُرْ إِنَّا أَعْنَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغْنُوا يَعْلَمُوا بِمَاءِ كَالْمُهَلَّ يَشْنُوِي الْوُجُوهَ يَنْسِي الشَّرَابَ وَسَاعَةً مُرْتَفَقًا * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً * أَوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ عَذْنَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاورَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا حُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَكَبِّنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِغْمَ الْتُّوَابُ وَحَسْنَتْ مُرْتَفَقًا) الكهف/ ٢٨ ، إذ يعمل من خلال عدد من المستويات :

* ينظر المواقع التالية : الإسراء / ١٥ ، الكهف / ١٨ ، غافر / ٤٠ على سبيل المثال .

المستوى الضيق : داخل حدود الآية (وَقَلَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْذَنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سَرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغْيِثُوا يُغَاثُوا بِمَاءَ كَالْمُهَلَّ يَشْنُوِي الْوَجْهَ يَثْسَنَ الشَّرَابَ وَسَاعَتْ مُرْتَفَقًا) الكهف/٢٩، فتاتي (من) الموصولة، لتقارن بين الإيمان والكفر باستعمال الفعل (شاء) الدال على الاختيار، لينسجم مع الثواب والعقاب، إذ لو كان الأمر ليس اختياراً، ما كان ينبغي أن يحاسب إنسان على شيء لا دخل له في اختياره، ومقارنة باستعمال (من) بين الحالتين المتضادتين: حالة الإيمان وحالة الكفر، غير أننا نلاحظ أن من اختار طريق الكفر / الظلم جاء وصفه حتى نهاية الآية باستعمال (ناراً) المنكرة تعميماً وتغميضاً وتخويفاً له .

- ١ - وإن يَسْتَغْيِثُوا يُغَاثُوا بِمَاءَ كَالْمُهَلَّ يَشْنُوِي الْوَجْهَ، وبالتالي فإنه ماء، بيد أنه ليس كالماء المعروف؛ لأنَّه يُشْنُوِي الوجه، وهذا مكمن المفارقة .
- ٢ - استخدام فعل الذم المتتسق مع موضوع التفصيل والوصف : بُثُّ الشَّرَاب .
- ٣ - استخدام الفعل (ساعت مُرْتَفَقًا) .

وتنتيج هذه الاستعمالات النصية الدلالة الكلية : تخويفاً وتهويلاً، وبنداً لطريق الكفر من جهة، ومن جهة أخرى ترغيباً في طريق الإيمان، ويدل هذا الاستخلاص على أن الآية التالية مباشرة/ ٣٠ (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَنَا تُضِيغُ أَجْزَاءَ مِنْ أَحْسَنِ عَمَلٍ) دعماً لتلك الدلالة الكلية (السابقة) من ناحية، وتدليلاً الآية/ ٣١ (أَولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبِسُونَ ثِيَابًا خَضْرًا مِنْ سَنْدَسٍ وَإِسْتَبَرَقَ مُتَكَبِّرِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الْتَّوَابُ وَحَسِنَتْ مُرْتَفَقًا) على الوصف الوارد، يرغب في طريق الإيمان، كما نفرت الآية/ ٣٠ من طريق الكفر، ويدل هذا إن دل على المقابلة بين الفريقين، وقد جاءت المقابلة ليست باستعمال (من) مع (من)، صحيح هي موجودة، وإنما داخل آية/ ٢٩، وتمثل المقارنة بين (من) في (٢٩) ، و(الذين) في (٣٠) مقارنة بين :

- أداتي الموصول .

- الكافرين والتنفير منهم من ناحية .

- المؤمنين والترغيب في فريقهم من ناحية أخرى، ومما يؤكد وظيفة المقارنة من خلال اسمي الموصول والموضوع ما يلي :

١- في الآية / ٢٩ :

- جاء وصف من كفر في نهاية الآية بـ (نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سَرَادِفَهَا وَإِنْ يَسْتَغْفِلُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوَجْهَ) .

- وفي نهاية الآية (بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاعَتْ مُرْتَقًا) .

٢- في الآية / ٣٠ ، ٣١ :

- جاء وصف الذين آمنوا وعملوا الصالحات (أولنَكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ عَذْنَ تَجْزِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَافِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبِسُونَ ثِيَابًا خَضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ) .

- وفي نهاية الآية (نَعَمَ الدُّلُوبُ وَجَسَّنَتْ مُرْتَقًا) .

وأعتقد أن المقابلة بين ما ورد في (٢٩/١ ، ٣٠/٢ ، ٣١) أعلاه، لا يحتاج إلى مقارنة ما هو وارد لكل منهما، وإن تعدى وصف المؤمنين الآية الواحدة، في حين ظل وصف الكافرين داخل الآية، وربما دل بسط البنية اللغوية لوصف المؤمنين ترغيباً وبسطاً لهم في الآخرة، كما أن تضييق وصف الكافرين، يدل على التضييق عليهم يوم القيمة وفي الآخرة، ومن ناحية أخرى، نلاحظ أن المقارنة في الآية (٢٩) باستعمال (من) «فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ» ثم فصل القول داخل الآية فيما يتعلق بالكفر، ولم يذكر في الآية ذاتها وصفاً للمؤمنين، وإنما جاء في الآيات التالىات ليحدث ربطاً بين هذه الآيات، وما يسبقها من ناحية :

- التماسك الدلالي (بنية العمق) .

- التماسك في البنية اللغوية (بنية السطح)، وبالتالي تكون الآية ٣٠ ، ٣١ :

- تفصيل للإيمان الوارد في (٢٩) من ناحية .

- مقارنة بين الكافرين في (٢٩) و (٣٠)، وهو ربط أوسع من خلال (من) في (٢٩) و (الذين) في (٣٠) وإن هذين العنصرين يمثلان تماسكاً أرحب مما هو في الآية السابقة .

- ثم أخذ في التفصيل الأكثر، حينما ضرب المثل بجنتين (منْ أَعْنَابٍ وَحَفَقَنَا هُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً * كِلَّا الْجَنَّتَيْنِ) ٣٢ ، ٣٣، تفصيلاً أكثر لما هو وارد قبله وربطاً بين بنية العمق وبنية السطح، وقد تكون المقارنة بين (من) و (الذين) داخل الآية الواحدة كما في البقرة / ١٢١ .

- تفصيل خارج حدود الآية ورابط بنية السطح (الربط الأوسع) :

قال تعالى ﴿ قَالُوا بَشَّرْتَنَا بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْفَانِتِينَ * قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ الحجر/٥٥ ، ٥٦ . وفي البقرة/٩٧ : ١٠١ ﴿ فَلَمَنْ كَانَ عَدُوا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ يَاتِنَ اللَّهُ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهَذِي وَبَشَّرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * مَنْ كَانَ عَدُوا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرَسُولِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوُّ لِلْكَافِرِينَ * وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ * أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدَهُنَا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ اكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أَوْثَاهُمُ الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَأَءَ ظُهُورَهُمْ كَانُوهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، وفي البقرة/٢٠١ : ٢٠٢ باستخدام ﴿ أَوْ لَوْنَكَ لَهُمْ نُصِيبُ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ كما أن هناك تفصيلاً خارج حدود الآية، كما ورد أعلاه، فإنه على الاتجاه المقابل، هناك تفصيل داخل حدود الآية، وهو الرابط الأضيق .

– الرابط الضيق : تفصيل داخل حدود الآية :

البقرة/٨ ﴿ وَمَنِ النَّاسُ مَنْ يَقُولُ أَمَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ *﴾ .

– مقارنة خارج حدود الآية بين (من) و (الذين). البقرة/٨١ ، ٨٢ ﴿ بَلِّيْ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَاحْاطَتْ بِهِ خَطِيرَةٌ فَأَوْلَئِكَ أَصْنَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْنَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، وتبدو المقابلة من خلل :

– الموضوع .

– المقارنة بين (من) في (٨١) و (الذين) في (٨٢) :

* مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً (فَأَوْلَئِكَ أَصْنَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) /٨١ .

* وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا .. (أُولَئِكَ أَصْنَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) /٨٢ .

ومن هنا، فالمقارنة واضحة لا ريب فيها، وكذلك الأمر في العنكبوت/٦٨ : ٦٩ .

– المقارنة بين (من) من ناحية و (الذى) من ناحية أخرى :

– مقارنة بين (من) و (من) مرَّة باستعمالها ومرَّة بدونها :

* البقرة/٦٢ ، ٦٣ ، آل عمران/١٣ ، ٢٦ ، يومنس/٦٦ ، هود/٩٣ ، يوسف/٢٥ ، الرعد/٥ ، فصلت/

قال تعالى ﴿ قَالَ اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا بَغْضَكُمْ لِيَعْضُ عَدُوٌ فَإِمَّا يَأْتِيَكُمْ مَنِّي هَذِي فَمَنْ أَنْبَعَ هَذَا يَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَغْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَتَخْسِرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَغْمَى ﴾ طه/١٢٣ : ١٢٤ .

وبناء على ما ورد لاسم الموصول، فإن أنماط (من) الموصولة تشتهر مع الوظائف الإحالية الأخرى للأسماء الموصولة المذكورة قبلًا، وببقى الافتراض في أن وظيفة التفسير المعجمي ظلت قاصرة حتى الآن على (الذين، الذي، التي)؛ أي ما يدل على العاقل بشكل عام، ونستنتج من خلال ذلك أن رؤية النهاة في اعتبار (ما) للعاقل ومواضع أخرى لغير العاقل، أن السياقات المختلفة وتتبع النصوص، إنما تدل على شيء آخر، إذ لم ترد لها وظيفة الإحالاة المعجمية، بخلاف ما هو وارد قبلها، وما دون ذلك، فإن الملامح العامة بين الأسماء الموصولة تكاد تكون متقاربة، وإن ظل لكل منها ملامحها الجوهرية المانعة التي تميزها عن غيرها .

وقد تدل (من) على الربط داخل حدود الآية ﴿ هُولَاءِ قَوْمًا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَلْهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيْنَ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ الكهف/١٥ ، وهذا يرى أحد الباحثين أن قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ والمراد هنا (من) الثانية، حيث مثله هي وجعلتها (افتري) عنصرا إشاريا دل على ذات غير معينة، وقد جرت الإحالاة عليه بضمير الغائب المستتر في افتري كذبا على الله تعالى، إذ الآية بمثابة القانون العام، ويدخل فيه قوم الفتية، لكونهم اتخذوا من دون الله ألهة، وتعد الإحالاة هنا من نوع الإحالاة بالعودة على السابق القريب^{٤٣}، ويمكن أن أوجز عناصر الملاحظات فيما يلي :

١- أن تحليله فيما ورد فيه تكرير: حيث مثلت (من) الثانية هي وصلتها عنصرا إشاريا دل على ذات غير معينة، ويكرر هذا القول بصيغة ضمنية فيما يلي ذلك مباشرة بقوله : وهو اسم عام مشترك (الضمير الغائب المستتر) في افتري بعدما ذكر في النص، يشير إلى كل من افترى كذبا على الله تعالى ...

٢- أظهر أن الإحالاة من النوع القريب، ولم يشر إلى من المعني بالشيء القريب .

٣- إذا كان ما ورد في (٢) صحيحا - وهو إن شاء الله صحيح - فإن رؤيته لم تتجاوز حدود نحو الجملة في أن الاسم الموصول، إنما يرتبط بجملة الصلة التي يكون من خلال :

^{٤٣} د. فريد عوض حيدر : اتساق النص في سورة الكهف، ص ٤٣ .

- ٣- الضمير الموجود في جملة الصلة والذي يرتبط بالموصول .
- ٤- جملة الصلة التي تلي الاسم الموصول، إنما هي تفسير لاسم الموصول، ومن خلال هذين المفهومين، مفهوم الضمير الإحالى، والتفسير والتبيين، تقوم العلاقة بينهما .
- ومن يمعن النظر فيما أورده يجد أن جل قضاياه الموضحة، بل كل قضاياه كان معقوداً عليها الآمال في أن تتجاوز حدود " نحو الجملة " إلى ما هو أوسع أفقاً وأرحب تفسيراً، وهو في كل ذلك، إنما يقدم تفسيرات نيرة تكشف جوانب ثرية في إضاءة جوانب من النص القرآني، وتتبدى جوانب " نحو الجملة " فيما أورده، في عدد من المعايير، نبرز جوانبها فيما يلى :
- ١- (من) اسم عام، والمراد هنا (من) الثانية، حيث مثلت هي وصلتها (افتري) عنصراً إشارياً دل على ذات غير معينة وهي رؤية نحو الجملة، وليس له في الأمر شيء، وليس فيها ما يدل على ورودها زيادة على ما أورده النحاة .
 - ٢- سار على نهج " نحو الجملة " في أنه لم يتبع القول فيما أراد أن يشير إليه، واكتفى بما قاله النحاة إنها تحيل إلى لاحق قريب، ولم يكتف " نحو النص " بالإشارة إلى أن الإحاللة إلى قريب أو بعيد، دون أن يحدد المراد، ليتسق المعنى، وإشارته هنا لا تدل على الربط، بقدر ما تدل على التعميم الذي يحاول " نحو النص " أن يخلص منه للولوج إلى رؤية أكثر تحديداً .
 - ٣- لم يحدد دور الضمير في كيفية " الاتساق "، ومن هنا حدث خلل بين العنوان " المرتضى " والتحليل "المبتغي" ، إذ لم يظهر دور الضمير في كيفية سبك النص القرآني، وأحسب أن فصل القول فيما يمكن أن قوله، إن الضمير يربط عن طريق الإحاللة، وهي وظيفة عامة، وقد تكون هذه الإحاللة إلى قريب أو بعيد، إذ تظل هذه الظاهرة شائعة . وخلاصة القول إن رؤية التحليل هنا لم تتعود حدود نحو الجملة، وإنما كان ينبغي أن يصنع ما يلى :
 - ١- لا يسير في نطاق ما ذكره " نحو الجملة " يتجاوز ذلك إلى فضاءات أرحب وتفسيرات مضيئة، تضيف تفسيرات ودلائل جديدة .
 - ٢- كان عليه أن يتبع علاقة الجذور الواردة في الآية وربطها بما هو مساو لها في مواطن أخرى من النص القرآني، سواء كان داخل الآية أم داخل السورة أم خارج السورة

: لاحقاً أم متقدماً، وهنا تتجاوز إلى ربط أوسع دلالة وأكثر دقة، وبناء عليه، تتجاوز رؤيتها حدود الجملة أو حدود الآية أو السورة .

٤/ . الوظائف الإحالية لأسماء موصولة أخرى ودورها في تماسك النص :

لا ريب أن هذه الأسماء فيما بينها ليست واحدة من حيث الوظيفة والاستعمال، وإذا كنا قد أشرنا إلى العناصر الفاعلة فيها فيما سلف بيانه، فإن العناصر هنا، ليست كالتي مضت، وذلك من خلال عدد من الركائز الأساسية، نظهر جوانبها كالتالي :

١- أن عدد ورودها في النص القرآني يمثل مواضع محددة، لا تكاد ترقى إلى تلك التي أشرنا إلى قواعدها (الذين، الذي، التي) واعتبار التردد، وإن كان ليس له دور فعلي في إظهار جوانب الإحالات، إلا أن عليه معول كبير في إظهارها كعنصر له قيمته في البنية اللغوية (بنية السطح) .

٢- وهو ما يبدو متربعاً على الأول، من حيث إن قلة التردد في القرآن تتعكس على الوظائف الإحالية لهذه الأسماء، فتكاد تنحصر في عملية الربط الإحالى فقط، وعلى العكس من ذلك، رأينا أن وفرة الأنماط أدت إلى ثرائهما وظيفياً، وبالتالي يمكن أن نخلص إلى أن :

كثرة الأنماط ← الثراء الوظيفي والإحالى (الذين، الذي، التي ...) .

قلة الأنماط ← فقر في الوظيفة الإحالية (من ، ما) .

فإذا احتسبنا هذه قاعدة في النص القرآني، فيجب أن نحترز من (ما) العاملة عمل (الذي) مع وفرة أنماطها، إلا أن عملها ظل داخل حدود الآية، وهو الربط والمقارنة بين جملتين في دائرة محددة / ضيق، ونحاول هنا أن نظهر الملاحظات الواردة عاليه في السطور التالية، إن شاء الله .

٤/١: **الذان ، الذين :**

لم ترد في القرآن إلا في موضعين :

١- النساء/١٦ «**وَالْذَّانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَأَذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَاغْرِضُوهُمَا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ ثَوَابًا رَحِيمًا**» .

٢- فصلت/٢٩ «**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَضْلَلْنَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسَنِ نَجْعَلْهُمَا ظَاهِرَاتٍ لِيَكُونُوا مِنَ الْأَسْفَلِينَ**» .

فإذا نظرنا إلى البنية اللغوية في كلتا سورتين، تبين :

١- أن كلاً منها تأتي في إطار حديث للكافرين، وإن ورد في سورة النساء (والذان يأتينها) والضمير راجع إلى «وَاللَّذِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نُسَاءِكُمْ...»/١٥، وأحسب أن الذين يأتين الفاحشة، تقع ضمن الجذر الدلالي الذي يندرج في إطار الجزء الأساسي (الكافرون) في حين يأتي الحديث في سورة فصلت بالجذر الأصلي (وقال الذين كفروا) إذا السياق واحد، وإن اختلفت الآليات المؤدية إليه .

٢- أن كلاً منها في إطار وصف للكافرين، وهو وصف لهم في النار، ويوم الحساب، ويستغرق مساحة طويلة تبدأ من الآية ٢٩ : ١٩، ويتناول الخطاب مما بين حديثهم مع أنفسهم «وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ شَهَدْنَا عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقُكُمْ أَوْلَ مَرَّةً وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» ثم أسباب هذا العذاب «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنَ وَالْغُوَّا فِيهِ لَعْنَكُمْ تَعْلَيُونَ»/٢٦، ثم النتيجة مباشرة، إذ تقع ضمن بيان كلي داخل السورة، يستغرق تسع آيات كلها تبين كيفية تقسيم الميراث في حالات مختلفة، ثم يأتي وصفها، ومن يعص الله بإن لا يمثل بما جاء (يُذْخِلُهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ)/١٤ ، هذا كله في حالة إذا كان الأبناء شرعاً، وحينما انتهى من الأولى جاء الحديث عن الأبناء غير الشرعيين، وأنهم ليس لهم الحق في الميراث .

وفي الموضعين، نلاحظ المقابلة بين طائفتين لا يجد القرآن حرجاً في وصفهما بصور شتى، ابتداء من الآية ١٧ / النساء وفيما تلا ذلك مباشرة، وفي فصلت/ ٣٠ «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا شَتَّى نَزَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَابْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ» ومن هنا، فإن (الذان والذين) يأتيان كأسماء موصولة تربط وتصف ما هو داخل حدود الآية، وتأتي في إطار كلي، يضم عدداً من الأسماء الموصولة الرئيسية في كلتا الحالتين كما في (الذين) .

٤/٢: اللتان/ اللتين، الآتي، الآلاء :

لم يرد لها شيء في القرآن الكريم .

٤/٣ : اللاتي، واللاتي دورهما في تماسك بنية النص :

١/٣ : اللاتي :

وردت في القرآن الكريم في سبع مواضعٍ، وزعت كالتالي :

النساء (٥) مواضع، ويوسف والأحزاب كل منها مرة واحدة، ويقرر هذا الاستخلاص أن (اللاتي) خاصة بجمع النساء، وهذه دلالة تكرارها في النساء، لمعالجة القضايا المتعلقة بهنَّ، والأمر كذلك مع المجادلة والطلاق، حيث وردتا في سياق خاص بهنَّ أيضاً، هذا تصوراً أولياً .

وبناءً عليه، فإن رؤية النحاة فيها نظر، إذ أشاروا إلى أن هذه الموصولات تقع للعساقل وغير العاقل^٤، وبالتالي تمثل هذه الرؤية مفارقة لما توصل إليه النحاة في القرآن الكريم على الأقل .

إلا أن تقديم هذه العناصر الموصولة هنا لجوانب الربط تعد فيما أحسب تصورات نحو الجملة؛ وقد ساعد ذلك وجودها داخل إطار وصف، وبالتالي يأتي الوصف باستخدام عناصر لغوية وغير لغوية، فالعناصر اللغوية كالربط بـ "الواو" بين أكثر من آية؛ لأن الوصف جوانبه لم تنته بعد، كل ذلك داخل إطار شبكة من العلاقات الحاكمة لهذه العناصر.

وقد جاءت (اللاتي) كعنصر من هذه العناصر، التي يستكمل بها الحق سبحانه الفريق الآخر، وهو الأبناء غير الشرعيين، مقابل الأبناء الشرعيين، الذي جاء وصف ميراثهم، أما أولئك فلا ميراث لهم، وبالتالي يظهر عنصر المقابلة داخل القضية الواحدة، وهي مقابلة صغرى، أي داخل عناصر القصة الواحدة، وتتمثل (اللاتي) مع أحداث القضية المستارة ثمرة مقابلة أخرى أوسع من أولئك الذين يتوبون **﴿إِنَّمَا التُّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمًا﴾ النساء/١٧**.

ونلاحظ أن المواقع التي وردت فيها (اللاتي) في النص القرآني، أنها تأتي بصفة عامة ضمن إطار حديث عن قضية ما، وكيفية العلاج ووصفها، وبالتالي أدت هذه الرؤية

* أشير إلى موضع الورود في القرآن، نظراً لقلة الأنماط وأن ذكرها لن يؤثر على الهيكل العام للبحث ، النساء/١٥، ٢٣، ٣٤، ٦٠، ١٢٧. يوسف/٥٠ ، الأحزاب/٥٠ .

^٤ ابن عييش : شرح المفصل ٣ / ١٤٤ : ١٥٠ ، عباس حسن : النحو الوفي/١ / ٣٤٦ .

أن تطول مثل هذه الموضع بعض الشيء مقارنة بما يسبقه وبما يلحقه، وتدل الموضع المشار إليها أعلاه على صدق تلك الرؤية، ولهذا فإن الوظيفة الإحالية لـ (اللاتي) تأتي داخل حدود الآية، وقد تحيل إلى بعض الموضع خارج نطاق الآية، هذا ملحوظ أولى .

غير أن ثمة ملحوظا آخر يتعلق بتلك الإحالة الضمنية / الترافقية، أنها لا تحيل بشكل مباشر، وإنما من خلال أن الاسم قد ذكر في موضع آخر من النص سابق أو لاحق، ومن ثم فالإحالات :

- إحالة صريحة (مباشرة) .
- إحالة ضمنية (غير مباشرة) .

- استعمال أدوات الربط بين جملتين أو أكثر تربط بين أجزاء النص الواحد، ويحدث تمسكاً على مستوى بنية السطح وبنية العمق، ومن خلال هذه العناصر تتبدى فئات الوظيفة الإحالية لـ (اللاتي) التي تعمل على سبك البنية اللغوية، والتي يترتب عليها التماسك الكلي .

وعلى هذا، فإن وجود المقاربة واضحة بين (ما) و (اللاتي) من ناحية، في مقابل الأسماء الموصولة الأخرى (الذين ، الذي ، التي ، من) التي تمثل العناصر الأساسية، كما وردت الإشارة إلى ذلك من ناحية أخرى .

وربما تمثل هذه المفارقة المباشرة بين الطائفتين، وعلى الرغم من ذلك، فإن ثمة موضع عدة وردت فيها (الذين ، الذي ، التي ، من) تعمل عمل (ما ، اللاتي ، اللاتي)، ولهذا فإنها تشتراك معها في وظيفة، وتزيد الطائفية الأساسية من الأسماء الموصولة عن الطائفة الثانوية في وظائف عدة أساسية، أشرنا إليها في موضع سابق .

إذا كان النهاة قد أشاروا إلى أن هذه الموصولات تقع للعاقل وغير العاقل^{٤٥}، إلا أننيلاحظ أنها لم ترد إلا مع جمع المؤنث للعاقلات في جميع مواضعها هنا، وبالتالي تمثل هذه الرؤية مفارقة لرؤيه النهاة في نحو النص القرآني دون غيره .

إلا أن تقديمها لجوانب الربط تعدد حدود نحو الجملة، أي الربط بين الموصول والصلة من ناحية أو ربط جملتين بالإضافة إلى عناصر لغوية أخرى في الربط بين أكثر من جملة، ففي قوله تعالى « وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ فَادْعُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَاعْزِضُوا

^{٤٥} ابن يعيش : شرح المفصل ٣ / ١٤٤ : ١٥٠ ، عباس حسن : النحو الوفي ٣٤٦/١ .

عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَابًا رَّحِيمًا » النساء/١٥ ، هذه الآية عقب الحديث المفصل من الحق سبحانه في كيفية توزيع المراتب بداية من الآية/١١، ١٢ « يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِكُرِ مِثْلُ حَظِّ الْأَتْيَتِينَ ...» وجاء العطف بالواو ليس ربطاً بين جملتين، وإنما بين الآيتين . ١٢، ١١

وتمثل الآية/١٢ إحالة عن طريق الوصف لما هو وارد في الآيتين السابقتين مباشرة، ولم يقتصر على ذلك، وإنما جاءت المقابلة من خلال "من" الموصولة التي فيها رائحة الشرط، لتعقد مقارنة بين طاعة الله ورسوله ومعصيته ونتيجة ذلك، ففي حالة الطاعة تأتي النتيجة بادخال الجنات، ثم وصف هذه الجنات بأن لها أنهاراً تجري من تحتها، ليس هذا فحسب، وإنما الحياة فيها خلود بلا موت (خالدين) والوصف باسم الفاعل يفيد الثبات كما قال **البلاغيون**^٤ ، أما حالة المعصية يدخله ناراً خالداً فيها .

ثم جاء عطف الثاني (الآية/١٥) على الآية السابقة، على الرغم من كون العلاقة ليست بادية، إلا أن ثمة علاقة يتدخل في السياق العام، وهو عصيان الله وتعدي حدوده في حالة عدم تقسيم الميراث، حسب ما جاء في الآيات؛ لأن في كل تعدي لحدود الله، ودليل هذه العلاقة، أن الحق جل وعلا، لم يذكر عقوبة مرتکبها في الآخرة، اكتفاء بما هو وارد في الآية السابقة مباشرة/١٤ (يُذْخِلُهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ)، حتى الآية التالية لذلك (١٦)، لم يذكر عقوبتها اكتفاء بما هو وارد في الآية السابقة/١٤، واكتفى بذكر عقوبة الدنيا « وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ قَاتُلُوهُمَا فَإِنْ تَأْبَا وَأَصْلَحَا فَأَغْرِضُنَا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَابًا رَّحِيمًا » وترتبط هذه الآية بما قبلها بعلاقة المشاكلة اللفظية، وتتمثل في لفظين في هذه الآية، الأول: (متابا)، والثاني (توابا)، وفي كلتا الحالتين يرتبط بلفظ "التوبة" الوارد في الآية التالية/١٧، إلا أن لهذه الألفاظ مقاربة دلالية نشير إليها كالتالي :

إن ذكر الحق سبحانه بأنه : تواب رحيم، يناسب السياق اللغوي، حيث يدور الحديث عن التوبة، وأن من عاد، فإن الله تواب رحيم، غير أن التوبة في آية/١٧، إنما تعود على توبه العباد، وبالتالي فال الأولى المتعلقة بتوبه العباد، والثانية وصفه سبحانه وتعالى بالتوبة تناسب العباد، ومما يؤيد ما أذهب إليه قوله سبحانه « إِنَّمَا التُّوبَةُ عَلَى اللَّهِ

٤ عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ص ١٣٣ .

القرزياني : الإيضاح في علوم البلاغة ٨٧ / ١ .

د. فاضل صالح السامرائي : معاني الأبنية في العربية ص ٩ .

لَذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلَيْهَا حَكِيمًا / ١٧، وهكذا ترتبط هذه الآية / ١٧ بما هو قبلها من الآيات بما يلي :

- وحدة الموضوع، إذ الموضوع كله عن ي تعد حدود الله، ومن يعصه، ثم يتوب الله عليه.
- إن (إنما) للفصر والتخصيص، إنما تدل على أنها ترتبط بجملة قبلها، وليس معزولة عما يليها .

- ترتبط هذه الآية بما قبلها بالتأصيل / الوصف الذي تدل عليه " **فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلَيْهَا حَكِيمًا** / ١٧ ، فهي نتيجة لما هو وارد في الآية / ١٦ ، ١٧ واحدة بوحدة . ومما يدعم هذا الطرح أنه في الآية / ١٨ تأتي النتيجة في ذات الآية **«أُولَئِكَ اعْدَنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا»**، وتقع الآية / ١٨ في علاقات تشابك مع ما قبلها من خلال عدد من الأمور :

- ١- وحدة الموضوع، وقد أبنت عن ذلك .

٢- علاقة الربط القائمة بينها وبين الجملة السابقة باستعمال (الواو) .

٣- تعد الآية / ١٨ جملة استثناء للآية الواردة قبلها، وبالتالي يكون المعنى، وليس التوبة للذين يعملون السيئات إنما التوبة على الذين يعملونسوء بجهالة .

ثم يأتي في الآية / ١٩ الحديث عن عدم ورث النساء كرها والمعاشرة بالمعرفة للازواج الخ هذه القضايا الاجتماعية، ولا ريب أن عدم فعل هذه الأوامر، إنما يوقع الإنسان في دائرة : من يعص الله، ومن ي تعد حدود الله، والعلاقة بينهما وبين الآيات السابقة بادية، إلا أنها على استحياء يحيط بها سياج من العلاقات المتشابكة، وهي تحتاج إلى من يرجع البصر فيها مرة تلو الأخرى؛ لينقلب هذا التفكير والتركيز عن أشياء - على الرغم من أنها موجودة - غير أنها خافية على من يمر عليها مروراً عابراً، أما من يمعن النظر فتكتشف له جوانب دلالية وعلاقات متداخلة تجمع أوصاف هذه الآيات بعضها ببعض، إذ لا يمكن الجزم بأن هذه العناصر تعمل منفردة داخل وحدة النص، وإنما تتضاد بجانب عناصر لغوية وغير لغوية أخرى تساعدها على التماسك مع ما يسبقها وما يلحق بها من آيات، ويمكن أن أبرز هذه الجوانب على النحو التالي :

- ١- عناصر لغوية مثل (حروف العطف : ثم، الفاء، أو أمّا ... الخ) .
- ٢- الربط عن طريق التفسير المعجمي؛ بمعنى أن تكون جملة الصلة تفسيراً لما هو وارد في الآية السابقة لها مباشرة، أو استدراكاً لما هو وارد قبلها (كما بينا في الآيات الماضية).

٣- السرط من خلال أن الموضوع عام لكلتا القضيتين، يمكن أن يكون واحداً، على الرغم من وضوحيه من أنهما ينتميان إلى قضيتين مختلفتين، أعني أن موضوعهما يكون واحداً في إطاره العام (وقد أبنا عن ذلك فيما ورد عليه) .

٤/٤ : " ما " ودورها في تماسك النص القرآني :

حاولت استقراء المواقف التي وردت فيها (ما) كاسم موصول في القرآن الكريم، فوجدتها كثيرة، ولم أشا أن أحصيها؛ لأنها لن تقدم شيئاً بهم جوانب المعالجة وتبيّن إظهار الوظائف الإحالية في النص القرآني، غير أنني وجدت - في تتبع النصوص - أن (ما) ليس لها إلا وظيفة واحدة، تأخذ شكلاً يكاد يكون واحداً، على الرغم من اختلاف السياقات المختلفة، وهي تربط بين جملتين داخل إطار الآية الواحدة، ولما وجدتها كذلك فسي كل المواقف، لم أشا أن أعرض لها، ومن يشاء فليرجع إلى مواضعها في القرآن الكريم، وهي تدل دلالة واضحة على صدق ما ذهب إليه .

غير أن الملاحظ أنها ليست جميعاً جملة صلة، أو اسم موصول، فهي نافية مرة، وأخرى استفهامية، وثالثة موصولة ... الخ، وهكذا تنوع دلالتها القائمة على أساسها، وهكذا نلاحظ أنها تأتي في سياقاتها القرآنية على النحو التالي :

١- ما - رابطة بين جملتين (في آية واحدة) :

*من ← موصولة ، يأتي خلفها وصف ← ثم نتيجة (أولنك) في آية واحدة (النساء/٤٨) .

*من (شرطية) يأتي خلفها وصف ← ثم نتيجة (جواب الشرط) في آية واحدة .

٢- ما ← وصف ← نتيجة في آية تالية (أولنك) (آل عمران/١٩٩، النساء/١٦٢) .

٣- من/ ما ← وصف نتيجة داخل الآية، بدون استعمال (أولنك)، التوبة/٩٩، ٩٨ ونلاحظ أن " ما " عندما تكرر في آية واحدة، ندرك مغزاها من خلال تتبع مقارنة النصوص القرآنية، وهي المقابلة، كما في إبراهيم/٢ « اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ » وإبراهيم/٣٨ « رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا تُخْفِي وَمَا

لُعْنٌ وَمَا يَخْفِي عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاوَاتِ》 مثلاً^٦ ، إلا أن ثمة قضية تحتاج إلى إثارة وجيزة، أعرض لها كالتالي، ففي قوله تعالى «لِيَأْكُلُوا مِنْ ثُمَرِهِ وَمَا عَمِلْتُهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ» يس / ٣٥ .

وتتمثل المشكلة في إعراب ما فوق الخط (وما) ، فـ " نحو الجملة " لا يمنع أن تعرب (ما) اسمًا موصولاً، وفي هذه الحالة تكون " الواو " عاطفة، غير أن ثمة رأيا آخر مفاده أن (ما) تكون نافية، وبالتالي فإن (الواو) للحال، على اعتبار أنها موصولة، يكون المعنى ليأكلوا من ثمره الذي عملته أيديهم، وعلى أساس أن (ما) نافية ليأكلوا من ثمره ومما لم تعمله أيديهم، وهذا الرأي الأرجح، على اعتبار أن الأكل مما لم تعمل الأيدي، أدعى إلى الشكر مما تعلمه اليد، وذلك مأخذ من قوله : أَفَلَا تَشْكُرُونَ ، توكيدا على هذا الرأي ^٧ .

٤/٥ : (مَا) ودورها في تماسك النص :

لا ريب أن تصورات النحاة حول جملة الأسماء الموصولة تجعل (ذا) مع (ما) الاستفهامية، وتبين مما هو وارد في النص القرآني أن (ذا) الموصولة والمرتبطة بـ (ما) الاستفهامية، قد وردت في عدد من الآيات (٢٠) موضعاً .

و واضح أن رؤية النحاة حول جعل (ذا) مع (ما) الاستفهامية تجعل القارئ في حيرة ، وأنى لنا – والحال ما سبق بيانه – أن نستشرف آفاق (مَا) ورؤية النحاة حول ذلك لا توحى بعظمة المسئولية الملقاة على (ذا) مع (ما) الاستفهامية، وتعتبر هذه الرؤية بما يلي بيانه :

- ١- أن ورود (ذا) مع (ما) الاستفهامية في النص القرآني، لم ترد بشكل كبير .
- ٢- وإذا كنا لم نغول على عدد الورود، فالأجدر والأولى أن نغول على الاستعمال، ونخلص مما هو في السياقات الخاصة بـ (ذا) و (ما) الاستفهامية، أنها ليس فيها ما يحيل إلى (ذا) ، وبالتالي فإنها تفتقد إلى صلة لهذا الموصول، وعلى هذا، فإن استخلاص العناصر الفاعلة التي تقوم بها (ذا) في انجذاب وانسياق بنية النص، تبدو فقيرة مقارنة بالأسماء

* ينظر مواضع أخرى من النص القرآني : النحل / ١٩ ، طه / ٢٣ ، ٩ / ١١٠ ، ١١١ . الحج / ١٢ ، النور / ٣١ على سبيل المثال لا الحصر .

⁷ ينظر حول هذه الجزئية د. تمام حسان : نحو الجملة ونحو النص ص ٩ .

الموصولة الأخرى، إذ لم يمكن استخلاص عناصر فاعلة لها، إلا على مستوى الجملة وداخل حدود الآية، بل الجزء من الآية الواحدة .

وبين من هذا أن السمات الوظيفية لـ (ذا) مع (ما) الاستفهامية، هي السمات ذاتها مع (ما) في أن عملها لا يتعذر حدود الآية الواحدة، وهذا من شأنه أن يقلص من ورودها، بالإضافة إلى أنها لم تجد لها وظائف أخرى – من خلال تتبع النصوص الواردة فيها – إلا ما ذكرت .

٦/٤ : (أي) ودورها في تماسك النص :

نخلص من خلال نصوصها المذكورة في القرآن الكريم : أنها وردت في مواضع لا تقل عمما ورد لـ (ذا) مع (ما) الاستفهامية، وربما تكون أكثر، بيد أن المعول عندنا ليس بكثرة التردد، بقدر ما نعول على الوظائف التي تقدمها، وليس مرادا بما سبق أن نقل من أهميتها، وأن هذه الوظائف لـ (الذين، الذي، التي، من) حاضرة جميعها هنا، وإنما المراد بهذه النصوص تمثيلاً جيداً لهذه الظاهرات مجتمعة .

ونتوصل مما سبق أن عدداً من الملحوظ في تصوري على جانب كبير من الخطير من جهتين، الأولى : أن وظيفة النصوص التي وردت فيها (أي) ، لم تتجاوز حدود الجملة، وهي تعطي تصوراً واضحاً يمكن أن نخلص إليه . الثانية : أن الوظيفة الأولى تجعلها تشترك (أو تتساوى) مع كل من : ما ، ماذما ، من، وبالتالي يبدو تقسيمي البادي في صدر البحث أن هذه الأسماء من حيث العمل والأهمية ليس شيئاً واحداً، وليس مراداً بما سبق أن تكون هذه العلل حاضرة في جميعها بدرجات متساوية، وإنما تمثل تمثيلاً جيداً.

ومن ثم فليس جديراً بالنظر أن تُحمل هذه الأدوات على عواهنها، وإنما الأجرد أن تستقر في مظانها، وأنها كانت حقيقة أنه تستتب بذرتها وتحظى بالرعاية، والسدقة، بدلاً من تركها تؤخذ على علتها، خاصة أن السياقات اللغوية وغير اللغوية، ربما تنتاج قواعد تشد عن القاعدة، وهو ما أطلق عليه في " نحو الجملة " بـ الاطراد، أي اطراد القاعدة والمعيارية^{١٨} .

^{١٨} ينظر د. تمام حسان : نحو الجملة ونحو النص ص ١، وينظر نقد د. سعد مصلوح لرؤيه د. تمام في : المذهب النحوي عند تمام حسان من نحو الجملة إلى نحو النص ص ٧.

ويتحصل مما سبق بيانه في البحث أن الصيغة التي اقترحها في صدر البحث من تجزئة الأسماء الموصولة، وجعلها في فنات ثلاث لرؤية جديرة بالنظر وأخذها في الاعتبار، والرأي عندي أنه لا حجة فيما أورده النها على أنه قول فعل، وإنما ينبغي أن نرجع فيه البصر، ونديم فيه النظر، ونوسّع الدائرة فيما ورد في التراث العربي من مادة يمكن أن تستثمر الاستثمار الأمثل، وليس كل حصيلتهم، يدرج في إطار " نحو الجملة " خاصة إشارات المفسرين التي تعدد في أحابين كثيرة قواعد النها، وتجاوزت - بناء على الاستعمالات الفعلية - حدود ما قُدِّم له النها، وضرروا في مواضع عدة بقواعد النها عرض الحانط، هذه الإشارات، هي التي ينبغي أن تؤخذ بعين الفحص والدرس؛ ليتناسخ الموروث القديم والواحد المعاصر في جسد المثافة الحديثة .

٥/ رسم تخطيطي لنموذج الاحالة خاص بالاسم الموصول :

١/ السمات المميزة للإحالات :

نشير إلى أن جوانب التحليل تعتمد على إمكانيتين في غاية الأهمية، وإن كانتا تنتهيان إلى جوانب تحليلية مختلفة :

- ١- تقديم الدلالة الجزئية في النص، ويعتمد ذلك على العلاقات القائمة بين الجمل والاستبدال اللغظي، ويمثل ذلك الجمل في علاقات بعضها ببعض، وأن هذه الروية لا تتجاوز حدود نحو الجملة.
- ٢- تقديم تفسير للدلائل العامة، من خلال المفارقات القائمة بين السياقات، على الرغم مما يبدو من تشابه بادي، ومن ثم يظهر أن هذه النظرة أوسع مما هي في النقطة السابقة، وأن التصورات تمثل روية نحو النص، والملحوظ السابق يمثل تصورات نحو الجملة، وينبغي أن نشير إلى أن التحليل في هذا البحث يعتمد الإمكانيتين معاً، ومن ثم يفيد من تصورات نحو الجملة ولا يرفضه ويوسّع من دائرة البحث فيه، فيما يمكن أن يمثل تصورات نحو النص، وهكذا تتبدى روى جديدة، ربما لم تخطر في ذهن منتج النص .

ونؤكد أن اعتمادنا العنصريين السابقين الذكر، إنما يشيران إلى أن عناصر التحليل النصي، لا يمكن بأية حال من الأحوال أن ترفض نحو الجملة، وإنما تنطلق منه، وتتوسّع فيه لتقديم جوانب مضيئة لإثراء تفسير النص .

وإذا كانت الوظائف الإحالية متعددة ومختلفة بتنوع السياقات، فإن هذا الاختلاف ينبع عنه اختلاف آخر، وهو يكمن في بنية الإهالة . وتتجذر الإشارة إلى أن الإحالات لاسم الموصول تأتي في إطار نوعين :

١ - الإهالة الصرحية : وتمثل الإهالة الأساسية التي يأتي عليها الاسم الموصول، في إحالتها إلى ما هو سابق أو لاحق بشكل صريح ومحدد .

٢ - الإهالة الضمنية : وهي أقل من الأولى في الاستعمال القرآني، وتأتي من خلال نوعين:

أ - الإهالة إلى ما هو خارج النص، وهي خاصة بالذات العلية (لفظ الجلالة) .

ب - الإهالة بالضمائر (ضمائر الفاعلية والمفعولية ... الخ)، وهي تعمل :

- داخل حدود الآية، فتعمل على تماسك الآية من خلال تكثيف الروابط والتركيز عليها . -
خارج حدود الآية، بإعادة هذه الأفعال أو الصفات إلى المركز الأساسي المحيل إليه ، وهذا نود إبراز السمات الأساسية الجامعة على النحو التالي :

يعني هذا الرمز إهالة، فإذا كانت الأسماء الموصولة من المبهمات،
وبالتالي فإنها لا تكتسب معناها إلا من خلال وجودها داخل جملة على
الأقل، وتمثل السمة الأساسية لكل عنصر موصولي على الإطلاق،
إضافة إلى العنصر المفهومي كالمقارنة المقابلة والتفسير... الخ،
وبالتالي فهي الوظيفة العامة لاسم الموصول .

ويتبين أن أشير إلى أن ترتيب هذه الرموز والمصطلحات، إنما جاء
تبعاً لأهميتها ومدى انتشارها في النص، ومن هنا، فإن المقدم هو
الأهم، يليه ما هو أقل أهمية .

نقصد بها الإهالة المعجمية، وتشترك فيها كل من : الذين، الذي، التي،
من، وتأتي من خلال شكلين :

الأول : خارج حدود الآية، وهي تحيل دائماً إلى عنصر محدد أو كلمة
أو وصف في آية أو اثنتين أو ثلاث، وقد يتجاوز ذلك في بعض
المواضع .

الثاني : الإهالة بالمقابلة، وتأتي مع اسم الموصول مثل : الذين، الذي،

ح

ح . م

(ح . م)

(ح . ق)

التي، من، وبالتالي فإن هذه السمة أقل شيوعاً من الإحالات المعجمية من حيث ورودها في ثلاثة أسماء موصولة، في مقابل أربعة أسماء موصولة في الإحالات المعجمية، وهذه الإحالات تأتي في أشكال عدّة ومختلفة على النحو التالي

(ح . ق . م) إ حالـة مقارنة باسـتخدام (إما)، وتشترك فيها : الذين، من، ومن ثم فهي أخص، وتأتي من خلال :

(ح . ق . م . د) داخـل حدود الآيـة .

(ح . ق . م) (ح . ق . م . خ)

إحالـة مقارنة من خـلال (إما) أو (اماً) خـارج حدود الآيـة، وهي وما قبلها، تأتي بشـكل يـكاد يكون متـقارباً من خـلال الاسم المـوصـول . وبناء عليهـ، يمكن استـخلاص أنـ : الذين، من، تعدان اسـمين مـوصـولـين اسـاسـيين في الأـسـماء مـوصـولـة في قضـية الوظـائـف الإـحالـية لـلـأـسـماء المـوصـولـة .

(ح . ق . ب . م) إحالـة مقارنة بدون (إما أو إماً)، وتمـثل هـذه سـمة اسـاسـية في النـص القرـآنـي، وهي عنـصر دـلـالـي (Kohärenz)، تـعمل من خـلال :

(ح . ق . ب . م . د) إحالـة مقارنة بدون استـعمال (إما أو إماً) داخـل حدود الآيـة .

(ح . ق . ب . م . خ) إحالـة مقارنة بدون استـعمال (إما أو إماً) خـارج حدود الآيـة ونـلاحظ من خـلال تـتبع النـصـوص، أنها جاءـت تـراوـح بين الإـحالـتين، حتى نـكـاد نـقـول إنـهما يـمـثـلـان سـمة متـقارـبة من حيث الـورـود .

(ح . ق . ك) إحالـة مقارنة باستـعمال (لكـنـ)، وتـأتي فـقط مع (الـذـينـ)، وهي أقل أنـواع الإـحالـة بالـمقارـنة، من حيث الـكمـ والـكـيفـ عـلـى السـواـءـ .

(ح . ق . ذ . ن) إحالـة مقـابـلة بـيـنـ (الـذـينـ) وـ(منـ)، وهي ليست مـثـلـ الإـحالـةـ بـالـمقـابـلةـ بدون (إما أو إماً) فـانتـشارـها يـعـدـ أـقـلـ، لكنـ لـيـسـ بـالـمقـابـلةـ بــ(ـلـكـنــ)، غـيرـ أنها رـبـما تـزـيدـ قـليـلاـ .

(م) : (ما) علىـ السـرـغـمـ منـ كـونـها تـؤـديـ معـنىـ "ـالـذـيـ"ـ، إلاـ أنـها لاـ تـقـومـ بـوـظـائـفـهاـ وـتـدلـ المـقارـنةـ بـيـنـ الـوـظـائـفـ الإـحالـيةـ لــ(ـالـذـيـ)ـ وـ(ـماـ)ـ عـلـىـ تـحـقـقـ ذـلـكـ، إـذـ لاـ تـحـيلـ إـلـاـ لـماـ هوـ دـاخـلـ الآيـةـ فـقطـ، وـتـعـدـ بـذـكـ أـقـلـ الـأـسـماءـ مـوصـولـةـ منـ حيثـ الـوـظـائـفـ الإـحالـيةـ .

٢/٥ : تقسيم الأبنية وإحالاتها في النص القرآني :

بنية جديدة : (ب . ح) وهي البنية التي تأتي لأول مرة في موضعها، ويحيل إليها الاسم الموصول إحاله مباشرة، سواء أكانت موجودة أم محفوظة .

بنية غير جديدة (ب.غ.ج) وتمثل البنية التي يقع عليها الاسم بطريقة غير مباشرة، والتي يمكن أن تحال في النص بطريق غير مباشر، والتي يمكن أن تحال في النص بشكل ضمني .

متطابق (ت) هنا يوجد للاسم اسم آخر يسبقه أو يلحقه في النص، ويحال عليه الشيء نفسه بطريق مباشر أو غير مباشر .

غير متطابق (غ. ت) هنا يوجد للاسم اسم آخر مماثل له (مطابق له)، يمكن أن يسبقه أو يلحقه في النص .

محدد (ح) هنا ينبغي للمتحدث تحديد الموضوع، الذي يمكن أن يحال إليه الاسم بطريقة مباشرة .

غير محدد (غ . ح) لا يمكن للمتحدث أن يحدد الموضوع الذي يحيل إليه الاسم بشكل مباشر .

عام (ع) أن الاسم لا يؤدي مباشرة إلى الإحاله الضمنية، ولا يقوم على موضوع محدد منه .

خاص (خ) لا يؤدي الاسم إلى الإحاله مباشرة، ولا يقوم على خاصية محددة. يوجد بجانب الغنر الإحالى عنصر مفهومي آخر كالمقابلة بين المؤمنين والكافرين، وله دور في تماسك النص، ويدعم الإحاله ويفويها .

غير تقابلـي (غ . ق) يحـيل اسـم المـوصـول إـحالـة وـاحـدة بـدون وجـود المـقاـبـلة بــين الآـيـات .

معروف(ف) هنا يفترض المتحدث أن البنية التي يحال إليها الاسم بطريقة مباشرة معروفة للسامع، ذلك أن المتكلم يفترض أن هذا الموضوع معروف للمتلقى .

مجهول(هـ)

هنا يفترض المحدث أن الموضوع الذي يمكن أن يحال إليه الاسم بطريقة مباشرة ليس معروفاً للسامع، ومعنى ذلك أن المحدث يعرف هذا الموضوع ولا يمكن تحديده أو معرفته عن طريق التلقي، وبالتالي ربما يحتاج إلى أسباب النزول أو السياق المقامي .

محدد بشكل مباشر(مـ) حيث إن المحدث يفترض أن الموضوع الذي يحال عليه الاسم مباشرة يمكن أن يُعرف أو يحدد مباشرة من المتنقي/ المستمع .
شـ. بـ)

غير محدد بشكل غير محدد حيث يفترض أن الموضوع الذي يحال إليه الاسم غير محدد بطريقة مباشرة المتنقي
مباشر(غـ. مـ. شـ)

٣/٥ : محدد النص : Textmark

يعتمد هذا العنصر على العنصر السابق (السمات المميزة للإحالة)، ومن ثم يكون تنظيمًا وتوضيحاً له، وهكذا تتجلى العلاقة بينهما .

ونقصد بـ "محدد النص" السمات الجوهرية التي تقوم عليها الإحالة في المطلب السابق، ويمثل النص سمة دلالية مهمة، يؤدي إلى تفصيلات دقيقة، تظهر جوانبه وتحدد قضياته، وعلى أية حال، فإن محدد النص يختلف باختلاف النصوص، إذ يمثل "محدد النص" عناصر قد تتفق أو تختلف مع نصوص أدبية أخرى، وبالتالي فإن استنتاج محدد النص، يعتمد بشكل أولي على استنباط السمات العامة للإحالة في النصوص المختلفة . وإذا كان نعتمد النص القرآني كمادة تحتاج إلى تحليل، ونحتسبة نصاً واحداً، رغم كونه حاصل سياقات عدة تتبع ما بين :

- ١- النصوص الحوارية : ويمثلها حديث موسى مع الحق سبحانه، أو حديث موسى مع الرجل الصالح، أو حديث المرسلين مع قومهم، وحديث الكافرين مع خازن النار (مالك) .
- ٢- نصوص خاصة بالمستقبل (حوارات فردية – متوجهة إلى الخارج) وتمثلها نصوص الدعاء : ربنا اغفر لنا ذنبينا وكفر عنا سيناتنا ... لا تؤاخذنا إن نسيينا أو أخطأنا ... الخ .
- ٣- نصوص حوارية خاصة بالمرسل (حوارية فردية، متوجهة إلى الداخل) وتمثلها النصوص القرآنية، الأوامر والنواهي، وهي تمثل قاعدة النص في القرآن الكريم – حسب

رؤى الفقهاء - : أ فعل أولاً تفعل، وبالتالي شغلت حيزاً مرموقاً منه، وقد أدى هذا الملاحظ إلى جملة من التصورات نسقها كالتالي :

أ - أن الفقهاء في علم الأصول، أدركوا ذلك، فحظي بباب الأمر والنهي بمساحة لا يأس بها.

ب - أن المحدثين لاحظوا هذا الاهتمام في القرآن الكريم من ناحية، وتركيز الفقهاء من ناحية ثانية، فادى بهم إلى تخصيص دراسات في هذا الاتجاه، وجاء هذا الاهتمام من خلال طائفتين :

الأولى : دراسة الفقهاء الأصوليين، إذ خصصوا جزءاً كبيراً من أبحاثهم فيما يتعلق بقضية الأمر والنهي، وتدل الدراسات التي لا داعي لذكرها هنا على ذلك .

الثانية : دراسة اللغويين، وقد أدى البحث في القرآن الكريم إلى معالجة مثل هذه القضايا من الناحية الدلالية، والدراسات في هذا المجال، لا تقل أهمية من حيث الكم والكيف، مما هو قائم في الطائفة الأولى .

٤- النصوص الوصفية (متوجهة إلى وصف فعل خاص بالمستقبل) :

أ - نصوص وصفية خاصة بالمقابلة : تمثل سمة بارزة في النص القرآني، من حيث جزاء المؤمن وعقاب الكافر، وتأتي هذه النصوص في أشكال شتى ومتنوعة، وقد أدى هذا التنوع إلى إفراز لفاظ دلالية تدور في فلك الجذر الدلالي للمؤمن والكافر، وقد أشرت في مطلب سابق إلى ذلك .

ب - نصوص وصفية خاصة بالإحالة المعجمية / الوصف، وتمثل سمة من حيث الانتشار يجعلها في مرتبة دائنية مما هي قبله .

وبناء على ذلك، فإن هذه الأنواع المختلفة من النصوص تشي النص القرآني من جهة، ومن جهة أخرى تمثل حصيلتها الأخيرة " قاعدة النص " القرآني، وبالتالي يكون النص بناء لغوياً معبراً عن سياق واحد أو عدة سياقات، ينجز مهمة اجتماعية من خلاله، وهذا البناء اللغوي قد يطول، وقد يقصر تبعاً للسياقات، غير أن الذي يظل ماثلاً أنه أطول من الجملة .

وبالتالي لا يمكن أن نتصور " النص " بدون " الجملة " وذلك أنها تمثل الأساس الذي يستكون منها، وهنا نشير إلى أن هذه الجمل فيما تتفاعل من خلال عدد من الأدوات والضمانات والروابط الصريحة والضمنية وحروف الجر والإحالات بأنواعها، وكلها عناصر

فاعلة في سبك وحبك بنية النص . و ليس من ظل لريب في أن الأساس الذي تنطلق منه هو الجملة التي تكون مع جمل أخرى البنية الكبرى، وبالتالي فإنه ليس هناك إنكار للتصورات القائمة ثمة، وإنما الانطلاق منها إلى ما هو أرجح، وبالتالي ليس صحيحاً، ما يقال إن تصورات " نحو النص " تقصي تصورات " نحو الجملة " ولا تعد بها .

وهنا أحاول أن أستظهر العناصر الموصولة ودورها في تماسك النص القرآني، ونلم كلما وجدنا إلى ذلك سبيلاً، فيما يتعلق بالعناصر الموصولة والعناصر اللغوية الأخرى : حروف العطف والروابط اللغوية الأخرى، إضافة إلى عناصر التماسك الدلالي ، وأراها بارزة هنا فيما أطلقت عليه بـ "المقابلة" والإهالة المعجمية/ التفسيرية إضافة إلى عناصر أخرى لا تقل أهمية عن العناصر البارزة على سطح القرطاس، على أن هذه العناصر المائلة على السطح، تأتي في :

- ١- تتابع أفقى للجمل .
- ٢- استقلال نسبي للجمل .
- ٣- تماسك داخل هذا التتابع الجملي .
- ٤- تماسك بنية هذه المكونات، يؤدي إلى تماسك بنية النص .

وتمثل هذه العناصر الخصائص البارزة للاسم الموصول في " نحو النص " في القرآن الكريم، وتعد سمة " التتابع " سمة نصية مهمة تؤدي – لا محالة – إن وجهت أو استغلت بشكل جيد في التحليل إلى استخلاص تصورات مهمة؛ تظهر جوانب التماسك للبنية الكلية لنص . وأحاول أن استخلص النسق القاعدي لـ " نحو النص " كما هو وارد في النص القرآني على النحو التالي :

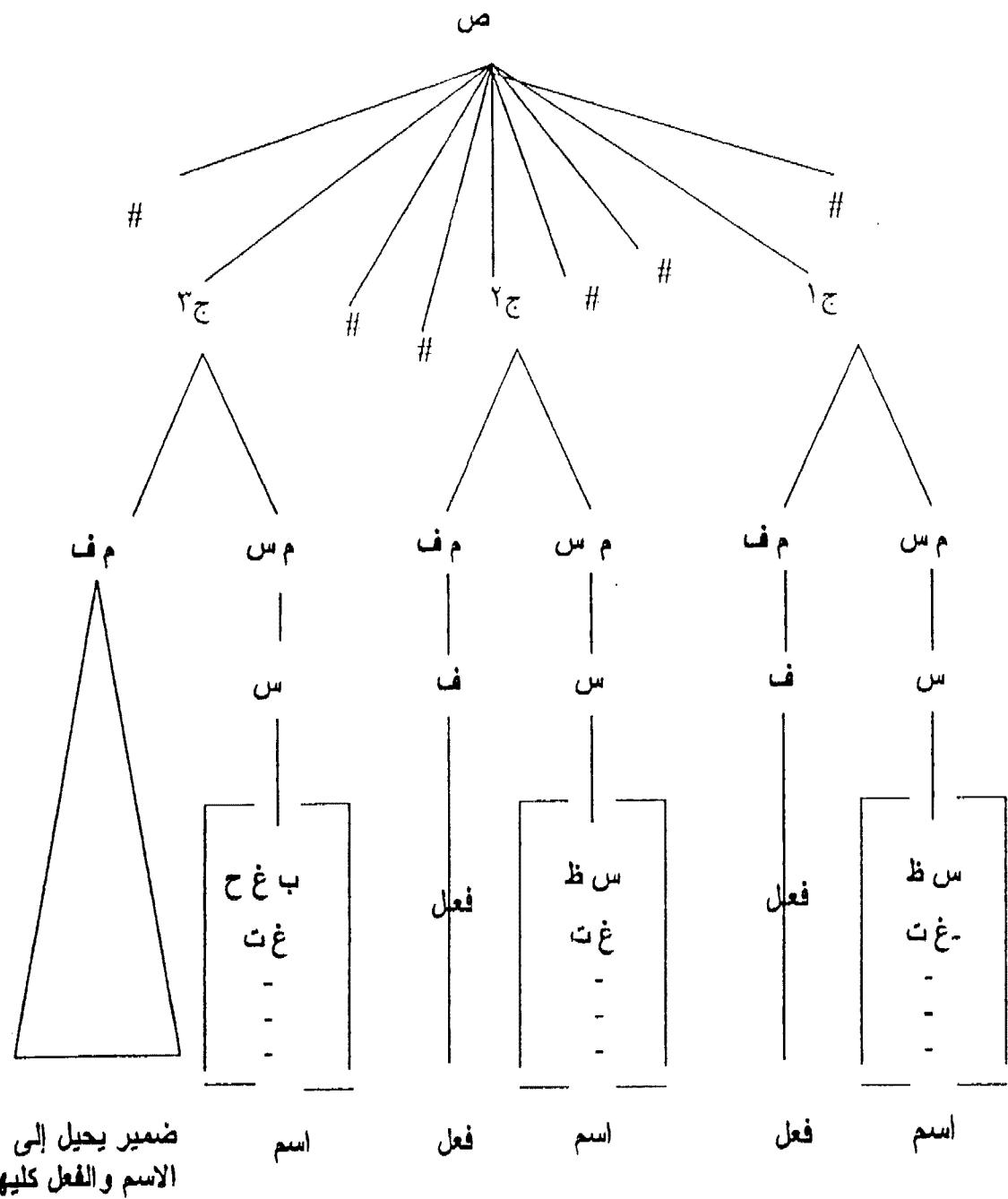
- ١- النص (ص) ← # الجملة (ج) .
- ٢- ج ← م س (مركب اسمي) م ف (مركب فعلي) .
- ٣- م ف ← ف .
- ٤- م س ← س .

* هذه الخصائص اعتبرها إيزنبرج خصائص نحو النص، وهي تقريباً تنسحب على ما هو في القرآن الكريم، ينظر فولفجانج/ ديتز: مدخل إلى علم لغة النص ص ٢١ .

ب ج
ب غ ج
ث غ ت
ع خ ع
ف غ ف
غ ق ف
ه ف

• • • •

← س - ۵



تخطيط يوضح النسق القاعدي للاسم الموصول في النص القرآني

٤/٥ : قواعد النص (Textregeln)

لا ريب أن "نحو الجملة" الذي كان سائداً في الأنجاء التقليدية، هو الذي ينتج قواعد النص، غير أننا ننظر إليه نظرة أخرى من خلال علاقات اسم الموصول التي تتجاوز حدود الجملة في "نحو النص"، وقد تمت معالجة الاسم الموصول في نحو الجملة، بيد أن معاجستهم لم تتجاوز حدود الجملة، كما تم بيان ذلك في صدر البحث، وليس المقصود بـ "نحو النص" أننا نتصور نحواً جديداً، وإنما مقصودنا في ذلك أن نوسع النظر، ونستخلص عدداً من القواعد الحاكمة لاسم الموصول في القرآن الكريم، التي يمكن أن نطلق عليها قاعدة النص ، وأنذكرها في العناصر التالية :

أولاً : الاسم الموصول بمثيل عنصراً إحالياً :

أ - إلى جذر دلالي محدد، وهذا الغنصر قد تكون :

- إحالته قبليه، وهي تأتي في إطار نوعين :

- إحالاة أوسع : وهي الإحالاة المعجمية التي تحيل إلى جذر دلالي في الآية السابقة، وبالتحديد إلى الآية السابقة مباشرة أو غير ذلك .

- إحالاة ضيق : وهي الإحالاة المعجمية التي تحيل إلى جذر دلالي داخل حدود الآية، وتمثل الإحالسة هنا إحالاة مباشرة ومحددة، سواء أكانت إحالاة واسعة أم إحالاة ضيقة من خلال استخدام الاسم الموصول .

- إحالاة أكثر وسعاً : توكيدها للإحاللة السابقة بالاسم الموصول، وهي غالباً ما تأتي خلفه، سواء داخل الآية أم خارجها في آيات تاليات، وذلك يأتي دائماً باستعمال (هؤلاء و ذلك)، وأحسب أن مفارقة قائمة بينهما في الاستعمال القرآني، حيث تأتي هؤلاء كعنصر إحالى إلى متقدم لما هو سابق غالباً ، وأعتقد أن ثمة مفارقة في الاستعمال بين هؤلاء الدالة على القريب، وذلك الدالة على البعيد، سواء في المكان أو الدرجة، غالباً ما تأتي (ذلك) كعنصر إشاري / مفسر إلى ما هو سابق تالية له (هؤلاء) .

وبناء على ذلك، فإن كلاً من "هؤلاء" و "ذلك" يحيل إلى سابق، كما هي الحال في الذين والأسماء الموصولة، غير أن ثمة مفارقة مائلة بينهما تتمثل في :

١- أن إحاللة اسم الموصول تحيل إحاللة أضيق وأوسع، فكلما تتكثف أدوات العطف بعد المسافة بين الإحاللة بالاسم الموصول وما يحيل إليه، وفي مثل هذه الحالة قد تكون الإحاللة:

– بالاسم الموصول المذكور، وهنا تحيل إلى العنصر الذي يمثل المركز الرئيسي .

– بالاسم الموصول المقدر (محذوف)، وواضح من خلال العطف على الاسم الموصول المذكور قبله اختصاراً، فإذا تجاوز الاسم الموصول حدود الآية الواحدة، فالإحاللة واسعة، وكلما ابتعدت الإحاللة (الاسم الموصول) عن المركز الرئيسي، كانت الإحاللة أكثر وسعاً، وبالتالي فإن الاسم الموصول يقع الموقعين معاً .

١- الإحاللة باسم الإشارة : أولئك، وذلك، فإن إحالته في حالة وجوده مع الاسم الموصول كعنصر مفسر/إشاري، إنما تحيل إلى ما هو أبعد من الاسم الموصول، فإذا كان الاسم الموصول يقع الموقعين – كما أشرت إلى ذلك أعلاه – فإن اسم الإشارة يحيل إلى ما هو أبعد من الاسم الموصول .

٢- يلاحظ أن الإحاللة المعجمية والتفسيرية، حين تتجاوز حدود الآية أو داخلها تأتي في مواضع عدة ومعها عنصر مفهومي آخر، يربط بين آيتين أو أكثر من ذلك، قد تصل في بعض المواضع من السورة، وكلها في قصار السور، وهي تتراوح ما بين الإحالات بالضمائر، والاسم الموصول وأدوات العطف، وعناصر مفهومية أخرى تتعاون في تماسك بنية النص القرآني .

وينبغي أن نشير إلى أن هذه الجذور الدلالية التي يحيل إليها ويفسرها الاسم الموصول والعناصر اللغوية الأخرى، تحيل إحاللة مطابقة، بمعنى أن لفظ (المتقين) مثلاً الوارد في البقرة/٢ يوجد له اسم آخر يلحق به في النص القرآني، يحيل إليه بشكل غير مباشر إلى المواضع الأخرى وتمثل : الذين، الذي، التي، الأسماء الموصولة الأساسية التي تعتمد عليها الإحاللة المعجمية، وبالتالي تسقط العناصر الموصولة الأخرى من هذه الوظيفة.

ثانياً: الاسم الموصول يمثل عنصراً إحالياً وتقابلياً في آن واحد :

وفي هذه الحالة يعمل من خلال عدد من الوظائف الإحالية التي أوجز عناصرها في هذا المطلب .

١- تأتي من خلال الاسم الموصول، ويمثل هذا الغنر أولى أدوات الإحالة، سواء إلى القريب أم البعيد، وغالباً ما تكون إحالة إلى متقدم - كما مضى بيانه في موضعه - ويأتي هذا الربط بالاسم الموصول من خلال مستويات عدة أبرز جوانبها فيما يلي :

- يمثل الاسم الموصول يمثل :

- عنصراً إحالياً إلى متقدم في ذات الآية .

- عنصراً إحالياً إلى متقدم داخل السورة .

- عنصراً إحالياً إلى مواضع أخرى، وهي تأتي من خلال عنصرين، إما إلى سابق عليها، وإما إلى لاحق لها .

هذا فيما يتعلق بالاسم الموصول في ذاته، وهو في مثل هذه الحالات يمثل مركزاً، ومما يدعم هذا الاستخلاص أن كل الإحالة بالضمائر المختلفة، تحيل إليه وتعود عليه، وهذا يحدث تاماً نصياً من خلال هذه الإحالات، وفي هذا السياق، أود أن أفت النظر إلى أن الضمائر المختلفة تأتي في إطار :

١- ضمائر تعمل على الربط، داخل حدود الآية، وتمثلها أدوات الربط التي تربط داخل الجملة فقط .

٢- أدوات ربط تتعدى حدود الآية إلى أكثر من ذلك، وقد يصل إلى مدى أبعد .

على أنني أقرر أن هذه الأدوات تمثل أدوات ربط خاصة بـ "بنية السطح"، وهنا نلاحظ أن عناصر التماسك النصي في القرآن الكريم متنوعة وكثيرة منها :

ـ ما هو رابط سطحي : ويأتي خلال عدد من الإحالات القريبة والبعيدة، والتي أشرت إليها .

- ما هو مفهومي : ويأتي من خلال عدد من الوظائف المفهومية الحاكمة لبنية النص .

تمثل الإحالسة بالاسم الموصول إلى مواضع مختلفة سمة جوهرية ينتج عنها تماسك بين بنية السطح للنص، ويتربّط على هذا التماسك السطحي تماسك دلالي، وهذه رؤية موجزة أفصل فيها القول .

نلاحظ أن الاسم الموصول، يأتي في النص القرآني معه ذكر المؤمنين، ثم وصف وتفصيل (قد يكون داخل الآية، وقد يكون خارجها) ثم يكرر الاسم الموصول مرة أخرى،

غير أن الإحالات هنا تحيل إلى الكافرين - مثلاً - أو أحد مشتقاته الدلالية، وتكررت هذه المقابلة في مثل هذه المواقع، حتى أنها أعددناها عنصراً رابطاً، وإن كانت عنصراً مفهومياً، ومن هنا فإن الإحالات تأتي من خلال :

١- إحالات بنية السطح : وتأتي في المستويات الواردة أعلاه، وهي روابط ذات اثر كبير يتجاوز مداها حدود الآية والسورة والجزء إلى مواقع مختلفة من صفات المؤمنين أو الكافرين أو ما يدور في فلكها، وجاءت الإشارة إليها فيما ورد فوقاً .

٢- إحالات بنية العمق : وهي عنصر مهم في ربط أكثر من آية، وإن بقي نطاقه أضيق داخل حدود عدد من الآيات أو السورة، على آية حال هو لا يتجاوزها؛ لأنه يظل يعمل كعنصر مقارنة بين متقابلين، وبالتالي فربطه أضيق من الرابط السطحي .

٣- وإذا كانت الإحالات المعجمية والتفسيرية تأتي من خلال : الذين، الذي، التي، فإن الإحالات الخاصة بالمقابلة تأتي من خلال (الذين) منفردة؛ أي (الذين) في كلتا الطائفتين، و(من) و (التي) ، وهي تأتي في بعض الحالات مع (الذين) وتمثل هذه السمة الجوهرية لمثل هذه المواقع .

وببناء على "قاعدة النص" فيما يختص بالأسماء الموصولة، فإن : الذين، الذي، التي، من، تمثل العناصر الأساسية، فيما يتعلق بالوظائف الأساسية للأسماء الموصولة في القرآن الكريم .

- الاسم الموصول يمثل عنصراً رابطاً فقط :

وتأتي هذه المواقع كعنصر رابط داخل حدود الآية، وتأتي الأسماء الموصولة في هذه المواقع لتمثل عنصراً رابطاً فقط بين جملتين داخل حدود الآية من خلال الإحالات .

فإذا كانت : الذين، الذي، التي، من، تأتي في "قاعدة النص" ، فإن (ما) الموصولة لم تذكر في المواقع السابقة، وبالتالي ظل عملها مقصوراً على اعتبارها اسم موصول فقط (عنصر إحالات) بين جملتين داخل حدود الآية الواحدة، على الرغم من أنها تأخذ معنى (الذي) إلا أن تتبع المواقع التي وردت فيها أظهر تميز(الذي) عن (ما) على الرغم من قوله النهاة إن (ما) بمعنى (الذي) ، إذ تبين النتائج أن (الذي) لها وظائف دلالية وإحالات غير متوفرة في (ما) .

على أننا ينبغي أن نشير إلى أن الأسماء الموصولة - الذين، الذي، التي، من - لم تأت فيما أوردناه لها من قواعد النص فيما سبق، وإنما تمثل تلك العناصر الأساسية

لها، بيد أنها في سياقات عدّة، تؤدي وظيفة (ما)، كما تؤكده النصوص، وبالتالي فإن وظيفة هذه الأسماء الموصولة المذكورة أكثر تعقيداً من وظيفة (ما)، إذ إنها تعمل في اتجاهات عدّة وسياقات مختلفة، وبالتالي فإن هناك عدداً من الأسماء الموصولة لم يأت لها ذكر، تبعاً لقلة ورودها في النص القرآني، ومن ثم في دورها في ربط البنية الكلية للنص.

تتعدد أشكال الروابط النصية تبعاً لاختلاف السياقات اللغوية وغير اللغوية، وبناء على ذلك، فإن ثمة روابط داخلية، كالروابط الزمانية والسببية (الترابط السببي) والربط المرجعي والتنويع فيه.

وإذا كان كل نص له تصنيفه الذي يوانمه، فإن مرده إلى طبيعة النص، فتقسيم بنية النص إلى وحدات، تناسب الوحدات النصية للمحادثة، مفارقة لتقسيم الرواية، وتقسيم كل منهما مختلف عن تقسيم الشعر، وعلى ذلك كله، فإن تقسيم بنية النص القرآني إلى وحدات، خلافاً لما هو سائد في النصوص الأخرى، أمر مقرر في الدرس النصي مراعاة لطبيعة النصوص من ناحية، ولأن هذا يؤدي إلى استخلاص الروابط المتنوعة التي تقبلها النصوص ولا تردها، وإلى التقسيمات المختلفة التي تشكل أساساً لتوزيع النصوص . وإذا كانت النصوص تقسم إلى محادثة، ونصوص روائية، قصصية وشعرية على اختلافها، فإن اللافت للنظر هنا في النص القرآني أنه يحتوي على :

١- جوانب قصصية، تمثل سمة بارزة فيه .

٢- جوانب من المحادثة أو لغة الحوار .

٣- جوانب من اللغة الواصفة .

٤- جوانب تتعلق بالإيقاع الصوتي (الاسجام الصوتية) ... الخ .

وبالتالي فإن كل نوع يحتاج إلى كشف السمات الرابطة، وبناء عليه، فإن الذي يقع ضمن إطار هذا البحث هي الجوانب التي يمثلها النص القرآني في العناصر المشار إليها أعلاه، إنما هي اللغة الواصفة، ذلك أن جملة الصلة في القرآن الكريم، وهي رؤية مقررة لدى النحاة تنتمي إلى التركيب الخبري، وهي تعتمد على النصوص الوصفية، أو هي سمة أساسية ترتبط بها، وتبدو هذه النظرة منطقية في ضوء رؤية البلاغيين، أن الخبر هو الذي يمكن الحكم عليه بالصدق أو الكذب، خلافاً للتركيب الإنساني، الذي لا يجوز الحكم عليه بالصدق أو الكذب .

وإذا أردنا تطبيق هذه الرؤية على جملة الصلة في القرآن الكريم، أمكننا فصل القول بأنها جملة تحتمل الصدق والكذب، وهي جملة وصفية، ومن هنا فإن القاعدة النصية المستخلصة تنسحب عليها فقط دون غيرها من السمات اللغوية الأخرى، إذ يحتوي النص القرآني على أنواع شتى من أنواع النصوص، وما خلصت إليه الدراسة يندرج في إطار الجملة الخبرية عامة، وجملة الصلة خاصة .

إلا أن هذا يمكن أن يؤخذ من منظور آخر، أن المتلقى له دور في ربط هذه العلاقات الكائنة في النص، وبالتالي فالمعنى على المتلقى .

- التتابع الزمني في النص، أي أن كل فعل مترب على زمن الفعل الآخر، وغير منافق له، وإنما يتوقف معه ويكمel معناه .

- الروابط ، وأحسب أن المتلقى عليه معنى في فهم هذه العلاقات القائمة بين بنية النص، وأنها تعمل على سبك وحبك أجزائه، بداية بالبنية الصغرى وانتهاء بالبنية الكبرى .

- الجملة المكملة في النص : تؤدي دورا تفسيريا، لا تقل أهمية مما يمكن أن يكون عمدة فيه، وتسمى لدى النحاة بالفضلة، ومن هنا يكون دورها تفسيريا .

وأحسب أن اعتبار بعض الجمل (فضلة) في النص، يمكن أن ينطبق على جملة الصلة، لكن ليس في كل الحالات، وإنما في حالة اعتبارها عنصرا مفسرا وهي سمة تتفق فيها (الذين، الذي، التي) على اختلاف بينها في النسبة، على آية حال، فإنها تمثل سمة جوهرية في هذه الأسماء .

وتتجدر الإشارة إلى أن التتابع الزمني للأفعال المكونة لبنيّة الأفعال الإنجازية المكونة لجملة الصلة، تأتي متسقة مع كل الأزمنة، ليس على مستوى :
- الآية الواحدة .

- العدد من الآيات .

- السورة الواحدة .

- النص القرآني .

أما الروابط النصية الأخرى (سواء العطف منها أم الضمائر المتصلة فقط) فقد حاولت ما وسعني الحال، أن أبرز بعضاً من جوانبها، وتبقى السمة المستخلصة كوظيفة لاسم الموصول، وهي :

- التفصيل بعد الإجمال (التفسير) .
- المقارنة، كعناصر دالة على أهمية اسم الموصول في التماسك الذي يتعدى ما فوق الجملة إلى التماسك الذي يتجاوز الآية والأبيتين .

وتعود هاتان الوظيفتان المذكورتان أعلىه وظيفتين تنتهيان إلى العنصر المفهومي (Kohärnz)، وهو ما يتعلق بـ (بنية العمق)، وإذا عمقنا الرؤية فيهما، أمكننا أن ندلّ بدلونا في ما يتعلق بهما على النحو التالي :

العنصر المفهومي الأول : التفسير المعجمي والتفصيل في النص القرآني أن هذه السمة الجوهرية، تأتي لتمثل هذه الوظيفة كتفسير للعنصر المعجمي الكائن في نهاية الآية السابقة، أو في ذات الآية، وفي كل منها تأتي الإحالـة إلى عنصر متقدم، غير أن هذا التفسير ليس في كل المواضع، وإنما يأتي كمادة تفسيرية لما هو سابق عليها، ويدل على أن هذه الوظيفة فضلة أن :

- ١- النص يمكن أن ينتهي بدون ذكر هذه الصفات دون أن يكون هناك خلل في البنية الإنجازية للأفعال اللغوية .
- ٢- هناك مواضع عدة من النص القرآني تنتهي بـ (المتقين) أو بـ (المحسنين) وبـ (المختفين) والكافرين والفاسين ... الخ دون أن يأتي في الآيات التالية تفسير وتوضيح (وصف)، وهذا ما يدعم أن هذه الوظائف فضلة، ومرد هذه الرؤية أن طبيعة الصفات محددة، وبالتالي فإن :
- ١- ما ذكر في المواضع المحددة الأخرى وال المشار إليها في البحث، تغنى بما هو ليس وارداً في المواضع الأخرى .
- ٢- حدوث تكرار دون داع، ومن ثم يحدث خلل في البنية اللغوية .
- ٣- ذكر الصفات في مواضع، وعدم ذكرها في مواضع أخرى من شأنه أن يعكس التماسك بين هذه المواضع عن طريق المقابلة .
- ٤- هذه الصفات لو ذكرت في كل المواضع ما أمكن حصرها والوقوف عليها، بما يستدعي عناصر واصفة غاية في الاستطراد، لا داعي لها .

العنصر الثاني : المقارنة / المقابلة :

وتكون دائماً بين متضادين، وقد كشفت الدراسة أنها تأتي من خلال مستويات عدّة :
— داخـل الآيـة .

— خارـج الآيـة (أو الآيـات) .

— خارـج الآيـة (متجاوزـة عدـداً مـن الآيـات) مـن خـلال النـتيـجة لـكـل فـرـيقـ، فـقد تكون النـتيـجة :
— داخـل حدـود الآيـة .

— خارـج حدـود الآيـة .

وهـذه النـتيـجة، قد تـؤـكـد بـمـؤـكـدـات لـغـوـيـة، كـالـتـكـرـار وـالـضـمـيرـ الـمـفـصـل وـاسـمـ الإـشـارـةـ وـغـيرـ ذـلـكـ، فـي مـقـابـلـ الجـانـبـ الآـخـرـ حينـ تـتـعـدـىـ حدـودـ الآـيـةـ، وـبـالـتـالـيـ تكونـ الرـوـابـطـ مـنـ خـلـالـ هـذـهـ الصـفـاتـ، إـلاـ أـنـ تـكـرـارـ هـذـهـ السـمـةـ التـرـكـيـبـيـةـ وـهـيـ سـمـةـ مـفـهـومـيـةـ فـيـ النـصـ الـقـرـآنـيـ، جـعـلـتـ مـنـهـاـ سـمـةـ جـوـهـرـيـةـ، وـاسـتـطـاعـتـ الـدـرـاسـةـ أـنـ تـسـتـخـلـصـ وـظـيـفـةـ الـمـقـابـلـةـ، وـمـنـ هـنـاـ فـيـانـ عـدـمـ الـاعـتـدـادـ بـهـاـ لـاـ يـقـلـ مـنـ أـهـمـيـةـ العـنـاصـرـ الـلـغـوـيـةـ الـمـائـلـةـ عـلـىـ سـطـحـ الـقـرـطـاسـ .

غـيرـ أـنـ هـذـهـ الـوـظـائـفـ الـمـفـهـومـيـةـ مـهـمـةـ فـيـ بـيـانـ التـعـامـسـ الـدـلـالـيـ الـذـيـ يـتـعـدـىـ ماـ فـوـقـ الآـيـةـ، خـاصـةـ أـنـهـاـ وـظـائـفـ غـيرـ مـائـلـةـ فـيـ الـبـنـيـةـ الـلـغـوـيـةـ، وـبـالـتـالـيـ فـيـانـهاـ تـعـملـ عـلـىـ تـعـامـسـ أـجـزـاءـ عـدـدـ مـنـ الآـيـاتـ . عـلـىـ أـنـنـيـ لـمـ أـجـدـ أـحـدـاـ مـنـ النـحـاةـ أوـ الـمـفـسـرـيـنـ ذـكـرـ هـذـهـ الـوـظـيـفـةـ فـيـ شـنـايـاـ معـالـجـةـ هـذـهـ الـمـوـاضـعـ، إـلاـ مـاـ أـشـارـ إـلـيـهـ الزـجاجـ وـالـعـكـبـرـيـ فـيـ بـعـضـ الـمـوـاضـعـ بـمـاـ يـمـكـنـ أـنـ يـكـونـ مشـاكـلـاـ لـلـعـنـصـرـ الـأـوـلـ : التـفـسـيرـ الـمـعـجمـيـ، إـلاـ أـنـ الـعـنـصـرـ الـثـانـيـ لـمـ أـجـدـ أـحـدـاـ أـشـارـ إـلـيـهـ مـنـ قـرـيبـ أوـ بـعـيدـ فـيـ حـدـودـ مـاـ أـعـلـمـ .

وـهـاتـانـ الـوـظـيـفـاتـ تـرـتـبـطـانـ بـالـتـعـامـسـ الـدـلـالـيـ، بـجـانـبـ عـنـاصـرـ لـغـوـيـةـ مـائـلـةـ فـيـ بـنـيـةـ السـطـحـ، وـتـنـتـجـ مـنـ خـلـالـ عـنـاصـرـ الـمـفـهـومـيـةـ وـعـنـاصـرـ الـلـغـوـيـةـ مـعـاـ عـنـاصـرـ الـرـابـطـةـ الـمـخـتـلـفةـ، كـمـ أـشـارـتـ الـدـرـاسـةـ إـلـىـ جـوـانـبـ ذـلـكـ ثـمـةـ، وـعـلـىـ آيـةـ حـالـ، فـيـانـ الـدـرـاسـةـ أـشـارـتـ إـلـىـ الـرـوـابـطـ الـنـصـيـةـ فـيـماـ يـتـعـلـقـ بـ (الـأـسـمـ الـمـوـصـولـ) فـقـطـ، وـمـنـ هـنـاـ فـيـانـهـ يـمـكـنـ أـنـ نـسـتـخـلـصـ عـنـاصـرـ أوـ وـسـائـلـ تـنـصـيـصـ أـخـرىـ، وـلـاـ يـتـأـتـيـ ذـلـكـ إـلـاـ مـنـ خـلـالـ مـتـابـعـةـ عـدـدـ مـنـ

النصوص المختلفة، وقد خلص إيزنبرج^{٤٩} (Isenberg) إلى عدد من وسائل بناء النص ،
بناء على دراسة عدد من النصوص، وموجزها كالتالي :

١- البنية السطحية : Thematisierung

٢- الربط السببي : Kausalanknüpfung

٣- الدافع / الحافز : Motiv – Anknüpfung

٤- التفسير (التحديد) : Diagnostische Interpretation

٥- التخصيص : Spezifizierung

٦- التنظيم (الترتيب) : Metasprachliche Einordnung

٧- التتابع/ الربط الزمني : Temporalankrüpfung

٨- التعليق الافتراضي : Anknüpfung Van Voraussetzungen

٩- التقابل الاستدراكي : Adversative Kontrastierung

١٠- الانسجام (التوافق) بين السؤال والجواب :

Korrespondenz – Antwort – Frage

١١- المقارنة : Vergleich

١٢- تصحيح الأقوال المذكورة سابقاً : Korrektur Von Vorerwähnten

Aussagen

وقد اعتمد على استخلاص هذه العناصر من نصوص متنوعة، تنتهي إلى
مستويات متباعدة في استعمال الروابط، مما أتاح له هذا الاستخلاص العام، مما من شأنه
أن يعكس الملامح الجوهرية التي تمثل سمات للنصوص على اختلافها، وقد أدى هذا
التصور إلى اعتماد نظرية تعتمد على عناصر مختلفة، منها ما ينتمي إلى بنية السطح،
ومنها ما ينتمي إلى بنية العمق، ومنها ما يعتمد عناصر تداولية وغير ذلك، وعلى الرغم
من اعتماده على نصوص متباعدة فيما توصل إليه، فإنه قد عول على نوعين من
النصوص، مما يشير إلى أنه لم يفصل العناصر الأساسية المكونة لبنية الأفعال الإيجازية
من جهة، وأن كل نوعية من النصوص لها سمات / بنية لغوية منجزة لها من جهة ثانية،
وأن هذه الجمل هي التي توجه كل الجمل الموجودة في النص، وهذا الارتباط يجب أن

H . Isenberg : Überlegungen zur die Texttheorie, S . ١٥٩، ١٦١ .

^{٤٩}

يكون بشكل آلي، وهذا يؤكد أن ما استنتجته أعلاه يمثل منهجية أقرب إلى العنوان المقترن .

وتبدو لي رؤية أخيرة في هذا الشأن، أود التنبيه عليها، أن ما توصل إليه القدماء في الدرس التفسيري، تؤكده جوانب عدّة من البحث النصي، ومن ثم فإن هذا البحث يعتمد أفكار النحاة والاطلاق منها، وتوسيع النظر والإفادة مما قدمه المفسرون، لاستخلاص ما يمكن أن يمثل تصوراً لرؤية النحاة أو بعض المفسرين، أو ما يمكن أن يمثل تصوراً عاماً، يبرز جوانب الاسم الموصول في تشابك وتماسك العناصر اللغوية .

٦ / . المراجع :

٦ / ١: العربية :

- ١ - د. إبراهيم بركات : الإبهام والمبهمات في النحو العربي، دار الوفاء بالمنصورة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م .
- ٢ - د. أشرف عبد البديع عبد الكريم : الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم، دار فرحة ، المنيا ، ٢٠٠٣ م .
- ٣ - د. أشرف عبد البديع : العناصر الأساسية المكونة لنظرية النص "ليزنبرج نموذجاً" دراسة تحليلية نقدية، بحث غير منشور.
- ٤ - د. أشرف عبد البديع : دلالة التراكيب عند الزمخشري، رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية دار العلوم بالمنيا، ١٩٩٩ .
- ٥ - د. تمام حسان : نحو الجملة ونحو النص، بحث غير منشور.
- ٦ - د. خليل عمارة : الضمير العائد ولغة أكلوني البراغيث، دار البشير، عمان، الأردن، ١٩٨٩ م .
- ٧ - د. سعد مصلوح : المذهب النحوي عند تمام حسان من نحو الجملة إلى نحو النص، بحث غير منشور .
- ٨ - د. سعيد حسن بحيري : اتجاهاته، لغوية معاصرة، مجلة علامات، عدد ٣٨، ٢٠٠٣ م .
- ٩ - السيوطي : أسباب النزول، دار قتبة، الطبعة الأولى، ١٩٨٧ .
- ١٠ - د. صبحي إبراهيم الفقي : علم اللغة النصي، الجزء الثاني، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٠ م .

- ١١ - عباس حسن : النحو الوفي، الجزء الأول، دار المعارف (القاهرة)، الطبعة الخامسة، د.ت .
- ١٢ - العكيري : التبيان في إعراب القرآن، وضع حواشيه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ، ١٩٩٨ م.
- ١٣ - د. فاضل السامرائي : معاني الأبنية في العربية، ساعدت جامعة بغداد على نشره، الطبعة الأولى، ١٩٨١ .
- ٤ - الفراء : معاني القرآن، الجزء الأول، تحقيق : أحمد يوسف نجاتي، محمد على النجار، ط٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠ . الجزء الثاني تحقيق ومراجعة الأستاذ محمد على النجار، ط بيروت، ١٩٨٠ .
- ٥ - د. فريد عوض حيدر : اتساق النص في سورة الكهف، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ، ٤٢٠٠ م .
- ٦ - القرطبي : الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٣٧٨ هـ، ١٩٦٧ .
- ٧ - الفزويini : الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق لجنة من أساتذة اللغة العربية بالأزهر، مطبعة السنة المحمدية، د.ت .
- ٨ - قولفجانج هاينه مان / ديتري فيهنجر: مدخل إلى علم لغة النص، ترجمه وعلق عليه أ . د. سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، الطبعة الأولى، ٤٢٠٠ .
- ٩ - الداني : الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق د. فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٣ .
- ١٠ - الرضي : شرح الرضي على الكافية، تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر، مؤسسة الصادق، جامعة قاريونس، ١٩٧٨ .
- ١١ - الرمانی : معاني الحروف، حققه وخرج شواهد وعلق عليه وقدم له د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار الشروق، الطبعة الثانية، ١٩٨١ ،
- ١٢ - الزجاج : إعراب القرآن المنسوب للزجاج، القسم الثاني، تحقيق ودراسة إبراهيم الإباري، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط٢ ، ١٤٠٢ - ١٩٨٢ .

- ٢٣ - الزجاج : حروف المعاني، حفظه وقدم له د. على توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، دار الأمل، الأردن، الطبعة الثانية، ١٩٨٦ .
- ٤ - الزجاج : معاني القرآن وإعرابه، شرح وتحقيق د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط١، ١٩٨٨ م .
- ٥ - عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز، تصحیح وتعليق محمد رشید رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٨ .
- ٦ - محمد العلاوي : ملاحظات على لغة القرآن من خلال اسمى الإشارة والموصول، حوليات الجامعة التونسية، العدد السابع، ١٩٧٠ .
- ٧ - ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف القاهرة، د.ت .
- ٨ - ابن يعيش : شرح المفصل، الجزء الثالث، مكتبة المتنبي، القاهرة، (د.ت) .

٦ / ٢ : المراجع الأجنبية :

- 1- Bussmann H . : Lexikon der Sprachwissenschaft , Alfred Kröner Verlg : Stuttgat, 1990 .
- 2- Beaugrande R. De / Dressler W . :Einführung in die Textlinguistik, Niemeyer, Tübingen, 1981.
- 3 -Isenberg H. :Überlegungen zur Texttheorie. Jens Ihwe (Hrsg) In : Literaturwissenschaft und Linguistik, Ergebnisse und Perspektiven, Band 1 : Grundlagen und Voraussetzungen , Athenäum,1971

جدلية الأضداد في التراث العربي

بين الواقع اللغوي والتعسف

د. هاشم محمد سويفي محمد

كلية الأدب - جامعة القاهرة

تعتبر اللغة العربية من (اللغات المرتفعة) التي تمتاز بسعة نطاقها واحتواها على أكثر ما يحتاج إليه الإنسان من أنواع التعبير ، ومنها لغات العالم المتمدن^(١) ، وهي كذلك من اللغات (المتصّرفة) في تقسيم اللغات إلى متصرفة^(٢) . وقد حفلت هذه العربية بشروة ضخمة من الألفاظ التي لو جمعنا ما دونَت المعجمات اللغوية منها مضيفين إليها ما فات هذه المعجمات لكان بين أيدينا كمية كبيرة قد لا نجد مثيلها في لغة قريبة أخرى ، حيث إن العربية ظلت طوال عصورها المديدة تُزِيد هذه الثروة وتوسّعها وتُضيف إليها أشياء جديدة . ولقد توسلَت العربية لهذا التنامي بوسائل كثيرة منها : القلب ، والإبدال ، والإشتقاق ، والنحو ، والاتباع ، والمجاز أو الاستعارة ، فضلاً عن المعرَّب والدخيل ، والترادف ، والمشترك اللفظي ، والأضداد . ولقد أدى توسل العربية بهذه الوسائل إلى تكثير الفاظها ومعانيها ، ولذلك فإن هذه الوسائل كانت بمثابة السروافد التي تصب في مصب كبير يزداد خصبه وثراوه كلما

(١) جرجي زيدان : الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية ، مطبع دار الهلال ، القاهرة ، د.ت ، ص ٢١ .

(٢) نفس المصدر السابق ، نفس الصفحة .

استمرت هذه الروا فد في العطاء ، وبالرغم من كونها تتفاوت في نسبة عطائها وما يمكن أن تغدق به على اللغة ، كالنسبة مثلاً بين الاشتقاد والنحو ، أو بين المجاز والدخل ، إلا أنها جميراً تساهم في النماء والزيادة . غير أنه من بين هذه الوسائل وسيلة لعلها من أهم هذه الوسائل ، إن لم تكن أهمها جميراً ، إلا وهي (الأضداد) ، التي نعقد لها هذا البحث ، لدراسة مشكلتها في اللغة ، وذلك لأن وجود الأضداد يختلف عن وجود غيرها من ظواهر اللغة ، لأن التضاد في دلالة الكلمة ليس - كما يبدو - طبيعياً الورود ، فلقد حوت كتب الأضداد ألفاظاً كثيرة لا يمكن أن يفسر وجودها في هذه الكتب بغير تعسف مؤلفيها وتكتلُّفهم في إخضاعها للفكرة ، ومع ذلك فهي غير خاضعة لها بما أوردوا من معانٍ ، فليس من العلم أن نصطمع بناءً ونزعهم وجوده في اللغة بحججة أنه مقيس على قواعدها ، لأن اللغة استعمال قبل كل شيء ، في ينبغي أن *يُسمع ويُعرف ليُبني* عليه درس ويقوم فيه رأي ، ولذلك فإن كثيراً مما عُدَّ من الأضداد لا يقوم دليلاً قوياً على وجوده في كلام العرب وإنما هو مقيس على كلامهم . لأن العربية البدائية لم تكن لتحوى هذه الكثرة من الأضداد ، وإنما اكتسبتها بفعل التغيير الحتمي في دلالتها والذي تستدعيه الحياة المتغيرة المتبدلة في كل آن .

ويهدف هذا البحث إلى دراسة قضية الأضداد في اللغة العربية وعرض الرؤى المختلفة حول هذه القضية ، والتي تراوحت بين إثبات وجودها في العربية بهذه الكثرة والكثافة التي وصلت إليها ، وبين من يدعى أن العربية ليست فيها مشكلة اسمها (الأضداد) ، وإنما هناك ألفاظ تداخلت معانيها وتغيرت أصواتها ودلالاتها فتعلقت بها الضدية ، فهي علاقة طارئة غير أصلية ، ترب علىها مشكلة حقيقة تمثلت في ضخامة كتب الأضداد ، وهناك من يرى أن العربية فيها عدد ضئيل من الفاظ الأضداد ، ويأتي في هذا المضمار ما

توصلَ إليه المستشرق جيز (Giese) في دراسته للشعر الجاهلي ، إذ إنه لم يجد أكثر من اثنين وعشرين ضداً فقط ، مستعيناً بنتائج علم تطور المعاني^(١) . إن لغة فيها هذا العدد الضئيل من الألفاظ التي تنصرف انصرافاً متضاداً ليست بداعاً بين اللغات إذ لأنعدم أن نجد في أكثر اللغات مثل هذا العدد من الأضداد^(٢) والذي يُعبرُ - في العربية وغيرها - عن بقايا تاريخية تشير إلى مرحلة حوت فيها اللغة ألفاظاً معينة توفر فيها الضدية لسبب أو لآخر .

ولقد جاء هذا البحث في ثلاثة محاور يضم كل منها عدداً من المباحث الفرعية ، أمّا عن المحور الأول فيتناول بالدراسة الأضداد بين الرواية وحركة التأليف المعجمي ، والمحور الثاني يناقش قضایا تأسيسية تتعلق بالأضداد في العربية من حيث المفهوم والمصطلح ، أمّا المحور الأخير فيتناول بالدراسة جدلية الأبنية الصرفية ودورها في تكثير الأضداد .

(١) انظر : دائرة المعارف الإسلامية : ص ٢٩٣/٢ ، ومجلة مجمع اللغة العربي الملكي ، ص ٢/٢٣٧ .

(٢) انظر : دائرة المعارف الإسلامية : ص ٢٩٤/٢ ، ٣٠٢ ، للوقوف على الأمثلة .

(١)

الاًضداد بين الرواية وحركة التأليف المعجمي :

إذا رأينا أن وضع كتب الأضداد يدخل في مجال التأليف المعجمي ، فإنه اقتنى تاريخياً بولادة هذا النوع من الكتابة ، ولقد ولدت معجماتنا اللغوية صغيرة متفرقة غير منظمة ، ثم نمت شيئاً فشيئاً وتوسعت وتكاملت جيلاً بعد جيل»^(١) .

وإذا كان الصينيون واليونان قد سبقو العرب في وضع المعاجم ببعض مئات من السنين ، فإن العرب سبقو أوروبا في هذا المضمار بأكثر من تسع قرون ذلك أن تأليف أول معجم عربي يعود إلى القرن الثامن الميلادي ، في حين يرجع تأليف أول معجم أوربي إلى القرن السابع عشر ، وهو معجم إنجليزي^(٢) .

لقد جُمعَت الفاظ اللغة العربية ودُوّنت ورُتِّبت خلال ثلاط مراحل تاريخية ، بدأت الأولى منها أواخر القرن الهجري الأول واستغرقت زهاء مائة سنة حتى أواخر القرن الثاني للهجرة . وفي هذه المرحلة جُمعَت الأحاديث الشريفة والقصائد الشعرية وبعض الأعمال النثرية . «وكان علماء اللغة يأخذون الألفاظ من أفواه عرب الصحراء ، أو الوافدين على الأمصار ، من لم تتأثر ألسنتهم بمخالطة الأعاجم»^(٣) .

في المرحلة الأولى جُمعَت المفردات والألفاظ كيفيًا دون ترتيب أو تنظيم «لأن الغاية كانت تتجه أولاً إلى الجمع والتدوين دون غيره خوفاً على العربية من الغريب والدخيل»^(٤) . وعرفت المرحلة الثانية قدرًا أكبر من التنظيم ،

(١) د. عبد اللطيف الصوفي : اللغة ومعاجمها في المكتبة العربية ، دار طлас ١٩٨٦ ، ص ٣٤ .

(٢) نفس المصدر السابق : ص ٣٥ .

(٣) نفس المصدر السابق : ص ٣٧ .

(٤) نفس المصدر السابق : ص ٣٨ .

كجمع الألفاظ التي تشتراك في حرف واحد أو التي ترتبط برابطة الأضداد . وفي المرحلة الثالثة وُضِعَت المعجمات الشاملة المنظمة ، واعتمد مؤلفوها على ما كُتبَ في المراحلتين السابقتين ، فجمعوا وأضافوا ورتبوا ونسقوا .

أما رواية الأضداد فإنها بدأت في وقت مبكر نسبياً ، إلا أنه بعد الإسلام بأكثر من قرن على كل حال . ولا نستطيع أن نقطع بشيء من تحديد أول من روى الفاظاً من الأضداد ، إلا أنه يمكن تحديدها بعصر أبي عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد ويونس بن حبيب وأبي زيد وأبي عمرو الشيباني والكسائي ومن في طبقتهم مِمَّنْ لم يُؤْلِفْ في الأضداد ، لأن أوائل مصنفات الأضداد وكتب اللغة قد روت عن هؤلاء شيئاً من هذه المادة ، وليس في أيدينا كذلك ما يدل على أن هؤلاء الأوائل قد نصوا على أن اللفظة التي يذكرون معانيها هي من الأضداد ، ولكننا نطمئن إلى أن أولى مصنفاتهم التي أشارت إلى هذه الظواهر إشارة صريحة فيها شيء من التعجب والدهشة هو كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) إذ قال في مادة (شعب) بعد أن ذكر المعنين المتضادين : «هذا من عجائب الكلام ووسع العربية أن يكون الشعب تفرقاً ويكون اجتماعاً ، وقد نطق به الشعر»^(١) . كما تعجب أيضاً من تضاد لفظة (الناشد) وقال : «وهذا من عجيب كلامهم أن يكون الناشد : الطالب والمعرف جميعاً»^(٢) . ومع ذلك فإن الخليل لم ينص على أن (الشعب) أو (الناشد) من الأضداد ، فقد اكتفى بذكر المعنين المتضادين وتسجيل دهشه من هذا التضاد ، ولم يحاول تبرير ذلك فقد نطق به الشعر على حد قوله . أما ما عدا الخليل من رواة اللغة الذين عاصروه ، وتتلذذوا له فيعزز النصوص التي نقلت عنهم في الأضداد الوضوح والصراحة فقد اختلط النقل عن أبي عمرو

(١) الخليل بن أحمد الفراهيدي : كتاب العين ، مادة (شعب) .

(٢) نفس المصدر السابق : مادة (نشد) ، ومتقدمة عنه في اللسان ، ٤٢١/٣ ، وفي الناج ٢٢٠/٩ .

بن العلاء بالنقل عن أبي عمرو الشيباني ، لذكر الكنية عارية عن اللقب في أكثر النصوص الموجودة في كتب الأضداد ، فلم يُعلم من مِنْهُما الكلام ، والقليل من هذه النصوص ما كان يذكر اللقب المميز لكل منها ، ولكن الراجح أن أكثرها منسوب للشيباني لأن مقارنة النص الواحد بين صوره في المصادر يهدي إلى ذلك أحياناً . وكذلك يونس بن حبيب (ت ١٨٢ هـ) فلم يرو عنه أكثر من أربعة أضداد عند قطرب وأبي الطيب اللغوي منقوله عندهما في كتب الأضداد الأخرى ، ونصوصها غير واضحة في تحديد كلام يونس لاتصاله بكلام قطرب وأبي الطيب ، مثل قول قطرب : « قال يونس : الرغوث : التي يرغثها ولدها من الشاء ، فصارت في معنى مرغوثة ، والولد أيضاً رغوث والمعنى أنه راغث لها ، فصارت رغوثاً للمفعول والفاعل »^(١) . فلا يُعلم هل انتهى كلام يونس عند ذكر المعنى الأول واتصل به كلام قطرب أم استمر إلى آخر النص ، فالنقل غير واضح في هذه المسألة . وهكذا الأمر بالنسبة لسائر رجال هذه الطبقة من لم يؤلف في الأضداد أو لم يعاصر التأليف فيها ، مما رُوى عن لغويي هذا الجيل من الأضداد يعتبر ضئيلاً لو قورن بما أصبح عليه الوضع بعد ذلك ، فهي كلمات قليلة ترد عارضة على الأستاذ في حلقة الدرس فيتبئها إليها ويحاول تفسيرها ، فتعلق في ذهن أحد التلاميذ ويفطن إلى ما فيها من تضاد ، ويجتمع عنده من هذه الألفاظ عدد يدفعه إلى تدوينه في كتاب مع شيء من الشرح والاستشهاد ، فظهرت كتب الأضداد الأولى صغيرة الحجم قليلة المادة ، بسبب تحضن النية لتدوين هذه الألفاظ ، دون محاولة التكثير منها بالتعسّف والتكلف والاصطناع ، وإن لم تخل خلواً تاماً من هذه الدوافع ، ولكنها أقل بكثير مما نجده في المؤلفات اللاحقة .

(١) قطرب : الأضداد ، تحقيق هانس كوفлер - مجلة إسلاميكا ، المجلد الخامس ، ١٩٣١ م .

ومن التناقض الذي وقع فيه الأوائل ، ما وقع فيه قطرب على سبيل المثال ، فنقرأ في أضداده : «وقالوا : القاسط الجائز ، قال الله وجل وعز : ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾^(١) ، ويقال قد قسط عن الحق قسوطاً أي عدل عنه ، وقال العديل بن الفرح العجلي :

قَسَطُوا عَلَى النَّعْمَانَ وَابْنِ مَحْرَقٍ وَابْنَى قَطَامٍ بِعَزَّةٍ وَتَنَاوِلٍ^(٢)

فعدا أنه لم يتبه إلى دور (عن) و (على) في صرفهما المعنى إلى السلب وإلى الإيجاب كدور الحرفين في (رغب في ، ورغب عن) ذاهباً إلى الفعل (قسط) وتغيير معناه في القرآن والشعر ، فهو قد عد اللفظة من المثلث في كتابه (المثلثات) مبيناً هناك أن اختلاف المعاني لاختلف حركةفاء الفعل في المصدر ،

قال :

طارحي بالقسطِ	ولم يزن بالقسطِ
ففيه عرف القسطِ	والعنبر المطيب

وقال الشارح في توضيح المعانى الثلاثة :

الجور في الأحكام فهو القسط	والعدل والإحسان فهو القسط
ثم الذى يباع فهو القسط	يروح طيب نشره في النار ^(٣)

فاللفظة إذن من المثلثات وليس من الأضداد ، بعد أن رجع قطرب إلى المصدر فسي تحديد المعنى ، بعيداً عمماً يكتتف الفعل من الملابسات اللفظية والأسلوبية التي تؤثر في معناه لأن في المثلثات رجوع إلى جذر المادة (ق س ط)

(١) سورة الجن : الآية ١٥ .

(٢) قطرب : الأضداد ص ٢٥٩ - ٢٦٠ .

(٣) السنوري : شرح مثلثات قطرب ، تحقيق هفتner وشيفخو . المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩١٤ م .

الذي منه يمكن معرفة الأصل المعنوي بدقة ، في حين لا يتتوفر مثل هذا الرجوع في الأضداد ، حيث يكتفى بأن تؤخذ أى كلمتين متشابهتي الحروف الأصلية وتعقد المقارنة بين معنييهما دون ملاحظة الخلافات الدقيقة بين الكلمتين ، ولذلك حين تنبه علماء الأضداد بعد قطرب إلى دور الحرف في ضدية (قسط) راحوا يفتثرون عن شاهد يؤيد تضادها فوجدوه في القرآن الكريم ، فذكروا معنى الجور الآية التي ذكرها قطرب ، وذكروا معنى العدل قوله تعالى : «وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ»^(١) ، وبهذا المعنى في قول الحارث بن حلزة :

——— من ي————— وأكملْ مَقْسِطْ ملک

شي ومن دون ما لديه الثناء^(٢)

ولكنهم غفلوا أو تغافلوا عن أن الفعل في الآية الأولى (قسط) وفي الثانية (أقسط) ناسين أو متناسين دور همزة السلب في قلب المعنى إلى ضده .

ومثل قسط مادة (الجلد) ذكرها قطرب في الأضداد^(٣) ، وكان قد ذكرها في المثلثات^(٤) ، محدداً معانيها بدقة ، وعن أضداده نقلتها كتب الأضداد الأخرى ، حيث ذكرها ابن الأباري^(٥) ، وأبو الطيب اللغوي^(٦) ، والصفاغاني^(٧) ، بشيء من التفصيل في الشرح والاستشهاد عند الأولين ومثل هاتين المادتين كثير من

(١) سورة الحجرات : الآية ٤٩ .

(٢) محمد بن القاسم الأنصاري : الأضداد ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم - الكويت ١٩٦٠ م . ص ٥٨ ، وانظر : أبو الطيب اللغوي : الأضداد في كلام العرب ، تحقيق عزة حسن - دمشق ١٩٦٣ م ، ٥٩٤/٢ .

(٣) قطرب : الأضداد ، ص ٢٧٩ .

(٤) السنهوري : شرح مثلثات قطرب ، ص ١٧٢ .

(٥) ابن الأباري : الأضداد ، ص ٢٠٦ .

(٦) أبو الطيب اللغوي : الأضداد في كلام العرب ، ص ١/١٧٤ .

(٧) الصفاغاني : الأضداد ، تحقيق أوغست هفتر ، المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩١٣ م ، ص ٢٢٦ .

المواد التي أخذت أخذ المسلمات عن المؤلف الأول، لهذا فنحن - إن جاز لنا - نُحمل قطريًا مسؤولية كبير من الألفاظ التي اعتبرت من الأضداد وتلمسَت لها الشواهد من هنا وهناك تأييدًا لهذا المعنى وتوثيقًا لذلك لأن قطريًا كان قد ذكرها في كتابه معتبرًا إياها من الأضداد . وشأن الأضداديين في هذا شأن سواهم من الذين يتصدرون للتاليف فيما سبقهم إليه مؤلف سابق ، إذ تكون مادة كتابه هي التي يُعَوَّل عليها ويُزَادُ فيها وتُتَشَرَّحُ غواصتها ويُفصَّلُ في موجزها .

إن مؤلفات الأضداد تندرج تحت نوع من المصنفات اللغوية يُعنَى بدراسة الظواهر اللغوية وجمع مفرداتها وشرح معانيها في جملة ما عُنِيَ به . والأضداد من الظواهر التي حظيت بدراسات وكتب كثيرة فيما لو قورنت بسوها من الظواهر كالإبدال والقلب والنحو والاشتقاق وما إلى ذلك . ولقد عثر الباحث في كتب الترجم والمعانى والقهاres على ذكر لواحد وثلاثين كتاباً في الأضداد لم يصل أكثرها والظاهر أنه مفقود فيما فقد من تراثنا الضخم خلال العصور .

ولم ير النور منها سوى ثمانية من الكتب القدية^(١) ، عدا أربعة أو خمسة من الكتب الحديثة أو المتأخرة المحفوظة في مخازن المخطوطات بعضها مجهول المؤلف^(٢) .

(١) محي الدين توفيق إبراهيم : ابن السكري اللغوي ، مطبعة دار الجاحظ - بغداد ١٩٦٩ م ، ص ٢٤٢ . ولقد فات مؤلف هذا الكتاب الإشارة إلى كتاب قطرب وأبي الطيب اللغوي فيما عده من كتب الأضداد التي وصلت ونشرت ، عدا التي لم تنشر من الكتب المتأخرة .

(٢) سوف ندرج قائمة بأسماء مؤلفي الأضداد مرتبة حسب تواريخ وفياتهم ، ونذكر بعد كل منهم المikan التي أشارت إلى كتابه منهين إلى المطبع منها :

- ١- أبو علي محمد بن المستير قطرب (ت ٢٠٦هـ) ذكره : الفهرست ٧٨ ، ونزة الآباء ٦١ ، وابن الرواية ٣/٢٢٠ ، ووفيات الأعيان ٣/٤٣٩ ، ومعجم الأدباء ١٩/٥٣ ، والوافي بالوفيات ٥/١٩ ، والمزهر ١/٣٧٩ ، وبغية الوعاة ١٠٤ ، وشذرات الذهب ٢/١٦ ، وكشف الظنون =

- = ١١٥ ، وتاريخ بروكلمان ٢/١٤٠ ، وتاريخ آداب اللغة العربية ٢/١٢٥ ، والأعلام ٧/٣١٥ . ونشره محققا المستشرق هانس كوفلر في العدد الثالث من المجلد الخامس من مجلة (اسلاميكا) ١٩٣١ م التي تصدر بالألمانية .
- ٢- يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ) ، ذكره : أضداد ابن الدهان ٩١ (لم يصل) .
- ٣- أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ) . ذكره : الفهرست ٨٠ ، وإنباء الرواية ٣/٢٨٦ ، ووفيات الأعيان ٤/٣٣٦ ، ومعجم الأدباء ١٦١/١٩ ، وهدية العارفين ٢/٤٦٦ ، وإيضاح المكنون ١/٩٤ (لم يصل) .
- ٤- عبد الملك بن قریب الأصمعي (ت ٢١٦هـ) . ذكره الفهرست ٨٢ ، وإنباء الرواية ٢/٢٠٣ ، ووفيات الأعيان ٢/٣٤٩ ، وبیغیة الوعاء ٣١٣ ، وخزانة الأدب ٤/٥٣٠ ، وكشف الظنون ١/١١٥ ، وهدية العارفين ١/٦٢٣ ، ومعجم المطبوعات ٤٥٧ ، وتاريخ بروكلمان ٢/١٤٩ ، والأعلام ٤/٣٠٨ ، ونشره محققا المستشرق الدكتور أوغست هفتر ضمن (ثلاثة كتب في الأضداد ، بالمطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩١٣م) .
- ٥- أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) . ذكره : المزهر ١/٥٨١ ، ٢٤٩/٢ ، وتاريخ بروكلمان ٢/١٥٨ (لم يصل) .
- ٦- أبو محمد عبد الله بن محمد الترمذی (ت ٢٣٣هـ) . ذكره : الكامل ١/٢٥٥ ، ٣/٢٢٨ ، وفهرسة ابن خير ٣٨٤ ، وإنباء الرواية ٢/١٢٦ ، والمزهر ١/٣٩٧ ، وبیغیة الوعاء ٢٩٠ ، وهدية العارفين ١/٤٤٠ ، وتاريخ بروكلمان ٢/١٦٢ ، وإيضاح المكنون ١/٩٤ ، ومعجم المؤلفين ٦/١٤٣ (لم يصل) .
- ٧- أبو يوسف يعقوب بن السكít (ت ٢٤٤هـ) ذكره: الفهرست ١٠٨ ، وفهرسة ابن خير ٣٨٢ ، ووفيات الأعيان ٥/٣٤٣ ، ومعجم الأدباء ٢٠/٥٢ ، وخزانة الأدب ١١/١ ، ١٤٧/٢ ، ٢/٥٣٠ ، ٧٦/٤ ، ٢٠٠/٤ ، والذریعة ٢/٢١٤ ، وهدية العارفين ٢/٥٣٦ ، وإيضاح المكنون ١/٩٤ ، وتاريخ بروكلمان ٢/٢٠٥ ، ومعجم المطبوعات ١٢٠ . نشره محققا المستشرق الدكتور أوغست هفتر ضمن (ثلاثة كتب في الأضداد) ، بالمطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩١٣م .
- ٨- أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني (ت ٢٤٨هـ) ذكره : الفهرست ٨٧ ، وإنباء الرواية ٢/٦٢ ، ووفيات الأعيان ٢/١٥٠ ، ولسان العرب ٧/١٢٦ ، وكشف الظنون ١/١١٥ ، وهدية العارفين ١/٤١١ ، وتاريخ بروكلمان ٢/١٦٠ ، ومعجم المطبوعات ٩٠/١٠٠ ، والأعلام ٣/٢١٠ . نشره محققا المستشرق الدكتور أوغست هفتر ضمن (ثلاثة كتب في الأضداد) بالمطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩١٣م .
- ٩- عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) ذكره : مجلة الأقلام ، السنة الأولى ٤/٩٨ .
- ١٠- عبيد (أو عسل) بن زکوان (ت ؟) عاصر المبرد . ذكره : الفهرست ٨٩ ، وإيضاح المكنون ١/٩٤ (لم يصل) .

- = ١١- أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت ٢٩١ هـ) . ذكره : أضداد بن الدهان ٩١ ، وفهرسة ابن خير ٣٨١ (لم يصل) .
- ١٢- أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨ هـ) ذكره : الفهرست ١١٢ ، وإنباء الرواة ٢٠٤/٣ ، ووفيات الأعيان ٤٦٤/٣ ، ومعجم الأدباء ٣١٢/١٨ ، الواقي بالوفيات ٣٤٤/٤ والمزهر ٣٩٧/١ ، وبغية الوعاة ٩١ ، وخزانة الأدب ٣٥/٣ ، ٧٦/٤ ، وكشف الظنون ١١٥/١ ، وتاريخ بروكلمان ٢١٥/٢ ، وتاريخ آداب اللغة العربية ١٨٢/٢ ، ومعجم المطبوعات ٤١ ، والأعلام ٢٢٧/٧ . نشره محققاً المستشرق هوتسما في ليدن ١٨٨١ م ، والشيخ محمد ابن عبد القادر سعيد الرافعى بمشاركة الشيخ أحمد الشقبيطى في المطبعة الحسينية بمصر ١٣٢٥ هـ ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم - الكويت ١٩٦٠ م.
- ١٣- عبد الله بن جعفر بن درستويه (ت ٣٤٧ هـ) . ذكره : تصحيح الفصيح ٨ ب ، ٢٥٦ ، والفهرست ٩٤ ، وإنباء الرواة ١١٤/٢ ، والمزهر ٣٩٦/١ ، وكشف الظنون ١١٥/١ ، وهدية العارفين ٤٤٦/١ (لم يصل) .
- ١٤- أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي (ت ٣٥١ هـ) ذكره : خزانة الأدب ١١/١ ، ٧٦/٤ ، وتأج العروس ٧/١٠ ، ٤٧٣/١٠ ، وتاريخ بروكلمان ٢٤٣/٢ ، والأعلام ٣٢٥/٤ . نشره محققاً في مجلدين الدكتور عزة حسن بدمشق ١٩٦٣ م .
- ١٥- الحسن بن بشر الأمدي (ت ٣٧٠ هـ) ذكره : معجم الأدباء ٨/٨ ، وإنباء الرواة ١/٢ ، وبغية الوعاة ٢١٨ ، وهدية العارفين ١/٢٧١ ، وروضات الجنات ٧٥/٣ (لم يصل) .
- ١٦- أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا الرازي (ت ٣٩٥ هـ) . ذكره : الصاحبي ٦٧ (لم يصل) .
- ١٧- أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الشعالي (ت ٤٣٠ هـ) . ذكره : مجلة الأقلام السنة الأولى ٩٨/٤ .
- ١٨- سيد بن المبارك بن الدهان (ت ٥٦٩ هـ) . ذكره : معجم الأدباء ١١/١١ ، ووفيات الأعيان ١٢٤/٢ ، ونكت الهميان ١٥٨ ، والمزهر ١/٣٩٧ ، وبغية الوعاة ٢٥٦ ، وكشف الظنون ١/١١٥ وهدية العارفين ١/٣٩١ . نشره محققاً الشيخ محمد حسن آل ياسين ضمن المجموعة الأولى من (نفائس) المخطوطات ، في النجف ١٩٥٢ م . وأعاد طبعه في بغداد ١٩٦٣ م .
- ١٩- أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري (ت ٥٧٧ هـ) . ذكره : الواقي بالوفيات ٢/٢ ، والمزهر ١/٣٩٧ ، وبغية الوعاة ١/٣٠١ (لم يصل) .
- ٢٠- أبو الفضائل الحسن بن محمد الصقاني (ت ٦٥٠ هـ) . ذكره : تاريخ شغر عدن ٥٤/٢ ، والمزهر ١/٣٩٧ ، وبغية الوعاة ٢٢٧ ، والجواهر المضيئة ١/٢٠٢ ، وفروع اللغات ١٩٠ ، وكشف الظنون ١/١١٥ ، وروضات الجنات ٣/٩٤ ، وتاريخ آداب اللغة العربية ٣/٥٠ ، والأعلام ٢/٢٣٢ . نشره محققاً أوغست هفner ضمن (ثلاثة كتب في الأضداد) على شكل (ذيل) بيروت ١٩١٣ م .

- = ٢١ - عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم العتائقي (ت ٧٩٠). ذكره : الذريعة ٢١٤ / الم يصل).
- ٢٢ - محمد بن أحمد بن شرف الدين المدنى (ت ٩٠٤). ذكره : مجلة اللسان العربي ١٠٥ / ٩ . مخطوط بمكتبة السليمانية بالاستانة رقمه (١٤١) .
- ٢٣ - تقي الدين عبد القادر التميمي المصري (ت ١٠٠٥ هـ) ذكره : كشف الظنون ١١٥ / ١ ، ومعجم المؤلفين ٢٨٥ / ٥ (لم يصل). وهو مختصر كتاب الأضداد لابن الأنباري .
- ٢٤ - ملا حسن بن تقي الدين عبد القادر التميمي المصري (ت ٩) . ذكره : كشف الظنون ١١٥ / ١ (لم يصل). وهو ترتيب المختصر السابق على حروف الهجاء .
- ٢٥ - عبد الهاذى نحنا بن رضوان نحنا المصرى الإبىاري (ت ١٣٠٥ هـ) . ذكره : تاريخ آداب اللغة العربية ٢٢٧ / ٤ ومعجم المطبوعات العربية ٣٦١ ، ومعجم المؤلفين ٢٠٣ / ٦ ، وفهرس دار الكتب المصرية ٧ / ٧ . مصور بدار الكتب المصرية رقمه (٨٤٤ لغة) ، باسم (دورق الانداد في أسماء الأضداد) .
- ٢٦ - عبد الهاذى الإبىاري (السابق) . ذكره : مجلة اللسان العربي ٩ / ١٠٥ (لم يصل) . كتاب ثان باسم (الرونق على الدورق) وهو شرح كتابه السابق .
- ٢٧ - أحمد بن أحمد بن إسماعيل الحلواوى الخليجي (ت ١٣٠٨ هـ) . ذكره : فهرس دار الكتب المصرية ١٢ / ٧ ، وفهرس المخطوطات المصورة ١ / ٣٦٤ . مصور بدار الكتب المصرية رقمه (٨٤٤ لغة) ، باسم (الكأس المروق على الدورق) وهو شرح لكتاب (دورق الانداد) للإبىاري .
- ٢٨ - محمد بن سليمان بن محمد الشتكابنى (ت قبل عام ١٣٢٠ هـ) . ذكره : الذريعة ٢١٤ / ٢ (لم يصل) .
- ٢٩ - عبد الله بن محمد (ت ٩) . ذكره : مجلة اللسان العربي ٩ / ١٠٥ . مخطوط بدار الكتب المصرية رقمه (٢٤١ مجاميع) ، باسم (رسالة في ذكر بعض الألفاظ المستعملة في الضدرين الموجودة في القاموس) .
- ٣٠ - مؤلف مجهول : ذكره في : مجلة اللسان العربي ٩ / ١٠٥ . مخطوط بدار الكتب المصرية رقمه (٣٢٩ لغة) ، باسم (منبه الرقاد في ذكر جملة من الأضداد) .
- ٣١ - مؤلف مجهول . ذكره : مجلة المورد ١ / ١٥٧ . مخطوط في مكتبة جستر بيتي في دبلن رقمه (٣١٦٥) مجموعة ، باسم (أضداد آي القرآن) .

الأضداد في العربية المفهوم والمصطلح :

والأضداد مصطلح أطلقه اللغويون العرب على الألفاظ التي تصرف إلى معنيين متضادين . وهي - لغة - جمع ضد وهو النقيض والمقابل ، وعليه فليست الأضداد اللفظية التي تقابل فيها المعاني دون أن يتحد اللفظ كالليل والنهر والطول والقصر والنور والظلمة ، والتي عقدت لها بعض كتب الأدب القديمة فصولاً من هذا النوع^(١) ، ولذلك فلقد وقع المستشرق (Redslob) في الخطأ على هذا الأساس حين اعتبر الجاحظ من ألف في الأضداد متوهماً بأن كتابه (المحاسن والأضداد) من هذا الباب^(٢) .

ورد في لسان العرب أن الضد هو كل شيء ضاد شيئاً ليغلبه ، وجاء التعريف نفسه في تاج العروس للزبيدي وأضاف : السواد ضد البياض ، والموت ضد الحياة ، قاله الليث . والضد والضديد : الضد والشبيه والقرین ، ويقال لقى القوم أضدادهم وأندادهم أي : أقرانهم . وعن الأخفش : الند : الضد والشبيه ، ومنه : ﴿ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَاداً ﴾^(٣) أي أضداداً وأشباهها . والضد : ضد كما قال أبو عمرو ، قال تعالى: ﴿ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًا ﴾^(٤) . أي تكون الأصنام أعواناً على عابديها يوم القيمة ، وقال عكرمة : أي يكونون أعداء عليهم يوم القيمة . وسمع أبو تراب من زائدة : صده وضده : صرفه ومنه برق . وفي الصباح : الضد بالفتح الملة : ضد^(٥) . وجاء في المصباح

(١) الهمذاني : الألفاظ الكتابية ، تحقيق لويس شيخو اليسوعي ، مطبعة الآباء اليسوعيين - بيروت ١٩١٣ م ، ص ٢٩٦ - ٢٩٧ .

(٢) Redslob Die arabischen Wörter mit ٢/٢٩١ ، Redeslob Die arabischen Wörter mit ٢/٢٩١ ، دالة المعارف الإسلامية .

(٣) سورة فصلت : الآية ٩ . (٤) سورة مريم : الآية ٨٢ .

(٥) الزبيدي (السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي) : تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق الدكتور عبد العزيز مطر ، مطبعة حكومة الكويت - ١٩٧٠ م ، الجزء الثامن ، ص ٣١٠ .

المنير : الضد هو النظير والكافء والجمع أضداد . والضد خلافه . و (ضاده مضادة) إذا بaine مخالفة ، و (المتضادان) اللذان لا يجتمعان كالليل والنهار^(١) . وأشار الشرتوني في أقرب الموارد إلى ما دعا «لغات الأضداد» : اللغات الدالة على معنيين متضادين كالضد للمثل والمخالف^(٢) .

وقال قطرب : «ومن هذا اللفظ الواحد الذي يجيء على معنيين فصاعداً ما يكون متضاداً في الشيء وضده»^(٣) . فلقد توصل قطرب من تصريف المشترك اللغظي ، بأن منه قسمًا يزداد التناقض فيه إلى التضاد . وهذا التعريف - في رأي الباحث - غير شامل ولا دقيق .

ومثل تعريف قطرب ، تعريف أبي حاتم السجستاني لها بقوله : «ضد الشيء خلافه وغيره»^(٤) ، إذ ليس كل ما خالف المعنى ضد .

وقال ابن الأباري عن كتابه في الأضداد : «هذا كتاب ذكر الحروف التي توقعها العرب على المعاني المتشابهة : فيكون الحرف منها مؤيداً عن معنيين مختلفين»^(٥) ، فذكر في صدر التعريف ما يقربه من الهدف ، وذكر في آخر التعريف ما أوقعه في اللبس .

(١) الفيومي (أحمد محمد بن علي الفيومي المقري) : المصباح المنير ، المكتبة العصرية - صيدا ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٧ م ، ص ١٨٦ .

(٢) سعيد الخوري الشركوني : أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد ، مطبعة مرسل اليوسوعية - بيروت ١٨٨٩ ، ص ٦٧٩ .

(٣) قطرب (أبو علي بن المستير قطرب) : الأضداد ، تحقيق هائز كوفلر - مجلة إسلاميكا الألمانية المجلد الخامس ، ١٩٣١ م ، ص ٢٤٤ .

(٤) السجستاني (أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني : الأضداد (ضمن ثلاثة كتب في الأضداد) ، تحقيق أوغست هفتر ، المطبعة الكاثوليكية . بيروت ١٩١٣ م ، انظر : المقدمة .

(٥) ابن الأباري (أبو بكر محمد بن القاسم الأباري) : الأضداد ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم - الكويت ١٩٦٠ ، انظر : المقدمة .

أما تعريف أبي الطيب اللغوي فهو أقرب إلى الدقة ويوضح كل لبس ، يقول : «الآضداد . جمع ضدّ . وضد كل شيء ما نفاه نحو البياض والسوداد ، والسعاء والبخل» ولقد بينَ قصور التعاريف السابقة ، بقوله بعدهاً : «وليس كل ما خالف الشيء ضدّا له . ألا ترى أن القوة والجهل مختلفان وليسَا ضدّين ؟ ، وإنما ضدّ القوة الضعف ، وضدّ الجهل العلم . فالاختلاف أعمّ من التضاد : إذ كل متضادين مختلفين ، وليس كل مختلفين ضدّين»^(١) . فالآضداد وهي الألفاظ التي يدل الواحد منها على معندين متضادين ، وهذا هو جوهر تعريف أبي الطيب اللغوي الذي أزال به الإبهام والاضطراب عن فكرة التضاد التي هي أخصّ من الاختلاف في معناها العام . وعلى هديه سار المؤخرون والمحدثون في تعريفاتهم للآضداد^(٢) .

وفي ضوء هذا المفهوم فإنه يُشترط لتكون الكلمة من الآضداد أن تتحدد ومتعلقاتها في المعنين ، لأن أي تغيير فيها أو في متعلقاتها يُخرجها عن كونها بذاتها تحتمل المعنين المتضادين . ومن ذلك مثلاً «ترب الرجل» بمعنى : افتقر ، و «أترب» بمعنى : استغنى^(٣) . ولهذا قال ابن الأباري : «وهذا عندي ليس

(١) أبو الطيب اللغوي : الآضداد في كلام العرب ، تحقيق عزة حسن - دمشق ، ١٩٦٣ م ، انظر المقدمة .

(٢) انظر : حاجى خليفة : كشف الظنون ، تحقيق بالتقايا الكلisy ، وكالة المعارف - استنبول ١٩٤١ م ص ١١٥ / ١ . وانظر : جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، مطبعة الهلال - القاهرة ١٩٣٦ م ، ص ٤٥ / ١ . وانظر : د. إبراهيم السامرائي : التطور اللغوي التاريخي ، دار الرائد لطبع - القاهرة ١٩٦٥ م ، ص ٩٠ . وانظر : علي عبد الواحد واني : فقه اللغة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة - د.ت ، ص ١٨٦ ، وانظر : مجلة مجمع اللغة العربية - القاهرة ، الجزء الثاني السنة الأولى ١٩٣٥ م ، ٢ / ٢٢٠ ، وانظر : مجلة المجمع العلمي العربي - دمشق ، مجلد ٣٩ : ٤ / ٥٣٠-٥٣١ .

(٣) قطرب : الآضداد ، ص ١٢٤ . وانظر : ابن الأباري : الآضداد ، ص ٣٨٠ . وانظر : أبي الطيب اللغوي : الآضداد ، ص ١١٥ / ١ . وانظر : الصغاني : الآضداد ، ص ٨٢ .

من الأضداد لأن ترب يخالف أترب ، فلا يكون ترب من الأضداد لأنه لا يقع إلا على معنى واحد^(١) . وقال أبو الطيب اللغوي مبيناً شرط الكلمة لتكون من الأضداد «إن شرط الأضداد أن تكون الكلمة بعينها تستعمل في معنيين متضادين من غير تغيير يدخل عليها»^(٢) .

فاللفظة لكي تعد من الأضداد فالمفروض أن تنصرف هذه اللفظة إلى معنيين متضادين مجردة من كل ما يتصل بها من تعليق أو تركيب أو سياق يخص أحد المعنيين ويجرها إلى دائرة الألفاظ الدالة على معنى واحد ، لأن فكرة الضدية في هذه الحالة لا تتوفر في اللفظة نفسها وإنما تتوفر في الاختلاف الذي ينشأ من تفسيرها بسبب ما يفسر به السياق أو التركيب العام للجملة فالتضاد بذلك سيكون في التأويل لا في اللفظة ، وفي متعلقاتها من الحروف لا بأصولها المفرد ، وتدخل تحت هذا النوع من الأضداد ثلاث طوائف هي :

الطاقة الأولى : تشمل ما كان تضاده بسبب حروف الجر المتعلقة بالفعل ، مثل : (أغارَ الرجل إلى القوم : أغاثهم ، وأغار على القوم : قتلهم)^(٣) . ومن ذلك أيضاً : (راغَ فلان على القوم : أقبل عليهم . وراغ عنهم إذا ولَى عنهم)^(٤) . وكذلك : (فزعَه : إذا أخافه . وفزع عنه : كشف عنه الفزع)^(٥) .

(١) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ٣٨٠ .

(٢) أبو الطيب اللغوي : الأضداد ، ص ٤٥٥ ، ٤٥٥/٢ ، ٥٧٨/٢ .

(٣) قطرب : الأضداد ، ص ٢٥٥ . وابن الأنباري : الأضداد ، ص ٣٦٨ .

(٤) قطرب : الأضداد ، ص ٢٧٨ . وابن الأنباري : الأضداد ، ص ١٥٣ . وأبو الطيب اللغوي : الأضداد في كلام العرب ١/٣٢٨ .

(٥) قطرب : الأضداد ، ص ٢٧٣ . وابن الأنباري : الأضداد ، ص ١٩٩ . وأبو حاتم السجستاني : الأضداد ص ١٤٥ . وأبو الطيب اللغوي : الأضداد في كلام العرب ٢/٥٣٣ .

والغورو زبادي : بصائر ذوي التمييز ، تحقيق محمد على التجار - القاهرة ١٩٦٥ ، ص ١٩١/٤ . علي بن حمزة: التبيهات، تحقيق عبد العزيز اليمني الرا吉حوني، دار المعارف- مصر ١٩٦٧م، ٩٢.

ونحو : (طلعتُ على القوم : غبتُ عنهم . وطالعتُ إليهم : أقبلتُ إليهم)^(١) .
 ونحو : (أوزعْتُ الشيءَ : أو لغته به . وأوزعْتُه : كفته عنه)^(٢) . ونحو
 (تاجروا على الطريق : ساروا عليه تباعاً . وتاجروا عنه : عدّلوا عنه)^(٣) .
 ونحو : (ظاهرٌ عنك : زائل عنك . وظاهرٌ عليك : لم يزل عنك)^(٤) .
 ونحو : (قَسَطَ : عَدْلٌ . وَقَسَطَ عن الحق وعليه : عَدْلٌ عنه وجار)^(٥) .
 ونحو : (واطلب لى شيئاً : أبغه لى واطلبني : أعني على الطلب)^(٦) . وما لم
 تذكره كتب الأضداد : (رغب فيه : أراده وأقبل عليه . ورغب عنه : عافه
 وتركه) . ونحو : (انصرف إليه : أقبل عليه . وانصرف عنه : تشاغل بغيره).
 وما أشبه ذلك من الاستعمالات .

و واضح أن التضاد في كل هذه الأفعال غير حاصل إلا بسبب الم العلاقات
 التي تصرف الفعل إلى معنى إيجابي أو آخر سلبي ، فحقيقة الضدية هي بين
 (إلى وعلى) ، (على وعن) و (في وعن) وهكذا ، وليس بين الفعل ونفسه
 في أي من استعمالاته ، فلقد احتفظت المواد الأصلية للأفعال بمعانيها ، فالفعل
 (أغار) يعني اشترك في صراع ، ولكنه مرة مع القوم وقد أفاده حرف الجر
 (إلى) ، ومرة عليهم وقد أفاده الحرف (على) والفعل (راغ) يعني تحرك بخفاء ،
 ولكنه تحدد بالإقبال بالحرف (على) ، وتحدد بالإدبار بالحرف (عن) . والفعل

(١) أبو الطيب اللغوي: الأضداد في كلام العرب ص ٤٥٩ / ١ . أبو بكر السجستاني : غريب القرآن ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده - القاهرة ١٩٦٣ م ، ص ٥١٨ .

(٢) قطرب : الأضداد ص ٢٧٢ . أبو الطيب اللغوي : الأضداد في كلام العرب ص ٦٦٧ / ٢ . أبو حاتم السجستاني ص ١٥١ . ابن الأباري : الأضداد ص ١٤٠ .

(٣) أبو الطيب اللغوي : الأضداد في كلام العرب ص ٦٨٧ / ٢ .

(٤) قطرب : الأضداد ص ٢٧٥ . ابن الأباري : الأضداد ص ٥٦ .

(٥) قطرب : الأضداد ص ٢٦٠-٢٥٩ .

(٦) الزبيدي : تاج العروس ، وزارة الإرشاد والأنباء ، مطبعة حكومة الكويت ١٩٦٥-١٩٧١ م ، ص ٢٧٥ / ٣ .

(رُغْبَ) يدل على مطلق الرغبة في كلا الاستعمالين ، وإنما الذي صرف هذه الرغبة إلى اتجاهين متعاكسين هو حرف الجر . ولهذه الحروف معانٍ خاصة تتضمن وتنبلور إذا اتصلت بالفعل ، فحرف الجر (إلى) يفيد معنى الأفضاء والإقبال والإقدام وهي معانٍ إيجابية ، وحرف الجر (على) يفيد معنى الإيقاع والنزول والتمكّن ، وهي معانٍ سلبية ، كما أن حرف الجر (في) يفيد معنى الرغبة والإرادة ، بعكس (عن) الذي يفيد معنى الترك والعزوف ، ... إلخ ، فهذه الأفعال التي تعلقت بها حروف الجر هي الفاظ رسم لدلالاتها الطريق وحدد المعنى إيجابياً كان أم سلبياً بواسطة هذه الحروف .

الطائفة الثانية : وهو ما كان التضاد فيها بسبب موقع اللفظة من السياق ، مثل كلمة (فَوْقُ) التي تأتي بمعنى دون^(١) في قوله تعالى : «إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعْوَذَةً فَمَا فَوْقَهَا»^(٢) . ومن ذلك أيضاً لفظة (خلف) بسكون اللام وفتحها ل לו ل الد صالح والطالع^(٣) ، في قوله تعالى : «فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ»^(٤) . وكذلك نحو : (بَيْنَ) للوصل والفرق^(٥)

(١) قطب : الأضداد ص ٢٧١ . وابن الدهان : الأضداد في اللغة ، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ، مطبعة دار التضامن - بغداد ١٩٦٣ م ، ص ١٠٢ . وابن الأنباري : الأضداد ص ٢٤٩ . وثعلب : مجالس ثعلب ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر - القاهرة ١٩٤٨ م ، ص ١٩١ / ١ .
 (٢) سورة البقرة : الآية ٢٦ .

(٣) الفراء : معاني القرآن ، تحقيق : أحمد يوسف نجاتي ، ومحمد على النجار ، دار الكتب المصرية ١٩٥٥ م ، (الجزء الأول) . والدار المصرية للتأليف والترجمة ، مطبعة سجل العرب - القاهرة ، د.ت. (الجزء الثاني) ، ص ٢ / ١٧٠ . ابن منظور : لسان العرب ، نشر دار صادر ودار بيروت - بيروت ١٩٥٥ م ، ص ٩ / ٨٤ .

(٤) سورة مريم : الآية ٥٩ .

(٥) قطب : الأضداد ، ص ٢٧٤ . الأصمعي : الأضداد ، تحقيق أوغست هنر ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩١٣ م ، ص ٥٢ . ابن الأنباري : الأضداد ص ٧٥ . الحريري : درة الغواص في أوهام الخواص ، طبعة بالأوقست عن طبعة ليزوج مكتبة المثنى - بغداد ، ص ٦٣ . الخفاجي : شرح درة الغواص ، نشر نظارة المعارف ، مطبعة الجوانب - قسطنطينية ١٢٩٩ هـ ، ص ٩٧ .

في قوله تعالى : «لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ»^(١) . ونحو : (جديد) للجديد والبالي^(٢) في قوله الوليد بن يزيد :

أبى حبى سليمى أن يسدا وأصبح حبّلها خلقاً جديداً

وغير ذلك من أشباه هذه الألفاظ التي كان اختلافهم في تفسير معناها في مواضعها التي وردت فيها هو الذي أكسبها صفة الضدية ولم تكن بها قبل هذا الخلاف ، كما لا تكون بعده لو أنها انتزعت من موضعها الذي هي فيه ، ذلك أن السياق هو الذي يُعيّن بالضرورة معنى اللفظة وعلاقتها السلبية أو الإيجابية فيه ، فهو لا يخفى مقصد المتكلم منه إذا وعى السامع نظم الجملة وأسلوب تركيب الكلام . وإلى هذا رمى ابن الأنباري بقوله : «كلام العرب يُصَحَّ بعضه بعضاً ، ويرتبط أوله بأخره ، ولا يُعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه واستكمال جميع حروفه ، فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين ، لأنها يتقدمها ويأتي بعدها ما يدلّ على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر ، ولا يُراد بها في حال التكلم والإخبار إلا معنى واحد»^(٣) فمن خلال الاستعانة بالسياق يمكن معرفة المعنى والوقوف على حقيقته ، غير أن الشيء الذي سببَ تضاد طائفة من الألفاظ هنا هو الاختلاف في تفسير معانيها وأغراضها عند ورودها في نصوص كان احترامهم لها حيناً وجهلهم بملابساتها حيناً آخر هو الذي دفعهم إلى الاختلاف في معاني الألفاظ فيها .

فالآية الكريمة التي وردت فيها لفظة (فوق) أشعرت جماعة من المفسرين بأن المراد منها أن يضرب الله مثلاً بأصغر ما يمكن من الأشياء فلا بد أن يكون

(١) سورة الأنعام : الآية ٩٤ .

(٢) ابن الأنباري : الأضداد ص ٣٠٨ . ابن الدهان : الأضداد في اللغة ص ٩٥ . الصغاني : الأضداد ، تحقيق أوغست هنر ، المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩١٣ م ، ص ٢٢٦ .

(٣) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ٢ .

المقصود ما هو أصغر من البعوضة ، فذهبوا إلى تفسير (فوق) بمعنى دون لهذا السبب ، غير أن وعْنِي فكرة الآية يقود إلى اعتبار (فوق) مستخدمة بمعناها الأصلي ، إذ يكون المقصود ابتداءً في الصغر من البعوضة وصعوًداً إلى ما هو أكبر منها ، وهو الذي مال إليه ثعلب وجوده^(١) . لأن ذكر البعوضة يُشعر بنهاية الصغر ، وإلا لذكر الآية شيئاً أكبر من البعوضة كالطير مثلاً ، ليصبح أن يكون هناك شيء أصغر منه وتكون (فوق) بمعنى دون ، ومن القدماء من أراد أن يجمع بين المعينين فقال إن معنى الآية (فما فوق البعوضة حقاره) ولقد أخذت بهذا الرأي بعض دراسات المحدثين^(٢) . ولا نرى وجهاً لهذا التفسير ولا ضرورة له .

ولولا عبارة (أضاعوا الصلاة) في الآية الكريمة الثانية ، لما اختلف في تفسير (الخلف) ، يقول صاحب لسان العرب : «لأنهم إذا أضاعوا الصلاة فهم خلف سوء لا محالة»^(٣) . ولهذا فرقوا بين (خلف) بسكون اللام وفتحها ، فقالوا : إن المفتوحة للولد الصالح والساكنة للولد الطالع ، ثم قلبا بين الاثنين^(٤) ، ثم ساوا بينهما وصرحوا بأن كلاً منهما تكون للصالح والطالع . وكل هذا - في رأينا - تخيّط لا جدوى منه بسبب الحرص على معنى خاص يجب أن تؤديه الآية ، ولا يتعدى المعنى أن يكون بمعنى الولد صالحًا كان أم طالحًا ، حافظًا للصلاة أو مضيقًا لها ، وهو مذهب ابن شمیل^(٥) . والآية استعملت فتح اللام في الفعل واسكانها في الاسم وهو جمع بمعنى الأولاد ،

(١) ثعلب : مجالس ثعلب ص ١٩١ / ١ .

(٢) عبد الواحد وافي : فقه اللغة : وابن السكيت : الأضداد ص ٢٤٠ . ومجمع اللغة العربية بالقاهرة ٢٣٦ / ٢ .

(٤) لسان العرب : ص ٩ / ١٧٠ .

(٣) لسان العرب : ص ٩ / ٨٤ .

(٥) لسان العرب : ص ٩ / ٨٤ .

وعلى هذا فلا فرق بين الساكنة اللام والمفتوحة اللام أصلًا ، ولا تضاد في المادة .

أما (بَيْن) فلا يمكن الاحتجاج بالآية على صديتها بقراءتها مرفوعة على الفاعلية قراءة ضعيفة ، لأن الأصل فيها (لقد تقطع ما بينكم) ولذا فهي تُقرأ مبنية على الظرف بالرغم من حذف (ما) ، وهي القراءة المشهور التي عَبَرَ عنها الفراء بقوله : «وهو وجه الكلام»^(١) ، ولذا فهي ظرف مستعمل استعماله الطبيعي ، وهي غير (البَيْن) بمعنى الفراق الذي هو من بَانَ يَبْيَنْ فهذه معربة إلا أن الأضدادين قرنا (بَيْن) في الآية مقروءة بالرفع حيث تعن الوصول ، إلى (البَيْن) الاسم المعرب الذي يعني الفراق وحكموا بالضدية^(٢) .

وأما (جَدِيد) في البيت فهي أيضًا على معناها الأصلي وهو (المقطوع) يقول ابن دريد : «والجِدَد» : مصدر جَدَّته جَدًّا إذ قطعه . وجِداد النَّخل : صِرَامُهَا ، والجَدِيدان : اللَّيل والنَّهار وهم الأجدان . والجَدِيد المقطوع^(٣) . فكأن الشاعر يقول : لا يموت حُبُّى لسليمى بالرغم من أن جبلها خلق مقطوع . إلا أن غياب المعنى الأصلي للجديد عن أذهان الأضدادين وتصور معناه المتتطور قد أورثهم هذا الوهم . إذ أن تسمية الليل والنهر بالجديدين هي من تسميتهم بالمقطوعين لأن كلاً منها ينقطع عن صاحبه وعن سابقه ، وهو الذي تطور فصار يطلق على كل مستحدث (جديد) فكأنه مقطوع عما سبقه بحدوثه هذا ، والأصل هو معنى القطع ذاك ، وبذلك يتضح لنا أنه لا ضدية في لفظة (جَدِيد) في الشاهد .

(١) الفراء : معاني القرآن / ١ / ٣٤٥ .

(٢) ابن الأباري : الأضداد ص ٧٥-٧٦ .

(٣) ابن دريد : الاشتقاد ، تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة السنة المحمدية - القاهرة ، ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م .

فهذه الألفاظ وغيرها حيث تقوم دعوى التضاد على إنكار ما سببه اختلاف التفسير وتبادر وجهات النظر في مؤدى اللفظة في موقعها من السياق ، إذ لم يقصد التكلم أن يستعمل في نصه ضداً ، وإنما كان فهم السامعين متضاداً ، فالكلمة في منأى عمّا يحدث في ذهن السامع من إدراك ، وعليه فليست من الأضداد .

الطائفة الثالثة : وتشمل ما كان تضاده من النصوص بسبب اختلاف التفسير وهو شبيه بالنوع السابق إلا أنه يفرق عنه بأن التضاد المزعوم في ذلك النوع كان في اللفظة المفردة بسبب اختلافهم في مؤداها من سياق الكلام . أما التضاد في هذا النوع فهو في المعنى العام للنص ، لأن تكون آية برمتها من الأضداد أو بيت شعر بكامله من الأضداد ، وذلك لاختلافهم في تفسير مراد القائل من مجموع تعبيره . فمن أمثلته في القرآن الكريم : يقول ابن الأنباري : «ويُفسَرُ أَيْضًا قُولَه عَزَّ وَجَلَّ : ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾^(١) تفسيرين متضادين ، فيقول الكلبي : هذا بقوله الله جل جلاله لاصحاب الأعراف ، وقال : يرى أصحاب الأعراف في النار رؤساء المشركين فينادونهم : يا عاصي ابن وائل يا وليد بن المغيرة ويا أسود بن المطلب ويا أبا جهل بن هشام ما أغنى عنكم جمعكم في الدنيا وما كنتم تستكبرون ، إذ أنتم الآن في النار ، ويرون في الجنة المستضعفين من المسلمين : سلمان الفارسي وعمار بن ياسر وصهيباً وعامر بن فهيرة ، فيقولون للمشركين : أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحة ، فيقول الله تبارك وتعالى لاصحاب الأعراف : ﴿ا دُخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ . وقال مقاتل بن سليمان : يقسم أهل النار أن أصحاب الأعراف لا يدخلون الجنة ، فتقول لهم الملائكة الذين حبسوا أصحاب الأعراف على الضراط ، أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحة ،

(١) سورة الزخرف : الآية ٦٨ .

ويقولون لهم أيضًا : «أدخلوا الجنة لا خوفٌ عليكم ولا أنتم تخزنون ...»^(١). وهكذا نرى أن المسألة لا تتعذر أن تكون اختلافاً بين المفسرين في مُؤَدَّى الآية وهو مما حفلت به كل كتب تفسير القرآن الكريم ومعانيه ، فهل تعد هذه الكتب من كتب الأضداد ؟ . ويبدو أن الذي دفع ابن الأنباري إلى الخوض في ذلك هو اتصاله بالقرآن اتصال بحث دقيق ودرس مستوعب واسعًا فيه مصنفاته ودراساته فانعكس ذلك على دراساته اللغوية ، إذ لا نجد مثل هذا في كتب الأضداد الأخرى ، ودعوى تضاد هذه الآية متهافة لا تقوم على ساق ، كما أن مكان هذه الآراء ووجهات النظر ليست كتب الأضداد ، وإنما كتب تفسير القرآن ذلك لأنها تتعلق بمعاني الآيات لا بمعاني الألفاظ . ولذا نجد أن ابن الأنباري كثيراً ما يرجع القارئ إلى مصنفاته القرآنية لزيادة الإطلاع على الخلاف في التفسير^(٢) . ومثل هذه الآية آيات أخرى كثيرة^(٣) .

ومن أمثلة هذا النوع في الشعر : يقول ابن الأنباري : «وما يفسر من الشعر تفسيرين متضادين قول قيس بن الخطيم :

أتعرفُ رسمًا كاطردادِ المذاهبِ لعمرَةِ وحشًا غير موقفِ راكبِ

قال ابن السكيت : أراد بقوله (غير موقفِ راكب) إلا أن راكباً وقف ، يعني نفسه . وقال غيره : لم يُرِد الشاعر هذا ، ولكنه ذهب إلى أن (غير) نعت للرسم ، تأويله : أتعرف رسمًا غير موقفِ راكب ، أى ليس بموقف للراكب لأن دراس الآثار منه وامحاء معالمه ، فسمى بصر به الراكب من بعد ذعر منه فلم يقف به . وتفسير ابن السكيت يدل على أن الراكب أراد به الشاعر نفسه ، أى إلا أنني أنا وقفت به متذكرة لأهله ، ومتعجبًا من خرابه وخلاته من

(١) ابن الأنباري : الأضداد ص ٣٦٩ - ٣٧٠.

(٢) انظر على سبيل المثال : نفس المصدر السابق : ص ٤٢٨ .

(٣) وانظر : نفس المصدر السابق : ص ٣٥٣ ، ٣٥٠ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٨١ ، ٣٨٦ .

سكنه الذين كنت أشاهد وأعاشر»^(١) . وشبيه بهذا الاختلاف اختلافهم في أبيات أخرى^(٢) .

ونقول في هذه الآيات ما قلناه في الآيات ، من أن هذه الآراء المختلفة في تفسيرها لا تجعل منها أضداداً بالمعنى الذي حدّدناه وحدّده قبلنا علماء الأضداد أنفسهم ، إذ لا بد أن يكون البحث عن التضاد قائماً على دراسة اللفظة الواحدة دراسة تاريخية دقيقة آخذة بنظر الاعتبار استقلالها المعنوي عن كل ما يتعلّق بها من كلام وتركيب . أما أن يكون البحث فيما أراد الشاعر في هذا البيت وما قصد إليه في ذلك البيت ، مما يُسمَّى أضداداً ، فذلك ما لا يقول به أحد بخَبَرِ طبيعة الدرس اللغوي ووقف على حقيقة الضدية في الألفاظ ، ولعل ما يؤيّد ذلك أننا لا نجد مثل هذه البحوث عند غير ابن الأنباري من علماء الأضداد ، فكأنهم تنبهوا إلى أن الخوض في هذا الغamar ليس مما يدخل في كتبهم التي محضوها لدراسة تضاد الألفاظ وجمع الأضداد ، وأن هذا الأمر تختص به كتب النقد الأدبي ، ولو رجعنا إلى أي من الكتب المعنية بنقد الشعر ودراسة معانيه ومذاهبه وأغراضه لأنقىناه غاصباً بمثل هذه المسائل ، فهذا ابن رشيق القيرواني في كتابه العمدـة - على سبيل المثال - يُقلّب قول سليمان قنة في رثاء الحسين :

أولئك قومٌ لم يشيموا سيوفهم ولم تکثر القتلى بها حين سلتِ
على جميع وجوهه ذاكراً أقوال الآخرين في تفسير معناه ، حتى يخلص
إلى فكرتين متضادتين تُستفادان من قول الشاعر^(٣) فهل يُعدّ عمل ابن رشيق في

(١) نفس المصدر السابق : ص ٢٨٦-٢٨٧.

(٢) انظر على سبيل المثال : نفس المصدر السابق : ص ٢٩٩ ، ٣٢٩ ، ٣٤٠ ، ٣٥٥ ، ٣٦٩ .

(٣) ابن رشيق القيرواني : العمدـة ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة بمصر - القاهرة ١٩٥٥ م ، ص ٢/١٨٧ .

العمدة بحثاً في الأضداد؟ ولهذا فإننا نستطيع إلغاء جميع أمثلة هذا النوع من الأضداد لعدم توفر فكرة الضدية فيها جميماً . ونستطيع أن نقول إن ابن الأنباري هو المُتَكَبِّرُ الوحيد من هذا النوع ، لأننا لا نكاد نعثر على مثله في كتب سواء من علماء الأضداد ما عدا ابن الدهان الذي وضع كتابه اختصاراً لكتاب ابن الأنباري .

خلاصة القول فإن كتب الأضداد حوت الفاظاً كثيرة لا يمكن أن يُفسَّر وجودها في هذه الكتب بغير تعسُّفٍ مؤلَّفيها وتتكلُّفهم في إخضاعها للفكرة ، ومع ذلك فهي غير خاضعة لها بما أوردوا من معانٍ . فليس من العلم أن نصطنع بناءً ونزعُم وجوده في اللغة بحججة أنه مقياس على قواعدها ، لأن اللغة استعمال قبل كل شيء ، فينبغي أن يُسمَّع ويُعرَف لِيُبَيَّنَ عليه درسٌ ويقوم فيه رأيٌ ، ولذلك فإن كثيراً مَا عُدَّ من الأضداد لا يقوم دليلاً قوياً على وجوده في كلام العرب وإنما هو مقياس على كلامهم .

جدلية الأبنية الصرفية ودورها في تكثير الأضداد :

إن كتب الأضداد ابتداءً بكتاب قطرب وانتهاءً بالكتب المختصرة المتأخرة أوردت مجموعة كبيرة من الأضداد يمكن لدارسها أن يستشعر بوضوح دور الأبنية الصرفية والتباس الصيغ المختلفة في خلق تضادها المزعوم والإيهام بأصالته في دلالتها .

إن الدرس المتأني المتأمل للأبنية الصرفية وقوانين الاشتقاق في العربية من ناحية ومدى سعة هذه اللغة فيما تحوي من صيغ يمكن الاستعاضة بعضها عن البعض الآخر في الاستعمال من ناحية أخرى ، وكذلك فإن تبع ما يطرأ على الألفاظ المختلفة من ظواهر تصريفية تتصل بزيادة الأصوات أو حذفها لنكت لغوية تتعلق بالدلالة تارة ، وبالانسجام الصوتي تارة أخرى ، وبسهولة النطق ثالثة ، يكشف عن انهماك علماء الأضداد في تلمّس التضاد في لفظة عَرَضَ لها التصريف فصرف أصواتها إلى ما يُوهم بضديمة دلالتها في الظاهر ، وهي في حقيقتها بعيدة عما يراد لها بالنظرية الدقيقة . ومع ذلك فنحن لا نعدم أن نجد بين هؤلاء المهتمين بالأضداد من قَلَّ من شأنها وأفردها بملحق في آخر كتابه .

وفي ضوء الأبنية الصرفية نستطيع أن نُقسِّم هذه الطائفة من الأضداد إلى مجموعتين كبيرتين ، أمّا المجموعة الأولى منها فتشمل :

* ألفاظ على وزن (فاعل) تصرف للفاعل والمفعول ، مثل : (خائف)^(١)

(١) ابن الأنباري : الأضداد ص ١٢٥ . وأبو الطيب اللغوي : الأضداد في كلام العرب ص ١ / ٢٣٧ .

و (عائذ)^(١) و (عارف)^(٢) و (نائم)^(٣) و (عازم)^(٤) و (عاصر)^(٥) و (فاطم)^(٦)
 و (لائق)^(٧) و (وامق)^(٨) و (حالي)^(٩) و (كاتم)^(١٠) و (بائنة)^(١١) و (داحضة)^(١٢)
 و (راضية)^(١٣) و (أشرة)^(١٤) ، وغير ذلك مما تصح تسمية فاعل الفعل به وكذلك
 الشيء المفعول ، وهو استعمال شائع في العربية يراد به تقوية المعنى حين
 يُصرف إلى المفعول ، كما يُراد به التفنن في الكلام وتحسينه ، ولم يتتبس على
 العرب من ذلك شيء ، لأن الاستعمال يوضح دلالة الصيغة من خلال سياق
 العبارة ، فإذا قيل مثلا : (سرّ كاتم) أو (عيشة راضية) أو (ليلة بائنة) فالقصد
 واضح في أن المعنى : سر مكتوم ، وعيشة مرضية ، وليلة مبيت فيها ، وقد
 أشار غير الأضاديين في كتبهم ومصنفاتهم اللغوية إلى هذه الألفاظ دون أن
 يلمحوا فيها شيئاً من التضاد ، كالخليل بن أحمد الفراهيدي^(١٥) ، والفراء^(١٦) ،
 والشعابي^(١٧) ، بل اعتبروا مثل هذه الاستعمالات مما يشيع في لغة العرب ،

(١) ابن الأنباري : الأضداد ص ١٢٥ . وأبو الطيب اللغوي : الأضداد في كلام العرب ص ٢ / ٥٠٤ .

(٢) ابن الأنباري : الأضداد ص ١٢٦ . وأبو الطيب اللغوي : الأضداد في كلام العرب ص ٢ / ٥٠٤ .

(٣) ابن الأنباري : الأضداد ص ١٢٧ .

(٤) نفس المصدر السابق ، ونفس الصفحة .

(٥) نفس المصدر السابق : ص ١٢٨ . أبو الطيب اللغوي : الأضداد في كلام العرب ص ٢ / ٥٠٦ .

(٦) ، (٧) قطرة : الأضداد ص ٢٥٠ . ابن الأنباري : الأضداد ص ٣٦٣ .

(٨) نفس المصدر السابق : ص ٣٤ .

(٩) أبو الطيب اللغوي الأضداد في كلام العرب ١ / ٢٠٩ .

(١٠) نفس المصدر السابق : ص ٢ / ٦١٠ .

(١١) نفس المصدر السابق : ص ١ / ٨٥ .

(١٢) نفس المصدر السابق : ص ١ / ٢٧٤ .

(١٣) نفس المصدر السابق : ص ١ / ٣٢٦ .

(١٤) نفس المصدر السابق : ص ١ / ٢٦ .

(١٥) الخليل بن أحمد : العين ص ١٥٥ .

(١٦) الفراء : معاني القرآن ص ٢ / ١٥ - ١٦ .

(١٧) الشعابي : فقه اللغة ص ٤٩٢ .

ذلك أنهم يدعون كلامهم على كل لفظة من هذه الألفاظ بطاقة من الأمثلة المشابهة من القرآن الكريم والشعر وكلام العرب .

* الفاظ على وزن (مفعول) تصرف للفاعل والمفعول ، مثل : (مأْتِيٰ)^(١) ، ولم يعثر الباحث على غيرها من كتب الأضداد ولقد أُسْتُدِلَّ على صديتها بقوله تعالى : «إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا»^(٢) حيث استعملت بمعنى (آتيا) والحقيقة إن معنى الفاعل مستفاد من سياق الآية وإن كان بلغ المفعول ، وربما يكون في عبارة (وعده) مجاز ما عن مكان الحساب يوم القيمة ، إذ يكون المعنى : كان مكان حشركم الموعود مأْتِيًّا . ولكن الفراء عالج الآية بشكل آخر فقال : «وقوله (إنه كان وعده مأْتِيًّا) ولم يقل آتيا . وكل ما أتاك فأنت تأتيه ، ألا ترى أنك تقول : أتيتُ على خمسين سنة وأتَتْ عَلَيَّ خمسون سنة ، وكل ذلك صواب»^(٣) . ومهما يكن التفسير فإن في اللغة سعة في الاستعمال إذا وضح المعنى وأُمِنَ اللبس ؛ وما قلناه في صيغة (فاعل) نقوله في صيغة (مفعول) ، علمًا بأن الأضداديين فاتهم أن يقرنوا إلى (مأْتِيٰ) لفظة أخرى أشار إليها الشعالي ، فبعد أن ذكر الأولى قال : «وَكَمَا قَالَ جَلَّ جَلَالَهُ : «حِجَابًا مَسْتُورًا»^(٤) أي ساترًا»^(٥) .

* الفاظ على وزن (فعول) تصرف للفاعل وللمفعول ، مثل :

(١) أبو الطيب اللغوي : الأضداد في كلام العرب ٣١/١ .

(٢) سورة مريم : الآية ٦١ .

(٣) الفراء : معاني القرآن ص ٢/١٧٠ .

(٤) سورة الإسراء : الآية ٤٥ .

(٥) الشعالي : فقه اللغة ص ٤٩٢ ، وانظر : ابن فارس : الصاحبي ، نشر المكتبة السلفية ، مطبعة المؤيد - القاهرة ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠ م ، ص ٢٠١ .

(ذَعُور)^(١) و(رَكْسَوب)^(٢) و(فَجُوع)^(٣) و(زَجُور)^(٤) و(رَغْوُث)^(٥) و(نَهُوز)^(٦)
 و(غَمُوز)^(٧) و(عَصَوب)^(٨) و(شَكُوك)^(٩) و(ضَغَوْث)^(١٠) و(عَرُوك)^(١١)
 و(ظُئُور)^(١٢) و(رَحْبُول)^(١٣) و(نَخُور)^(١٤) و(طَعُوم)^(١٥) و(زَعُوم)^(١٦)
 و(مَخْوَض)^(١٧) و(خَلْوَج)^(١٨) و(شَرُوب)^(١٩) و(قَدْوَع)^(٢٠) و(لَبُوس)^(٢١)
 و(قَرُون)^(٢٢) و(لَمُوس)^(٢٣) و(سَحُور)^(٢٤) و(فَطُور)^(٢٥) و(شَمُول)^(٢٦)

(١) الأصمعي : الأضداد ص ٥٥ . أبو حاتم السجستاني الأضداد ص ١١٢ . ابن السكين : الأضداد ص ٢٠٧ . ابن الأنباري : الأضداد ص ٥٧ . أبو الطيب اللغوي : الأضداد في كلام العرب ص ٢٨٠ / ١ .

(٢) قطرب : الأضداد ص ٢٤٩ . ابن الأنباري : الأضداد ص ٣٥٦ . أبو الطيب اللغوي : الأضداد في كلام العرب ٣٠٦ / ١ .

(٣) ابن الأنباري : الأضداد ص ٣٥٦ ، ٣٥٧ . وأبو الطيب اللغوي : الأضداد في كلام العرب ص ٥٣٩ / ٢ ، ٣٣٢ / ١ ، ٥٣٩ / ١ ، ٣٠٨ / ١ ، ٥٢٦ / ٢ ، ٦٥٠ ، ٥٠١ / ٢ ، ٤١٦ / ١ ، ٤٥٦ / ١ ، ٥٠٣ / ٢ .

(٤) نفس المرجع السابق . (٥) نفس المرجع السابق . (٦) نفس المرجع السابق .

(٧) نفس المرجع السابق . (٨) نفس المرجع السابق . (٩) نفس المرجع السابق .

(١٠) نفس المرجع السابق . (١١) نفس المرجع السابق .

(١٢) قطرب : الأضداد ص ٢٤٩ - ٢٥٠ . ابن الأنباري : ص ٣٥٨ - أبو الطيب اللغوي : ص ٣٢٤ / ١ ، ٣٣٦ ، ٤٦٤ ، ٤٧٩ ، ٦٥١ / ٢ .

(١٣) نفس المرجع السابق . (١٤) نفس المرجع السابق . (١٥) نفس المرجع السابق .

(١٦) نفس المرجع السابق .

* (١٧) ابن الأنباري : الأضداد ص ٣٦٣ .

(١٨) أبو الطيب اللغوي : ص ١ / ١ ، ٢٥٨ ، ٣٨٥ ، ٦٠٥ / ٢ ، ٦١٧ .

(١٩) نفس المرجع السابق . (٢٠) نفس المرجع السابق .

(٢٢) قطرب : الأضداد : ص ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

(٢٣) نفس المرجع السابق .

(٢٤) أبو حاتم السجستاني : الأضداد ص ١١٣ .

(٢٥) نفس المرجع السابق . (٢٦) نفس المرجع السابق .

و(جنوب)^(١) و(دبور)^(٢) و(حلوبة)^(٣) و(قتيبة)^(٤) و(جلوبة)^(٥) و(جزوزة)^(٦)
 وأكولة)^(٧) ، وغيرها ، وهذا الوزن عَدَ الأضداديون من الأوزان التي يطرد
 فيها التضاد ، لأن صرف ألفاظه جمِيعاً إلى معنى الفاعل والمفعول ، متتكلفين في
 حمل ما يمكن حمله من الألفاظ على هذا الوزن ، ومشتقتين منه ما لم يَجُرْ به
 الاستعمال أو يرد به النص ، حتى نقل ابن الأباري عن قطرب أنه قال :
 «فَعَوْلٌ مِنْ حَرْفِ الْأَضْدَادِ»^(٨) ، على أننا لم نجد قوله بهذه الصراحة في كتابه ،
 المهم أننا نستطيع أن نلحظ في هذه الألفاظ تعسفاً كبيراً ، ذلك أن أغلبها من
 صفات الناقة وهي (المفعول) فلا يمكن أن يكون (الفاعل) الذي هو الإنسان
 طبعاً ، مما يتصرف بصفة من صفات الناقة ، وبالتالي يُعد ذلك من الأضداد .
 ويبدو أن الفراء كان قد تنبه إلى هذه الناحية ، إذ يقول ابن الأباري :
 «فَرَعُوتٌ عِنْدُ الْفَرَاءِ وَأَصْحَابِهِ لَيْسُ مِنْ الْأَضْدَادِ ، وَكَذَلِكَ الْحُرُوفُ الَّتِي
 عَدَّهَا قَطْرَبٌ (يَقْصِدُ مَا كَانَ عَلَى وَزْنِ فَعَوْلٍ) إِذْ كَانَ (زَجُورٌ) تُوَصِّفُ النَّاقَةَ
 بِهِ ، وَلَا يُوَصِّفُ بِهِ الْبَعِيرَ ، وَوَصْفُ الرَّجُلِ لَا يَقْعُدُ مَضَادًا لَوَصْفِ النَّاقَةِ بِهِ ،
 إِذْ كَانَ مِنْ غَيْرِ جَنْسِهَا ، فَهَذَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْبَابَيْنِ»^(٩) هذه ناحية ، وناحية
 أخرى هي أن وزن (فَعَوْلٌ) في العربية ، إذا كان للفاعل مذكراً أو مؤنثاً لم
 تلحقه الهاء ، فيقال : رجل كفور وامرأة كفور وكذلك غضوب وصبور
 وقتل ... إلخ ، فهي من الصيغ التي يستوي فيها المذكر والمؤنث إذا انت
 (فاعِلٌ) ، فليس في هذا تضاد بين فاعل ومفعول ، أما إذا أريداً بهذا الوزن
 معنى (المفعول) فعند ذاك يُفرَّقُ بين المذكر والمؤنث بالهاء فيقال : ناقة أكولة

- (١) نفس المرجع السابق .
- (٢) نفس المرجع السابق .
- (٣) نفس المرجع السابق .
- (٤) نفس المرجع السابق .
- (٥) نفس المرجع السابق .
- (٦) نفس المرجع السابق .
- (٧) أبو الطيب اللغوي : ص ٢٤ / ١ .
- (٨) ابن الأباري : ص ٢٥٦ .
- (٩) نفس المصدر السابق : ص ٣٦٠ .

وحلوية وجزرة وظونة ، إلا إذا قُصِّدَ إلى التعمية وهي على غير القاعدة فحينئذ تُحذَفُ الهاء ، قال الفراء : «إذا كان (فعول) للفاعل لم تدخله الهاء... استوى فيه لفظ المذكر والمؤنث ، وإذا كان للمفعول دخلته الهاء في باب التأنيث ، لِيُفَرَّقَ بين المفعول والفاعل ... وربما حذفوا الهاء من المفعول إذا أرادوا الإبهام»^(١) . نفهم من ذلك أن العرب فَرَّقوا بالهاء التي تدخل على (فعول) للمؤنث ، بين المفعول والفاعل وحذفوا هذه الهاء إذا أرادوا بفعلن معنى الفاعل لا غير للمذكر والمؤنث ، هذه هي القاعدة كما أوضحتها الفراء ، أما أن يكون (فعول) بلا هاء للفاعل والمفعول فذلك مُتَعَمِّدٌ فيه الإبهام ومقصود فيه الغموض ، ولعل أمثلته في كتب الأضداد هي أصداء تلك المحاولات التي تكلفتها الطموح الأول لقطرب لتکثیر المادة ليأتي الكتاب زاخراً بالأضداد . ولكنهم حين عرضوا للفظة (الأكولة) قررُوا أن (المفعول) منها هو : الشاة يربيها الراعي ليأكلها فهي مأكولة ، ولكنهم اختلفوا في (الفاعل) فقالوا : رجل أكولة والهاء للمبالغة . وقالوا الأكولة بمعنى الأكلين ، وقالوا : يجوز أن يكون الأكولة بمعنى المأكول^(٢) ، وهكذا حيث يتضح التخبط لالتماس الضد ، وذكروا تأييد التفسير الأول قولهم : رجل عروفة بالأمر ورجل لجوجة^(٣) . والمسألة كلها مردودة بما يحمل لفظ (أكولة) وأصرابه من معنى (المفعول) وحده ، يقول الأصمعي : «الأكولة من الغنم التي تُعزل للأكل ، والحلوبة التي يحلبون ، والركوبة ما يركبون ، والعلوفة ما يعلفون»^(٤) ، وإلى مثل هذا ذهب أبو زيد

(١) نفس المصدر السابق : ص ٣٥٨ - ٣٥٩ .

(٢) أبو الطيب اللغوي : الأضداد في كلام العرب ص ١ / ٢٤ - ٢٦ .

(٣) أبو عبيد القاسم بن سلام : الغريب المصنف ، مخطوطه بمكتبة المتحف العراقي ص ٢٨٥ .

(٤) نفس المصدر السابق : ص ٢٨٤ .

أيضاً^(١) . ولم يؤثر عن السلف أنهم سموا كثير الأكل من الرجال بـ (أكلة) وإنما سموه (أكلولا) و(إكيلا) بتشديد الكاف ، صحيح أنه قد يبالغ بالهاء إلا أنه في غير (الأكلة) .

* الفاظ على وزن (فعيل) تصرف للفاعل وللمفعول ، مثل « (الأمسين)^(٢) و(التبيع)^(٣) و(السميع)^(٤) و(الصريخ)^(٥) و(الغريم)^(٦) و(القنيص)^(٧) و(النهيك)^(٨) و(الأكبل)^(٩) و(الشريب)^(١٠) و(النجيض)^(١١) و(الخليل)^(١٢) و(الأليم)^(١٣) و(الكري)^(١٤)

(١) أبو زيد الأنباري : التوادر في اللغة ، تحقيق سعيد الخوري الشرتوبي ، دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٦٧ م ، ص ٢٤٣ .

(٢) قطرب : الأضداد ص ٢٥٥ . الأصمعي : الأضداد ص ٥١ . أبو حاتم السجستاني : الأضداد ص ٢٠٤ . ابن الأنباري : الأضداد ص ٣٤ . أبو الطيب اللغوي الأضداد في كلام العرب ص ٩/١ .

(٣) قطرب : ص ٢٥٨ . ابن الأنباري : ص ٣٧٢ . أبو الطيب اللغوي : ص ١٠١/١ .

(٤) أبو حاتم السجستاني : ص ١٣٣ . ابن الأنباري : ص ٨٣ . أبو الطيب اللغوي : ص ١/٣٦٦ .

(٥) قطرب : ٢٧٣ . أبو الطيب اللغوي : ص ١/٤٢٩ . ابن الأنباري : ص ٨٠ . السيوطي : المزهر : ص ١/٣٩٢ . أحمد بن مصطفى البابيدي : لطائف اللغة ، دار الطباعة العامة ، د. ت ، ص ١٥١ .

(٦) قطرب : ص ٢٥٥ . أبو الطيب اللغوي : ص ٢/٥١٦ . ابن الأنباري : ص ٢٠٣ . لطائف اللغة : ص ١٤٧ .

(٧) ابن الأنباري : ص ٢٦٢ . أبو الطيب اللغوي : ص ٢/٦٠٣ . لطائف اللغة : ص ١٤٩ .

(٨) قطرب : ص ٢٥٤ . ابن الأنباري : ص ٣٦٣ .

(٩) أبو حاتم السجستاني : ص ١١٣ . أبو الطيب اللغوي : ص ١/٣٠ .

(١٠) أبو الطيب اللغوي : ص ١/٣٨٥ .

(١١) أبو حاتم السجستاني : ص ١٣٣ . أبو الطيب اللغوي : ص ٢/٦٤٣ . الصغاني : ص ٢٤٦ .

(١٢) لطائف اللغة : ص ١٤٧ . (١٣) أبو حاتم السجستاني : ص ١٣٣ .

(١٤) قطرب : ص ٢٥٧ . ابن الأنباري : ص ١٩٩ . أبو الطيب اللغوي : ص ٢/٦٠٧ . ابن السكikt: إصلاح النطق ، تحقيق محمود شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر - القاهرة ١٩٥٦ م ، ص ٢٤٣ . مؤرج السدوسي : الأمثال ، تحقيق رمضان عبد التواب ، وزارة الثقافة - القاهرة ، ١٩٧١ ، ص ٥٨ .

و(**الوصي**)^(١) و(**الريبيه**)^(٢) وغيرها ، وربما فات كتب الأضداد شيء من هذه الألفاظ مثل (**هضم**) التي ذكرها أبو حاتم في غير أضداده^(٣) . ويمكننا أن نلاحظ التكلف نفسه الذي لاحظناه في الفاظ (**فعول**) ، ذلك أن الأمر في مثل هذه الألفاظ موكول للاستعمال وشيوخه ، ولا يجوز في هذه الحالة القياس ، فمثلا لا نعلم أن (**السميع**) استعملت في غير معنى الفاعل (**السامع**) وكذلك (**الأليم**) و(**الوصي**) و(**الخليل**) ، كما لا نعلم أن (**الريبيه**) استُعملَتْ في غير معنى المفعول (**التي تربب**) وكذلك (**القنيص**) و(**الأكل**) و(**الشريب**) وغيرها ، فدعوى التضاد في الفاظ هذه الفتنة لا يمكن أن يدعمها إلا الاستعمال وإنما فهي منصرفة إلى معنى واحد لا غير ، كما أن اللغة أغراض تتصل بالدلالة حين تلجم إلى استبدال صيغة بأخرى في الاستعمال ، أو استخدام وزن دون آخر ، فإذا كانت خصوصية (**فعول**) مثلا الدلالة على التفضيل في الطبيعة وتفييد معنى الأكثر ، وخصوصية (**فاعل**) الدلالة على الفاعل ، فإن (**فعيل**) خصوصيتها الدلالة على لزوم الوصف لزوما لا ينفك إذا سُميَ به^(٤) . ولهذا فإن العرب أطلقوا (**فعيل**) على من تلزم الصفة لزوما لا ينفك عنه سواء أكان المطلق عليه فاعلاً أم مفعولاً وبهذا جرى القرآن الكريم ، فكان الله : (**سميعاً**) (**علينا**) (**خيراً**) ... إلخ . لأنها صفات لا تنفك عن الذات الإلهية ، وهي كذلك بالنسبة لمن يشيع اتصافه بها من البشر ، وهي فاعل في المعنى لا غير ، وبالمقابل فإن (**المفعول**) إذا لزمته الصفة لزوما ثابت صحة أن يقال في وصفه (**فعيل**) ، فالسائل المشروب تلزم صفة الشرب فقيل (**شريب**) ، والمأكول الذي تلزم صفة الأكل (**أكل**) والحيوان (**قنيص**) وهكذا ، على أن اللغة - كما

(١) أبو حاتم السجستاني : ص ١١٩ . الصبغاني : ص ٢٤٧ . لطائف اللغة : ص ١٥٢ .

(٢) قطرب : ص ١٢٥٧ . ابن الأباري : ص ١٤٢ . أبو الطيب اللغوي : ص ٣١٠٦/١ .

(٣) أبو حاتم السجستاني : النخل . نسخة مصورة عن المخطوط بمكتبة د. إبراهيم السامرائي ، ص ٣٤ .

(٤) عبد الله العلايلي : مقدمة لدرس لغة العرب ، المطبعة العصرية بمصر ، د. ت ، ص ٦٨ - ٦٩ .

سبق لنا القول - أغراضًا بلاغية تدفعها لاستبدال الصيغ في الاستعمال ، ومن ذلك مثلا : «فَعَالٌ فِي مَعْنَى فَعِيلٍ ، نَحْوَ طَوَالٍ فَهُوَ أَبْلَغُ مِنْ مَعْنَى طَوِيلٍ ، وَعَرَاضٌ أَبْلَغُ مَعْنَى مِنْ عَرِيضٍ . . . فَعَالٌ إِنْ كَانَتْ أَخْتَ فَعِيلٍ فِي بَابِ الصَّفَةِ فَإِنْ (فَعِيلًا) أَخْصٌ بِالْبَابِ مِنْ فَعَالٍ لِأَنَّهُ أَشَدُ اِنْقِيادًا مِنْهُ»^(١) .

وإذا شئنا أن نوغّل قليلاً في هذه الناحية قلنا إن (فعيل) من صفات الفاعل دون المفعول ، وإنما أطلقت على المفعول لاكتساب الأخير صفة الأول بالمشاركة فيها ، ذلك أن الدرس اللغوي التاريخي يشير إلى أن وزني (فاعل) و(فعيل) يدلان دلالة متساوية أو قل متشابهة ، وكلاهما متتطور عن وزن (فاعيل) المنقرض في العربية^(٢) ، وبقيت صورته في بعض اللغات السامية ، وقد قصد من هذا التطور الذي حصل في الوزن الأصلي التنويع أو التخصيص ، فكان يُقال مثلاً (آمين) على وزن فاعيل ، والمقصود منه فاعل (أَمِنْ يَأْمَنْ) ثم قيل بعد أن أميت هذا الوزن (آمن) على وزن فاعل ، و(آمين) على وزن فعال ، وكلاهما بمعنى فاعل (أَمِنْ يَأْمَنْ) ، ولكن بينهما فرقاً دلائلاً أحسّت به أجيال المتكلمين بالعربية ، وإذا كان من الطبيعي أن يشارك (الأمين) من يؤتمن به فتسوّضع عنده الأمانة وهو المأمون ، قيل هو (الأمين) أيضًا ، فالمفعول قد اكتسب صفة الفاعل بالمشاركة بالأمانة ، ويمكن أن تعمّم فكرة المشاركة هذه على وزن (فعول) أيضًا بشيء من تأويل قريب ، فكلمة (ركوب) المنصرفة إلى الفاعل والمفعول ، فيها معنى من معاني مشاركة الراكب للمركوب وعلاقته به .

* ألفاظ على وزن (فعال) تصرف للفاعل وللمفعول مثل : (التوّاب)^(٣) ،

(١) السيوطي : الأشباء والنظائر ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ١٣٥٩ هـ ، ص ١٤٥/١ .

(٢) عبد الله العلالي : مقدمة لدرس لغة العرب ، ص ١٦٩ ، ١٨٨ .

(٣) أبو حاتم السجستاني : الأضداد ص ١٣١ . الصغاني : الأضداد ص ٢٢٥ . ابن الأنباري : الأضداد ص ٤١٥ . أبو الطيب اللغوي : الأضداد في كلام العرب ص ١١١/١ .

ولم نجد غيرها في كتب الأضداد ، منصرفة إلى معنى من يتوب وإلى من يقبل التوبة ، ولقد اعتبر علماء الأضداد أحدهما فاعلاً والآخر مفعولاً ، مستندين في صديتها هذه على ما ورد في معناها في القرآن الكريم صفة لله مرة وصفة للعبد أخرى ، و(فعال) من صيغ المبالغة في العربية ، فيصبح أن يتصرف بها الله عز وجل لكتلة قبوله التوبة ، وأن يتصرف بها العبد إذا كان كثير التوبة ، ولعل الذي أوقع العربية في هذا اللبس الخاص بهذه اللفظة أن الفعل (تاب) هو من الفعل المشابه له صوتاً ودلالة وهو (ثاب) الذي يعني رجع وأناب ، والتوبة فيها رجوع عن الضلال وإنابة إلى الله عز وجل ، والظاهر أن (تاب) اختص بدلاته على الرجوع من الضلال إلى الهدى وبقي لل فعل (ثاب) معنى الرجوع العام ، وهذا الأخير من الأفعال القديمة التي يوجد لها مثيل في اللغات السامية الأخرى فالفعل **للّهُ أو لَهُ** في العربية والذي يلفظ (شاب) يحمل الدلالة نفسها وهي رجع أو عاد . نريد أن نخلص إلى أن هذا المعنى العام بقيت له آثار في العربية منها هذا الذي نجده في (التوّاب) ، فيكون التفسير الدقيق لهذه الفظة في ضوء المعنى القديم أن العبد يعود إلى طاعة الله ، والله عز وجل يعود إلى رضاه عنه .

* ألفاظ على وزن (مُفْعَل) تصرف للفاعل والمفعول ، مثل (مُغْلَب)^(١) ولم نجد غيرها في كتب الأضداد ، ولقد ذكر علماء الأضداد أن هذه الصيغة أطلقت على جماعة من الشعراء ، فقيل شاعر مُغْلَب أي كثير الغلبة لغيره فهو

(١) قطرب : الأضداد ص ٢٧٣ . الأصمى : الأضداد ص ٥٣ . أبو حاتم السجستاني : الأضداد ١٤٥ . ابن السكري : الأضداد ص ٢٠٥ . الصغاني : الأضداد ص ٢٤٠ . أبو الطيب اللغوي : الأضداد في كلام العرب ص ٥١٨/٢ . ابن الأنباري : الأضداد ص ١٩٩ (مادة فزع) . ابن دريد : الاشتقاد ، تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة السنة الحمدية - القاهرة ، ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م ، ص ٢٥ . السيوطي : المزهر ص ٣٩٢/١ .

غالب ، وشاعر مُغلَّب أي كثيراً ما يُغلَّب فهو مغلوب ، والحقيقة أنهم وهموا في ذلك ، فالتشديد الذي في اللفظة ليس للكثرة وإنما للتفضيل والمشاركة ، وإنما تكون المبالغة بـ (غلاب) إذ يكفي أن تُطلق (مُغلَّب) على شاعر تغالب مرة واحدة ، وفي هذا يقول أبو الطيب اللغوي : «فِمُغْلَبٍ (مُفْعَلٌ) مِنْ ذَلِكَ ، والتشديد لتكثير الفعل . قال أبو الطيب : «وليس كذلك لأنَّه لو غلب مرة واحدة سُمِّيَ مُغلَّباً . وإنما هو من قوله : تغالب الرجال فغلبت أحدَهُمَا»^(١). إذن فالصفة تدل على المشاركة في الغلبة ، ويكون الحكم بعد التغالب إما للشاعر أو عليه ، ولذلك فإني أعتقد أنهم حذفوا من الصفة ما كان متعلقاً بالفعل من الحروف التي تشير إلى الغالب والمغلوب ، إذ تكون (مُغلَّب) للغالب من (غَلَّبَ له) ، وتكون (مُغلَّب) للمغلوب من (غَلَّبَ عليه) .

* ألفاظ على وزن (مُفْتَلٌ) تصرف للفاعل وللمفعول ، وهي على ضربين :

الأول : ما كانت عينه منقلبة عن واو أو ياء ، فلا يظهر في الألف الساكنة كسر العين وفتحها ، مثل «(المُبَاع) و(المُتَام) و(المُجَتَاب) و(المُجَاتَح) و(المُجَتَاز) و(المُحَاجَح) و(المُحَاجَض) و(المُخْتَال) و(المُدَان) و(المُرْتَاب) و(المُرْتَاح) و(المُرْتَاد) و(المُزَدَّار) و(المُسْتَافَ) و(المُسْتَاقَ) و(المُشْتَاقَ) و(المُطَافَ) و(الْمُعْتَام) و(الْمُعْتَاص) و(الْمُغْتَاب) و(الْمُفْتَات)^(٢) . و(المُقْتَال)^(٣) و(المُقْتَاد) و(المُمْتَاح)^(٤) و(المُخْتَار)^(٥)

(١) أبو الطيب اللغوي : الأضداد في كلام العرب ص ٥٢١/٢ .

(٢) انظر هذه المواد في نفس المصدر السابق : ص ٦٩١/٢ - ٧٠٢/٢ .

(٣) أبو حاتم السجستاني : الأضداد ص ١٢٠ . أبو الطيب اللغوي . الأضداد في كلام العرب ص ٧٠٢/٢ .

(٤) أبو الطيب اللغوي : ص ٧٠٣/٢ .

(٥) أبو حاتم السجستاني : ص ١٢٠ . ابن الدهان ص ٩٧ .

و(المزدان) و(المعتاض) و(المكتال)^(١) و(المزداد)^(٢) .

أما الثاني : فهو ما كانت عينه مدغمة في لامه فلا تظهر فيها حركة العين أيضاً ، مثل : (المبتدأ) و(المبتدئ) و(المبتضى) و(المحترز) و(المحتشى) و(المحتطى) و(المختصى) و(المختطى) و(المفضطى) و(الممعتدى) و(المفتقد) و(المفتن) و(المقتضى) و(المقتصى) و(المقتصى) و(المكتن) و(المختلف) و(المتردّى)^(٣) وغيرها . وبالرغم من قلة ورود هذا النوع عند غير أبي الطيب اللغوي من علماء الأضداد بالنسبة لما أورده هو منها ، فإن أبو الطيب مع ذلك قللَ من شأنه وأفرده في نهاية كتابه ونصَّ على أنه ليس من الأضداد ، فقال : «هذا آخر الأضداد على الحقيقة . وقد أدخل علماؤنا المتقدمون فيها أشياء ليست منها ، نحن نذكرها أبواباً ، لثلا يظن ظان أنَّا غفلنا عنها»^(٤) . والحقيقة أنَّ أغلب أولئك الذين عدواً هذه الألفاظ من الأضداد تجاهلوا الحقائق الصرفية ، ذلك لأنَّ دعوى التضاد في هذه الطائفة إنما هو اعتبار لدور الأصوات فقط ، وتناصي حقيقة الكلمة ومقاييسها الاستيفائي ، فلفظ (مختار) الذي أصله (مُخْتَير) بكسر الياء لا يمكن أن يقال إنه (مختار) الذي أصله (مُخْتَير) بفتح الياء ، لأنَّ التضاد إنما يتصل بالمعانى والأصوات معاً . وقد أشار إلى فكرة اختلاف الأصل هذه أبو حاتم السجستاني^(٥) ، وابن الأنباري^(٦) من القدماء عندما عرضاً لهذه الألفاظ في كتابيهما ، مما يدل على أنهما كانا قد وقفا على حقيقة ذلك الأصل الذى استق

(١) أبو حاتم السجستاني : ص ١٢٠ .

(٢) ابن الأنباري : ص ٤١ . ابن الدهان : ص ٩٩ . الصغاني : ص ٢٣٢ .

(٣) انظر هذه المواد عند أبي الطيب اللغوي ص ٧٠٨ / ٢ وما بعدها .

(٤) ابن الأنباري : ص ٤٠٩ . ابن الدهان : ص ٩٨ . الصغاني : ص ٢٣ .

(٥) أبو الطيب اللغوي : الأضداد في كلام العرب ص ٦٨٨ / ٢ .

(٦) أبو حاتم السجستاني : ص ١٢٠ - ١٢١ .

(٧) ابن الأنباري : الأضداد ص ٤٠٩ .

منه ، وما يولد الإدغام من اتحاد الصيغتين ، ومن الغريب بعد هذا أن نجدهما قد ضَمَّنا كتابيهما عدداً من هذه الألفاظ فهل كانا يعتقدان أن التضاد في هذه الطائفة يقوم على أصوات اللفظة ومعناها في الوقت نفسه ، وأنه لو فرق بين الاثنين لألغيت فكرة التضاد من أساسها ؟ يبدو ذلك ، إذ أن الصرفين حين يقررون أن (مُختار) أصلها (مُختير) بكسر الياء للفاعل ويفتحها للمفعول ، ثم حُذِفتْ الياءان وقلبتا ألفاً ، لا يقصدون إلى أن العرب نطقوا أول مرة بالياء المحركة ثم قلبوها بعد طور من أطوار لغتهم ألفاً ، لأن الحسّ اللغوي لدى المتكلمين دفعهم منذ الوهلة الأولى إلى نطقها بالألف ، وما قاله الصرفيون إنما هو افتراض لما يمكن أن تستقر عليه اللفظة لو كانت في أصلها على ذلكما البناءين ، وعلى هذا تكون الصيغتان المفترضان للفاعل والمفعول شيئاً واحداً ولا فرق صوتي بينهما في الأصل^(١) ، ومع ذلك فنحن لا نستطيع أن نلحق بهذا النوع من الألفاظ معنين متضادين ، وإنما نقول إن فيها تضاداً في اتجاه المعنى ، لا المعنى نفسه ، فهو مرة متوجه إلى الفاعل وأخرى إلى المفعول ، ولكنه هو هو في المرتين . فالاختيار لم يتغير ، وإنما اتجه القائل ذات مرة إلى فاعل هذا الحدث ، واتجاه في المرة الثانية إلى الذي وقع عليه الحدث .

وكذلك الأمر بالنسبة للفظة (مرتد) وأخواتها ، التي يقول فيها ابن الأنباري : «إذا كان للفاعل أصله (مرتدد) فاستشقلوا الجمع بين حرفين متحركين من جنس واحد ، فأسكنوا الدال الأولى وأدغموها في التي بعدها . وإذا كان للمفعول فأصله (مرتدد) ففعلوا مثل ما فعلوا في الباب الأول ، واستوى اللفظان من أجل الإدغام»^(٢) . وتشبه هذه الحالة الحالة السابقة من حيث النشأة والتفسير واتحاد الأصوات ولكنها أبعد من تلك عن الإبهام أحياناً ،

(١) انظر : مجلة اللسان العربي ١١٥/٨ - ١١٦ .

(٢) ابن الأنباري : الأضداد ص ٤٠٩ وما بعدها .

فمن اللهجات ما يُفَكَّ بها إدغام الاسم والفعل : (حالٌ وحالٌ) و(غضّن وغضّن) وهكذا ، فربما فكوا الإدغام في هذه الصفات فيتوضّح المعنى على أننا لم نسمع أنهم وقعوا عند استعمالهم لمرتد ومختار في حرج من غموض وإبهام ، وإنما كانوا يفرقون بين المعنين بالسياق والقرائن .

أما المجموعة الثانية من الأضداد التي تفسر باختلاف الصيغ والأبنية الصرفية فتشمل :

* أضداد بين (فعل) و (فعل) مثل (تَرَبَ وَأَتْرَبَ)^(١) و (ثَبَتَ وَأَثْبَتَ)^(٢) و (قَسَطَ وَأَقْسَطَ)^(٣) و (ثَلَّتَ وَأَثَلَّتَ)^(٤) و (خَفَّيْتَ وَأَخْفَيْتَ)^(٥) و (رَاحَ وَأَرَاحَ)^(٦) و (زَالَ وَأَزَالَ)^(٧) و (شَكَا وَأَشْكَى)^(٨) و (خَدِيمَ وَأَخْذَمَ)^(٩) و (طَلَبَ وَأَطْلَبَ)^(١٠)

(١) قطرب : ص ٢٦٧ . ابن الأباري : ص ٣٨٠ . أبو الطيب اللغوي : ص ١١٥/١ .

(٢) أبو حاتم السجستاني : ص ١٤٨ . أبو الطيب اللغوي : ص ١/١٢٤ .

(٣) قطرب : ص ٢٥٩ . الأصمسي : ص ١٩ . ابن السكين : ص ١٧٤ . ابن الأباري ص ٥٨ . أبو الطيب اللغوي ٥٩٤/٢ . ابن الدهان : ص ١٠٤ . الصغاني ص ٢٤٢ . الشعاليبي : فقه اللغة ص ٥٨ .

(٤) قطرب : ص ٢٦٨ . ابن الأباري ص ٣٨٧ . أبو الطيب اللغوي : ص ١/١٣٧ .

(٥) قطرب ٢٥١ . الأصمسي : ٢١ . ابن الأباري : ص ٩٦ . أبو الطيب اللغوي : ص ١/٢٣٧ . ابن القوطية : الأفعال ، مطبعة بيريل - ليدن ١٨٩٤ م ، ص ٣٩ .

(٦) أبو حاتم السجستاني : ص ١٣٤ . ابن الأباري : ص ٢٩٠ .

(٧) ابن الأباري : ص ٢٧٦ . الصغاني : ص ٢٣٢ .

(٨) قطرب : ص ٢٧٧ . الأصمسي : ص ٥٧ . أبو حاتم السجستاني : ص ١٠٦ . ابن الأباري : ص ٢٢١ . ابن قتيبة : أدب الكاتب ، تحقيق محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية - القاهرة ١٣٤٦ هـ ، ص ٣٣٧ - الشيخ أحمد بن مصطفى البابايدى : لطائف اللغة ، دار الطباعة العمارة ، د. ت ، ص ١٤٦ .

(٩) قطرب : ص ٢٥٥ . ابن الأباري : ص ٣٧١ .

(١٠) الأصمسي : ص ٥٦ . أبو حاتم السجستاني : ص ١٢٢ . ابن الأباري : ص ٨٥ . ابن قتيبة : أدب الكاتب ص ٣٣٧ . الشيخ أحمد بن مصطفى البابايدى : لطائف اللغة : ص ١٤٥ .

و(فرط وأفرط)^(١) و(فَادْ وَفَادْ)^(٢) و(وزَعْتُ وَأَوزَعْتُ)^(٣) و(حَمَّاتُ وَأَحَمَّاتُ)^(٤)
 و(قَرَأْتُ وَأَقْرَأْتُ)^(٥) و(فَهَمَ وَأَفْهَمَ)^(٦) و(سَرَّ وَأَسْرَ)^(٧) و(هَمَدَ وَأَهَمَدَ)^(٨) و(عَفَى
 وَأَعْفَى)^(٩) و(خَفَرَ وَأَخْفَرَ)^(١٠) و(قَدَى وَأَقْدَى)^(١١) و(فَزَعَ وَأَفْزَعَ)^(١٢) و(وَدَعَ
 وَأَوْدَعَ)^(١٣) و(عَذَرَ وَأَعْذَرَ)^(١٤) و(وَفَيْتُ وَأَوْفَيْتُ)^(١٥) و(سَنَدَتُ وَأَسْنَدَتُ)^(١٦)
 و(سَاءَ وَأَسَاءَ)^(١٧) و(رَجَلْتُ وَأَرْجَلْتُ)^(١٨) و(بَعْتُ وَأَبَعْتُ)^(١٩) وغيرها مما نصَّت
 عليه كتب الأضداد واللغة ، وقد أغفلت أغلب هذه المصادر الفروق الدقيقة التي
 تكمن في دلالة الصيغتين ، حيث إن الهمزة لم تدخل على الفعل الثلاثي جزاً فا
 في كلام العرب ، وإلا لكان استعمالهم للثلاثي المجرد هو المعمول به في
 الضدين لو أرادوا ذلك ، فالهمزة بدخولها على الفعل لابد أن يكون لها دور
 كبير في تغيير المعنى ، وهذا الدور يكمن في أمرين : الأول : أن تكون

(١) قطرب : ص ٢٦٢ . أبو حاتم السجستاني : ص ١٤١ . ابن الأباري : ص ٧١ .

(٢) ، (٣) أبو حاتم ١٠٩ ، ١٥٠ . ابن الأباري ص ٤١٠ ، ١٢٩ . الصغاني : ص ٢٤٧ .

(٤) قطرب : ص ٢٦٩ . ابن الأباري : ص ٣٩٦ .

(٥) قطرب : ص ٢٦٠ . الأصمسي : ص ٥ . أبو حاتم السجستاني ص ٩٩ .

(٦) قطرب : ص ٢٦١ . الأصمسي : ص ١٥ . ابن السكبيت ١٧٢ . أبو علي القالي : البارع ، تحقيق
 هاشم الطعان ، رسالة ماجستير ، بغداد ١٩٧٢ م ص ٦٧ .

(٧) قطرب ٢٥٢ . ابن السكبيت ١٧٧ . ابن قتيبة : أدب الكاتب ص ٣٣٧ . مجالس ثعلب : ص
 ٢٣١/١ .

(٨) قطرب : ص ٢٤٧ . الأصمسي : ص ٢٨ . أبو حاتم السجستاني ص ١١٨ . ابن السكبيت : ص
 ١٨٣ .

(٩) ابن السكبيت : ص ١٦٧ . أبو حاتم السجستاني : ص ٩٢ . الصغاني : ص ٢٣٩ .

(١٠) ، (١١) ، (١٢) ، (١٣) الشعالي : فقة اللغة : ص ٥٨٠ . ابن قتيبة : أدب الكاتب : ص ٣٣٧ .

(١٤) ، (١٥) ، (١٦) ، (١٧) أبو عبيد القاسم بن سلام : الغريب المصنف : ص ٣١٧ ، ٣٢٤ . الشيخ
 أحمد بن مصطفى اللبابيدي : لطائف اللغة : ص ١٤٤ .

(١٨) قطرب : ص ٢٧٨ . ابن الأباري : ص ٤٠٨ .

(١٩) أمالی الرجاجی ، مخطوطه مصورة بمكتبة الحکیم العامة بالنجف ، ص ٦٩ ب .

للتعديـة فـيـشـبـت بـهـاـ المـعـنـىـ لـمـنـ وـقـعـ عـلـيـهـ الـفـعـلـ ،ـ فـيـكـونـ فـيـ ظـاهـرـ مـعـنـاهـ مـخـالـفاـ لـمـعـنـيـ الـفـعـلـ الـثـلـاثـيـ الـلـازـمـ .ـ وـالـثـانـيـ :ـ أـنـ تـكـوـنـ لـلـسـلـبـ^(١)ـ ،ـ وـذـلـكـ بـأـنـ تـسـلـبـ مـعـنـيـ الـفـعـلـ الـمـجـرـدـ وـتـقـلـبـهـ إـلـىـ الـمـعـنـىـ الـمـضـادـ ،ـ يـقـولـ اـبـنـ جـنـيـ :ـ «ـ وـأـفـعـلـتـ هـذـهـ وـإـنـ كـانـتـ فـيـ غـالـبـ أـمـرـهـ إـنـماـ تـأـتـيـ لـلـإـثـبـاتـ وـالـإـيجـابـ ،ـ فـقـدـ تـأـتـيـ أـفـعـلـتـ أـيـضاـ يـُـرـادـ بـهـاـ السـلـبـ وـالـنـفـيـ ،ـ وـذـلـكـ نـحـوـ أـشـكـيـتـ زـيـداـ ،ـ إـذـاـ زـلـتـ لـهـ عـمـاـ يـشـكـوهـ أـنـشـدـنـاـ أـبـوـ عـلـيـ قـالـ :ـ أـنـشـدـ أـبـوـ زـيدـ :

**تَمْدَدَ بِالْأَعْنَاقِ أَوْ تَلْوِيهَا
وَتَشْتَكِي لَوْ أَنَا نُشْكِنَهَا**

أـيـ لـوـ أـنـاـ نـزـولـ لـهـاـ عـمـاـ تـشـكـوهـ^(٢)ـ .ـ وـبـهـذـاـ يـكـونـ الـفـعـلـ بـعـدـ دـخـولـ الـهـمـزةـ عـلـيـهـ شـيـئـاـ آخـرـ تـمـامـاـ بـلـ فـعـلاـ مـضـادـاـ فـيـ الـمـعـنـىـ لـلـفـعـلـ الـأـوـلـ بـسـبـبـ هـذـاـ السـلـبـ الـذـىـ أـفـادـتـهـ الـهـمـزةـ .ـ وـلـهـذـاـ قـالـ ثـلـبـ فـيـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ :ـ «ـ أـكـادـ أـخـفـيـهـاـ»^(٣)ـ :ـ أـرـيدـ أـسـتـرـهـاـ ،ـ وـمـنـ قـالـ أـخـفـىـ قـالـ :ـ أـظـهـرـ^(٤)ـ ،ـ فـكـانـهـ كـانـ يـرـىـ أـنـ الـهـمـزةـ فـيـمـنـ قـرـأـ بـالـضـمـ هـيـ هـمـزةـ السـلـبـ ،ـ وـقـدـ قـلـبـتـ الـمـعـنـىـ وـكـانـتـ هـذـهـ الـآـيـةـ هـيـ الـتـيـ جـعـلـتـ الـأـضـدـادـيـنـ يـقـولـوـنـ بـتـضـادـ الـفـعـلـ (ـأـخـفـىـ)ـ لـأـنـ (ـخـفـىـ)ـ مـجـرـدـ لـاـ يـعـنيـ إـلـاـ إـلـظـهـارـ^(٥)ـ ،ـ وـقـدـ وـضـعـ ذـلـكـ اـبـنـ جـنـيـ أـيـضاـ بـقـولـهـ :ـ «ـ وـمـثـلـهـ قـوـلـهـ عـزـ

(١) دـ. إـبـراهـيمـ السـامـرـائـيـ :ـ الـفـعـلـ زـمانـهـ وـأـبـيـتـهـ ،ـ مـطـبـعـةـ العـانـيـ -ـ بـغـدـادـ ١٩٦٦ـ ،ـ صـ ٨٢ـ وـمـاـ بـعـدـهـ .ـ

(٢) اـبـنـ جـنـيـ :ـ سـرـ صـنـاعـةـ الـإـعـرابـ ،ـ تـحـقـيقـ مـصـطـفـيـ السـقاـ وـجـمـاعـةـ ،ـ مـطـبـعـةـ الـبـابـيـ الـخـلـبـيـ -ـ الـقـاهـرـةـ ١٩٥٤ـ مـ ،ـ صـ ٤٢ـ .ـ

(٣) سـوـرـةـ طـ :ـ الـآـيـةـ ١٥ـ .ـ

(٤) مجـالـسـ ثـلـبـ :ـ صـ ١/٢٣١ـ .ـ

(٥) أـبـوـ زـيدـ الـأـنـصـارـيـ :ـ التـوـادـرـ فـيـ الـلـغـةـ ،ـ تـحـقـيقـ سـعـيدـ الـخـورـيـ الشـرـتوـنـيـ ،ـ دـارـ الـكـتـابـ الـعـرـبـيـ -ـ بـيـرـوـتـ ١٩٦٧ـ مـ ،ـ صـ ٩ـ .ـ أـبـوـ عـبـيـدـةـ :ـ مـجـارـ الـقـرـآنـ ،ـ تـحـقـيقـ دـ. سـزـكـينـ ،ـ مـطـبـعـةـ السـعـادـةـ -ـ الـقـاهـرـةـ ١٩٥٤ـ مـ -ـ ١٩٦٢ـ مـ ،ـ صـ ٢/١٦ـ -ـ ١٧ـ .ـ الـخـطـيـبـ الـتـبـرـيـزـيـ :ـ شـرـحـ مـقـصـورـةـ اـبـنـ درـيدـ ،ـ نـشـرـ الـمـكـتبـ الـإـسـلـامـيـ لـلـطـبـاعـةـ وـالـنـشـرـ -ـ دـمـشـقـ ١٩٦١ـ مـ ،ـ صـ ١٢٢ـ .ـ الـبـطـلـيوـسـيـ :ـ الـاقـضـابـ فـيـ شـرـحـ أـدـبـ الـكـتـابـ ،ـ تـحـقـيقـ عـبـدـ الـلـهـ الـبـسـانـيـ ،ـ الـمـطـبـعـةـ الـأـدـبـيـةـ -ـ بـيـرـوـتـ ١٩٠١ـ ،ـ صـ ٢٣٠ـ .ـ

اسمه «إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَّةً أَكَادُ أَخْفِيهَا» تأويله والله أعلم عند أهل النظر «أكاد أظهرها» .

وتلخيص حال هذه اللفظة : أي أكاد أزيل عنها خفاءها ، وخفاء كل شيء غطاوه . . . فأخفيها في أنه (أزيل خفاءها) منزلة قوله : (لو أنا نُشكِّيها) أي ترك لها ما تشكوه^(١) . وللعرب بعد هذا مأرب دلالية أخرى في هذه الهمزة ، يقول الفراء «أطْرَدْتُ الرَّجُلَ فِي صَيْرَتِهِ طَرِيدًا وَطَرَدَتُهُ إِذَا قُلْتُ لَهُ : إِذْهَبْ عَنَّا» و«أَقْهَرْتُ أَيْ صَارَ إِلَى حَالِ الْقَهْرِ إِنَّمَا هُوَ قَهْرٌ»^(٢) ، و«العرب تقول لكل ما كان من بطون الأنعام ومن السماء أو نهر يجري لقوم : أَسْقَيْتُ ، فإذا سقاك الرجل لشفتوك قالوا : سَقَاهُ وَلَمْ يَقُولُوا أَسْقَاهُ»^(٣) . أضف إلى هذا أن كثيرة من استعمالات (فعَلَ وَأَفْعَلَ) إنما هو من اختلاف اللهجات ، فقبيلة تستعمل الفعل بصيغة (فعَلَ) وقبيلة أخرى بصيغة (أَفْعَلَ) ، وقد أشار غير واحد من علماء اللغة القدامي إلى ذلك ، فهذا الخليل بن أحمد يُعلق على بيت أبي ذؤيب :

أُودِي بَنَيٍّ وَأَعْقَبَوْنِي حَسْرَةً بعد الرقاد وعبرة ما تَقلُّع^(٤)

بقوله : «أَعْقَبُونِي وَمُخَالِفُ لِلْأَفْاظِ السَّابِقَةِ وَمُوَافِقُ لَهَا فِي الْمَعْنَى . ولعلهما لغتان فمن قال : (عقب) لا يقول «(أَعْقَبَ) كمن قال : بَدَأْتُ بِهِ ، لا يقول : أَبْدَأْتُ بِهِ»^(٥) . وإذا كان الخليل بن أحمد قال (لعليهما) فالفراء جزم

(١) ابن جني : سر صناعة الإعراب ، ص ٤٣ .

(٢) الفراء : معاني القرآن ، ص ٢/٣٨٩ .

(٣) نفس المصدر السابق : ص ٢/١٠٨ .

(٤) ديوان الهدللين : دار الكتب المصرية ، القسم الأدبي - القاهرة ١٣٦٤ هـ / ١٩٤٥ م ، ص ١/٢ .

(٥) الخليل بن أحمد الفراهيدي : العين ، تحقيق د. عبد الله درويش ، مطبعة العاني - بغداد ١٩٦٧ م ، ص ٢٠٣ .

بذلك في تفسير قوله تعالى : «فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا»^(١) ، فقال : «وتُقْرَأ : نَصْلِيه ، وَهَمَا لَغْتَانِ وَقَدْ قَرَّتَا ، مِنْ صَلَيْتْ وَأَصَلَيْت»^(٢) . وعرضت بعض المعجمات اللغوية إلى شيء من هذا ، ففي لسان العرب لابن منظور : «مضى الأمر ، وبنو تميم يقولون : أَمْضَى . وتقول قريش : حَزَنَه ، وبنو تميم : أَحْزَنَه . . .»^(٣) .

من كل ذلك نريد أن نمضي إلى تقرير أن القول بتضاد (فعل وأفعال) لا يقوم على علم بأساليب العربية في تغيير صيغة الفعل ، وما تلعبه الهمزة من دور التعدية والسلبية وما اختلفت فيه اللهجات العربية في استعمالها للصيغ لهذا فإن ما كان التضاد فيه بين (فعل وأفعال) من الألفاظ لا يمكن أن يعدد من الأضداد ، ويجب ألا نغفل موقف ابن الأباري الصارم منها ، فقد نقد عليها وصرّح بعدم صديتها عنده ، يقول مثلاً : «وقال قطرب : من الأضداد قولهم : قد تَرِبَ السُّرْجُل إِذَا افْتَقَرَ ، وَأَتَرَبَ إِذَا اسْتَغْنَى . وهذا عندي ليس من الأضداد ، لأن (تَرِبَ) يخالف لفظ (أَتَرَبَ) فلا يكون (تَرِبَ) من الأضداد لأنه لا يقع إلا على معنى واحد . وكذلك (أَتَرَبَ) ، والعرب تقول : قد ترب إذا لصق بالتراب من شدة الفقر ، وأترب إذا استغنى فهو مترب»^(٤) . ومثل هذا ما قاله في (ثَلَّتْ وَأَثَّلَتْ) و (خَدَّمَ وَأَخْدَمَ) و (حَمَّاتْ وَأَحْمَاتْ) وسواهما . وبالرغم من إشارات غيره من علماء الأضداد كأبي الطيب اللغوي وأبي حاتم السجستاني إلى هذه الناحية إلا أنها إشارات عابرة لا يُعوّل عليها كقول أبي حاتم في (ثِبَّتْ وَأَثَّبَتْ) : «وَلَا أَعْرِفُ الثَّانِي إِلَّا تَوَهَّمًا»^(٥) . وعلى أن نقدر هؤلاء

(١) سورة النساء : الآية ٣٠ .

(٢) الفراء : معاني القرآن ص ١/٢٦٣ ، ١/٣٩٩ - ٤٦٠ ، ٢/٢٣٢ ، ٢/٣٩٤ .

(٣) ابن منظور : لسان العرب ، مادة (مضى) و (حزن) .

(٤) ابن الأباري : الأضداد ص ٣٨٠ .

(٥) أبو الطيب اللغوي : الأضداد في كلام العرب ، ص ١/١٢٤ .

العلماء أقرب للبساطة منه إلى النظرة ، فإنه يقدر لهم التفاصيل إلى ناحية من
نواحي الفرق بين الصيغتين وإن كانت شكلية محضة .

أما أن يكون (أفعَل) وحده من الأضداد كقولهم : أطلَبْتُ الرجل :
 أعطيته ما طلب ، وأطلَبْتُهُ : أجاَهَه إلى أن يطلب^(١) . فله تفسير آخر ، وهو -
 عند الباحث - قائم على التفريق بين همزتي الفعل ، فال الأولى هي غير الثانية ،
 فالهمزة التي في (أطلَبْتُهُ : أعطيته ما طلب) هي همزة السلب ، التي سببت
 معنى الطلب وحوّله إلى معنى الإعطاء ، وهي جواب : طلب (الموجب) .
 والهمزة التي في (أطلَبْتُهُ : أجاَهَه إلى أن يطلب) هي همزة التعديّة التي أوقعت
 معنى (أطلَب) الرابعى على الطالب ، فكان ملجأً بهذا الواقع إلى أن يطلب ،
 وهي جواب : لم يطلب (السالب) . فاجتمعت بهذا صيغتان متشابهتا
 الأصوات مختلفتا الهمزة فَظُنَّ فيها التضاد . ولست أميل إلى اعتبار أحد
 المعنين حقيقياً والآخر مجازياً بدعوى أنهما مرتبان سبيلاً ومسبيلاً كما ذهب إلى
 ذلك أحد الباحثين^(٢) . ذلك أن الاستعمالين موجودان منذ أن وجدت همزة
 التعديّة والسلب وإن كان المثال هنا مصنوعاً ، ولا يستشعر من أحد المعنين أنه
 مجازي بالنسبة للثاني وأنه مرتبط به ارتباط السبب بالسبب ، فالمتكلّم يستطيع
 أن يستعمل أحد المعنين باستخدام الفعل الخاص به دون أن يرتبط بذهنه المعنى
 الثاني بسبب ما .

(١) انظر : كتب الأضداد . وانظر : الزبيدي : ناج العروس ، وزارة الإرشاد والأئمة ، مطبعة حكومة الكويت ١٩٦٥ - ١٩٧١ م ، ص ٣/٢٧٥ .

(٢) حسين محمد : اللسان العربي ، ص ٨/١٤ - (مجلة تصدر في المغرب ، المجلد الثامن والتاسع ١٩٧٢ م) .

* أضداد بين (فعل و فعل) ، مثل (بَدْنَ وَبَدْنَ)^(١) . و (سَبَدْ وَسَبَدْ)^(٢) . و (عَزَّرْ وَعَزَّرْ)^(٣) . و (فَزَعْ وَفَزَعْ)^(٤) . و (عَرَبْ وَعَرَبْ)^(٥) ، ومن ذلك أيضاً ما كان (فعل) وحده من الأضداد ، مثل (فَرَعْ)^(٦) . و (حَلَقْ)^(٧) و (جَمَرَتْ المرأة)^(٨) . و (قَرَظَتْ)^(٩) . و (ولَيْتْ)^(١٠) . و (فَوَزْ)^(١١) . و (بَرَدْ)^(١٢) وغيرها . وهذه الصيغة أعني صيغة (فعل) بتضييف العين ، تصرف إلى ما تصرف إليه صيغة (أفعل) من معنى ، إذ يستخدم هذا التضييف للغرضين أنفسهما^(١٣) . فإما أن يكون للتعدية وهو إيجاب ، وإما أن يكون للسلب ، وورودها في الأول هو الأكثر ، يقول ابن جني : « وقد قالوا أيضاً : عجمت الكتاب ، فجاءت (فعلت) للسلب أيضاً كما جاءت (أفعلت) . ونظير عجمت في النفي والسلب قولهم : مرضت الرجل : أي داويته لزوال مرضه ، وقديت عينه أي أزلت عنها القذى ، ومنه رجل مبطئ إذا كان خميس البطن كأن بطنه أخذ منه ، فجاءت (فعلت) للسلب أيضاً ، وإن كانت في أكثر الأمر للإيجاب »^(١٤) . ومن

(١) قطرب : الأضداد ص ٢٧٣ . ابن الأنباري : الأضداد ، ص ٤٠٠ .

(٢) قطرب : ص ٢٧٦ . ابن الأنباري : ص ٣٠٩ . ابن الدهان : ص ٩٩ .

(٣) ابن الأنباري : ص ١٤٧ . ابن الدهان : ص ١٠٢ .

(٤) ابن الأنباري : ص ١٩٩ ، ٢٨٣ . ابن الدهان : ص ١٠٣ . الثعالبي : فقه اللغة وسر العربية ، نشر المكتبة التجارية الكبرى ، مطبعة مصطفى محمد - القاهرة ١٩٣٨ م ، ص ٥٥٩ .

(٥) زيو حاتم السجستاني : النخل ، مخطوط ص ٢٩ . ابن منظور : لسان العرب ص ١ / ٥٩٠ .

(٦) ابن الأنباري : الأضداد ص ٣١٥ . ابن الدهان : الأضداد ، ص ١٠٣ . الفارابي : ديوان الأدب (مخطوط مصور بمكتبة الأوقاف العامة - بغداد ، ص ق ٢٠٨ .

(٧) ، (٨) ، (٩) : ابن الأنباري : ص ٤٢٢ ، ٣٧٢ . ابن الدهان ص ٩٦ ، ١٠٥ .

(١٠) ، (١١) أبو الطيب اللغوي : الأضداد في كلام العرب ، ص ٢٦٦ / ٢ ، ٥٥٧ .

(١٢) ابن الأنباري : ص ٦٤ . أبو الطيب اللغوي : ص ١ / ٨٦ . ابن الدهان : ص ٩٦ .

(١٣) د. إبراهيم السامرائي : الفعل زمانه وأبنيته ، ص ٨٢ - ٩٢ .

(١٤) ابن جني : سر صناعة الإعراب ، ص ٤٤ .

أوضح إشارات القدماء إلى مجىء بناء (فعل) للسلب هي إشارة الخليل بن أحمد في تعليقه على قول أوس بن حجر يذكر الخليل :

لدى كلّ أخدودٍ يُغادرن دراعاً يُجَرِّ كما جُرَّ الفصيلُ المُقرَعُ

قال : « وهذا على السلب لأنّه يتزع قرعه بذلك ، يقال : قدّيتُ العين : نزعت قذاها ، وقردتُ البعير^(١) ». ولهذا فإنّ العارب والمعرف ليسا ضدّين بدعوى أنّ أصل الفعل وهو مجرد يحمل معنى الإصلاح والإفساد كما ظن أبو حاتم السجستاني^(٢) . وغيره ، وإنما هما شيئاً مختلفان لاختلاف الأصلين ، إذ الأول من (عرب) والثاني من (عرب) مضعفاً فاكتسب الفعل بهذا التضييف معنى السلب ، فعرب مجرداً بمعنى أفسد ، ولكن المعجمات اللغوية تقول في (عرب) مضعفاً إنه بمعنى : « قَبَحَ قوله وفعله ، وغيره عليه ورده عليه .. وعرب عليه : منعه^(٣) ، فيكون هذا المنع والرد للفساد هو الإصلاح ، وإنما استفينا هذا المعنى من صيغة (فعل) التي هي للسلب .

ولكننا نجد بين علماء الأضداد من نقد هذا التضاد ملتفتاً إلى شيء من الفرق بين الصيغتين ، وإن كان في ظاهره نقداً شكلياً يقوم على التفريق بين صوري الفعل ، دون تعليل أو إشارة إلى معنى السلب ، يقول ابن الأباري : « قال قطرب : من الأضداد قولهم : بَدْنُ الرَّجُلِ إِذَا حَمَلَ اللَّحْمَ وَالشَّحْمَ ، وَبَدْنٌ تَبَدِّلُ إِذَا أَسْنَ وَكَبَرَ وَضَعَفَ ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَلَيْسَ الْأَمْرُ عَنِّي عَلَى مَا ذَكَرَ قَطْرَبٌ ، لَأَنَّ (بَدْنَ) لَفْظَهُ يَخَالِفُ لَفْظَ (بَدْنَ) ، وَمَا لَا يَقُولُ إِلَّا عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ لَا يَدْخُلُ فِيهِ حِرْفَ الْأَضْدَادِ^(٤) » إلا أنّ ابن الأباري لم يحاول هو ولا

(١) الخليل بن أحمد : العين ، ص ١٧٧ .

(٢) أبو حاتم السجستاني : النخل (مخطوط) ، ص ٣٩ .

(٣) ابن منظور : لسان العرب ، ص ١ / ٥٩٠ .

(٤) ابن الأباري : الأضداد ، ص ٤٠٠ - ٤٠١ .

غيره أن ينقد ضدية (فعل) وحدها ، بل ارتضاها وأدخلها في كتابه ، ونستطيع أن نوجه مثل هذا التضاد عين الملاحظة التي وجهناها لتضاد (أفعال) وحدها لتضاد (أفعال) وحدها . أعني أنه ربما اجتمعت في (فعل) صيغتان لبستا هيئة صوتية متشابهة فظن أن فيها تضاداً معيناً ، فمثلاً قد تكون (فرع) التي تعني أصعد هو غير فرع التي تعني انحدر^(١) ، وذلك بأن يكون التضعيف الذي دخل عين الفعل في الأولى للتعدية ولذا قيل في معناها (أصعد) لأصعد وهو متعد بمعنى أصعد جسمه أو راحلته أو نظره أو أي شيء آخر يقع عليه الفعل ، ويكون التضعيف في الثانية للسلب ، وهو قلب المعنى وسلبه ، ولذا قيل في معناها (انحدر) وهو لازم لا متعد ، فيكون بذلك سلباً لمعنى الفعل المجرد (صعد) الذي هو لازم أيضاً .

* أضداد بنى (فعل وتفعل) مثل : (تأثم)^(٢) و (تحَوَّبَ)^(٣) و (تَصَدِّقَ)^(٤) و (تحَسَّ)^(٥) و (تَظَلَّمَ)^(٦) و (تَهَبَ)^(٧) و (تَوَسَّدَ)^(٨) و (تَهَجَّدَ)^(٩)

(١) يرى أبو زيد الانباري في نوادره ، ص ١٨٦ : أن (فرع) علا ، و (افرع) انحدر . وهذا يؤكّد معنى السلب في (أفعال) من الأضداد .

(٢) قطررب : ص ٢٥٨ : ابن الأنباري : ص ١٦٩ . ابن الدهان ص ٩٣ . أبو الطيب اللغوي ١/١٧ .
التعاليبي : فقه اللغة ، ص ٥٥٩ .

(٣) ابن الأنباري : ص ١٦٩ .
(٤) أبو حاتم السجستاني : ص ١٣٥ . الصغاني : ص ٢٣٥ . ابن الأنباري : ص ١٧٩ . ابن الدهان :
ص ١٠٠ . أبو الطيب اللغوي : ص ٤٣٧/١ .

(٥) ابن الأنباري : ص ١٨٠ . ابن الدهان : ص ٩٦ . الصغاني : ص ٢٢٨ .
(٦) قطررب : ص ٢٦٨ . أبو حاتم السجستاني : ص ١٢٧ . ابن الأنباري : ص ١٩١ . الأصمسي : ص
٥٣ . ابن الدهان : ص ١٠١ . أبو الطيب اللغوي : ص ٤٣٧/١ .

(٧) الأصمسي : ص ٤٩ . أبو حاتم السجستاني : ص ١٢٨ . ابن الأنباري : ص ٩٩ .
(٨) ابن الأنباري : ص ١٨٦ . ابن الدهان : ص ١٠٧ . الصغاني : ص ٢٤٧ .

(٩) الأصمسي : ص ٤٠ . ابن السكikt : ص ١٩٤ . ابن الأنباري : ص ٥٢ . أبو الطيب اللغوي : ص
٦٧٨/٢ . التعاليبي : فقه اللغة وسر العربية ، نشر المكتبة التجارية الكبرى ، مطبعة مصطفى محمد -
القاهرة ١٩٣٨ م ، ص ٥٥٩ .

وَ(تَضَوَّعَ)^(١) وَ(تَفَطَّرَ)^(٢) وَ(تَنْبَلَ)^(٣) وَ(تَفَكَّهَ)^(٤) وَ(تَكَادَ)^(٥) وَ(تَصَحَّنَ)^(٦) وغيرها ، وهذه الصيغة هي الأخرى تستعمل لأكثر من معنى ، تماماً كصيغتي (أفعَل) و(فَعَلَ) فقد تأتي للسلب كما تأتي للإثبات ، يقول أن جني : «ونظير فَعَلْتَ وَفَعَلْتَ في السلب أيضاً (تفَعَلت) ، قالوا تَحَوَّلَتْ وَتَأْتَمَتْ ، أي تركت الحوب والإثم ، وإن كان (تفَعَلت) في أكثر الأمر تأتي للإثبات ، نحو تقدَّمت وتأخَّرت وتعجلَتْ وتأجلَتْ ...»^(٧) . وأشار الفراء إلى معنى السلب في (تفَعَلَ) بمقارنتها في الاستعمال بـ (أفعَل) فقال في قوله تعالى : «وَإِذْ تَأْذَنْ رَبُّكُمْ»^(٨) : معناه : أعلم ربكم ، وربما قالت العرب في معنى فَعَلْتَ : تَفَعَّلْتَ ، فهذا من ذلك والله أعلم . ومثله : أُوْعَدْنَى وَتَوَعَّدْنَى ، وهو كثير»^(٩) . وفرق أبو علي القالي بين معنى علا وانحدر في مادة (فرَع) بأن جعل (تَفَرَّعَ) للعلو ، و(فَرَعَ وَفَرَعَ) للانحدار ، والأولى على السلب^(١٠) . ورأى الشاعري السبب نفسه في تضاد (فَعَلَ وَتَفَعَّلَ) وعدَّ أمثلة من ذلك ، وذكر ما لم يذكر الأضداديون :

(١) أبو حاتم السجستاني : ص ١٣٨ . الصغاني : ص ٢٣٦ .

(٢) قطراب : ص ٢٦٠ . ابن الأباري : ص ٢٧٣ . ابن الدهان : ص ١٠٣ . أبو الطيب اللغوي : ص ٥٦٣/٢ .

(٣) أبو الطيب اللغوي : ص ٦٤٩/٢ .

(٤) قطراب : ص ٢٧٥ : الأصمعي : ص ٥١ . ابن الأباري : ص ٦٥ . ابن الدهان : ص ١٠٣ . أبو الطيب اللغوي ص ٥٤٥/٢ .

(٥) أبو الطيب اللغوي : ص ٤٤٧/١ ، ٦٠٩/٢ .

(٦) أبو الطيب اللغوي : ص ٤٤٧/١ ، ٦٠٩/٢ .

(٧) ابن جني : سر صناعة الإعراب ، ص ٤٤ .

(٨) سورة إبراهيم : الآية ٧ .

(٩) الفراء : معاني القرآن ، ص ٦٩/٢ .

(١٠) أبو علي القالي : الأمالي ، دار الكتب المصرية القاهرة ١٣٤٤ هـ / ١٩٢٦ م ، ص ٥٧/١ .

«حرج فلان إذا وقع في الحرج ، وتحرّج إذا تباعد عن الحرج»^(١) حتى إنه أبعد في تلمس معنى السلب في الألفاظ والصيغ ، فذكر أنه يقال : «امرأة قدُور ، أي متصوّنة عن الأقدار ، وللهفظ يشبه ضد ذلك»^(٢) .

والى جانب معنى الإثبات ومعنى السلب في صيغة (تفعل) معانٌ آخر تصرف إليها بعض أمثلة هذه الصيغة ، منها (التكلف) نحو تشجع وتحلّم ، وما هو بشجاع ولا حليم . و(الاتخاذ) نحو ترددٍ وتوسّد من الرداء والوسادة ، وهو معنى يأتي من الأشياء المادية لا المجردات . و(التكرر في مهلة) نحو تجرّع وتفهم^(٣) . ومن هذا الأخير لفظة (تصدق) التي يقول فيها البطليوسى :

«لأن العرب تستعمل (تفعلت) في الشيء الذي يؤخذ جزءاً بعد جزء ، فيقولون تحسّيتُ المرق ، وتجرّعتُ الماء ، فيكون معنى تصدّقتُ التمستُ الصدقة شيئاً بعد شيء»^(٤) ، وكان الأولى أن يقول (أعطيت الصدقة شيئاً بعد شيء) على الأصل ، ولا يختلف معنى الجزئية والتقطيع الذي قرره في هذه الصيغة ، لأن أبو حاتم السجستاني نقل لنا عن أبي زيد الأنباري أنه قال «تصدق الرجل إذا أعطى صدقته ، وبعض العرب يقول : تصدق سأل ، والجيد تصدق أعطي»^(٥) المهم أننا أمام معانٍ كثيرة يمكن أن نرجع إليها الألفاظ السابقة كل واحدة منها إلى حظيرتها . إذ نفترض أن تكون الأفعال التي تعنى أشياء مكرورة يُستحبّ تجنبها واتقاها ، صيغت على تفعّل للسلب ، ليستفيدوا

(١) الثعالبي : فقه اللغة وسر العربية ، ص ٥٥٩ .

(٢) نفس المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٣) الرضي : شرح الرضي على شافية ابن الحاجب ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد - القاهرة ، د. ت .. ، ص ١٠٤ / ١ - ١٠٧ .

(٤) البطليوسى : الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ، تحقيق عبد الله البستاني ، المطبعة الأدبية - بيروت ١٩٠١ ، ص ١١٠ .

(٥) أبو حاتم السجستاني : الأضداد ، ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

منه معنى التجنب والاتقاء ، وهذه مثل : تأثم ، تحَوَّب ، تحَنَّث ، تظلم ، تهَبِّ ، تحرَّج ، تهجد وغیرها ، حتى أن بعض علماء الأضداد صرَّح بأن من هذه الأفعال ما لم يكن له إلا معنى واحد وهو السلب ، يقول ابن الأنباري : «كما يقال : قد تحَوَّب الرجل إذا تجنب الحوب . ولا يُستعمل (تحَوَّب) في المعنى الآخر^(١) ولما كان الهجود مما يُستكره للعبد التقى ليلاً سلبوا معنى (هَجَد) فقالوا (تهَجَد) ، يقول أبو الطيب اللغوي : «وأكثر ما يقال في النائم هاجد ، وأكثر ما يقال في المستيقظ متَّهَجَد ، وفي التنزيل **﴿فَهَجَدَ بِهِ﴾**^(٢) ، قال التوزي : معناه صَلَّ بِهِ ، وقال غيره : فَتَيَقَّظَ بِهِ»^(٣) .

ويمكن أن نرجع إلى معنى (التكلف) من هذه الأفعال ، نحو : تَفَطَّر ، تَفَكَّه ، تَكَاد ، تَبَلَّ ، فهى تُشعر بمحاولة فاعلها أن يتَّكَلَّ معانيها في نفسه ، وهي ليست فيه . ونرجع إلى معنى (الاتخاذ) منها : توَسَّد ، تصْحَّن ، وإلى معنى (التكرر والجزئية) : تَصْدَق وَتَضْمَع . وهكذا نجد أن جميع هذه الأفعال انضمت تحت معانٍ متعددة دفعت العربي إلى استعمال هذه الصيغة ليعبر عن واحدة من هذه المعاني ، على أن معنى السلب فيها أشيع هذه المعاني وأقوى الدوافع إلى استعمال (تفعل) فيما عدا معنى الإثبات والتحقيق الذي يشمل جمهرة أفعال هذه الصيغة ، ذلك أن التكلُّف بعد ذاته فيه معنى من معاني السلب ، ولكنه سلب عكسي إذا صَحَّ التعبير ، ففي السلب المعروف وبعد عنا معنى الفعل السيء تجنبًا وتعففًا ، ولكننا في التكلف نقلب المسألة فنستجلب معنى مفقودًا فنسليبه لأنفسنا بعد أن لم يكن فيها ، وهذا واضح إذا قلنا : تَكْرَم ، تَحْلَم ، تَشَجَّع ، وغيرها . لهذا فلا تضاد حقيقي بين صيغتي (فعل

(١) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ١٦٩ .

(٢) سورة الإسراء : الآية ٧٨ .

(٣) أبو الطيب اللغوي : الأضداد ، ص ٦٨٠ / ٢ . وانظر : الأصمبي : الأضداد ، ص ٤٠ .

وتَفَعَّلَ) أو في صيغة (تَفَعَّلَ) وحدها ، لاختلاف الأصل المعنوي الذي يقوم عليه بناء هذه الأفعال ، إذ لا تكفي وحدة الصوت أو الشكل لكي تفترض مثل هذه الضدية .

ولعله اتضح مما سبق دور الاشتقاد الصرفى والتباس الصيغ المختلفة فى خلق تضادها والإيهام بأسالتها فى دلالاتها ، فإن من يطلع على قوانين الاشتقاد فى العربية وسعة هذه اللغة فيما تحوى من صيغ يمكن الاستعاضة بعضها عن البعض الآخر فى الاستعمال ، كما يقف على ما يعتور الألفاظ المختلفة من عوارض تصريفية تتصل بزيادة الأصوات وحذفها لنكت لغوية تتعلق بالدلالة تارة وبالانسجام الصوتي تارة أخرى وبسهولة النطق ثالثة ، إن من يدرك ذلك تصبيه الدهشة من ينهمكون فى تلمس التضاد فى لفظة عرض لها التصريف فصرف أصواتها إلى ما يوهم بضدية دلالتها فى الظاهر ، وهي فى حقيقتها بعيدة عما يراد لها بالنظرية الدقيقة .

وفي خاتمة بحثنا عن الأضداد نخلص من هذا الاستعراض الشامل للظروف التاريخية اللغوية ، والعوامل البيئية الطبيعية التي رافقت اللغة العربية في مسيرتها الطويلة ابتداءً من عصورها السحرية في القدم حتى عصر تدوينها ، بعد عرض مواد الأضداد على كل واحد منها لمعرفة ما يمكن أن يكون سبباً في نشأة قسم من الأضداد ، تبين لنا أن الأغلب الأعم من هذه المواد كان ولد هذه الظروف ونتاج لهذه العوامل ، إذ أن العربية البدائية لم تكن لتحوى هذه الكثرة من الأضداد ، وإنما اكتسبتها بفعل التغير الحتمي في دلالاتها والذي تستدعيه الحياة المتغيرة المتبدلة في كل آن .

إننا إذا قمنا بجمع ألفاظ الأضداد التي جاءت بها كتب الأقدمين في قائمة حالية من التكرار ، لكان لنا من ذلك ما يقرب من أربعين مادة . ولو رجعنا إلى المواد التي أمكن ردها إلى كل عامل من هذه العوامل المدرستة في هذا

ومن هذا الترابط بين الضدين صحة أن يُقال أنهما متصلان صلة وثيقة

(١) انظر دائرة المعارف الإسلامية ٢٩٣ / ٢ ، ومجلة مجمع اللغة العربية الملكي ٢٣٧ / ٢ .

(٢) انظر دائرة المعارف الإسلامية ٢٩٤ / ٣٠٢ للوقوف على الأمثلة.

تجعلهما يتواجدان معًا أحياناً في كيان واحد ، وقد يُقوّي هذه الصلة أن كلا من المتضادين قد يتحول تدريجيًا بفعل عوامل معينة إلى ضده فيكونه .

المراجع العربية والاجنبية :

أولاً: المراجع العربية :

- ١ - د. إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ١٩٦١ م - دلالة الألفاظ ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .
- طرق تنمية الألفاظ في اللغة ، مطبعة النهضة الجديدة ، القاهرة ، ١٩٦٦ م - في اللهجات العربية ، المطبعة الفنية الحديثة ، القاهرة ١٩٦٥ م - من أسرار اللغة ، المطبعة الفنية الحديثة ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٦٦ م .
- ٢ - إبراهيم خورشيد وآخرون : نقلوا إلى العربية : دائرة المعارف الإسلامية ، دار الشعب القاهرة د. ت .
- ٣ - د. إبراهيم السامرائي : التطور اللغوي التاريخي ، دار الراشد للطباعة ، القاهرة ١٩٦٦ م .
- ٤ - ابن أبي السرور : القول المقتضب ، تحقيق إبراهيم سالم ، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ١٩٦٢ م .
- ٥ - ابن الأثير : المرصع ، تحقيق د. إبراهيم السامرائي ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ١٣٩١ - ١٩٧١ م .
- ٦ - ابن الأنباري (محمد بن القاسم) : الأضداد ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الكويت ١٩٦٠ م .

- ٧ - ابن الجزري : النشر في القراءات العشر تحقيق علي محمد الصباغ ، مطبعة مصطفى محمد ، القاهرة د. ت .
- ٨ - ابن جني (أبو الفتح عثمان) : الخصائص ، تحقيق محمد علي النجاش ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٥٢ - ١٩٥٦ م .
- سر صناعة الإعراب ، تحقيق مصطفى السقا وجماعة ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٥٤ م .
 - المحتسب في تبيان وجوه شواذ القراءات والإفصاح عنها ، تحقيق علي النجدي وأخرين ، القاهرة ١٣٨٦ هـ .
- ٩ - ابن حجر العسقلاني : تهذيب التهذيب ، حيدر أباد الدكن ، الهند ١٣٢٧ هـ ١٣٢٥ هـ .
- ١٠ - ابن دريد : الاشتقاد ، تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨ م .
- جمهرة اللغة ، طبعة حيدر أباد الدكن ، الهند ١٣٤٤ - ١٣٥١ م .
 - الملحن ، تحقيق إبراهيم أطفيش الجزائري ، المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٤٧ هـ .
- ١١ - ابن الدهان : الأضداد في اللغة ، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ، مطبعة دار التضامن ، بغداد ٩٦٣/١ م .
- ١٢ - ابن رشيق القير沃اني : العمدة ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة بمصر ، القاهرة ١٩٥٥ م .
- ١٣ - ابن السراج : الأصول في النجوم ، تحقيق عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

- ١٤ - ابن السكيت : الأضداد ، تحقيق أوغست هفرن ، المطبعة الكاثولوكية ،
بيروت ١٩١٣ م .
- الألفاظ ومعه تهذيب الخطيب التبريزى . المطبعة الكاثوليكية ، بيروت
١٨٩٥ م .
- إصلاح النطق ، تحقيق محمود شاكر وعبد السلام هارون ، دار
المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٥٦ م .
- الحروف : تحقيق د. رمضان عبد التواب ، مطبعة جامعة عين
شمس ، القاهرة ١٩٧٩ م .
- ١٥ - ابن سيده : المخصوص ، طبعة بالأوست ، المكتب التجاري لطبعا
والتوزيع والنشر ، بيروت د. ت .
- ١٦ - ابن الشجيري : الأمالي الشجرية ، حيدر أباد الدكن ، الهند ١٣٤٩ هـ .
- ١٧ ابن فارس : الاتباع والمزاوجة ، تحقيق كمال مصطفى ، القاهرة ١٣٦٦ هـ
- ١٨٤٧ م - الصاحبى ، نشر المكتبة السلفية ، مطبعة المؤيد ، القاهرة
١٣٢٨ هـ - ١٩١٠ م .
- فتيا فقيه العرب ، تحقيق د. حسين علي محفوظ ، المجمع العلمي
العربي بدمشق ١٩٥٨ م .
- مجمل اللغة ، دراسة وتحقيق زهير عبد المحسن سلطان ، مؤسسة
الرسالة بيروت ١٩٨١ م .
- معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة مصطفى
البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٢٢ هـ - ١٩٧٢ م .

١٨ - ابن قتيبة : أدب الكاتب ، تحقيق محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٤٦ هـ .

• أسماء الأضداد ، النسوب للشعالي ، مخطوط مكتبة آل كاشف الغطاء بالنجف .

• تأويل مشكل القرآن ، تحقيق السيد أحمد صقر ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٥٤ م .

• المسائل والأجوبة ، نشر مكتبة القدس ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٤٩ هـ .

• المعاني الكبير ، تحقيق سالم الكرنكوي ، حيدر أباد الدكن ١٩٤٥ - ١٩٥٠ م .

١٩ - ابن منظور : لسان العرب ، نشر دار صادر ودار بيروت ، بيروت ١٩٥٥ م .

٢٠ - ابن النديم : الفهرست ، طبعة المطبعة الرحمانية بمصر د. ت . وطبعه فلوجل . وطبعه دانشکاه طهران ، تحقيق رضان تجدد ، طهران ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .

٢١ - أبو بكر السجستاني : غريب القرآن ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، القاهرة ١٩٦٣ م .

٢٢ - أبو حاتم السجستاني : الأضداد ، تحقيق أوغست هنفر ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٧٣ م .

٢٣ - أبو زيد الأنصاري : النواود في اللغة ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٨٩٤ م .

٢٤ - أبو الطيب اللغوي : الإبدال ، تحقيق عز الدين التنوخي ، دمشق ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م .

• الاتباع ، تحقيق عز الدين التنوخي نشر المجتمع العلمي بدمشق ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م .

• الأضداد في كلام العرب ، تحقيق د. عزة حسن ، دمشق ١٩٦٣ م .

• مراتب النحوين ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ١٩٥٥ م .

٢٥ - أبو عبيد البكري : سبط اللآلئ في شرح أمالى القالى ، تحقيق عبد العزيز الميمنى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٣٦ م .

٢٦ - أبو عبيد القاسم بن سلام : الغريب المصنف ، مخطوطة بمكتبة النجف بالعراق .

٢٧ - أبو عبيدة : مجاز القرآن ، تحقيق د. فؤاد سزكين ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٥٤ - ١٩٦٢ م .

٢٨ - أبو علي القالي : الأمالى ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦ م .

• البارع ، تحقيق هاشم الطعان ، رسالة ماجستير ، بغداد ١٩٧٢ م .

٢٩ - أبو العمیل الأعرابی : المأثور ، تحقيق فریتز کرنکو - لندن ١٩٢٥ م .

٣٠ - د. أحمد علم الدين الجندى : اللهجات العربية في التراث ، الدار العربي للكتاب ، طرابلس ليبيا ١٩٨٣ م .

٣١ - أحمد بن مصطفى البابیدي : لطائف اللغة ، دار الطباعة العامرة .
د.ت.

- ٣٢ - أحمد مكي الأنصاري : أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة ، القاهرة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
- ٣٣ - الأخفش : معاني القرآن ، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد ، عالم الكتب ، بيروت ١٩٨٥ م .
- ٣٤ - الأزهري : تهذيب اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار القومية العربية للطباعة ، القاهرة ١٩٦٤ م .
- ٣٥ - د. إسرائيل ولفسون : تاريخ اللغات السامية ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة ١٣٤٨ هـ - ١٩٢٩ م .
- ٣٦ - الإشنانداني : معاني الشعر ، تحقيق عز الدين التنوخي ، وزارة الثقافة والسياحة ، دمشق ١٩٧٩ م .
- ٣٧ - الأصمعي : الإبل ، تحقيق د. أوغست هفر ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٠٣ م .
- الأضداد ، تحقيق أوغست هفر ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩١٣ م .
- ٣٨ - الأمدي (أبو القاسم الحسن بن بشر) : المؤلف والمختلف ، طبعة القاهرة د. ت .
- ٣٩ - أوغست هفر : ثلاثة كتب في الأضداد ، للأصمعي والسبستاني وابن السكبيت ويليها ذيل في الأضداد للصعاني دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ١٩١٢ م .
- ٤٠ - البكري : التنبية على أوهام أبي علي في أماليه ، تحقيق الأب أنطون صالحاني اليسوعي ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٢٦ م .

- ٤١ - **البطليوسى** (أبو محمد عبد الله السيد) : *الاقضاب في شرح أدب الكتاب* ، تحقيق عبد الله البستانى ، المطبعة الأدبية ، بيروت ١٩٠١ م .
- ٤٢ - **ثعلب** : *المجالس* ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٤٨ م .
- ٤٣ - **الشعالبي** : *أسماء الأضداد* ، المنسوب للشعالبي ، مخطوطة مكتبة آل كاشف الغطاء ، النجف بالعراق .
- **فقه اللغة وسر العربية** ، ونشر المكتبة التجارى الكجرى ، مطبعة مصطفى محمد ، القاهرة ١٩٣٨ م .
 - **يتيمة الدهر** ، طبع بنفقة علي محمد عبد اللطيف ، مطبعة الصاوي القاهرة ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٤ م .
- ٤٤ - **الجوهري** : *الصحاب* ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، مطبع دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٩٥٦ م .
- ٤٥ - **حجازي (محمود فهمي)** : *علم اللغة العربية مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية* ، الناشر دار الثقافة للنشر والتوزيع ، مطبعة العمراوية للأوفست ، القاهرة ١٩٩١ م .
- ٤٦ - **الحريري** : *درة الغواص في أوهام الخواص* ، طبعة بالأوفست عن طبعة لايزك ، مكتبة المثنى بغداد د. ت .
- ٤٧ - د. حسين نصار : *الأضداد* ، مقالة مطبوعة بالرونيو لطلبة الدراسات العليا في القاهرة د. ت .
- ٤٨ - **حمزة الأصفهاني** : *التنبيه على حدوث التصحيف* ، تحقيق الشيخ حسن آل ياسين ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٦٧ م .

- ٤٩ - الخطيب التبريزى : شرح مقصورة ابن دريد ، نشر المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، دمشق ١٩٦١ م .
- ٥٠ - الخفاجي : شرح درة الغواص ، نشر نظارة المعارف ، مطبعة الجواب ، قسطنطينية ١٢٩٩ هـ .
- ٥١ - الخليل بن أحمد الفراهيدى : العين ، تحقيق د. عبد الله درويش ، مطبعة العانى ، بغداد ١٩٦٧ م .
- ٥٢ - ديوان الهدللين ، دار الكتب المصرية ، القسم الأدبي ، القاهرة ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م .
- ٥٣ - الرضي : شرح الرضي على شافية ابن الحاجب ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، القاهرة د. ت .
- ٥٤ - د. رمضان عبد التواب : فصول في فقه العربية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٠ م .
- ٥٥ - الزبيدي : تاج العروس ، وزارة الإرشاد والأنباء ، مطبعة حكومة الكويت ١٩٦٥ - ١٩٧١ م .
- ٥٦ - الزجاجي (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق) : الأمالي ، طبعة القاهرة ، ١٣٣٤ هـ .
- ٥٧ - الزمخشري : أساس البلاغة ، تحقيق عبد الرحيم محمود ، مطبعة أولاد أورثاند ، القاهرة ١٩٥٣ م .
- الكشاف ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ١٣٦٥ هـ .
 - المفصل في علم العربية ، دار الجليل ، بيروت ١٣٢٣ هـ .
- ٥٨ - السنهوري : شرح مثلثات قطرى ، تحقيق أوغست هفرن ولويس شيخو ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩١٤ م .

- ٦٠ - د. اليド يعقوب بكر : دراسات في فقه اللغة العربية ، بيروت ١٩٧٩ م .
- ٦١ - السيرافي : أخبار النحويين البصريين ، تحقيق الزيني وخفاجي ، طبعة مصطفى البابي بالقاهرة ١٩٥٥ م .
- ٦٢ - السيوطي : الأشباء والنظائر ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد الدكن ١٣٥٩ هـ .
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تصحيح أمين الخانجي ، مطبعة السعادة القاهرة ١٣٣٦ هـ .
 - المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وجماعة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة د. ت .
 - همع الهوامع بشرح جميع الجواamus ، مصر ١٣٢٧ هـ .
- ٦٣ - د. شوقي ضيف : المدارس النحوية ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٦٨ م .
- ٦٤ - الصغاني : الأضداد ، تحقيق أوغست هفنر ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩١٣ م .
- التكملة والذيل والصلة ، تحقيق عبد العليم الطحاوي وجماعة ، دار الكتب ، القاهرة ١٩٧٠ م .
- ٦٥ - الطبرى : جامع البيان في تفسير القرآن ، مطبعة البابي الحلبي بمصر ، القاهرة ١٩٥٤ م .
- ٦٦ - د. عبد الحميد الشلقاني : رواية اللغة ، دار المعارف بمصر ١٩٧١ م .
- ٦٧ - عبد الله العلايلي : مقدمة لدرس لغة العرب ، المطبعة العصرية بمصر د. ت .

- ٦٨ - العكوري : التبيان في إعراب القرآن ، تحقيق محمد علي البخاري ، مكتبة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة د. ت .
- ٦٩ - علي بن حمزة : الننبهات ، تحقيق عبد العزيز اليمني الراجوكوتي ، دار المعرف بمصر ، القاهرة ١٩٦٧ م .
- ٧٠ - د. علي عبد الواحد وافي : علم اللغة ، دار نهضة مصر للطباعة ، القاهرة د. ت .
- فقه اللغة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة د. ت .
- ٧١ - الفخر الرازي : التفسير الكبير ، المطبعة البهية بمصر د. ت .
- ٧٢ - الفراء (أبو زكريا بن زياد) : معاني القرآن ، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار ، دار الكتب المصرية ١٩٥٥ (الجزء الأول) ، والدار المصرية للتأليف والترجمة ، مطبعة سجل العرب ، القاهرة د. ت .
 (الجزء الثاني) .
- ٧٣ - فندرис : اللغة ، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٥٠ م .
- ٧٤ - الفيروزابادي : بصائر ذوي التمييز ، تحقيق محمد علي النجار ، القاهرة ١٩٧٥ م .
- ٧٥ - قطربي : الأضداد ، تحقيق هانز كوفلر ، مجلة إسلاميكا ، المجلد الخامس ١٩٣١ م .
- ٧٦ - كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ، تعريب د. عبد الحليم النجار ، دار المعرف بمصر ، القاهرة ١٩٦١ م .

٧٧ - المبرد : الفاضل ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، دار الكتب المصرية ،
القاهرة ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م .

• الكامل ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم والسيد شحاته ، دار نهضة
مصر للطباعة والنشر ، القاهرة د. ت .

• ما اتفق لفظه واختلف معناه ، المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٥٠ هـ .

٧٨ - محمد فؤاد عبد الباقي : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار
الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٦٤ هـ .

٧٩ - محمد المبارك : فقه اللغة وخصائص العربية دار الفكر ، بيروت
١٩٦٨ م .

٨٠ - محى الدين توفيق إبراهيم : ابن السكري اللغوي ، مطبعة دار الجاحظ .

٨١ - د. مراد كامل : دلالة الألفاظ العربية وتطورها ، معهد الدراسات العربية
العالي ، القاهرة ١٩٦٣ م .

٨٢ - نشوان الحميري : شمس العلوم ، تحقيق ك. و. سترستين ، مطبعة
بريل ، ليدن ١٩٥٣ م .

٨٣ - هاشم الطعان : تأثير العربية باللغات اليمنية القديمة ، مطبعة الإرشاد ،
بغداد ١٩٦٨ م .

٨٤ - الهمذاني : الألفاظ الكتابية ، تحقيق لويس شيخو اليسوعي ، مطبعة
الآباء اليسوعيين ، بيروت ١٩١٣ م .

٨٥ - د. يحيى كمال : التضاد في ضوء اللغات السامية دراسة مقارنة ، طبعة
بيروت ١٩٧٢ م .

ثاني: المراجع الأجنبية :

- (1) **Afnans, M. A.** philosophical lexicon in Persian and Arabic Beirut 1969 .
- (2) **Al. Toma. S. J.** The problem of diglossia. in Arabic Cambridge, Mass, 1969 .
- (3) **Al. Yasin - IZZ - al. din** The Lexical relations between Ugaritic and Arabic New York 1952 .
- (4) **Ansaldi. C. II,** Yemennella storiae nella Leggenda. Roma 1933 .
- (5) **Beeston, A. F. L.** The Arabic Language today London 1970 .
- (6) **Bergstrssr. G.** Glosser des neuara maischen Dialekts von Ma'Lula. Leipzig 1921. Neudruck: 1966 .
- (7) **Blooomfield. L** "Language New York 1922 London, 1934 ... 1967.
- (8) **Brokelmann. C.** Arabische Grammatik. Leipzig 1969 .
- (9) **Cantineau J.** La, dialectologie arab, In orbis 1955 in : Etudes de, linguistique arabe. Paris 1960 .
- (10) **Ullmanns**, Principles of semantics, Oxford 1957 .
- (11) **Yushmanov, N. V.** The structure of the Arabic Language T. rans by : Moshe Perlmann.. Washington, D. C. 1961 .
- (12) **Younge G. D.** Concordance of , Ugaritic. Roma 1956 .

الظواهر الصوتية في استدراكات ابن حجر في كتاب (فتح الباري في شرح صحيح البخاري)

د. صبحى إبراهيم الفقى
كلية الآداب - جامعة طنطا

لقد أصبح من البديهي فى مجال العلوم عامة، والعلوم النظرية خاصة، كل رأى قابلاً للقبول والرفض والتعديل والإضافة والحذف والتعليق، وهذا كله يندرج تحت ما يسمى بـ (الاستدراك) بل أصبح الاستدراك منهجاً من مناهج البحث عامة، والبحث اللغوى خاصة، وأصبح كذلك وسيلة من وسائل نمو البحث اللغوى وتطوره، فإذا تخيلنا على سبيل المثال، أن البحث توقف عند كتاب (الكتاب) لسيبوبيه ١٨٠ هـ. لكان البحث فى حال من الجمود والعقم، لكن الاستدراك جعل من هذا المجال مجالاً خصباً، وذلك بإفرازات العقول التى تناولت هذا الكتاب بالشرح والنقد والتحليل .. الخ من طرق الاستدراك المعددة كما سنعرف .

ولأهمية منهج الاستدراك فى البحث العلمى وجد أن عدداً كبيراً من مصادر الدراسة اللغوية، إن لم تكن كلها، تفوح بهذا المنهج بصورة تدعى إلى ترسيخ هذا المنهج، ووضع أساس له فى المجال اللغوى تبدأ بتعريفه، وبيان مترادفاتاته، وأنواعه، وطرقه ... إلى غير ذلك من وسائل ترسيخ المنهج .

واللافت للانتباه أن المكتبة اللغوية فى حاجة إلى مثل هذا النوع من الدراسات، ليس فى مجال كتب اللغة فحسب، بل فى كتب اللغة المحسنة،

والشرح اللغوية، والتفسير، وكتب الصحاح من الحديث... الخ .

وقد لفت نظر الباحث أن كتاب (فتح الباري في شرح صحيح البخاري) لابن حجر العسقلاني ٨٥٢ هـ، قد تورط فيه مادة غزيرة من الاستدراكات التي انفرد بها ابن حجر تعقيباً على اللغويين وغيرهم، وذلك على مستويات التحليل اللغوي المتعددة : الصوتية والصرفية وال نحوية والمعجمية والدلالية .

ومن العلوم أن الذى يتصدى لشرح نص ما؛ خاصة النص القرآنى، أو الحديث الشريف؛ كما فعل ابن حجر فى هذا السفر العظيم، لابد أن يحمل فى جعبته العديد من طرق التحليل ليس فيها شخص الناحية المتخصصة فحسب، بل فى علوم اللغة، والبلاغة . وهذا لا يعني أن يكون الشارح للنص متخصصاً فى اللغة؛ فمن الملاحظ أن كتب التفسير مليئة بالنوافح اللغوية والبلاغية، وكذا كتب شرح الحديث الشريف، ومنها الشرح الذى بين أيدينا .

فابن حجر العسقلاني ليس من علماء اللغة، وليس له إنتاج لغوى يذكر، ومع ذلك فقد تسبّع شرحة بآراء عدد كبير من اللغويين الذين ذكرهم، وأراء عدد آخر لم يذكر أسماءهم، ليس هذا فحسب بل أردف ذلك بآرائه هو بصورة تدعوه إلى التنقيب عن هذه الآراء على المستويات اللغوية المتعددة، تلك الآراء التي انفرد بها وحده دون آراء السابقين، وهذه الآراء قد تكون مؤيدة أو مخالفة لرأيه .

ولكثرة المادة اللغوية الاستدراكيّة في فتح الباري، والرغبة في تعميق هذه الدراسة، والبعد عن السطحية في النتائج، آثر الباحث الاستدراكات التي تمثل الظواهر الصوتية، ودراسة هذه الظواهر في ضوء

البحث اللغوى القديم من ناحية، وما توصل إليه علم الأصوات المعاصر Phonetics من ناحية أخرى .

ليس هذا فحسب، بل لوجود علاقة بين المستويات اللغوية عامة، فقد وضعت الدراسة إطاراً، طبقاً لاستدراكات ابن حجر، تناوش فيه العلاقة بين المستوى الصوتى والمستوى الدلالى على وجه الخصوص .

إذاً يتضح أن مادة الدراسة سوف تشتمل على :

أولاً : الظواهر الصوتية فى استدراكات ابن حجر .

ثانياً : الدراسات الصوتية لدى علمائنا القدامى .

ثالثاً : الدراسات الصوتية المعاصرة المنشورة عبر الكتب والدوريات. والأبحاث المنشورة عبر الشبكة العالمية للمعلومات المسمعة (بالانترنت) (١) .

وتتجه هذه الصفحات نحو ترسیخ منهج ابن حجر الصوتى، خاصة عند عالم غير لغوی، ومع ذلك انتشرت هذه الظواهر الصوتية في أماكن عديدة، ومن ثم نحاول فيها بيان محاور هذا المنهج، واتفاقه مع الدراسات اللغوية القديمة والحديثة، واختلافه، وكذا الكشف عن معالم استدراكاته اللغوية .

ولا يخفى أن علم الأصوات يتعامل مع قضايا كثيرة، مثل الاهتمام بجهاز النطق تshireحاً، ومخارج الأصوات، وصفاتها، وعلم الأصوات الفيزيائى، وسماع الصوت، وقوة الذبذبة، والمجوّات الصوتية، وأنواعها، وتصنيف الأصوات... الخ . من قضايا أضافت كتب علم اللغة عامة، وعلم الأصوات خاصة في الحديث عنها بما لا يدع مجالاً لتكرارها هنا .

بل ترکز هذه الدراسة بصورة أساسية على الجانب التطبيقي أكثر من الجانب النظيرى .

ترجمة ابن حجر

هو أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن حجر الشافعى العسقلانى الأصل المصرى المولد .

ولد فى الثالث والعشرين من شعبان ٧٣٣هـ، وتوفى فى أواخر ذى الحجة ٨٥٢هـ .

ومؤلفاته كلها مرتبطة بالحديث الشريف والطبقات، ومنها :

- ١ - فتح البارى فى شرح صحيح البخارى .
- ٢ - الإصابة فى تمييز الصحابة .
- ٣ - تهذيب التهذيب .
- ٤ - بلوغ المرام من أدلة الأحكام .
- ٥ - مختصر تهذيب الكمال (٢) .

ويحتل شرح صحيح البخارى المسمى بـ (فتح البارى) مكانة عظيمة، إذ يعد هذا الشرح العظيم أفضل شرح وأعمه نفعاً ل صحيح البخارى، والذى يعد ثانى كتاب بعد كتاب الله تعالى، وتأتى أهميته من كونه شرحاً لأصح ما ورد عن رسول الله ﷺ من حديث، وكذلك لما تضمنه من فقه وأصول ولغة بمستوياتها المتعددة .

وقد شغلت آراء ابن حجر قدرأً كبيراً من شرحه للأحاديث، إذ لا يكاد يخلو شرح الحديث تقريباً من إشارات لغوية سواء لغيره أم له، أم للاثنين معاً . وكذلك كانت الاستدراكات المرتبطة بالمستوى الدلالى أكثر

الأنواع وروداً، تليها الاستدراكات على المستوى النحوي، ثم على المستوى الصوتي، ثم على المستوى المعجمي، ثم أخيراً أقل الاستدراكات على المستوى الصرفى، وكل منها فى حاجة إلى بحث مستقل يوضح منهج ابن حجر فى استدراكاته .

خطة الدراسة

تدور صفحات هذا البحث حول المحاور التالية :

الأول : حذف الأصوات .

ثانياً : زيادة الأصوات .

ثالثاً : اختلاف الضبط (الصوائت) .

رابعاً : الإظهار والإبدال .

خامساً : الصوائت القصيرة .

سادساً : الأصوات القراءات، وتشتمل على :

١ - الصوائت القراءات .

٢ - إحالة القراءة .

٣ - القراءة الدلالية .

سابعاً : العلاقة بين المستوى الصوتي والمستوى الدلالي .

- الخاتمة .

- هوامش البحث .

- المصادر والمراجع .

- الفهرست .

المستوى الصوتي

ليس المقصود من هذا التصنيف وضع فكر ابن حجر اللغوي تحت مجهر الدراسات اللغوية المعاصرة فيما يخص علم الأصوات وما وصل إليه من تقنيات نظرية وعملية أو غيره من المستويات فحسب؛ بل رصد الظواهر الصوتية التي أشار إليها ابن حجر في شرحه، وإثبات رؤيته اللغوية فيما يخص هذا المستوى، وإثبات أن جوانب التحليل لم تكن على مستوى دون غيره من المستويات.

- لذلك تمكن الباحث من رصد عدد من الظواهر الصوتية من خلال استقراء هذا السفر العظيم فنتمكن حسب ترتيب ورودها في الشرح، من رصد:
- ١- حذف الأصوات.
 - ٢- زيادة الأصوات.
 - ٣- اختلاف الضبط (أو الحركة) أو اختلاف التوضيحات وتأييده بشهاد شعرية أحياناً.
 - ٤- أ- فك الإدغام.
 - ب- الإبدال.
 - ٥- أ- الضبط القراءات.
 - ب- توثيق القراءة والإالة إلى صاحبها.
 - ج- توجيه القراءة.
 - ٦- العلاقة بين المستوى الصوتي وغيره من المستويات ^(٣)

ولم يكن انفراده بهذا الاهتمام الصوتي غريباً؛ بل تاريخ الدراسات اللغوية العربية يشير إلى أن هذا الاهتمام قديم منذ الخليل وسيبوه وابن جنى وغيرهم. وهذا طبيعي لأن الأصوات ، على حد تعبير د. كمال بشر، " هي اللبنات الأولى في البناء اللغوي وأساسه الذي يقوم عليه، ولا خير في بناء تهالكت لبناته ^(٤)"

هذا وقد تطور البحث في علم الأصوات phonetics بصورة كبيرة في العصر الحديث ، ولعل بحثاً سرياً على شبكة المعلومات (الإنترنت) يؤدي إلى الحصول على آلاف المواقع والمجلات والكتب والأبحاث التي تدور في تلك علم الأصوات بصفة خاصة ، وعلم اللغة بصفة عامة . وهذا يؤدي بنا إلى الإشارة إلى أهمية إضافة هذا الاتجاه إلى مصادر البحث اللغوي بصفة خاصة، إذ لم أطلب مصطلحاً من مصطلحات علم اللغة عامة، وعلم الأصوات خاصة، إلا وحصلت على كم كبير للغاية من المواقع والصفحات التي تناقش هذا المصطلح قديماً وحديثاً.

أولاً: حذف الأصوات

الحذف ليس خاصاً بالأصوات؛ بل هناك حذف على مكونات النص مجتمعة؛ فقد يحذف صوت من كلمة نحو: حروف العلة، وحرف التون، والهمزة، والتاء، والتنوين، والحركات الضمة والكسرة والفتحة.. الخ^(٥). وقد تُحذف الكلمة من جملة نحو: المبتدأ، والخبر، والفاعل، والمفعول به، والمضاف، والمضاف إليه، والتواييع، والمستثنى، والأفعال... الخ^(٦). وقد تُحذف جملة من نص نحو: جملة الشرط، وجوابه، وجملة القسم، وجوابها، والجملة بعد آخر الجواب، وبعد إذ... الخ^(٧)، وقد تُحذف أكثر من جملة من نص كذلك. بل الحذف ليس خاصاً بالعربية وحدها؛ إذ يُعد ظاهرة لغوية تشتهر فيها اللغات الإنسانية^(٨).

وهذا يوحى بأن الحذف ظاهرة طبيعية في الدرس اللغوي أو في الاستعمال اللغوي خاصة، وقد ورد في الشرح أكثر من استدراك حول حذف صوت من كلمة على النحو التالي:^(٩)

الصفحة	الجزء	مسلسل
٣٦	٥	١
١٨٥	٦	٢
٤٣٩	٧	٣
٤٦	١١	٤
٦١٢	٨	٥

وقد جاء في الشرح قوله: "... وقال البيضاوي يحذف حرف الجر من "أن" تخفيفاً ، والتقدير : لأن كان ، أو : بـانـ كانـ ، ونحوه : (أنـ كانـ ذـاـ مـاـ وـيـنـينـ)^(١٠) ، أيـ بلاـ تـطـعـهـ لـأـجـلـ ذـلـكـ . وـحـكـىـ الـقـرـطـبـيـ تـبـعـاـ لـعـيـاضـ أـنـ هـمـزـةـ (ـأـنـ)ـ مـمـدـوـدةـ ، قـالـ : لـأـنـهـ اـسـتـقـهـامـ عـلـىـ جـهـةـ إـنـكـارـ . قـلـتـ [ـأـيـ اـبـنـ حـجـرـ]ـ وـلـمـ يـقـعـ لـنـاـ فـيـ الرـوـاـيـةـ مـدـ ، لـكـنـ يـجـوزـ حـذـفـ هـمـزـةـ الـاستـقـهـامـ^(١١)

فقد ورد في هذا النص شاهدان عن الحذف، أحدهما عن القرطبي عن عياض، لكن المهم هو ما ورد عن ابن حجر، وهو حذف همزة الاستفهام جوازاً؛ فقد استدرك على ماسبقه بـ(لكنـ)ـ حرف الاستدراك، بإضافة رأي آخر وهو رفض أن الرواية خالية من المد، أي رواية الحديث، ورواية الحديث بالفعل، كما رواها البخاري ، خالية من المد، ففي الحديث: "... فغضب الأنصارى فقال: أـنـ كـانـ اـبـنـ عـمـتـكـ؟ فـتـلـوـنـ وـجـهـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ...ـالـخـ"^(١٢)

والواضح أنه استند هنا في جواز حذف همزة الاستفهام على أن هذه الهمزة الاستفهامية "ـلـمـ كـانـتـ هيـ الأـصـلـ"ـ في حروف الاستفهام جاز فيها ما لم يجز في غيرها من حروف الاستفهام^(١٣)

وقد جعل د. رمضان عبد التواب سقوط الهمزة هذا مندرجًا تحت قانون صوتي أطلق عليه قانون السهولة والتيسير^(١٤)، وقال : وما ينطبق عليه هذا القانون ، ظاهرة "الهمزة" في اللغة العربية، ومحاولة بعض القبائل العربية القديمة التخلص منها، وعلى الأخص قبائل الحجاز ، كما تخلصت معظم اللهجات العربية الحديثة ، وصوت الهمزة عسير النطق ، لأنه يتم بانحباس الهواء خلف الأوتار الصوتية، ثم انفراج هذه الأوتار فجأة، وهذه عملية تحتاج إلى جهد عضلي كبير^(١٥)

وقد خضعت الهمزة إلى قوانين التحقيق في النطق من عدمه، وذلك من خلال كتب القراءات القرآنية، "فتحققها تميم وغيرهم من قبائل وسط الجزيرة وشرقيها، وتتخلص منها معظم البيئة الحجازية"^(١٦)

وقد ورد شاهد هذا في قول المتنبي :

أحيا وأيسر ما قاسيت ما قتلا .. والبين جار على ضعفي وما عدلا .. والأصل أحيا فحذفت همزة الاستفهام، وكذا قول الشاعر :

فاصبحت فيهم أمنا لا كمعشر أتونى وقالوا من ربعة أو مضر (يريد أمن ربعة) . وقال الكميت :

طربت وما شوقا إلى البيض أطرب ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب أراد : أو ذو الشيب يلعب . ومنه قول ابن أبي ربعة :

ثم قالوا تحبها قلت جهرا عدد القطر والحسنى والتراب

أظهر الأمرين فيه أن يكون أراد : أتحبها لأن البيت الذي قبله يدل عليه... ولهذا ونحوه نظائر^(١٧)

إذن استدرك ابن حجر في حذف الهمزة كان مستندًا إلى آراء، وإن لم يذكر هذه الآراء . وقد استعمل هنا أدلة الاستدرك الواضحة في معناها واستعمالها "لكن "

ومن نماذج الحذف للأصوات كذلك ماجاء في استدرك الشارح في شرحه للحديث رقم (٢٩٠٧) بقوله : " قوله كخ كخ وهي كلمة زجر للصبي عما يريد فعله ... وقد نازع الكرماني في كون الألفاظ الثلاثة عجمية ، لأن الأول يجوز أن يكون من توافق اللغتين ، والثاني يجوز أن يكون أصله حسنة فحذف أوله إيجازاً والثاني من أسماء الأصوات. وقد أجاب عن الأخير ابن المنير فقال : وجه مناسبته أنه صلى الله عليه وسلم خاطبه بما يفهمه مما لا يتكلم به الرجل مع الرجل فهو كمخاطبة العجمي بما يفهمه من لغته، قلت وبهذا يجيب عن الباقى ويزاد بأن تجويزه حذف أول حرف من الكلمة لا يعرف ، وتشبيهه بقوله كفى بالسيف شا ، لا يتجه لأن حذف الأخير معهود في الترخيم والله أعلم^(١٨)

وهذا استدرك آخر مزداه رفضه رأي الكرماني بتجويز حذف أول صوت من الكلمة بقوله إنه (لا يعرف) . ويؤكد رأي ابن حجر آراء النحوين كذلك بأن الحذف في الغالب يصيب أواخر الكلم لا أوائله .^(١٩)

وفي بعض الأحيان يرجع ابن حجر سبب الحذف لا إلى علة نحوية أو صرفية أو معجمية ؛ بل إلى علة كتابية أو إملانية ، كما في الشاهد : في جنبه ، كذا للأكثر بالإفراد ولابي ذر الجرجاني جنبيه بالتنمية وذكر عياض أن في كتابه من رواية الأصيلي جنبه بالإفراد ، لكن بباء متاة من تحت بدل المودحة ، قال : وهو تصحيف . قلت : لعل نقطته سقطت من القلم ، فلا ينبغي أن يعد ذلك رواية والله المستعان . (٢٠)

ومن منهجه كذلك ترجيح إحدى الروايات استناداً على التأويل النحوي ، ومثال ذلك ما ورد من قوله (إنك متى يراك الناس) في رواية الكشميهني وحده (متى ما يراك الناس) بزيادة ما وهي الزائدة الكافية عن العمل ، وبحذفها كان حق الألف من (يراك) أن تمحى لأن (متى) للشرط وهي تجزم الفعل المضارع ، قال ابن مالك : يخرج ثبوت الألف على أن قوله يراك مضارع راء بتقديم الألف على الهمزة وهي لغة .. وعلى أن (متى) شبّهت بـ (إذا) فلم يجزم بها ، وهو كقول عائشة الماضبي في الصلاة في أبي بكر : متى يقوم مقامك أو على إجراء المعتل مجرى الصحيح ، كقول الشاعر : ولا ترضها ولا تملق ، أو على الإشباع ، كما قرئ "أنه من يتقى" ، قلت : ووقع في رواية الأصيلي : متى يراك الناس بحذف الألف وهو الوجه" (٢١)

فعلى الرغم من الأدلة التي ساقها ابن مالك لتخریج ثبوت الألف في الروایة الخاصة بالکشمیهني ، فإن ابن حجر يرجح الروایة الثانية بحذف الألف ، مع ملاحظة عدم ذكره لمسوغات هذا الترجيح . وترجح ابن حجر - فيما نرى - له ما يبرره ؛ إذ كيف تكون (متى) شبّهه بـ (إذا) وهي داخلة على مضارع (يراك) ؟ فالراجح أن (إذا) تدخل على الماضبي كما في قوله تعالى "إذا سألك عبادي عنِّي" (٢٢) و "إذا جاءك المذاهب..." (٢٣) و "إذا زلزلت الأرض زلزالها" (٢٤) و "إذا جاء نصر الله والفتح" (٢٥)

ولم يقف ابن حجر عند حد ترجيح رواية الحديث فقط ، بل تعداه إلى ترجيح قراءة قرآنية دون أخرى كما في "قوله عن ابن أبي مليكة هو عبد الله بن عبيد الله قوله عن عائشة في رواية ابن جريج عن ابن أبي مليكة سمعت عائشة وسيأتي في التفسير قوله : كانت تقرأ "إذ تلقونه" أي بكسر القاف مخفاً في الخبر حيث قال : ونقول : الولق : الكذب ، والولق بفتح الواو واللام بعدها قاف . وقال الخطابي : هو الإسراع في الكذب ... قلت لكن القراءة المشهورة بفتح اللام وتشديد القاف من التلقى وإحدى التاءين فيه محذوفة . (٢٦)

وأحياناً يربط رأيه الصوتي مستنداً إلى الدلالة من ناحية وسوف نفرد لهذا بحثاً خاصاً ، وإلى الأدب في التعامل مع أهل الثقة من ناحية أخرى ، وذلك كما ورد في الحديث المروي عن كيفية رد السلام على غير المسلمين ؛ إذ يقولون السلام

عليكم ، بمعنى الموت ، فاختفت الروايات في رد المسلمين على هذا ، فباجهادها تقول : " وعليكم " بإثبات الواو ، والثانية " عليكم " بدون الواو ، بحذفها وفي الأولى الواو لها عدة معان منها :

١- عاطفة ، والمعنى ، وعليكم ما تقولون فينا ، فيجيب الله دعاءنا ، ولا يجيب دعاءكم فينا .

٢- استثنافية ، والمعنى ، أقول عليكم ما تريدون بنا أو ما تستحقون .

٣- زائدة ، والمعنى ، عليكم ما تدعون به علينا .

أما ابن حجر فيقول : " بل الرواية بإثبات الواو ثابتة ، وهي ترجح التفسير بالموت وهو أولى من تغليط الثقة ... ^(٢٧) " إذ لو كان التفسير بالموت ، والواو ثابتة عطفا ، فإن الموت أمر مشترك بين المسلمين وغيرهم على حد سواء ، أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما رد على المشركين حينما قالوا له : السام عليكم ، فرد: وعليكم ، فقالت عائشة رضي الله عنها ، أو لم تسمع قولهم؟! فقال صلى الله عليه وسلم : ردت عليهم فيستجاب لهم ولا يستجاب لهم في ... ^(٢٨) .

وهذه التأويلات وغيرها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالدلالة ، وأيد ابن حجر ثبوت الواو لهذه التأويلات من ناحية ، وإلى عدم تغليط أهل الثقة من الرواة ، ومن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من ناحية أخرى ، ومن ثم فسقوط الواو من عدمه هنا ارتبط فيه التأويل اللغوي العطف والاستناف والزيادة بالدلالة .

وكثرة الاستعمال من القوانين المهمة التي تسهم في إسقاط بعض الأصوات أو تخفيتها، كما ورد في قوله تعالى: " بسم الله الرحمن الرحيم " حذفت ألف (اسم) لكتلة الاستعمال . وهذا القانون استند عليه ابن حجر في ترجيح رواية دون أخرى .

وشاهدنا ما جاء في باب (أفر أتيتم اللات والعزى) ^(٢٩) ... قوله : في قوله : اللات والعزى ، كان اللات رجلاً يلت سوق الحاج سقط في قوله لغير أبي ذر ... قال الإسماعيلي : هذا التفسير على قراءة من قرأ (اللات) بتشدد الناء قلت : وليس ذلك بلازم ، بل يحتمل أن يكون هذا أصله وخفف لكتلة الاستعمال ، والجمهور على القراء والتخفيف ... ^(٣٠) ، فالتحريف صورة من صور " بل الألفاظ " على حد تعبير د. رمضان عبد التواب ^(٣١) ، بل يعد قانوناً من القوانين الصوتية مثل المماثلة والمخلافة والنبر والتغييم؛ إذ من الحقائق المقررة ، عند المحدثين من علماء اللغات ، أن كثرة الاستعمال ، تبني الألفاظ ، وتجعلها عرضة لقص أطرافها .. ^(٣٢) وهذه الحقيقة الصوتية ليست خاصة بالمحدثين وحدهم ، بل سبق القدماء بتقرير هذه الحقيقة ؛ الأصل في (قم) (لقم) وفي (اذهب) (لتهب) إلا أنه لما كثر في كلامهم وجرى على ألسنتهم استقلوا مجيء اللام فيه مع كثرة الاستعمال فحذفوها مع حرف المضارعة تخفيفاً كما قالوا (أيش) والأصل فيه (أي شيء) وكقولهم (ويلمه) والأصل فيه (ويل أمه) فحذفوها لكتلة الاستعمال ^(٣٣) .

ثانياً- زيادة الصوت

من المقرر أنه كما أن كلمات اللغة عرضة لحذف أصوات منها ، فإنه من المقرر كذلك أن اللغة تتعرض للزيادة في أصواتها وتركيبيها ، فكل من التراكيب أو المفردات قد يتعرض للحذف أو الزيادة أو إعادة الترتيب أو الإحلال .. الخ (٢٤) ، وقد حفلت كتب النحو العربي بالكثير من مواضع الزيادة على بنية الكلمة المفردة أو الجملة ؛ فقد ذهب ابن هشام ، في تعليقه على وجوب مجيء الحال نكرة ، ذهب إلى أنها حينما تأتي معرفة تؤول بنكرة ، وعلق بقوله : شرط الحال أن تكون نكرة ، فإن جاءت بلفظة المعرفة وجب تأويلها بنكرة ، وذلك كقولهم : ادخلوا الأول فال الأول . وأرسلها العراق . وقراءة بعضهم ليخرج الأعز منها الأذل . بفتح الياء وضم الراء ، وهذه المواضع ونحوها مخرجة على زيادة الألف واللام (٢٥) .

والزيادة في المبني قد تؤدي إلى زيادة في المعنى ، وقد تؤدي من ناحية أخرى إلى الإيجاز ، مثل زيادة الألف والنون والياء والنون والواو والنون في التثنية والجمع ، فاصل التثنية العطف ، تقول : قام الزيان وذهب العمران ، والأصل فيه : قام زيد وزيد ، وذهب عمرو وعمرو ، إلا أنهم حذفوا أحدهما وزادوا على الآخر زيادة دالة على التثنية طلباً للإيجاز والاختصار ... (٢٦)

ومن أدق الزيادات الصوتية ما أشار إليه أبو البركات الأنباري وهو الغنة ، "ففي نحو أصحب مطرا ، أدغمت الباء في الميم ، الميم فيها زيادة صوت وهي الغنة (٢٧) ، بل ذهب إلى أن التكرير الناتج عن الإدغام يعد زيادة ، فالتكرار في مثل : السماء ، الرأسد ... الخ بعد زيادة (٢٨)"

ومن مواضع الزيادة التي استدرك فيها ابن حجر على غيره قوله : "إذا أ Jugat بضم الهمزة وكسر الجيم ، وفي أصل أبي ذر إذا عجلت بلا همز وقطعت ، وفي رواية غيره : اقطعت ، بوزت أ Jugat ، وكذا المسلم . قال صاحب الأفعال يقال : أقطعت الرجل إذا جامع ولم يتنزل ، وحكى ابن الجوزي عن ابن الخطاب أن المحدثين يقولون : قحط بفتح القاف ، وقال والصواب الضم . قلت : وروايته في أمالى أبي على القالى بالوجهين في القاف ، وبزيادة الهمزة المضومة ..." (٢٩) فالروايات السابقة ، منها ما ثبتت الهمزة ، ومنها ما أتى بدونها ، واستدرك ابن حجر استند فيه على رواية أبي على القالى بأنه يجوز الأمران الإثبات والتحذف .

ومن هذه المواضع كذلك قوله : "... ووقع في رواية الأصيلي والقبس وعبدوس (فابوا) بغير مثابة قبل الألف . قال عياض : وهو وهم مفسد للمعنى . قلت : والذي يظهرلي أنه فابوا بهمزة ممدودة ، وهي بمعنى فيرجعوا ، فلا يفسد المعنى " (٤٠)

فالاستطراد هنا يوحى بالزيادة ، بزيادة همزة (٤١) عكس الرأي السابق عليه ، بأنها بهمزة غير مثابة . مع ملاحظة أنه ربط هنا بين الزيادة الشكلية ،

وأنها لا تؤثر على المعنى بالإفساد ، وهذا يوحي بأن هناك إدراكاً للصلة بين المستويات اللغوية عامة ، والمستوى الصوتي والدلالي خاصة ^(٤٣)

ثالثاً- اختلاف الضبط بالحركة ^(٤٢)

الفتحة والضمة والكسرة ، والسكون مضافة إلى هذه الحركات ، هذه تمثل ما يسمى في علم اللغة الحديث بالفونيم الذي يعرف بأنه "صغر وحدة صوتية في اللغة ، تستطيع أن تميز بين كلمتين" ^(٤٤)

والتحليل الفوني米 PHONEMIC ANALYSIS يتطلب وجود مجموعة من الكلمات التي تختلف في صوت ما من الألف بانية ، أو حركة من الحركات السابق ذكرها ، وهو ما نعنيه بهذا المبحث من الدراسة؛ حيث يأتي الساقعون على ابن حجر بأراء تحتوي على حركة معينة ، ثم يستدرك ابن حجر باختيار هذه الحركة أو أخرى ، وأحياناً يربط بين هذا التغيير في الحركة والدلالة الناتجة . وهذا يختلف تماماً عن الصور النطقية المتعددة للفونيم الواحد ، والذي يسمى بالألوان ALLOPHONE ^(٤٥) مثل اللام في : بالله ، والله ، ففي الأولى مرقة ، وفي الثانية مخمة لكن المعنى لم يتغير ، وهذا لم يتعرض له ابن حجر .

واهتمام ابن حجر باختلاف علامات الضبط هذه ، هو ما اهتم به علم اللغة المعاصر تحت ما يسمى بالإحلال الصوتي REPLACEMENT ، وكذا جعلت هذه الحركات من الأصوات المتحركة VOWELS في مقابل الصامتة CONSONANTS ، وذلك لأن الفتحة والضمة والكسرة تعد بعضاً من الألف والواو والياء بالترتيب ؟ فالأولى تسمى بالصوات القصيرة ، والثانية تسمى بالصوات الطويلة ، وقد يقع بعضها صامتاً مثل الفرق بين : فهموا - وَعَدَ ، وكذا : الجميل ويلد ... وهكذا ^(٤٦)

والإحلال الصوتي هذا لم يكن قاصراً على الصوات القصيرة هذه فقط ، بل تعداده إلى الصوات الطويلة كذلك : الألف والواو والياء، بل تعداد كذلك إلى الصوامت نحو : الهمزة ، الجيم ، وال DAL و الطاء ، والتاء ، والميم ، والنون ، واللام ... الخ ، فقد تبدل الهمزة من الألف ، أو من الواو ، أو من الياء ، أو من الهاء ، أو من العين ، وتبدل الدال من التاء والذال ، وتبدل الفاء من التاء ... الخ ^(٤٧)

ومن نماذج اختلاف الضبط "قوله: وفيه خرب ، قال ابن الجوزي : المعروف فيه فتح الخاء الممعجمة وكسر الراء بعدها موحدة [خرب] جمع خربة ... قلت وكذا ضبط في سند أبي داود ، وحكي الخطابي أيضاً كسر أوله وفتح ثانية [خرب] " ^(٤٨)

ويلاحظ أن استدراك ابن حجر هنا من قبيل استدراك تعدد الآراء الأخرى فقد ذكر آراء ابن الجوزي ، وأبي داود ، والخطابي ؛ ومنهجه في هذا الاستدراك تأييد ضمني لرأي ابن الجوزي؛ وذلك بتاكيد هذا الرأي بأراء الآخرين مثل أبي داود وغيره .

والاختلاف في الضبط هنا في لفظ الجمع من (خرب) فهو : خرب ، مثل عتب وعنة ، أم غير ذلك .

ومن الروايات التي استدرك فيها ابن حجر محيلًا للرأي فقط " قوله : إنما هو ، أي الكفن . قوله : المهملة ، قال عياض : روي بضم الميم وفتحها وكسرها ، قلت : جزم به الخليل " ^(٤٩)

واضح من الرواية استدراكه بأسناد الإحلال وجوازه بالحركات الثلاث للخليل . وهو لم يهدف من وراء هذا الاستدراك سوى إسناد رواية الإحلال أو توثيقها .

ومن الروايات التي استدرك فيها باختصار ضبط دون غيره : " عن ابن عمر أنه عليه الصلاة والسلام لبد رأسه بالعسل ، هل ابن عبد السلام يحتمل أنه بفتح المهملتين . ويحتمل أنه بكسر المعجمة وسكون المهملة ، وهو ما يغسل به الرأس من خطمي وغيره . قلت : ضبطناه في روايتنا في سند أبي داود بالمهملتين " ^(٥٠) فنرى :

رأي ابن عبد السلام (١) لبد ، بفتح المهملتين .

(٢) ليد ، بكسر فسكون .

رأي ابن حجر لبد ، بفتح المهملتين .

ورأي ابن حجر في ترجيحه لرواية المهملتين أولى ؛ لأن سياق الجملة ومعناها يستقيم باستعمال (لبد) ؛ أي لصق شعره بالعسل ، "فلبَد الشيء بالشيء ، يلبَد إذا ركب بعضاً ... " ^(٥١)

وفي بعض الاستدراكات نجد ابن حجر يغلط بعض الروايات السابقة عليه ؛ قال الكرماني : قوله : في صدقه عمر ، صدقه بالتنوين ، وعمر فاعل وفي بعض الروايات عمر بالواو . قلت : هذه الأخيرة غلط ، وقوله صدقه بالتنوين غلط محضر ، وصدقه عمر بالإضافة هي التي عند جميع رواة هذا الحديث في البخاري ^(٥٢)

فرضنا التنوين الصوتي ، وما يتترتب عليه من إعراب كلمة (عمر) فاعلا ، بل رفض رواية (عمر) بإضافة الواو . وهذا علاقة بين مستوى الصوت والنحو . وقد ناقش ابن حجر هذه العلاقة في باقي كلامه كما أشرنا في الهاشم السابق ؛ فالعلاقة بين المستويات من الأمور البديهية التي استقرت عليها الدراسات اللغوية الحديثة ، بل استقرت عليها من قبل الدراسات اللغوية العربية القديمة .

وأحياناً أخرى يستدرك ابن حجر بنقد الرأي السابق ؛ بالاستشهاد بالشعر لتاييد رأيه ، و استخدام أداة الاستدراك " لكن " في بداية استدراكه : "... حدثنا أبو أحمد مرار بن حمويه وهو بفتح الميم وتشديد الراء ، وأبوه [أي حمويه] بفتح الحاء المهملة وتشديد الميم . قال ابن الصلاح : أهل الحديث

يقولونها بضم الميم وسكون الواو وفتح التحتانية [حمُويه] ، وغيرهم بفتح الميم و الواو وسكون التحتانية وأخرها هاء [حمَويه] ومن قاله من المحدثين بالناء الشاء الفوقة بدل الهاء [حمُويه] فقد غلط . قلت : لكن وفـ في شعر لابن دريد ما يدل على تجويف ذلك وهو قوله :

أن كان نفطوية من نسلى وهو همداني . بفتح الميم ، نقة مشهور ...
فالروايات السابقة هي :

١ - حمُويه

٢ - حمَويه

٣ - حمُويه

٤ - حمُويه ، بإبدال الناء بدل الهاء .

وابن حجر لم يستدرك على الروايات الثلاث الأولى ، لكن علق على الرواية الرابعة المنسوبة إلى المحدثين ، على حد قوله ، والتي تتعلق بإبدال الناء بدل الهاء ؛ فهو يرفض من يغلط هذه الرواية ؛ لأنـه كما يرى ورد في الشعر ما يثبت هذا الإبدال كما في اسم " نفطوية "

ومـا ورد من هذه الأسماء المركبة مرجـيا أنها بالهاء ، نحو : سيبويه ، نفطويه ، خالويه ، ... الخ . ولم يرد في الطبقات حول هذه الأسماء ما يؤكد إبدال الناء بدل الهاء ^(٤) .

ومـا استشهد به ابن حجر لاستخدام الناء بدلاً من الهاء ، لا يقيم قاعدة بها يخطـأ من قال خلافـا لها ، فـهذا الاستعمال الفردي مقابل ما يربـو على الألف وسبـع مـائـة مـرة في معجم واحد فقط .

وأحياناً آخرـا يستدرك مؤيدـا رأـيه بالقراءات المشهورـة ؛ كما في قوله تعالى : " فـلما أـن أـراد أـن يـبـطـش بـالـذـي هـو عـدـو لـهـما " ^(٥) يقول : " قوله يـبـطـش وـيـبـطـش يـعـنـي بـكـسـرـ الطـاءـ وبـضـمـهـاـ قـالـ أبوـ عـبـيـدةـ : مـكـسـورـةـ وـمـضـمـوـمـةـ لـغـتـانـ قـلـتـ الـكـسـرـ الـقـرـاءـةـ الـمـشـهـورـةـ هـنـاـ .ـ وـفـيـ قـولـهـ تـعـالـىـ : " يومـ نـبـطـشـ الـبـطـشـةـ الـكـبـرـيـ " ^(٦) وـالـضـمـ قـرـاءـةـ اـبـنـ جـعـفـرـ وـرـوـيـتـ عـنـ الـحـسـنـ أـيـضاـ " ^(٧) .ـ فالـروـاـيـاتـ الـوارـدـةـ :

أـبـوـ عـبـيـدةـ --- ١ـ الـكـسـرـ ٢ـ الـضـمـ --- وـهـيـ قـرـاءـةـ اـبـنـ جـعـفـرـ وـالـحـسـنـ
وـاسـتـدـرـاكـ اـبـنـ حـجـرـ بـاخـتـيـارـ الـكـسـرـ

وـورـدـ كـذـلـكـ فـيـ شـاهـدـ آـخـرـ اـسـتـدـرـاكـهـ عـلـىـ الـقـرـاءـةـ ؛ـ وـذـلـكـ بـالـإـشـارـةـ فـقـطـ إـلـىـ صـاحـبـ الـقـرـاءـةـ ،ـ كـمـاـ فـيـ قـولـهـ تـعـالـىـ : " وـأـتـيـناـ دـاـوـدـ زـبـورـاـ " ^(٨) يـقـولـ : " وـقـرـيـءـ بـضـمـ أـولـهـ وـهـوـ جـمـعـ زـبـرـ قـلـتـ الـضـمـ قـرـاءـةـ حـمـزـةـ " ^(٩) .ـ

ويـسـتـدـرـكـ اـبـنـ حـجـرـ مـرـةـ آـخـرـ مـؤـيدـاـ رـأـيهـ بـالـإـسـنـادـ إـلـىـ روـاـيـةـ آـخـرـىـ "ـ قـولـهـ إـنـهـ لـجـاهـدـ مجـاهـدـ ،ـ كـذـاـ لـلـأـكـثـرـ باـسـمـ الـفـاعـلـ فـيـهـاـ وـكـسـرـ الـهـاءـ وـالـتـوـيـنـ ،ـ وـالـأـوـلـ ...ـ عـلـىـ الـخـبـرـ وـالـثـانـيـ اـتـيـاعـ لـلـتـأـكـيدـ ،ـ كـمـاـ قـالـواـ :ـ جـادـ مـجـدـ .ـ وـوـقـعـ لـأـبـيـ ذـرـ

عن الحموي والمستملي بفتح الهاء والدال ، وكذا ضبطه الباقي . قال عياض :
والأول هو الوجه . قلت : يؤيده رواية أبي داود من وجه آخر عن سلمة : مات
جاهداً مجاهداً . قال ابن دريد : رجل جاهد أى جاد في أمره . وقال ابن التين :
الجاهد من يرتكب المشقة ، ومجاهد لأعداء الله تعالى " ^(٦٠)
فالأراء الأخرى :

١- الأكثر ----- جاهد مجاهد

٢- أبو ذر عن الحموي والمستملي ----- جاهد مجاهد وكذا الباقي

٣- عياض ----- جاهد مجاهد مثل :

رأى ابن حجر من خلال الاستدراك:

جاهد مجاهد

ويؤيد هذا الرأي رواية أبي داود ^(٦١)

ومن الاستدراكات التي نفي فيها الرأي " ابق عليه ، وذلك بتضليل
استدراكه بالفعل " ليس " قوله : باب المراضع من الموليات وغيرهم ... قال
ابن القيم ضبط في رواية بضم الميم ، وبفتحها في أخرى . والأول أولى لأنه اسم
فاعل من والت توالى قلت : وليس كما قال بل المضبوط في معظم الروايات بالفتح
وهو من الموصلي . " وقال ابن بطال : كان الأولى أن يقول : الموليات جمع مولاة
، وأما الموليات فهو جمع الجمع ، جمع مولي . جمع التكثير ، ثم جمع موصلي
جمع السلامة بالألف والتاء فصار موالياً " ^(٦٢)

فثبت أن في (الموليات) روایتين هما :

- ١ ضم الميم
- ٢ فتح الميم

ورأى ابن القيم أن الضم أولى لأنها اسم فاعل
اما استدراك ابن حجر فهو أن :

الفتح أولى . واستند في ذلك على أن : معظم الروايات بالفتح من الموصلي ، بل
ازداد استدراك ابن حجر مستشهاداً برأي ابن بطال ، أن الصواب ، إضافة إلى
الفتح ، هو استعمال : الموليات بدلاً من الموليات ؛ وذلك لأن الثانية جمع الجمع
لـ : مولي .

ومن ثم نقول إن الاستدراك اشتمل على :

- ١- اختيار الفتح بدلاً من الضم ، وهذا رأي صريح ظاهر لابن حجر .
- ٢- ذكر الأصوب في الاستعمال وهو (الموليات) .

٣- فعل النفي (ليس) وهذا يمثل وسيلة من وسائل الاستدراك ، مثل (لكن) السابق
استعمالها .

وأحياناً يكتفى في استدراكه باختيار رأي من الآراء السابقة ، دون ذكر
السبب . " قال البيضاوي : ذبح بصيغة الفعل الماضي ، ونصب راء الخمر (

الخمر) في قوله (ذبح الخمر) على أنه المفعول . قال : وبروي بسكون المودحة [أي الباء في ذبح] على الإضافة والخمر بالكسر ، أي تطهيرها . قلت والأول هو المشهور ... " (٢٣)

فالأراء هي :

- ١- ذبح الخمر ----- بالنصب على المفعولية .
- ٢- ذبح الخمر ----- بالجر على الإضافة .

واستدرك ابن حجر :

ذبح الخمر ----- بالنصب على المفعول به

فاختلاف الضبط بين الرأيين أدى إلى تحول الفعل الماضي إلى مصدر الفعل ذبح ، وتحول المفعول (الخمر) إلى مضارف إليه من إضافة المصدر إلى المفعول به .

وأحياناً أخرى لا يذكر رأيه صراحة ، بل يذكر ما يؤيد رواية معينة من الروايات السابقة ، مثل " قوله : من يرد الله به خيراً يصب منه كذا للأكثر بكسر الصاد ، والفاعل (الله) . وقال أبو عبيد الهرمي معناه بيته بالمصابب لينبيه عليها . وقال غيره : معناه يوجه إليه البلاء فيصيبه وقال ابن الجوزي : أكثر المحدثين يرويه بكسر الصاد ، وسمعت ابن الخشاب يفتح الصاد وهو أحسن وأليق ... ووجه الطيبى الفتح بأنه أليق بالأدب بقوله تعالى : " وإذا مرضت فهو يشفين " (٤) قلت : ويشهد لكسر ما أخرجه أحمد من حديث محمود بن لبيد رفعه : إذا أحب الله قوماً ابتلاهم فمن صبر فله الحزب ومن حز عفله الحزب ورواته ثقة " (٥) فهنا رأيان :

الأول : يُصيّب بكسر الصاد ، وهذا للأكثر .

الثاني : يُصيّب بفتح الصاد ، وهذا رأي ابن الخشاب .

والتجيئ للفتح عن الطيبى بأنه أليق في الأدب مع الله ؛ إذ لا تسند إلى الله الإصابة بالألام والأمراض للإنسان .

أما استدرك ابن حجر ، فإنه لم يصرح برأيه ، وإنما ذكره ضمنياً حينما قال : ويشهد للكسر ... الخ.

والرواية التي استشهد بها تتم عن أن الله تعالى يبتهلي من أحب ؛ فالفاعل هو الله تعالى ، وقياساً على ذلك نجد أن الإصابة نوع من الابتلاء ، ومن ثم فالفاعل في الرواية الأولى في قوله " يصب به " بالكسر هو الله تعالى (٦)

ويستدرك ابن حجر أحياناً على القراءات مضيقاً عليها مالم يذكر ، ومثال ذلك في رواية طويلة : " في (أف) عدة لغات ، الحركات الثلاث بغير تنوين وبالتنوين . ووقع في رواية مسلم هنا (أقا) وهي موافقة لبعض القراءات الشاذة ... وهذا كله مع ضم الهمزة والتشديد ، وعلى ذلك اقتصر بعض الشرح . وذكر أبو الحسن الرمانى فيها لغات كثيرة فبلغها تسعاً وتلائين ، ونقلها ابن عطية وزاد واحدة أكملها أربعين ... ولخص ضبطها الشهاب السمين ولخصته منه وهي الستة

المقدمة وبالتحقيق كذلك ستة أخرى وبالسكون مشدداً ومحففاً وبزيادة هاء ساكنة في آخره مشدداً ومحففاً و(وافى) بالإملاء ، وبين بين وبلا إملاء الثلاثة بثلاثين ، (وأفو) بضم ثم سكون و (أفى) ... كذلك اثنان وعشرون ، وهذا كله مع ضم الهمزة ، ويجوز كسرها وفتحها ، فاما بكسرها ففي احدى عشرة ، كسر الفاء وضمنها مشدداً مع التنوين ، وعدهم أربعة ، ومحففاً بالحركات الثلاث مع التنوين وعدهم ستة ، وافي بالإملاء والتشديد ، وأفا بفتح الهمزة ففي ست بفتح الفاء وكسرها مع التنوين وعدهم أربعة وبالسكون وباللف مع التشديد ... زادها ابن عطية (أفاه) بضم أوله وزيادة ألف وهاء ساكنة قلت : وبقي من الممكن في ذلك (أفى) كما مضى ، لكن بفتح الفاء وسكون الباء ، و(أفيه) بزيادة هاء ، وإذا ضممت هاتين إلى التي زادها ابن عطية ، وأضفتها إلى ما بُدئَ به ، صارت العدة خمساً وعشرين ، كلها بضم الهمزة . فإذا استعملت القياس في اللغة ، كان الذي بفتح الهمزة كذلك ، وبكسرها كذلك ، فتكمـل خمساً وسبعين ^(٦٧)

ويتبـح تماماً ذلك الاختلاف الجلي في الضبط بالحركات المتعددة الفتح والضم والكسر ، بل السكون والتضييف كذلك ، وإضافة الإملاء ، وإضافة التنوين ... الخ. ومن ثم يتتبـح رأي ابن حجر بهذه الزيادة التي لم ترد في الروايات السابقة.

ونخلص من هذه الاستدرادات المتعددة لابن حجر في اختلاف الضبط بأن أبرز عناصر الاستدراك ووسائله عندـه في هذا البحث هي :

أولاً: الاستدراك الضمني ، وذلك بعدم ذكر رأيه صراحة؛ بل يستند إلى رواية أخرى مرجة لإحدى الروايات السابقة ، مثل : وكذا ضبط في سنن ، بما يعني أنه يؤيد رواية مـا نظراً لأنها ضـبـطـتـتـ فيـ سـنـنـ كـذـاـ بـنـفـسـ الضـبـطـ .

ثانياً: الاستدراك بذكر رأيه صراحة ، وذلك مثل قوله: ضـبـطـناـهـ فيـ روـايـتـناـ .

ثالثاً: الاستدراك بتغليط بعض الروايات السابقة ؛ وذلك مثل قوله : هذه الأخيرة غلط .

رابعاً: الاستدراك بتحليل الرأي السابق والاستشهاد عليه بالشعر لتأيـيدـ استدرـاكـهـ؛ كما في قوله : لكن وقع فيـ شـعـرـ لـابـنـ درـيدـ ما يـدلـ علىـ تـجـوـيزـ ذـلـكـ

خامساً: الاستدراك بتأيـيدـ رـأـيهـ بـالـاسـتـنـادـ إـلـىـ القراءـاتـ المشـهـورـةـ .

سادساً: الاستدراك بتصديـرـ رـأـيهـ بـالـفـعـلـ الدـالـ عـلـىـ النـفـيـ ؛ وذلك لنـفيـ الرـأـيـ السابقـ ، مثلـ قولهـ : وليسـ كـماـ قـالـ أوـ باـسـتـعـمالـ ماـ يـدلـ عـلـىـ الاستـدـراكـ نحوـ لـكـ .

سابعاً: الاكتفاء فيـ الاستـدـراكـ بـذـكـرـ الرـوـاـيـةـ المـخـتـارـةـ دونـ ذـكـرـ سـبـبـ اختيارـهاـ ؛ مثلـ تعـليـقهـ بـقولـهـ : والأـولـ هوـ المشـهـورـ . وإنـ كانـ فيـ ذـكـرـ كـلمـةـ (ـ المشـهـورـ)ـ ماـ يـوحـيـ بـذـكـرـ السـبـبـ ، وـهـوـ أنـهـ المشـهـورـ دونـ غيرـهـ .

ثامناً: الاستدراك بالإضافة قراءات لم تذكر في الروايات السابقة عليه ، مثل قوله بعد ذكر لعدد كبير من القراءات الشاذة وغير الشاذة : وبقي من الممكن في ذلك (أفى) و (أفيه) قراءتان في (أف) . . .

رابعاً - (فك الإدغام) ^(١٨) والإبدال

الإدغام (DEPTHONG) من المصطلحات اللغوية التي لقيت اهتماماً بالغاً من قبل القدماء والمحدثين ؛ فالقدماء من علماء اللغة والقراءات أطلقوا على عملية تأثير الأصوات في بعضها البعض مصطلح "الإدغام" خاصة حينما تتجاوز هذه الأصوات وتشابه في المخرج أو الصفة ، وتنما مصطلحاً آخر اشتق من طبيعة التمايز بين الصوتين المجاورين فاطلقوا على هذه العملية "المماثلة" ASSIMILATION وأضاف المحدثون كذلك أن هذا التأثير على نوعين :

- ١- رجعي REGRESSIVE حيث يتاثر الصوت الأول بالثاني .
- ٢- تقدمي PROGRESSIVE حيث يتاثر الصوت الثاني بالأول .

وتعتبر المماثلة بنوعيها من الظواهر الكلية في اللغات ؛ فهي في العربية وفي الإنجليزية وغيرها مع مراعاة أن المماثلة تختلف من لغة إلى أخرى كما أشار إلى ذلك ديفيد كريستال في موسوعته ، بل أضاف نوعاً ثالثاً إلى النوعين السابعين للمماثلة RECIPROCAL OR COALESCENT ^(١٩) ؛ بمعنى تبادلي الكلمة الأولى ، وتحده أو اندمج أو تالف أو تجمع للمصطلح الثاني دون تحديد لنوع التأثر ، فهو رجعي أم تقدمي ، وهذا فيما يبدو في ذلك النوع من الإدغام الذي لا يظهر فيه اتجاه .

وقد جمع WOUTER JANSEN بين مصطلح ASSIMILATION ومصطلح REGRESSIVE VOICING في مصطلح عام REGRESSIVE ASSIMILATION واختصره إلى (RVA) بمعنى المماثلة الصوتية الرجعية ^(٢٠)

والواضح أن ظاهرة الإدغام ظاهرة كلية ، وليس خاصة باللغة العربية ؛ فقد درست في الألمانية ، والبوتswانية ، والهولندية ، والإنجليزية ... إلخ ، وعقدت المقارنات بين اللغات الأوروبية عبر هذه الظاهرة ، مثل : الهولندية ، والفرنسية ، وال مجرية ، والإسبانية ، ومقارنتها بلغة سامية مثل العبرية ، ولغة مثل لغة البوتسوانا الأفريقية ومنها :

- AFRICANS: O/PD/AAG----- O(BD)AAG
- DUTCH: A/SB/AK----- A(ZB)AK
- FRENCH: AVEC VOUS----- AVE(GV)OUS
- HUNGARIAN: SE:KBE----- SE:(GBE)
- HEBREW: XESHBON----- XE(Z)HBON

(٧١) - SPANISH: IOSGATOS----- ١٥(ZG) ATOS

ولا شك في أن هذا التحول ناتج عن مجاورة حروف لبعضها البعض مثل: (PD),(SB),(CV),(KB),(SH),(SG),(BD),(ZD),(GV),(GB),(ZH),(ZG).

وأمثلته في العربية :

اضطرب --- أصله --- اضطرب ؛ فتجاور (٧١) (مت)

آخر --- أصله --- ازترخ ؛ فتجاور (زت)

فهذه المجاورة أدت إلى التأثر ؛ بالمخالفة أحيانا ، والمماثلة أحيانا أخرى وكذا الإدغام ، مثل:

ردد ----- رد

شدد ----- شد

مرر ----- مر

وهذا ما يحدث في الكلمات العربية أو في بعضها ؛ إذ يتأثر على سبيل المثال حرف العلة بحركة الحرف السابق عليه ؛ فيقلب حرف العلة إلى حرف مماثل للحركة السابقة ، مثل :

قول ----- قال ٠

بيع ----- باع

فالتأثر ليس قاصرا على تأثر حرف بحرف ؛ بل تأثر حرف بحركة حرف آخر. أما ما نحن بصدده هنا فهو تأثر حرف بحرف .

ومن أمثلته ما جاء في فتح الباري : " قوله : أنا لم نرده عليك في رواية شعيب وابن جرير ليس بنا ردٌ عليك ... قال عياض : ضبطناه في الروايات : لم نرده بفتح الدال ، وأبى ذلك المحققون من أهل العربية وقالوا: الصواب : أنه بضم الدال ... وأجازوا أيضا الكسر وهو أضعف الأوجه قلت : ووقع في رواية الكشميهني بفك الإدغام : لم نرده بضم الأولى وسكون الثانية ولا إشكال فيه" (٧٢)

والواضح من الاستدراك أنه لا يرى مانعا من الإظهار : " ولا إشكال فيه " .
والواضح كذلك أنه ذكر الآراء السابقة التي تتحدث عن الإحلال بين الحركات ؛ بين الضم والفتح والكسر ، لكنه انصرف عن هذا ليروي رأيا آخر وهو فك الإدغام . ويتضح أنه لم يعقب في قضيائيا الإدغام كلها إلا في هذا الموضوع .

الإبدال

ويرجع الجمع بين الإبدال والإدغام في مبحث واحد إلى كون كل منهما يمثل ظاهرة من ظواهر تأثير الحروف في بعضها البعض ؛ فالإدغام والإظهار يمثلان قانون المماثلة ASSIMILATION ، والإبدال يمثل قانون المخالفة DISSIMILATION ، ويسير كل مهما في اتجاه عكس الآخر .

وقد وردت أمثلة كثيرة لظاهرة المخالفة الصوتية عن طريق الإبدال ، فكلمة شمس أصلها في السامية الأولى شمش .. وكلمة : سنبلة أصلها سُبْلَة ، فابدلت الباء بالنون .. وكلمة : قيراط أصلها : قرّاط ، ودينار أصلها : دِينار ... والعنقود أصلها العُنود الخ ^(٧٤)

ولعل باب " الإبدال " في الأصوات العربية ، ليس بعيداً عن ماندة البحث اللغوي العربي ؛ مثل إبدال الواو تاء ، وإبدال الياء تاء ، والتاء طاء ، والتاء دالا ، ... الخ. وفي الوقت نفسه يمثل ظاهرة شائعة بين بعض الأصوات العربية . بل الإعلال بالقلب أيضاً يمثل هذه الظاهرة مثل قلب الهمزة ألفا أو واوا أو ياء وقلب ألف همزة أو واوا أو ياء ، وقلب الواو والياء كذلك ألفا أو واوا أو ياء . وهذا كله تحت شروط خاصة ببنية الكلمة العربية ، كما فعلته كتب الصرف العربي ^(٧٥)

ومن أمثلته عند ابن حجر : " ... قوله : (ونفهت) بكسر الفاء أي : تعبت وكلت . ووقع في رواية النسفي : (نثت) بالمثلثة بدل الفاء ، وقد استغربها ابن التين ، فقال : لا أعرف معناها . قلت : وكأنها أبدلت من الفاء ؛ فإنها تتبدل منها كثيراً ، وفي رواية الكشميوني بدلها : و (نهكت) ، أي هزلت وضعفت" ^(٧٦)

فالإبدال هنا بين (الفاء) و (التاء) وكلاهما يختلف عن الآخر في المخرج؛ فالأول شفهي ، بينما الثاني أسناني . وكذلك هناك اختلاف في المخرج بين هذين الحرفين والحرف الذي يجاورهما : (الهاء) الحلقى ، من أقصى الحلق ، وكلا الحرفين (الفاء والتاء) مهموس . ومن ثم لا نعلم سبباً لهذا الإبدال ، مثل التقارب في المخرج أو التماثل في المخرج ، ومن ثم فهذا الإبدال يحتاج إلى تفسير ؛ فقد لا يكون صحيحاً ، خاصة ، بعد ما وجد أن المعجم العربي خالٍ من مادة (نثه) التي قيل إنها بدل من (نفه) . بل كتب الغريب كذلك ، حتى كتب التصحيف في الحديث خلت من هذا اللفظ . ومهما يكن من أمر فإن الشاهد هنا هو استدرال ابن حجر الصوتي المبين عن ظاهرة الإبدال ؛ (نفه أو نثه) ^(٧٧)

ومن الإبدال كذلك : " قوله : باب لا يطرق أهل ليل إذا أطال الغيبة مخافة أن يخونهم أو يلتمس عثراتهم كذا بالميم في يخونهم وعثراتهم . وقال ابن القيم : الصواب بالنون فيهما . قلت : بل ورد في الصحيح بالميم فيهما .. وتوجيهه ظاهر" ^(٧٨). وذلك الإبدال واضح بين الميم الدالة على جمع المذكر ، والنون الدالة على جمع المؤنث .

يخونهم ----- يخونهن
عثراتهم ----- عثراتهن

فالإبدال وقع ، دون اخلال بالمعنى . مع العلم بأن الميم والنون حرفان غير متشابهين في المخرج ؛ فالأول شفهي ، والثاني لثوي ، وكلا الحرفين اتفقاً في الصفات ؛ فكل منهما حرف انفجاري ، الميم ناتج عن الانحباس التام للهواء عند التقاء الشفتين ، ثم انفراجهما مرة واحدة ، والنون ناتج عن انحباس الهواء عند

البقاء طرف اللسان مع الثنائي العليا. لكن الملاحظ هو أن مرجعية الضمير في (يخوفهم) تعود على الجمع المذكر ، وحينما يحدث الإبدال بالنون (يخوفهن) تعود على الجمع المؤنث ، فهل استعمال الميم على الحمل على المعنى ؟ إذ يطلق المذكر حملا على المؤنث ؟ ^(٧٩) ، أم أن الكلام فيه تغليب للمذكر على المؤنث ؛ إذ الأهل تطلق ويراد بها كل من في البيت من رجال ونساء وأطفال وغيرهم ، ومن ثم يكون استعمال الضمير صحيحا ؟

والشاهد هنا هو استدراك ابن حجر اختيارة (الميم) في الكلمتين وأضاف بان توجيه هذا ظاهر . والاستدراك هنا فيما نرى سعيا من ابن حجر خلف الأكثر في الاستعمال على حد تعبير ابن جنى في الإشارة إلى أن حدوث هذا الأمر وهو تذكير المؤنث هو للأكثر وهو رد للفرع إلى الأصل ؛ فالالأصل كما ذهب جمهور اللغويين هو التذكير والفرع هو التأنيث . ومن ثم أثر ابن حجر الرواية التي تشيد إلى الأكثر ، وإلى الأصل في الاستعمال ، وهذا من بين جوانب منهج ابن حجر في الاستدراك إيثار الأكثر والأصل غالبا .

ومن أمثلة الإبدال كذلك قوله : " ... قال - أي ابن التين - " وأما تلافاه بالفاء فلا أعرف له وجها إلا أن يكون أصله : فتنقه ، أي غشاه فلما اجتمع ثلاثة فاءات أبدلت الأخيرة ألفا مثل (دساهـ) كذا قال ، ولا يخفى تكلفه ، والذي يظهر أنه من الثلاثي ... وقد وقع في حديث سلمان مما تلافاه عندها أن غفر له ... " ^(٨٠) فالاستدراك هنا اشتمل على أمرين :

الأول : الحكم على رأي ابن القيم ، وهو : ولا يخفى تكلفه .
الثاني : اختيار ابن حجر ، وهو : والذي يظهر أنه من الثلاثي .

ومن منهجه في الاستدراك القياس ، فقد قاس ثلاثة الفعل على فعل آخر قوله : والقول فيه - أي في الفعل تلافاه - كالقول في التلقي ^(٨١) وليس هذا المنهج بعيدا عن منهج اللغويين ، إذ من المعروف أن قواعد اللغة بنيت على أساس الرصد كظاهرة ، ثم وصفها ، ثم القياس عليها .

خامساً- الصوائت القصيرة SHORT VOWELS

المقصود بهذه الصوائت القصيرة ، الحركات : الفتحة والضمة والكسرة ، وهي مقابل الصوائت الطويلة ، أو حروف العلة : الألف والواو والياء ، وهذه الصوائت القصيرة تعد مشتركة بين المستويات المتعددة ، الصوتية والنحوية ، والمعجمية ، والدلالية . فهي كما أشرنا من قبل ، تعد الوجه الثاني المقابل للصوامت ، وكذلك لها مخارج تختلف عن الصوامت ، إضافة إلى تعرضها لكثير من التغيرات مثل ، الحذف ، والإحلال ، والإشباع ، ... الخ . وكذلك من الناحية النحوية تمثل هذه الصوائت العلامة الإعرابية الأصلية ، وعليها تقوم معظم أبواب النحو العربي . ومن الناحية المعجمية يؤدي تغيير هذه الصوائت إلى تغيير نوع الكلمة ودلالتها .

لكن لطبيعة هذه الدراسة سوف يُركز المضوء على الصوائت القصيرة على المستوى الصوتي فقط ، وفي المبحث الأخير على علاقتها بالدلالة . واهتمام ابن حجر بالتعليق على الآخرين فيما يتعلق بهذه الصوائت أو الحركات لم يكن جديدا ؛ فقد اهتم اللغويون والمفسرون بهذه الحركات كثيرا ، ودار اهتمامهم حول محاور منها :

- ١- أن هذه الصوائت تمثل العلامات الإعرابية الأصلية .
- ٢- أن هناك صلة بين هذه الصوائت وتغييراتها والدلائل الناجمة .
- ٣- الإحلال بينها **REPLACEMENT** خاصة على المستوى المعجمي .
- ٤- أنها تتعرض للحذف أحياناً .
- ٥- أنها تتعرض للإشباع الذي يؤدي إلى الصائب الطويل أو حروف العلة .
- ٦- المناسبة بين هذه الحركات وما يليها من حروف ، فلا يجوز أن يأتي حرف الألف بعد الكسرة ، أو يأتي حرف الواو الساكن (المد) بعد كسرة ، أو يأتي حرف الياء بعد ضمة ، بل تجب المناسبة :

الضمة	يليها الواو
الفتحة	يليها الألف
الكسرة	يليها الياء

- ٧- ومن هذه المناسبة ما يسمى بالجوار .
- ٨- أن هذه الحركات منها الخفيفة ، والتقليلية ، والأقل .

أما المحدثون فقد انصب اهتمامهم على محاور تكاد أن تتشابه مع اهتمامات القدماء ، ومن هذه المحاور :

- ١- الفرق بين الصوائت والصوامت .
- ٢- مكان هذه الصوائت الأمام **FRONT** ، والمركز **CENTRAL** ، والخلف **BACK**
- ٣- الصوائت المغلقة ، ونصف المغلقة ، والمفتوحة ، ونصف المفتوحة
- ٤- قوة الصائب ؟ المرتفع **HIGH** ، والمتوسط **MID** ، والمنخفضة **LOW** ^(٨٢)

- ٥ - التالف أو التنسق بين الصوانت الواقعة في كلمة واحدة HARMONY^(٨٢)
- ٦ - طول الصوانت VOWELS LENGTH^(٨٤)
- ٧ - خصائص الصوانت من حيث المخرج^(٨٥)

هذا علماً بأن هناك اثنين وثلاثين ألفاً وستة مائة موقع عن الصوانت القصيرة على الشبكة العالمية للمعلومات (الإنترنت) بعنوان : **SHORT VOWELS** وكذلك يوجد خمسة عشر ألف موقع ومائتان تحت عنوان : **SHORT VOWELS IN PHONETICS** ، ومن أمثلة الصوانت القصيرة في الإنجليزية مثلاً : **SHIP – PIT, PET, PAT, PUTT, POT, PUT** ، A----- cup^(٨٦)

والاهتمام كذلك كان منصباً على شكل الشفتين أثناء النطق بالصوانت ، فقد تكون دائرية **ROUNDED** كما في حرف (U) أو طويلة أفقية ... الخ^(٨٧) ملخص الكلام أن الدراسات المعاصرة قد تطورت كثيراً بفضل استعمال الأجهزة الدقيقة في التشريح ، والآصوات ، ومخارجها ، وعلم الآصوات الفيزيائي ... الخ. لكن المجال لا يسع للإفاضة في الحديث عن هذه التطورات .

أما استدرادات ابن حجر المتعلقة بالصوانت فتكمّن في نماذج كثيرة انتشرت في ثنايا فتح الباري^(٨٨) نأخذ منها ما يوضح منهجه اتجاه الصوانت القصيرة ، والقضايا التي أثارها حولها من خلال الاستدرادات .

فمن منهجه في الاستدراك أنه يكتفي أحياناً بالإشارة إلى الروايات الموافقة للضبط الموجود . " .. قوله (وفيه خرب) ، قال ابن الجوزي : المعروف فيه فتح الخاء المعجمة وكسر الراء بعدها موحدة .. قلت وكذا ضبط في سنن أبي داود ، وحكي الخطابي أيضاً كسر أوله وفتح ثانيه جمع خربة كعنب وعنبة ..."^(٨٩)

فالرواية عن ابن الجوزي ----- خرب
الاستدراك عن أبي داود ----- خرب
والاستدراك كذلك عن الخطابي ----- خرب

فالاستدراك هنا لم يخرج عما في الرواية المذكورة ، لكنه يؤكّد هذه الرواية بالاستناد إلى مجيئها بهذا الضبط في روايات أخرى .

ولم يبعد عن ابن حجر الربط بين الإحلال الصوتي وما يتربّ عليه من اختلاف في الدلالة ، مثال ذلك : " قوله – أي في نص الحديث – للمهلة ، قال عياض : روى بضم الميم وفتحها وكسرها . قلت – أي ابن حجر – جزم به الخليل . وقال ابن حبيب : هو بالكسر الصدید ، وبالفتح التمهل ، وبالضم ، عكر الزيت . والمراد هنا الصدید ، ويحتمل أن يكون المراد بقوله إنما هو أي الجديد وأن يكون المراد بالمهلة على هذا التمهل ... وضبط الأصمعي هذه بالفتح "^(٩٠)

فالاستدراك هنا يؤكد الرواية السابقة ، لكنه أضاف إليها الربط بين الإحلال والدلالة من خلال كلام ابن حبيب :

المهلة ----- الصديد

المهلة ----- التمهل

المهلة ----- عكر الزيت

بل زاد كذلك تعدد احتمالية الدلالة ، نتيجة للإحلال . وزاد في استدراكه بذكر الضبط الذي اختاره الأصمعي .

ومن منهجه كذلك أنه قد يختار ضبطاً معيناً من الروايات التي يستدرك عليها . من ذلك : " ... عن ابن عمر أنه عليه الصلاة والسلام ليد رأسه بالعسل . قال ابن عبد السلام يحتم أنه بفتح المهملتين ، ويحتمل أنه بكسر المعجمة وسكون المهملة ، وهو ما يغسل به الرأس من خطمي أو غيره . قلت : ضبطناه في روايتنا في سنن أبي داود بالمهملتين " ^(٩١) واضح أن هذا الاختيار لم يُسبِّب من قبل ابن حجر ، وهذا أيضاً من بين المحاور التي يدور حولها منهجه الاستدراكي .

ومن محاور منهجه كذلك أنه يغلط الرواية ، بل يصفها بالغلط الممحض ، وذلك حينما علق على رواية نصها : " قال الكرماني قوله : في صدقة عمر ، صدقة بالتنوين ، وعمر فاعل ، قال وهو بصورة الإرسال ، لأنه يعني عمرو بن دينار ، لم يذكر عمر قال : وفي بعض الروايات بالإضافة ، أي قال عمرو بن دينار ، متى وقف عمر ذلك قال : وفي بعض الروايات باللواو قلت: هذه الأخيرة غلط قوله: صدقة بالتنوين غلط ممحض وصدقة عمر بالإضافة هي التي عند جميع رواة هذا الحديث في البخاري " ^(٩٢)

استدراك ابن حجر

رأي الكرماني

- غلط ممحض

١- تنوين صدقة وفاعليّة عمر

٢- بالإضافة

- عليها جميع رواة الحديث

- غلط

٣- عمرو باللواو

وقد يرفض الرواية السابقة ، بالنفي (ليس) ، والاستناد على الشانع في الروايات الأخرى ، كما في : " قوله باب المراضع من المواليات وغيرهم ... قال ابن القيم : ضبط في رواية بضم الميم ، وبفتحها في أخرى ، والأول أولى لأنه اسم فاعل من والت توالي . قلت : وليس كما قال ؛ بل المضبوط في معظم الروايات بالفتح وهو من الموالى وقال ابن بطال : كان الأولى أن يقول : الموليات جمع مولاة ، وأما المواليات فهو جمع الجمع ، جمع مولى جمع التكسير ، ثم جمع موالى جمع السلامة بالألف والتاء فصار موالياً " ^(٩٣)

فالاستدراك استعمل فيه الفعل الدال على النفي (ليس) ، ثم الاستدراك على السابق بـ (بل) ، والسبب هو الشيوع الوارد في معظم الروايات .

إذا من منهجه القياس على الشائع في معظم الروايات التي يستند إليها بل ذكر من هذه الروايات ما يؤيد رفضه .

وكما يقىس على الشائع لدى المعتظم ، كذلك يستدرك مؤيداً استدراكه بالمشهور من القراءات ، كما سيأتي في استدراكه على قراءة (بيطش) بكسر الطاء وضمنها .

وأحياناً يستدرك بذلك الضبط مع عدم وجود الحديث عن الضبط أو الصوات من نص الرواية المستدرك عليها ، بل يضيف الضبط ، وما يتربّط عليه من معنى ، ومنه " قوله - في نص الرواية المستدرك عليها - يتعلّون نعالٍ الشعر ... الذين يتعلّون الترك . وقد وقع للإسماعيلي من طريق محمد بن عباد قال : بلغني أن أصحاب بابك كانت نعاليهم الشعر . قلت : ببابك بموحدتين مفتوحتين وأخره كاف يقال له : الخرمي ، وكان من طائفته من الزنادقة استباحوا المحرمات ، وقامت لهم شوكة كبيرة في أيام المامون ... إلى أن قتل ببابك المذكور في أيام المعتصم ..." (١٤) .

فالملحوظ عدم وضوح مرجعية كلمة (بابك) الواردة في الرواية ، لكن الاستدراك أزال هذا الغموض .

ومن منهجه كذلك اختيار القراءة المشهورة من بين القراءات الواردة في الرواية المستدرك عليها . نحو : " قوله بيطش وبيطش يعني بكسر الطاء وبضمها . قال أبو عبيدة في تفسير قوله تعالى : " فلما أراد أن يبسط بالذى هو عدو لهما " بالطاء مكسورة ومضمومة لغتان : قلت : الكسر القراءة المشهورة هنا ، وفي قوله تعالى : " يوم نبطش البطasha الكبرى " والضم فراءة ابن جعفر ، ورويت عن الحسن أيضاً " (١٥) فقد أشار إلى القراءة المشهورة من القراءتين السابقتين ، ثم أحال القراءة الثانية إلى ابن جعفر والحسن .

بل يؤكد منهجه كذلك في اختيار المشهور من الضبط بالصوات في غير القراءات ، " قال أبو الدرداء في المري " ذبح الخمر ... قال البيضاوي : ذبح بصيغة الفعل الماضي ونصب راء الخمر على أنه المفعول . قال : وبروى بسكون الموحدة على الإضافة والخمر بالكسر أي : يطهرها . قلت : والأول هو المشهور (١٦) "

فهناك روایتان الأولى على الماضي والمفعول ، والثانية بسكون الباء وإضافة الخمر . أما الاستدراك فيميل إلى الأول ؛ والسبب شهرة هذا الاستعمال لصانت الفتحة الدال على الفعل الماضي . وصانت الفتحة أيضاً الدال على مفعولية (الخمر) .

وأحياناً يعلن تأييده لوضع الصوات بصورة ضمنية بالاستناد إلى آراء في روایات أخرى غير الرواية المستدرك عليها . مثل : " قوله : إنه لجاهد مجاهد ... بكسر الهاء والتاءين ... كما قالوا : جادَ مجَّدَ . ووقع لأبي ذر عن الحموي

والمستملي : بفتح الهاء والدال ، وكذا ضيطة الباقي . قال عياض : والأول هو الوجه . قلت : يؤيده رواية أبي داود .^(٩٧)

جاهد مجاهد

أبو ذر عن الحموي والمستملي

الباقي

عياض

رواية أبي داود

أما الاستدراك فهو بالتأييد الضمني : ويؤيده ... الخ . لا شك في أن تغيير الصواتت من الكسر والضم إلى الفتح، سوف يغير الصيغة من اسم الفاعل إلى الفعل .

وقد يؤيد استدراكه بأن أصحاب الرأي المختار ثقة ، نحو : " قوله : من يرد الله به خيراً يُصبّ منه ، كذا للأكثر بكسر الصاد والفاعل الله قال ابن الجوزي : أكثر المحدثين بروايه بكسر الصاد . وسمعت ابن الخشاب بفتح الصاد وهو أحسن وألائق . كذا قال ، ولو عكس لكان ... أي ... ووجه الطبيبي الفتح بأنه أليق بالأدب لقوله تعالى : " وإذا مرضت فهو يشفين " . قلت : ويشبه ... " سر ما أخرجه أحمد من حديث محمود بن لبيد رفعه : إذا أحب الله قوماً ابتلاه ... صبر فله الصبر ومن جزع فله الجزع ، ورواته ثقة " .^(٩٨)

فالاختلاف حول فتح الصاد وكسرها . ويؤيد ابن حجر الكسر بالاستناد إلى نص حديث آخر ، والرواية ثقة . وهذا - فيما يرى - منهج مختار ، الاستناد إلى المشهور والثقة .

ويلاحظ هنا أن صانت الفتح يؤدي دلالة لا تتحقق بوجود صانت الكسر ، فال الأول يوحى بالتأديب مع الله تعالى ، بينما الفعل للمجهول ، لكن الثاني يبني الفعل للمعلوم ف تكون الإصابة صادرة من الله صراحة دون بناء الفعل للمجهول .

وقد يضيف في منهجه كذلك رأياً في وضع الصواتت لم يكن موجوداً في الروايات السابقة ؛ ومثال ذلك ، في رواية طويلة ، ذكر فيها لغات كثيرة ، ذكر عن ابن عطية ، أن في (أف) أربعين لغة ، فمادة (أف) لها لغات بالحركات الثلاث بغير تنوين ، وبالتنوين ، وبالسكون ، وبالتشديد ، وبالإحالـة ، وبين بين ، وبلا إحالـة ، والجمع بين التشديد والتنوين ... الخ . ثم يستدرك ابن حجر بقوله : "... قلت : وبقي من الممكن في ذلك (أفي) كما مضى ، لكن بفتح الفاء وسكون الباء ، و (أفيه) بزيادة هاء . وإذا ضمت هاتين إلى التي زادها ابن عطية ، وأضفتها إلى ما بدئ به صارت العدة خمساً وعشرين ، كلها بضم الهمزة ، فإذا استعملت القياس ، - [أي بالفتح والكسر] - في اللغة كان الذي بفتح الهمزة كذلك ، وبكسرها كذلك ، فتكمـل خمساً وسبعين " .^(٩٩)

و واضح هنا أن حركة الصواتت في الكلمة (أف) كثيرة جداً ، حتى وصل عدد التغيرات الناتجة عن حركة الصواتت ، بل أحياناً معها الصواتت ، إلى خمسة وسبعين تغييراً .

سادساً - الأصوات والقراءات

الصلة بين الأصوات والقراءات وثيقة ، خاصة حينما نعرف أن أغلب الاختلافات بين قراءة وأخرى ترتكز على الجانب الصوتي ، وهذا ما أفضى فيه كتب القراءات ، حيث الحديث عن الاختلاف في الظواهر الصوتية المتعددة مثل : الإدغام والإبدال والإعلال والإخفاء والإظهار والإسمام والإحالة والإشباع والمد والتقطيم والترقيق والهمس والجهر ... الخ (١٠٠)

والأبحاث التي تدور حول القراءات ترتكز على عدة محاور منها .

- (١) مفهوم القراءات .
- (٢) أنواعها .
- (٣) شروطها .
- (٤) ضوابط كل نوع .
- (٥) نشأتها .
- (٦) علاقتها باللهجات .
- (٧) المصطلحات التي تدور في فلك القراءات .

أما ابن حجر في هذا السفر العظيم ؛ فقد اتضح أن المحاور التي ارتبطت بموقفه من القراءات والأصوات في استدراكاته هي :

١- الصوانت والقراءات .

٢- إحالة القراءة .

٣- توجيه القراءة دلاليا ؛ القراءة والدلالة .

١ - الصوانت والقراءات

سبقت معالجة ابن حجر لقضية الصوانت ، لكن استدراكه عن الصلة بين الصوانت ، وعلى وجه الخصوص (الضبط) ، لم ي تعد موضوعين .

أما الأول : فورد في رواية طويلة ذكر فيها آراء كثيرة ، أو قراءات كثيرة في قوله تعالى : " وَقَالَتْ هَيْتُ لَكَ " (١٠٠) فجاء بقراءات ملخصها كالتالي :

- ١- قال عكرمة : هيست بالحورانية هلم
- ٢- قال ابن جبیر : تعاله
- ٣- قال عكرمة أيضا هيست لك
- ٤- ابن مردویه : هيست لك يعني هلم لك
- ٥- عبد الرزاق : معناها تهيأت لك
- ٦- قتادة : يقول بعضهم : هلم لك
- ٧- أبو عمرو بن العلاء : هيست للواحد والاثنين والجمع من الذكر والأنثى سواء .
- ٨- أبو عمرو بن العلاء : هنت لك باطل لا يعرف هذا أحد من العرب .
- ٩- عن عبد الله بن مسعود : هيست لك
- ١٠- الأعمش : بالضم

ثم استدرك ابن حجر قائلًا " وقراءة ابن مسعود بكسر الهاء وبالضم وبالفتح بغير همز ^(١٠٢) ثم جاء بأراء كثيرة كذلك بالكسر ، والهمز ، والسريانية ، الخ

يتضح من هذا الاستدراك أنه لم يأت بجديد ، غير أنه ذكر القراءات الواردة عن ابن مسعود وهي : الرفع والنصب والكسر ، بما يوحي بجواز الإحلال الصوتي لهذه الصوائف في هذه القراءة .

والأراء السابقة ، التي تقرأ بالضم : أحياناً ، وبالكسر أحياناً أخرى ، وبالفتح تارة ثلاثة ، وبالهمز تارة رابعة ، يربط علماء اللغة بين كل اختيار واللهجات ؛ فالبدو يختارون الحركات الأنقل ، والهمز ، والحضر يختارون الحركات الأخف ، وعدم الهمز ، وهذا تحقيقاً للمناسبة بين اللهجة والقراءة والبيئة ^(١٠٣)

أما الموضع الثاني ففي استدراكه على قراءة (كسالي) ، ذكر قراءتين فيها ثم استدرك ، فالقراءتان اللتان ذكرهما قبل الاستدراك :

- ١ - بفتح الكاف : كَسالى .
- ٢ - بضم الكاف : كُسالى .

واستدركه : " قلت : وهما قراءتان ؛ قرأ الجمهور بالضم ، وقرأ الأعرج بالفتح ، وهي لغة بنى تميم ، وقرأ ابن السمييع بالفتح أيضاً لكن بإسقاط ألف وسكون السين ؛ وصفهم بما يوصف به المؤنث المفرد للاحظة معنى الجماعة ، وهو كما قرأ : وترى الناس سكري " ^(١٠٤) فالجمهور : بالضم : كَسالى . والأعرج وتميم : بالفتح : كُسالى .

وابن السمييع : بالفتح مع إسقاط ألف وسكون السين : كَسلى . فاختلاف القراءة هنا ناتج عن اختلاف موضع الصوائف ؛ إما صائب الفتح ، وإما صائب الضم ، بل بحذف صائب طويل وهو ألف ، وحذف صائب قصير هو الفتح وإبداله بسكون ، كما قرأ ابن السمييع .

٢- إحالة القراءة

وهذا من بين محاور منهج ابن حجر الاستدراكي ؛ إذ يكتفي بحالات القراءات الواردة ، أو بمعنى آخر بيان نسب هذه القراءات ، فهيء ترد في الروايات دون ذكر نسبتها ، ويتكلل ابن حجر بهذا الأمر ، وهذا المنهج ليس في القراءات فحسب ، بل في كثير من الظواهر الصوتية ، كما سبق أن أوضحنا . وهذا كثير جداً عند ابن حجر على كافة المستويات اللغوية .

مثال ذلك الآراء حول قوله تعالى : " وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلاً " ^(١٠٥) " قال أبو عبيدة خلفك وخلافك سواء وهما لغتان وقرئ بهما . قلت : والقراءتان

مشهورتان ؟ فقرأ : خلفك ، الجمهور ، وقرأ : خلافك ، ابن عامر " وهي رواية حفص عن عاصم .^(١٠٦)

فالقراءتان لم يتم نسبهما ، لكن بالاستدراك وحيداً أن :

١- قراءة خلفك ، تنسب إلى الجمهور .

٢- وقراءة خلافك ، تنسب إلى ابن عامر وحفص عن عاصم .
والفرق بين القراءتين صوتي ؛ اختلاف الصوات الطويلة والقصيرة .

كما يلي :

خلافك

خلفك

- خ : صافت الكسر القصير
بالإحلال

- لـ : بصفات الفتح القصير

- بalf المد ، أي بالصفات

- بدون المد الطويل

ومثال آخر قوله تعالى : " حم " ^(١٠٧) هناك آراء كثيرة حول المراد بها ، لكن من حيث القراءات : " عن معمر عن قتادة قال : (حم) اسم من أسماء القرآن ، وقال ابن القيم لعله يريد على قراءة عيسى بن عمر بفتح الحاء والميم الثانية من ميم . ويحتمل أن يكون عيسى فتح لالقاء الساكنين قلت : والشاهد الذي أنسده يوافق قراءة عيسى ، وقال الطبرى : الصواب من القراءة عندنا في جميع فواتح السور السكون لأنها حروف هجاء لا أسماء مسميات ... الخ ^(١٠٨) فالاستدراك نسب القراءة بالفتح إلى عيسى ، وهذا الاستدراك أكد النسب فقط ، فقد ورد في الرواية أنها لعيسى ، غير أنه أضاف في هذا الاستدراك رأي الطبرى بسكون الحرف ؛ أي بحذف الصافت ، وطالما أن الصافت القصير قد حذف فلا يبقى إلا السكون .

ح / ميم (بحذف الصافت القصير الفتحة) ح / ميم .

ومن نماذج إحالته الاستدراكية ، اختلاف القراءات حول قوله تعالى :

أفتmarونه على مايرى ^(١٠٩)

جاء بقراءات متعددة منها :

١- أفتmarونه عن إبراهيم النخعي (قرأ بها إبراهيم)

٢- أفتmarونه (قرأ بها إبراهيم)

٣- وكذلك قرأ بها ابن مسعود ، وعامة قراء أهل الكوفة .

٤- أفتmarونه وقرأها الباقيون وبعض الكوفيين .

أما استدراك ابن حجر فقوله : " قلت : قرأها من الكوفيين عاصم كالجمهور ، وقال الشعبي : كان شريح يقرأ : أفتmarونه ، ومسروق يقرأ : أفترونه "^(١١٠)

فالرواية المستدرك عليها لم توضح القراءة الكوفيين الذين أثروا قراءة (أفتmarونه) . أما الاستدراك فقد وضح ذلك بنسب هذه القراءة إلى عاصم .

ويبدو من الاستدراك أنه يكتفي بذكر صاحب القراءة ، دون تعليق على الفرق بين القراءات . والفرق واضح في التغيرات التي طرأت على الصوانت؛ فقراءة (افتمنونه) بصانت قصير هو الفتحة ، وقراءة : افتمنونه بصانت طويل هو الألف ، لكن الدلالة لم تختلف في القراءتين ، وهذا واضح في تعدد القراءات ، تختلف صوتيا، ونتيجة لذلك قد تختلف دلاليا، وقد لا تختلف .

ومن منهجه أحياناً أنه لا يكتفي بنسب القراءة فحسب ، بل يذكر السند كاملاً ، ومثال ذلك حين الاستدراك على الآية "كانه جمالات صفر" (١١١) - ابن التين : جمالات بكسر الجيم وقيال بالضم .

- ابن التين أيضاً : عن القراء الجمالات ما جمع من الحال ، وعلى هذا يقرأ في الأصل بضم الجيم .

أما استدراك ابن حجر فهو: " قلت : هي قراءة نقلت عن ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة وعن ابن عباس أيضاً جمالة بالإفراد مضموم الأول أيضاً " (١١٢)

فورد في الاستدراك عن ابن عباس قراءتان ، الأولى : جمالات بضم الجيم ، والجمع ، والصانت الطويل : ألف المد . والثانية : جمالة بضم الجيم ، والإفراد ، والصانت القصير الفتحة .

مع ملاحظة أن القراءات الواردة في الرواية المستدركة عليها غير مذكور سندها ، لكنه مذكور في الاستدراك .

وأحياناً يستدرك بالإحالة ، مع ذكر التغيرات الصوتية كما سبق في النموذج (جمالات) وكذلك في استدراكه على القراءات في قوله تعالى "إذا كنا عظاماً نخرة" (١١٣)

- مجاهد : الناخرة والنخرة سواء مثل الطامع والطعم .

- أبو عبيدة : ناخرة ونخرة سواء .

- القراء : مثله : هما قراءتان أجودهما (نآخرة) .

- ابن الزبير : نآخرة .

أما الاستدراك فهو: " قلت : قرأها (نخرة) بغير ألف جمهور القراء ، وبالألف الكوفيون..." (١١٤)

فإحدى القراءتين بالصوانت القصيرة (الفتحة) (نَخْرَة) والكسرة والفتحة . والثانية (نآخرة) بالصانت القصير الفتحة ، والصانت الطويل الألف ، والصانت القصير الكسرة ، ثم الصانت القصير الفتحة ، واكتفى ابن حجر بذكر زيادة الصانت الطويل الألف : وبالألف عند الكوفيين

وليس كل النماذج عبارة عن اختلاف في الصوانت القصيرة فقط ، بل ورد منها ما اختلف فيه عبر الصوامت ، وذلك حينما استدرك على الروايات الواردة في قراءة قوله تعالى : "لست عليهم بمسطر" (١١٥)

- أبو عبيدة : لست عليهم بمسيطر .
 - ابن القيم : يقرأ بالصاد والسين .
 - أما الاستدراك فقوله : " قلت : قراءة الجمهور بالصاد . وفي رواية عن ابن كثير بالسين ، وهي قراءة هشام " (١١٦)
 - فقد حدث الإبدال الصوتي بين الصاد والسين ، وهما صامتان إذ يغلق معهما مجرى الهواء جزئياً حين النطق بهما .
- *****

٣- توجيه القراءة دللياً ، القراءة والدلالة

يستند ابن حجر في هذا المحور على الربط بين القراءات والدلالات الناتجة عن اختلافها ، وذلك إما بذكر آراء الآخرين في اختلاف الدلالة لاختلاف القراءة ، وإما بذكر رأيه هو في هذا الاختلاف .
وهذا المبحث يمثل جانباً من جوانب اتصال الأصوات بالدلالة إلى حد بعيد .

ومن نماذجه قوله تعالى : " الذين استجابوا الله والرسول من بعد ما أصابهم القرح " (١١٧) " روى سعيد بن منصور بإسناد جيد عن ابن مسعود أنه قرأ القرح بالضم . قلت : وهي قراءة أهل الكوفة ، وذكر أبو عبيدة عن عائشة أنها قالت : أقرأها بالفتح لا بالضم ، قال الأخفش : القرح بالضم ، فالضمية لغة أهل الحجاز ، والفتح لغة غيرهم كالضعف والضعف ، وحكي الفراء أنه بالضم : الجرح ، وبالفتح : الماء ، وقال الراغب : القرح بالفتح : أثر الجراحة ، وبالضم أثرها من داخل " (١١٨)

ابن توجيه هذه القراءة بالضم – في الاستدراك – أنها قراءة أهل الكوفة ، غير أن توجيهها الدلالي لم يكن من كلام ابن حجر ، إذ كان من كلام الفراء ، والراغب ؛ فالفراء يذكر أنه :

- أ- بالضم ----- الجرح
- ب- بالفتح ----- الم جرح
- والراغب يذكر أنه :

أ- بالضم ----- أثر الجراحة من داخل
ب- بالفتح ----- أثر الجراحة

فاختلاف القراءة ناتج عن الإحلال الصوتي بين الضم والفتح ، ونتج عن هذا اختلاف في الدلالة ، فوجهت قراءة الضم نحو دلالة ، وقراءة الفتح نحو دلالة أخرى .

غير أن الملاحظ أن الدلالتين تدوران في مجال دلالي واحد هو مجال (الجرح) وما يتعلّق به من آلام أو أثار (١١٩)
ويلاحظ كذلك أن التوجيه الدلالي لم يكن ناتجاً عن كلام ابن حجر نفسه ، بل استند في هذا التوجيه على كلام كل من الفراء والراغب ، وهذا الاستناد في حد ذاته يشير إلى إدراك ابن حجر وجود ربط بين الصوت والدلالة .

وكذلك اعتمد في النموذج التالي ، على توجيه الدلالة لاختلاف القراءة ، على آراء الآخرين ، وذلك تعليقاً على قوله تعالى : " لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون " (١٢٠) لكنه صدر آراء الآخرين برأيه موجزاً .

- مجاهد قال معناها — منسيون .

- سعيد بن جبیر : متrocون في النار منسيون فيها .

أما الاستدراك فقول ابن حجر : " وهذا كله على قراءة الجمهور بتخفيف الراء وفتحها ، وقرأ نافع بكسرها وهو من الإفراط ، وقرأها أبو جعفر بن القعاع بفتح الفاء وتشديد الراء مكسورة : أي مقصرون في أداء الواجب مبالغون في الإساءة " (١٢١)

فال滂ج له لقراءة الجمهور الواردة في الرواية المستدرك عليها ، وبهذا المعنى ، بتخفيف الراء وفتحها ، هذا كلام ابن حجر .

وأضاف مستدركاً من خلال آراء الآخرين :
نافع : بالكسر ----- الإفراط

أبو جعفر : بفتح الفاء وتشديد الراء بالكسر ----- مقصرون في أداء الواجب مبالغون في الإساءة .

فهناك إذن ثلاثة روايات أو قراءات مختلفة ، نتج عنها أربعة معان :

١- منسيون . (مجاهد)

٢- متrocون في النار منسيون فيها (ابن جبیر)

٣- الإفراط (نافع)

٤- مقصرون في أداء الواجب مبالغون في الإساءة (أبو جعفر)
إذا المستدراك في النموذج الأول استند على آراء الآخرين فقط .

والاستدراك في النموذج الثاني استند على رأيه إضافة إلى الآخرين .
واختلاف القراءات ناتج عن اختلاف حركة الصوات القصيرة ، ونتج عنه
اختلاف في الدلالة .

ويتضح منهج ابن حجر في الربط بين المستوى الصوتي والمستوى الدلالي
من خلال المبحث التالي:

سابعاً - العلاقة بين المستوى الصوتي والمستوى الدلالي

لقد أصبحت العلاقة بين المستويات اللغوية من الأمور المسلم بها في مجال البحث اللغوي المعاصر، بل كانت من المسلمات في تراثنا اللغوي؛ فليس تعريف ابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) للغة بعيداً إذ يقول تحت باب (القول على اللغة وما هي) : "أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" (١٢٢) وقد ربط بطاً تماماً بين الأصوات اللغوية ووظيفتها التعبيرية، وما التعبير إلا دلالة مراده من المتحدث أو الكاتب.

والمتأمل لأي استعمال لغوي منطوق أو مكتوب ، بل بالإشارة ، يجد أنه يحمل في طياته دلالة ، وإلا أصبح أصواتاً خالية من مضمونها أو غير مفهومة فالصوت والدلالة ، أو الشكل والمعنى وجهان لعملة واحدة هي اللغة ، وقد تم بحث هذه القضية على مر العصور قد يمها وحديثها بصورة تناهى بهذه الدراسة عن الخوض في معالمها ، ويكتفي أن نشير إلى أن علماء اللغة قد نحتوا من المصطلحين :

- PHONETICS
- SEMANTICS

مصطلحاً يجمع بينهما هو :

PHONOSEMANTICS

وذلك بعد دراسة المحاور المتعددة لرصد ظواهر الربط بين هذين المستويين على وجه الخصوص ، بل عُد فرعاً من علم اللغة الاجتماعي (١٢٣)

والمعنى يمثل أهم عناصر التحليل اللغوي ومستوياته ، بل يعد من أصعب المستويات اللغوية التي يصعب القول فيها بالكلمة النهائية ، غير أنه لا يمكن أن نغفل عن نتائج أصبحت الآن حقائق مرتبطة بدراسة المعنى ، منها الصلة بين المعنى وغيره من المستويات اللغوية ؛ فله علاقة بالأصوات ، والصرف ، والمعجم ، والنحو .

أما عن استدراكات ابن حجر ، فإنها في الغالب ترتبط بين التغيرات الصوتية ، وما ينتج عنها من تغيرات دلالية ، وغالباً ما يكون التركيز على التغير في معنى الكلمة المفردة ، مما يكون له الأثر في فهم المعنى العام لنص الحديث أو الرواية .

من هذه النماذج : " قوله باب خروج النساء إلى البراز ، أي الفضاء ... وهو بفتح المودحة ثم راء وبعد الألف زاي ، قال الخطابي : أكثر الرواية يقولونه بكسر أوله وهو غلط لأن (البراز) بالكسر هو المبارزة في الحرب . قلت : بل هو موجه لأنه يطلق بالكسر على نفس الخارج ... وعلى هذا من فتح أراد الفضاء ، فإن أطلقه على الخارج فهو من إطلاق اسم المحل على الحال ... ومن كسر أراد نفس الخارج " (١٢٤)

فاختلاف دلالة الكلمة نتج عن اختلاف حركة الصائب القصير الفتحة أو الكسرة ، وقد جاء في اللسان ما يؤكد هذا الاختلاف الدلالي الناتج عن الاختلاف الصوتي ، "فالبراز" : بالفتح المكان الفضاء من الأرض البعيد الواسع ... وقيل : الموضع الذي ليس به خمراً من شجر ولا غيره ... والبراز بالفتح : اسم للفضاء الواسع فكروا به عن قضاء الغانط ، كما كانوا عنه بالخلاء ... والبراز : بالكسر وهو لفظ الجوهرى كنایة عن تقلّل الغذاء .." ^(١٢٥) وكذا في مختار الصحاح ، "البراز بالكسر: المبارزة في الحرب .. وهو كنایة عن الغانط .. والبراز بالفتح: الفضاء الواسع .." ^(١٢٦)

وفي نموذج آخر يوضح أثر الإبدال بين الأصوات الصامتة وأثره في تغير الدلالة " وقع في أكثر الروايات في هذا الأثر (فتابوا) من التوبة . ووقع في رواية الأصيلي والقابسي وعبدوس (فأبوا) بغير مثابة قبل الألف ، قال عياض : وهو وَهُمْ مفسد للمعنى ، قلت : والذي يظهر لي أنه (فأبوا) بهمزة ممدودة ، وهي بمعنى (فرجعوا) فلا يفسد المعنى " ^(١٢٧)
فإليبدال واضح بين (تابوا) و (أبوا)
فمعنى تابوا ----- من التوبة
ومعنى أبوا ----- من الرجوع

ونرى أن هذا الإبدال بالفعل لا يفسد المعنى ، فالرجوع يعني الرجوع عن المعصية ، وهو معنى التوبة ، وكذلك التوبة هي الرجوع والإفلاع عن المعصية ، ومن ثم يكون الشاهد عبارة عن اختلاف في اللفظ فقط واتفاق في المعنى ، فهو من باب الترافق . ونص الحديث يؤكد أن (أبوا) لا يفسد المعنى "... فقام جرير والأشعث فقالا : بل استبهم وكفّلهم عشائرهم ، فتابوا وكفّلهم عشائرهم "
فالشاهد في الاستدراك هو إدراك ابن حجر لهذا الاختلاف الصوتي ، بل اختياره الهمزة الممدودة ، وكذلك إدراكه أن ذلك الإبدال لم يفسد المعنى الوارد في نص الرواية .

وأحياناً يلجأ ابن حجر في استدراكه إلى السياق لتأكيد الدلالة من نفيها ، فالاختلاف الصوتي ، يؤدي إلى اختلاف في الدلالة . والسياق يكون الحكم على صحة الدلالة الناتجة من عدمها . ومثال ذلك : " قوله : أن مات بمكة ، هو بفتح الهمزة للتعليق ، وأغرب الداودي ... فقال : إن كان بالفتح ففيه دليل على أنه قيل له إنه يريد التخلف بعد الصدر ، فخشى عليه أن يدركه أجله بمكة . قلت : والممضبوط المحفوظ بالفتح ، لكن ليس فيه دلالة على أنه أقام بعد حجه ، لأن السياق يدل على أنه مات قبل الحج والله أعلم " ^(١٢٨)

فالرواية المختارة في الاستدراك بالفتح للدلالة على التعليق ، وأنه مات بعد الحج ، لكن السياق الذي رواه ابن حجر يدل على أنه مات قبل الحج . ومن هنا تعارض السياق مع الرواية المحفوظة أو المختارة .

وقد اكتفى ابن حجر بذكر هذا التناقض فقط بين الضبط الصوتي ودلالة من ناحية ، ودلالة السياق من ناحية أخرى ، ولعل في هذا إشارة ضمنية إلى أن الرواية المختارة بالفتح مرفوضة ، وأن المختار هو بالكسر لعدم تناقضه مع السياق . وواضح أن الاختلاف الدلالي هنا ناتج عن اختلاف في الحركة ، أي في الصانت القصير ، فهو بالفتح أم بالكسر .

وأحياناً يربط بين الصوت والنحو والدلالة معاً ، ويستدرك بذلك آراء أخرى غير المذكورة في الرواية التي يستدرك عليها ؛ مثاله : " قوله - أي البخاري - راعنا من الرعونة إذا أرادوا أن يمحقوا إنساناً قالوا : راعنا . قلت - أي ابن حجر - هذا على قراءة من نون ، وهي قراءة الحسن البصري ، وأبي حيود ، وجهه ، أنها صفة لمصدر محذوف ، أي : لا تقولوا قولًا راعنا ، أي : قولًا ذا رعونة . وروى ابن أبي حاتم ... قال : الراعن : السخرى من القول نهاهم الله أن يسخروا من محمد ، ويحتمل أن يضمن القول التسمية ؛ أي : لا تسموا نبيكم راعنا ، الراعن الأحمق ، والأرعن مبالغة فيه ، وفي قراءة أبي بن كعب : لا تقولوا راعونا بالجمع ... وفي مصحف ابن مسعود : أرعونا . وقرأ الجمهور : راعنا ؛ بغير تنوين على أنه فعل أمر من المراعاة ، وإنما نهوا عن ذلك لأنها كلمة تقتضي المساواة " (١٢٩)

فالتنوين من عدمه مرتبطان بالأصوات ، والصفة للمصدر والفعل الماضي مرتبطان بالنحو . والدلالة هي ما ارتبطت بكل صورة من هاتين الصورتين ، أو من هذه الصور ، التنوين ، الأمر المفرد ، الأمر بصيغة الجمع ؛ حسب اختلاف القراءة .

ويلاحظ في الاستدراك :

- ١ ذكر آراء مختلفة غير مذكورة في الرواية المستدركة عليها .
- ٢ الاستدراك في استدراكه على آراء الآخرين ، وعلى القراءات المختلفة .
- ٣ ذكر الدلالات الناتجة عن التغيرات الصوتية .
- ٤ اشتغاله على الأصوات ، والنحو ، والدلالة ، والقراءات .

ولم تقف الصلة بين المستويات عند حد الأصوات والدلالة فحسب ، بل كثُر في استدراكات ابن حجر الحديث عن النحو والدلالة والمعجم والدلالة كذلك .

الخاتمة

لعل هذه الدراسة في فكر ابن حجر اللغوي قد أسفرت عن كشف معالم منهجه الاستدراكي من ناحية ، وعن منهجه اللغوي من ناحية أخرى ، وهذا وذاك فيما يتعلق بالمستوى الصوتي . ثم وضع هذا الفكر تحت مجهر الدراسات اللغوية الحديثة . ولعل هذا البحث يفتح المجال للتنقيب عن فكر هذا الرجل فيما يخص المستويات اللغوية الأخرى؛ وذلك كي يتسعى وضع فكره اللغوي كاملاً في إطار عام .

وقد استطاع الباحث من خلال هذه الصفحات أن يصل إلى النتائج التالية :
استدرأاته دائماً ما تبدأ باستعمال الفعل الماضي (قلت) ؛ ليدل على أن ما يأتي من كلامه هو ؛ فقد ورد هذا الاستعمال في (٢٨٨٩) موضعاً من الكتاب . وغالباً ما يكون الاستدراك حالياً من استعمال الأدوات اللغوية الخاصة بالاستدراك . وفهما يتتصدر الاستدراك بوحدة من هذه الأدوات ؛ مثل(لكن) و(ليس) .

- استناده في الاستدراك إلى أصول لغوية صحيحة اعتمدتها اللغويون قديماً وحديثاً عند وضع قاعدة لغوية معينة ؛ من هذه الأصول التي اعتمد عليها ابن حجر:
 - ١- استناده إلى الأكثر في الاستعمال .
 - ٢- استناده إلى المشهور في الاستعمال .
 - ٣- استناده إلى الرواية الثقة دون غيرهم ؛ إذ يصرح هو بأنهم كذلك .
 - ٤- استناده إلى الشواهد الشعرية متى لزم الأمر .
 - ٥- توثيق الآراء التي يرجع إليها ؛ وذلك بذكر السند الكامل للرواية اللغوية ، أو بذكر صاحب الرواية فقط .
 - ٦- ذكر روایات متعددة لتأكيد الرأي الذي يذهب إليه من خلال الاستدراك .
 - ٧- استناده إلى الأصل في الاستعمال كسبب في ترجيحه رواية دون أخرى ، أو رأي دون آخر .
 - ٨- استعمال مبدأ القياس على الأمثلة الأخرى ؛ وذلك للترجيح أيضاً .

- إدراكه الصلة بين المستويات اللغوية المتعددة ؛ وفيما يخص البحث الذي بين أيدينا إدراكه العلاقة بين:

- أ- الأصوات والدلالة .
- ب- الأصوات وال نحو والدلالة .

إذ يشير إلى أن كل تغير في الصوت يؤدي إلى تغير في الدلالة .

- إدراكه أهمية السياق في توجيه الدلالة .
- كما أن هناك استدراكاً صريحاً، وهو الأغلب، فإن هناك كذلك استدراكاً يمكن أن نسميه بـ(الاستدراك الضمني)؛ بعدم ذكر رأيه صراحة؛ بل يذكر روایات تتفق مع رأي ما، يوحى بذلك إلى أخذه بهذا الرأي .

- إدراكه معظم الظواهر الصوتية التي تناولها علم الأصوات الحديث؛ مثل: حذف الأصوات ، وزيادة الأصوات؛ حتى أدرك أدق أنواع الزيادة مثل زيادة الغنة . وكذا اختلاف الصوات ، وصلة هذا بالدلالة . والإظهار، والإبدال، والصوات القصيرة .

- يمكننا إضافة ما يمكن أن نسميه بـ(الاستدراك التحليلي) ؛ وذلك بـان ابن حجر كان ينافش الآراء السابقة، ويحللها ، وينقدها ، بل يضيف إليها ، ويرفض بعضها ؛ فقد أضاف - على سبيل المثال- عدداً من الاحتمالات الضبطية لـكلمة(أف) ، بما يمكن إدراجه تحت الإحلال الصوتي ؛ طبقاً للدراسات اللغوية الحديثة . وكذا يشمل الاستدراك التحليلي القياس والنقد والاستشهاد بالشعر . . . إلخ . بل يستند في تحليله أحياناً إلى العلل الكتابية في رفض رأي أو تأييده .

- وهناك أيضاً ما يمكن أن نسميه بـ(الاستدراك الوصفي) ؛ إذ يكتفي بوصف ما حدث في بنية الكلمة من الناحية الصوتية دون إضافة أو حذف أو نقد أو تعليق . . . إلخ .

- ومع هذا التحليل اللغوي ، والمنهج الاستدرادي ، فإن الباحث يلاحظ عدة جوانب غير موافقة لمنهج الاستدراك اللغوي ؛ منها:

أ- استدراكه أحياناً باختيار رأي ما من الآراء السابقة دون ذكر مسوغات لهذا الاختيار .

ب- اشتتمال الاستدراك على تغليط لبعض الآراء بالتصريح ببعض الألفاظ الدالة على هذا التغليط ؛ مثل قوله: وهذا غلط محضر .

ج- قد يفوته أحياناً القياس على الأكثر ؛ فيقيس على الأقل .

- الإحالات عند ابن حجر متعددة ؛ فقد تكون بالتوثيق الكامل للرواية اللغوية ، وقد تكون بذكر صاحب الرواية فقط ، وقد يخلو الاستدراك تماماً من ذكر صاحب الرواية .

الهوامش

- (١) لقد أفت كثيراً من الأبحاث المنشورة على الشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنت) ، إذ تشتمل على كم هائل من الأبحاث المتعلقة بعلم اللغة عامة، وعلم الأصوات خاصة.
- (٢) انظر التفصيل: ١ - الضوء الامع ، للسخاوي ٣٦/٢ - ٤٠ . ٢ - الأعلام ، للزركلي ، ١٧٨/١ . ٣ - أعظم عظام المسلمين من كل قرن ، لمؤلفه: أحمد معمور لاحق ، ٤٣٠ - ٤٣٤ .
- (٣) سوف نفرد مبحثاً خاصاً للعلاقة بين المستوى الصوتي والدلالي وفق وجهة نظر ابن حجر آخر البحث.
- (٤) د. كمال بشر: علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٥ م. ص ٢٠٠ .
وانظر اهتمام القدماء بالدرس الصوتي:
أ- د. محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، مصر ١٩٩٢، ص ٩٣: ص ٩٦ .
ب- د. كمال بشر: علم الأصوات، ص ٤٢٢ وما بعدها .
ج- د. إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط ٩، ١٩٩٥ .
د- د. عبد الراجحي: اللهجات العربية في القراءات القرآنية .
- (٥) وقد تمحض الحركات أيضاً من الكلمة نحو قوله: فاليوم أشرح غير مستعب، وقوله: إذا اعوججن قلت صاحب..الخ، ابن جنى، الخصائص، ٣١٧/٢ .
انظر د. طاهر سليمان حمودة: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ١٩٨٢، ص ١٥٦ وما بعدها .
- (٦) السابق، ص ١٧٧ - ٢٢٨ .
- (٧) السابق، ص ٢٥٣ - ٢٦٢ .
- (٨) السابق، ص ٩ وما بعدها .
- (٩) هذا وقد ورد الحديث عن ظاهرة الحذف في هذا الشرح على المستويات المتعددة في أربعة مائة وثلاثة وثلاثين موضعاً حسب الإحصاءات التي قمت بالحصول عليها .
- (١٠) سورة القلم، آية ١٤ .
- (١١) فتح الباري لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩ هـ ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقى ومحب الدين الخطيب، ج ٥ ، ص ٣٦ . ونص روایة الحديث كاملاً ارجع إلى: صحيح البخاري ، لمحمد بن اسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي ، دار ابن كثير ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٧ - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٧ م ، تحقيق د. مصطفى ديب البغا ، باب سكر الآثار ، ٢٢٣٢ / ٢٢٣١ .
- (١٢) السابق .
- (١٣) الأبياري (ت ٥٧٧): الإنصال في مسائل الخلاف، تحقيق د. محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، دمشق، (د.ت) ، ٦١٧/٢ ، وانظر: ابن هشام (ت ٧٦١): مغني اللبيب، دار الفكر، دمشق، ط ٦، ١٩٨٥ .
تحقيق مازن المبارك ومحمد على حمد الله ، ٢٠/١ . وانظر د. طاهر حمودة: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، ص ٢٤٣ حيث يذكر الهمزة بتخصيص من بين سائر أدوات الاستفهام بجواز حذفها .
وانظر د. كمال بشر: دراسات في علم اللغة، القسم الثاني، دار المعرفة، مصر، القاهرة، ١٩٧١، ص ٢٦ - ٢٥ .
- (١٤) د. رمضان عبد التواب: التطور اللغوي مظاهره وعلمه وقوانيقه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٩٩٧ ، ص ٧٥ وما بعدها .
- (١٥) السابق، ص ٧٦ .
- (١٦) د. إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط ٩، ١٩٩٥ ، ص ٧٦ وما بعدها .
- (١٧) ابن جنى (٩٣٩ هـ) الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، عالم الكتب ، بيروت ، د.ت ٢٨١/٢ وخصص هذا الباب كله تحت عنوان (باب في زيادة الحروف وحذفها) .
- (١٨) فتح الباري ، ١٨٥/٦ . وانظر الحديث رقم ٢٩٠٧ في صحيح البخاري ، ١١١٨/٣ .
- (١٩) ويجوز أن يكون حذف الحرف في أول السطر كما أثبت هذا ابن هشام بقوله: "ويجوز حذف الحرف نحو: يوسف أعرض عن هذا" وستفرغ لكم أيها الثقلان . و"أن أدوا إلى عباد الله" إلا في ثمانى مسائل ... انظر أوضاع المسالك إلى الفية ابن مالك (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد) دار الجليل ، بيروت ، ط ١١ ، ١٩٧٩ .

ومن الحذف أواخر الكلمة "فلن وفلة.. وإنما ذلك بمعنى فلان وفلانة...، انه حذف الألف والنون... السابق ٤٢٤ . والحذف أخر المنادي ترخيماً ٥٥٤ . ومن أمثلة الحذف أواخر الكلم "ومن فوقهم غواش" و "الفجر وليل عشر" ١١٧/٤ .

السابق ١١٧/٤ . وثبت كذلك في الخصائص : "وأما قراءة من قرأ وكذلك لجي المؤمنين" ، فليس على إقامة المصدر مقام الفاعل وتنصب المفعول الصريح لأنه عندنا في قول الله سبحانه : "تذكرون" أي تذكرون .. انظر ابن جنى : الخصائص ١/٣٩٨ ، وانظر حذف الحرف ، المصدر نفسه ٢١١ ، ٢٢٣ ، ٢٣٣ . وباب كامل تحت عنوان "باب في زيادة الحروف وحذفها" ٢٧٣/٢ .

(١٠) فتح الباري ، ٣٤٢/٦

(١١) السابق ، ٢٨٤/٧

(١٢) سورة البقرة ، آية ١٨٦

(١٣)

(١٤) سورة الزمر ، آية ١

(١٥) سورة النصر ، آية ١

(١٦) فتح الباري ، ٤٣٩/٧

(١٧) فتح الباري ، ٤٦١/١

(١٨) السابق ٤٥/١١ . ونص الحديث "عن جابر قال : سلم ناس من اليهود على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : السام عليكم . قال : وعليكم ، قالت عائشة وغضبت : ألم تسمع ما قالوا ! قال : بل قد ردت عليهم فنجاب عليهم ولا يجايبون فينا" أخرجه مسلم والبخاري .. السابق ٤٥/١١

(١٩) سورة

(٢٠) فتح الباري ، ٦١٢/٨

(٢١) د. رمضان عبد التواب : التطور اللغوي مظاهره وعلمه وقوانيين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٩٧ ، ص ١٣٥ وما بعدها .

وانظر أمثلة التخفيف كذلك ، ابن جنى : سر صناعة الإعراب ، تحقيق د. حسن هنداوي ، دار القلم ، دمشق ، ١٩٨٥ ، ط ١ ، ٧٧/١ .

(٢٢) السابق ، ص ١٣٥

(٢٣) انظر أ- أبو البركات الأنباري : أسرار العربية ، تحقيق د. فخر الدين قباوة ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٥ ، ١٩٩١ ، ٢٨٠/١ - ٢٨١ - ٢٨٨ ، ٢٨٩ .

ب- السيوطي : همع الهوا مع ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، المكتبة التوفيقية ، مصر ، ٤٤٦ ، ٤٤٥ ، ٤٥١ ، ٤٢١/٢ ، ٥١٧/٣ ، ٥٢١ ، وليس الأمور قاصرة على التخفيف لكثرة الاستعمال فقط ، بل قد تكون الإملاء لكثرة الاستعمال ، وقد يكون الحذف لكثرة الاستعمال وهكذا . وقد جعل د. حمودة كثرة الاستعمال أول سبب من أسباب الحذف ، انظر طاهرة الحذف في الدرس اللغوي ، ص ٢٩ وما بعدها .

(٢٤) انظر DAVIED CRYSTAL, THE CAMBREIDGE ENCYCLOPEDIA OF LANGUAGE, CAMBRIDGE UNIVERSITY PRESS, NEW YORK, 1987, P.95. العربي والدرس الحديث ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر . وانظر ابن جنى : الخصائص ، تحقيق محمد على النجار ، عالم الكتب ، بيروت ، حيث خصص بابا في شجاعة العربية تناول فيه قضيابا الحذف والزيادة وإعادة الترتيب والحمل على المعنى .. الخ ٣٦٠/٢ .

وقد أفرد ابن عصفور الإشبيلي (٥٩٧-٥٦٦٩) جزءاً كبيراً من كتابه الممتع في التصريف للحديث عن الزيادات المتعلقة باللينية الصرفية ، فجعل القسم الأول من التصريف باب تبيين الحروف الزوائد ٣٩/١ وما بعدها ، ثم حروف الزيادة وموضعها ٢١١/١ وما بعدها ثم أحكام حروف العلة الزوائد ٦١٢-٥٩٧/٢ ... وهكذا .

ابن عصفور الإشبيلي : الممتع في التصريف ، تحقيق د. فخر الدين قباوة ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٧-١٩٨٧

(٢٥) ابن هشام : شرح قطر الندى وبل الصدى ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار النشر ، القاهرة ، ط ١١٢٨٨ ، ١٩٩٣ ، ص ٢٢٥-٢٢٦ . وانظر : مغني اللبيب ، تحقيق مازن العبارك ، ومحمد على محمد الله ، دار الفكر ، دمشق ، ط ٦ ، ١٩٨٥ ، ١٢٥/١ ، حيث الإشارة إلى زيادة (أ) . والحديث عن زيادة الفاء في خبر المبتدأ ١٣٢/١ ، زيادة الباء ١٣٩/١ ، ١٤٥ ، وزيادة الواو ١٧٤/١ ، واللام ٢٠٦/١ ، وانظر ١٥٩ .

ص ٢٣٨ حيث ذهب إلى أن زيادة الحرف بمنزلة إعادة الجملة . وانظر ابن جنى : سر صناعة الإعراب ، تحقيق

د. حسن هنداوي ، دار القلم ، دمشق ط ١، ١٩٨٥ ، حيث تناول زيادة الحروف كلها بالترتيب : الهمزة ١٠٧/١ ، الباء ١٢٢/١ ، التاء ١٥٧ ، والفاء ٢٦٨/١ ، والكاف ٢٩١/١ ، واللام ٣٢٢ ، والنون ٣٢٤ ، والهاء ٤٤٤/٢ ، والواو والباء ٥٦٦/٢ ، والألف ٦٨٧/٢ .

(٢٣) أبو البركات الأبياري : أسرار العربية ، تحقيق د. فخر الدين قباوة ، دار الجبل ، بيروت ، ١٩٩٥ م ، ط ١ ، ص ٦٢ . وكذلك تحدث عن زيادة الحروف ، مثل زيادة حروف المد واللين : الواو والباء والألف ، وزيادة الهمزة لأنها تقوم مقام الألف . ص ١٢١-١٢٠ .

(٢٤) السابق ص ٣٦٣

(٢٥) السابق نفسه بتصرف

(٢٦) فتح الباري ، ٢٨٤/١

(٢٧) السابق ٤٧٠/٤

(٢٨) انظر في زيادة الهمزة : سر صناعة الإعراب لابن جنى ، ١٠٧/١-١١٨ .

(٢٩) تناقض هذه القضية في المبحث الخاص بالعلاقة بين الصوت والدلالة .

(٣٠) وردت الموضع التي استدرك فيها ابن حجر على غيره باختيار حركة ضبط قد تكون مخالفة أو مؤيدة لغيره كثيرة منها : ٥٢٦/١ ، ٣٧٧/٢ ، ٣٧٧/٣ ، ٤٠٠-٢٥٤/٣ ، ٤٩١/٤ ، ٤٢٥ ، ٤٦٧/٧ ، ٤٥٤ ، ٤٦٧/٨ ، ٦١٧ ، ٦٨/١١ ، ٤٦٠ ، ٢٨١ ، ١٠٨/١٠ ، ١٢٦/١٢ .

(٣١) انظر J.Richards, J.Plattand H. Weber, Longman Dictionary of applied Linguistics, Longman Group UK Limited,England, 1987,p.214
- David Crystal, A dictionary of linguistics and phonetics, Oxford,UK,1987,pp.228-229
ويعرف كريستال في موسوعته الفوئيم بأنه "أصغر وحدة مقارنة في النظام الصوتي للغة" pp,160,427

(٣٢) David Crystal, Ibid,p,9
(٣٣) للتفصيل انظر د. كمال بشر : دراسات في علم اللغة ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، مصر ، القاهرة ، ١٩٩٨ ، ص ١٥ وما بعدها .

(٣٤) ابن عصفور الإشبيلي (٦٦٩هـ) الممتنع في التصريف ، تحقيق د. فخر الدين قباوة ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٩٨٧ ، ٣١٧/١ ، ٤١٤ .

(٣٥) فتح الباري ٥٢٦/١
(٣٦) السابق ٢٥٤/٣ . وقد أورد رأياً لابن حبيب رابطاً فيه بين اختلاف الضبط واختلاف الدلالة : " وقال ابن حبيب : هو بالكسر الصدید ، وبالفتح التمهل ، وبالضم عکر الزیت ..." السابق ٢٥٤/٣
أی : المهل _____ الصدید
و : المهل _____ التمهل
و : المهل _____ عکر الزیت
(٣٧) فتح الباري ، ٤٠٠/٣

(٣٨) ابن مفظور : لسان العرب ، مادة لبـ ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط ١ . وقد جاء ابن منظور بروايات ضبطية أخرى للكلمة لم يتحدث عنها ابن حجر .

ويلاحظ هنا إصرار ابن حجر على اثنين الروايات التي فيها صلة بين المستويين الصوتي والدلالي ، حيث ذكر في بقية الرواية ارتباط الإحلال الصوتي بالدلالة .

(٣٩) فتح الباري ، ٤٩١/٤ . وذكر في استدراكه تأويلات نحوية للإضافة أو التنوين وناقشهما
(٤٠) فتح الباري ، ٣٢٧/٥

(٤١) ورد في لسان العرب لفظ (سيبوبيه) ١٥٢٥ مرة بالهاء ولم يرد بالتاء . وورد (نقطويه) سبع مرات كذلك بالهاء فقط دون التاء . وورد اسم (خالويه) مسبوقاً بـ (ابن) ١٧٥ مرة بالهاء دون التاء .

(٤٢) سورة القصص ، آية ١٩

(٤٣) سورة الدخان ، آية ١٦

(٤٤) فتح الباري ، ٤٢٥/٦

(٢٠) سورة الإسراء ، آية ٥٥

(٢١) فتح الباري ٤٥٤/٦ .

(٢٢) فتح الباري ، ٤٦٧/٧

(٢٣) وقد اردد الكلام بتعليق لابن القيم رابطاً بين الاشتقاق والدلالة :
جاهد ----- على وزن فاعل ----- معناه يرتكب المشقة .
مجاهد ----- على وزن مفاعل ----- معناه مجاهد لأعداء الله .

(٢٤) فتح الباري ، ٥١٦/٩ .

(٢٥) فتح الباري ، ٦١٧/٩

(٢٦) سورة الشعرا ، آية ٨٠

(٢٧) فتح الباري ، ١٠٨/١٠

(٢٨) وتلاحظ كذلك الصلة بين الإحلال الصوتي ، والدلالة النحوية ، والمعنى ؛ فبالكسر يكون الفاعل مباشرة هو الله تعالى ، وبالفتح يُبني الفعل للمجهول وذلك تزييه عن نسبة الإصابة إلى الله ، وكذا بالفتح يكون الأدب مع الله تعالى

(٢٩) فتح الباري ، ٦٠/١٠ ، وانظر شاهداً آخر على اختلاف الضبط ٦٨/١١ .

(٣٠) تحدث عن الإدغام وفك الإدغام في عدة مواضع من "الفتح" لكنها كانت مجرد روايات عن الآخرين دون استدراك ، وهذا كثير في الظواهر - موضوع البحث - كلها ، روايات لهذه الظواهر دون ذكر رأيه أو دون استدراك ومن أمثلة فك الإدغام مثلاً : " قوله : فقال : اللهم أحبّه ، بفتح أوله ، بلفظ الدعاء وفي رواية الكشميري : "أحبيه" بفك الإدغام . زاد مسلم : عن ابن أبي عمر : فقال : اللهم أنت أحبّه فأحبّه" فتح الباري ، ٤٣٤/٢ . حيث ذكر الظاهرة - فك الإدغام - وذكر الآراء أو الروايات المختلفة فيها ، دون استدراك برأيه . والباحث يجد هذا نوعاً من الاستدراك؛ وذلك بأنه لم يكتف برواية واحدة ، بل ياتي بروايات أخرى ، إما مزيدة ، أو رافضة ، وهذا كثير جداً في فتح الباري وانظر الموضع الأخرى التي تحدث فيها عن الإدغام : ٤٠٤/١ ، ٤٠٥/١٤٩ ، ٣٦٨/٩ ، ٣٧٦/١٠ ، ٥١٩/١١ ، ٢٦٩/١٢ . وكذلك : ١٦/٢ ، ٢٩٩ ، ٢٨٩ ، ٤٢٨ ، ٤٠٨/٨ ، ٦١٨ . ولم يستدرك بذلك رأيه مستقلاً إلا في موضع واحد : ٣٣/٤ .

- DAVIED CRYSTAL, THE CAMBRIDGE ENCYCLOPEDIA OF LANGUAGE, P164

- ADICTIONARY OF LINGUISTICS AND PHONETICS, P.25

- J. RICHARDS , J.PLATT, H.WEBER, LONGMAN DICTIONARY OF APPLIED LINGUISTICS,
P.19

- د. ابراهيم أنيس : في اللهجات العربية ، ص ٧٠ وما بعدها

- د. عبد الراجحي : اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، ص ١٢٦

Wouter Jansen: Dutch regressive voicing assimilation as a symmetric ^(٣١) coarticulation process: a coustic evidence , university of Groningen, November,5,2002
مقال من الشبكة العالمية للمعلومات (الإنترنت) ، وعنوان الموقع:
WWW.IETLIDENUNIV.NL/ULCL/FACULTY/VDWELJER/DVOICE/JANSEN.PDF.

Daan Wissing and Justus Roux: voic assimilation in Tswana Afrikaans: a ^(٣٢) phonetic solution for a phonological problem. مقال من الشبكة العالمية للمعلومات (الإنترنت) ، وعنوان الموقع : WWW.UMD.AC.ZA/UMD/LING/ARCHIVE/WISS-01.HTML و تاريخ العودة إلى الموقع : ٢٠٠٤/١٢/١٥

(٧٢) ويبين الزجاج هذا بقوله تعليقاً على قوله تعالى : " وابنكم بما تأكلون وما تذخرون في بيوتكم " أَلْعُمْرَانِ ٩٦ . بقوله : " وإنما قيل : تذخرون ، وأصله : تذخرون من الذّر ، لأن الدال حرف ، مجهور والناء مهومسة ، فابدل من مخرج الناء حرف مجهور بشبه الذال في جهراها ، وهو الدال ، فصار : تذدخرون ، ثم أدخلت الذال في الدال ، وهذا أصل الإدغام ، أن تدغم الأول في الثاني . انظر : الزجاج : معاني القرآن وإعرابه ، تحقيق عبد الجليل شلبي ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ١٩١ ، ٤٨-٤٩ ، والمختلفة ، بوصفها نوعاً من التأثر من ٧٥-٧٥ . د. رمضان عبد التواب : التطور اللغوي ، ص ٤٨-٤٩ ، والمخالفة ، بوصفها نوعاً من التأثر من ٧٥-٧٥ .

إذن أصل : الآخر هو :
آخر ---- ثم ---- ادخر ---- ثم --- ادخر --- ثم ---- آخر
(٧٣) فتح الباري ، ٤/٣٢

(٧٤) انظر : د. رمضان عبد التواب : التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ، ص ٥٧ وما بعدها . إذ نقل أمثلة كثيرة لتأثير الحروف ببعضها عن طريق المخالفة بالإبدال .

(٧٥) انظر تفاصيل الحديث عن الإبدال بأنواعه وتفاصيله ، الأبواب التالية من : سيبويه : الكتاب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الجليل ، بيروت ، ط ١ ، (دب.) .
- ابن جنى : الخصائص ، تحقيق محمد على النجار ، عالم الكتب ، بيروت ، (دب.) .
- ابن جنى : سر صناعة الإعراب ، دار الفلم ، دمشق ، ط ١ ، ١٩٨٥ ، تحقيق د. حسن هنداوي .
أبوابه عند سيبويه

١- باب حروف البدل

- ٢- باب ما تقلب فيه الواو ياء وذلك إذا سكتت وقبلها كسرة
- ٣- باب ما تقلب الواو فيه ياء لا لياء قبلها ساكنة لكن لسكونها وبعدها ياء
- ٤- باب ما تقلب فيه الياء وواو
- ٥- باب ما تقلب الواو فيه ياء إذا كانت متحركة والياء قبلها ساكنة
- ٦- باب ما تقلب فيه الياء وواو
- ٧- باب ما تقلب فيه الياء وواو ليفصل بين الصفة والاسم
- ٨- باب ما إذا التفت فيه الهمزة والياء قبلت الهمزة ياء والياء ألفاً ٤٣٩ / ٤
- ٩- باب ما يلزم الواو فيه بدل الياء ٤٣٣ / ٤ وما بعدها
- ١٠- باب ما شذ فابدل مكان اللام الياء لكراهية التضييف وليس بمطرد ٤٢٤ / ٤ وما بعدها
- ١١- باب الحرف الذي يضارع به حرف من موضعه والحرف الذي يضارع به ذلك الحرف وليس من موضعه ٤٧٧ / ٤ وما بعدها .
- ١٢- باب ما تقلب فيه السين صاداً في بعض اللغات ٤٧٩ / ٤ وما بعدها
بل ذكر الإبدال في غير العربية
- باب اطراد الإبدال في الفارسية

أبوابه عند ابن جنى في الخصائص

- ١- باب في الحرفين المتقاربين يستعمل أحدهما مكان صاحبه ٨٢/٢
- ٢- باب في حذف الهمزة وإبدالها ١٥٢/٣ (الإبدال مثل بليس وبينس) قال أبدل الهمزة ياء .
أبوابه في سر صناعة الإعراب لابن جنى

- (١) إبدال الهاء من الهمزة
- (٢) إبدال الهاء من الألف
- (٣) إبدال الهاء من الياء
- (٤) إبدال الهاء من الواو
- (٥) إبدال الهاء من الناء
- (٦) إبدال الواو من الألف
- (٧) إبدال الواو من الياء
- (٨) إبدال الألف عن الهمزة والياء والواو والنون

إبدال الياء من الواو والهمزة والياء والسين والياء والراء والنون واللام والصاد والمصاد والميم والدال والعين والكاف والناء والجيم .

(٧٤) ابن حجر : فتح الباري ، ٤/٢٢٥ . وقد وردت مادة (نهك) ومشتقاتها في لسان العرب بمعنى : الكآل المعنى من الإبل وغيرها . انظر : مادة (نهك) . غير أن الجذر المعجمي بعد الإبدال (نهك) غير موجود باللسان . وقد ورد الإبدال الثاني (نهك) باللسان بمعنى : الإجهاد والغلبة . انظر مادة (نهك) . لسان العرب لابن منظور ، دار صادر

، بيروت ، الطبعة الأولى، (د/ت)، مادتا : نفه ، ونهك . وقد وردت مادة (نفه) في غريب الحديث بمعنى الإعباء والكل، ٩٥/٥ . ولم تُعثر على الجذر (نثه) فيه . ولا في الغريب لابن قتيبة ، ولا الغريب لابن سلام . ولا الغريب للخطابي . بل ورد (نفه) بالمعنى السابق في الغريب لابن سلام ، ٢١/١ .

(٧٧) هذا إضافة إلى أن الإبدال في الغالب لا يغير المعنى ، لكن الإبدال هنا غير المعنى ، أو أخفى المعنى ، فـ (نفه) ذات معنى ، بينما (نثه) لم نجد لها معنى . ومن ثم لا نؤمن بوقوع الإبدال في مثل هذا الشاهد لأن كل الأسباب تحول دون وقوعه .

(٧٨) فتح الباري : ٢٤٠/٩

(٧٩) إذ ذكر صاحب الخصائص أن هذا الباب غور من العربية بحق ومذهب نازح فسيح قد ورد به القرآن وفصيح الكلام متنوراً ومنظوماً كثائق المذكرة وتذكرة المؤنث ، وتصور معنى الواحد في الجماعة والجماعة في الواحد ، وفي حمل الثاني ... فمن تذكرة المؤنث قوله :

فلا مزنة ودققت ودقها ولا أرض أقبل إيقالها

ومنه قوله عز وجل : " فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى " وكذلك " فمن جاءه موعدة من ربه " لأن الموعودة والوعظ واحد . وكذلك قالوا في قوله سبحانه " إن رحمة الله قريب من المحسنين " إنه أراد بالرحمة هنا المطر ويجوز أن يكون التذكرة هنا إنما هو لأجل فعل على قوله :

(باعين أعداء وهن صديق) (وقوله (ولا عفراء منك قريب) ...

انظر خصائص ابن جنی ، ١١/٢ ، ٤١٢-٤١١ ، ٤١٣ . وما بعدها . ويقول : " وتذكرة المؤنث واسع جداً لأنه رد فرع إلى

أصل ، لكن تذكرة المذكر أذهب في التناكر والإغراق " السماق ، ٤١٥/٢ .

ونرى أن الإبدال هنا جائز من وجه آخر ، وهو أن كلمة (الأهل) تطلق ويراد بها كل من في البيت من ذكور وإناث ، ولذا حينما يكون اللفظ باليم فهو للتغلب . وقد ذكر صاحب مختار الصحاح أن (الأهل) : " أهل الرجل وأهل الدار " مختار الصحاح ، مادة أهل ، ١٢/١ . انظر : محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازبي : مختار الصحاح ، مكتبة لبنان ، بيروت ، تحقيق محمود خاطر ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م ، ص ١٣ .

(٨٠) فتح الباري ، ٦/٥٢٣ . وهناك مواضع أخرى ذكر فيها الإبدال ، لكن دون استدراك منه ، انظر على سبيل المثال : ٣٩٤/٦ ، ٣٩٤ ، ٥٢٣ ، ٦٠٩ ، ٥٢٣ ، ٢٨٤/٧ ، ٣٩/٨ ، ٣٤٢ ، ٢٧٣/٩ ، ٢٧٣/١٣ ، ٢٨٨/١٣ .

(٨١) نفسه

Longman Dictionary of applied Linguistics , p. 309 (٨٢)

Ibid,p.310 (٨٣)

Ibid (٨٤)

Ibid (٨٥)

(٨٦) من الشبكة العالمية للمعلومات ؛ تحت عنوان : Cambridge Dictionaries online, Cambridge . وعنوان الموقع : http://www.cambridge.org/help/phonetics.htm . تاريخ العودة إليه: ٢٠٠٥/١/١٥ . 2002

(A) Peter Roach, A little Encyclopedia of phonetics, University of reading, UK,2002 (٨٧)
موقع على الشبكة العالمية للمعلومات ، وعنوانه و تاريخ العودة إليه: http://www.personal.reading.ac.uk/~11sroach/peter/:

(٨٨) من هذه المواضع :

٤٦٠ ، ١٠٨/١٠ ، ٦١٧ ، ٥١٦/٩ ، ٤٦٧/٧ ، ٤٥٤ ، ٤٢٥ ، ١٠٤/٦ ، ٤٩١/٤ ، ٤٠٠ ، ٢٥٤/٣ ، ٥٢٦/١ ، ٦٨/١١ . بل يستعمل كذلك للاستدراك تعبير (ضبطناه) باختيار ضبط معين حسب ما يرى هو ، وجاء ذلك في واحد وثلاثين موضعًا منها : ١٤١/١ ، ١٤١/٢ ، ٥١٨ ، ١٧٦٠١٦٥،٣٩٨ ، ١٢٦/٢ ، ٢٢٥ ، ٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٢٦٩ ، ٢٧٤ ، ٢٧٣ ، ١١٧/٣ ، ١١٧/٢ ، ٩/٤ ، ٤٠٠ ، ٣٣ ، ٣٩/٥ ، ٣٧/٨ ، ٥٠٢/٦ ، ٣٧/٩ ، ١٤٧ ، ١٧٢/٩ ، ١٧٢/١٠ ، ٥١٩ ، ٥٠٥ ، ٤٧ ، ٢٥/١٢ ، ٣٥٠/١٢ ، ٤٥٧ ، ٣٩٣ ، ٣٤٥ ، ٥٤/١١ ، ٥١٩ ، ٥٠٥ ،

(٨٩) فتح الباري ، ٥٢٦/١ .

(١٠) فتح الباري ، ٢٥٤/٣ . وانظر في معنى الإحلال :
REPLACE MENT
DICTIONARY OF LINGUISTICS AND PHONETICS , P.236

مادة : REPLACIVE

(١١) فتح الباري ، ٣ /٤٠٠ . وفي مختار الصحاح : "... والتلبيد أن يجعل المحرم في رأسه شيئاً من صمغ ليتلبس شعره لقى عليه لنلا يشتعت في الإحرام " مادة : ل ب د .

(١٢) فتح الباري ، ٤ /٤٩١ .

(١٣) فتح الباري ، ٩ /١٦٥ .

(١٤) السابق ، ٦ /٤٠١ . وقد ورد ذكر (بابك الخرمي) في اللسان بنص : " والبُدُّ : موضع ، أراه أعمجياً ... وأسم كُورَةً من كُوز بابك الخرمي " لسان العرب ، مادة بُدُّ .

(١٥) فتح الباري ، ٦ /٤٢٥ . وشاهد آخر على إحالة القراءة : ٦ /٤٥٤ .

(١٦) فتح الباري ، ٩ /٦١٧ . وانظر : ١١ /٦٨ ، حيث استند إلى رواية (وسط) بفتح السين ، لا بسكونها ، لأنه ورد في الرواية المستدرك عليها : " والذي في اللغة المشهورة بفتحها " أي فتح السين . واستدرك قائلًا : " وهذا مما يرجع الرواية بالتحرير ولا يمنع السكون " فالراجح أولاً : التحرير ، ثم إمكانية السكون في المرتبة الثانية .

(١٧) السابق ، ٧ /٤٦٧ .

(١٨) فتح الباري ، ١٠ /١٠٨ .

(١٩) فتح الباري ، ١٠ /٤٦٠ .

(٢٠) انظر للتفصيل على سبيل المثال :

- المحاسب لابن حني

- النشر في القراءات العشر لابن الجزري

- الخصائص لابن جنى

- اللهجات العربية للدكتور ابراهيم أنيس

- اللهجات العربية في القراءات القرآنية للدكتور عبده الراجحي

(٢١) سورة يوسف ، آية

(٢٢) فتح الباري ، ٨ /٣٦٤ .

(٢٣) انظر في ذلك :

أ- د. ابراهيم أنيس : في اللهجات العربية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، مصر ، ط ٩، ١٩٩٥ ، ص ٨٠ - ٦٠ .

ب- د. عبده الراجحي : اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ، ١٩٩٨ ، ص ٩٧ - ١٢٥ .

(٢٤) فتح الباري ، ١١ /١٧٨ .

(٢٥) سورة : الإسراء ، آية : ٧٦

(٢٦) فتح الباري ، ٨ /٣٩٣ .

(٢٧) سورة : غافر ، آية : ١

(٢٨) فتح الباري ، ٨ /٥٥٤ .

(٢٩) سورة : النجم ، آية : ١٢

(٣٠) فتح الباري ، ٨ /٦٠٥ .

(٣١) سورة : المرسلات ، آية : ٣٣

(١١٣) فتح الباري ، ٦٨٦/٨ .
١١٤) سورة : النازعات، آية : ١١

(١١٥) فتح الباري ، ٦٩٠/٨ . وهناك مواضع : أخرى استدرك فيها ابن حجر مكتفياً بالإحالة أو النسب للقراءة فقط ، منها ، ٦٩٥/٨ ، ٧٢٠ ، ٧٢٨ ، ٧٣٨ ، ٨٠/٩ ، ٢١٦/١٣ ، ٢٢٠/١ .

(١١٦) سورة : الغاشية، آية : ٢٢

(١١٧) فتح الباري ، ٧٠١/٨

(١١٨) سورة : آل عمران، آية : ١٧٢

(١١٩) فتح الباري ، ٢٢٨/٨

(١٢٠) فقد وردت في مختار الصحاح هاتان اللقتان ، الفتح والضم ، في (الفرح) ، بالفتح ، الجراح ، وبالضم الم
الجراح ، وقرحه : أي جرحه ، انظر مختار الصحاح ، مادة : فرخ ، ٢٢٠/١ ، وانظر نموذجاً مماثلاً لهذا
النموذج في فتح الباري . توجيه القراءات الواردة حول قوله تعالى: " ما ننسخ من آية أو ننسها " ١٦٧/٨ ،
٨٦/٩

(١٢١) سورة : النحل، آية : ٦٢

(١٢٢) فتح الباري ، ٣٨٥/٨ .

(١٢٣) ابن جني : الخصائص ، ٣٢/١

- MARGARET MAGNUS ,OVERVIEW OF THE
PHONOSEMANTICS LITERATURE, UNIVERSITY OF TRONDHEIM.

وموقعه على شبكة المعلومات : [HTTP://WWW.CONKNET.COM](http://WWW.CONKNET.COM):

و تاريخ العودة إليه : ٢٠٠٥/١٢٣ م.

و انظر قضية الصلة بين النحو والمعنى :

أ- د. أحمد مختار عمر : علم الدلالة ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، ط٢ ، ١٩٩٨ ، ص ١٣
ب- ستيفن أولمان : دور الكلمة في اللغة ، ترجمة د. كمال بشر ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، مصر ، ١٩٩٠ ،
ص ٢٢ وما يليها .
ج- د. فايز الداية : علم الدلالة العربي ، النظرية والتطبيق ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، ط٢ ، ١٩٩٦ ،
ص ٣٠ .

إضافة إلى إسهام علماء الأصول والبلاغة والفلسفة وعلماء النفس والاجتماع وغيرهم ، وذلك لأن الصوت
والدلالة ، يمثلان قاسماً مشتركاً بين هذه العلوم .

و انظر كتب علم اللغة الحديث التي تمثل مقدمات لدراسة علم اللغة من خلال المستويات اللغوية منها :
- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، د. محمود السعراي ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٢
- مدخل إلى علم اللغة ، د. محمود حجازي ، مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ، مصر ، ١٩٩١
- المدخل إلى علم اللغة ، د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخاجي ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٥ .
وغيرهم .

وهناك أبحاث خاصة تناولت الصلة بين مستويين فقط مثل :
- النحو والدلالة ، د. محمد حماسة عبد اللطيف .

- بحث بعنوان : مقومات الدلالة النحوية ، قراءة في بعض الخصائص ، د. رشيد بلحبيب ، كلية العلوم الإنسانية
والاجتماعية ، الإمارات العربية المتحدة ، على شبكة المعلومات (الإنترنت) وعنوان الموقع :

[HTTP://WWW.FACULTY.UAEU.AC.AE/RACHID/RESEARCH/MAKAWIMAT.HTM](http://WWW.FACULTY.UAEU.AC.AE/RACHID/RESEARCH/MAKAWIMAT.HTM)

بتاريخ ٢٠٠٥/١٢٤ م.

- وأبحاث تطبيقية للعلاقة بين المستويات مثل :

- أسماء الله الحسني ، دراسة في البنية والدلالة ، د. أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، ط١ ،
١٩٩٧ .

- وانظر : - محمد عابد الجابري : *اللفظ والمعنى في البيان العربي* ، مجلة فصول ، ١٩٨٥/١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر ، ص ٢١-٥٥ .
- د. سعيد بحيري : *ملاحظات حول مسألة العلاقة بين الكم والنبر في الشعر العربي* ، فصول ، ١٩٨٦/٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر ، ص ١٩٦ ، حيث الحديث عن التغيرات الصوتية الناتجة عن الزحافات العروضية في الشعر ، وصلة ذلك بالدلالة الناتجة ، وذلك من خلال الصلة بين المبدع والمتألق .
- د. سعد مصلوح : *المصطلح اللساني وتحديث العروض العربي* ، فصول ، ١٩٨٧/٣ ، ص ١٨٠ وما بعدها ، إذ يناقش الصلة بين الإيقاع الصوتي والدلالة .
- د. تمام حسان : *المصطلح البلاغي القديم في ضوء البلاغة الحديثة* ، فصول ، ٢٠١٩٨٧/٤ ، ص ٣٤ . إذ يناقش علاقة التنعيم **INTONATION** بالدلالة .

(١١٩) فتح الباري ، ٢٤٩/١

(١٢٠) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : (بَرَزْ) ، ٢٠٩/٥

(١٢١) مختار الصحاح ، مادة : (بَرَزْ) .

(١٢٢) فتح الباري ، ٤٧٠/٤

(١٢٣) فتح الباري ، ٢٧٠/٧ . وانظر الرواية الكاملة الدالة على السياق في : صحيح البخاري ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : الله أمضى لأصحابي هجرتهم ومرثيتهم لمن مات بمكة . ١٤٣١/٣ .
محمد بن اسماعيل أبو عبد الله البخاري : صحيح البخاري ، تحقيق د. مصطفى ديب البغدادي ، دار ابن كثير ، اليمامة ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٧ مـ .

(١٢٤) فتح الباري ، ١٦٢/٨ - ١٦٣ . وانظر كذلك اختلاف الدالة لاختلاف الأصوات ، ١١٠/١٢ ، ٥٧٩/١٠ ، ١٦٦ ، ٢٥٥ ، وأحياناً يترك الأمر للمتألق بقوله : " قلت إما أن يكون من القسط بالكسر ، وإما أن يكون من القسط بالفتح الذي هو بمعنى الجور " ٥٤٠/١٣ .

المصادر والمراجع

أولاً: المراجع والمصادر العربية:

- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعى: فتح البارى ، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب .
- أحمد مختار عمر: أسماء الله الحسنى ، دراسة في البنية والدلالة ، ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، ط١ ، ١٩٩٧.
- أحمد مختار عمر: علم الدلالة ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، ط٢ ، ١٩٩٨ .
- أحمد معمور العسيري: أعظم عظماء المسلمين من كل قرن؛ من القرن الأول الهجري إلى الخامس عشر الهجري، مكتبة الملك فهد الوطنية، المملكة العربية السعودية، الدمام، الطبعة الثانية، ٢٠٠١ .
- الأنباري (ت ٥٧٧): الإنصاف في مسائل الخلاف، دار الفكر، دمشق، تحقيق د. أحمد محى الدين عبد الحميد، (دب٢) .
- الأنباري: أسرار العربية ، دار الجيل ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٥ ، تحقيق د. فخر الدين قباوة .
- إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٩ ،
- إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٩، ١٩٩٥ .
- تمام حسان: المصطلح البلاغي القديم في ضوء البلاغة الحديثة ، فصول ١٩٨٧/٣،٤،
- ابن الجزري: النشر في القراءات العشر ،
- ابن الجزري: النهاية في غريب الحديث و الآثار ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩ - ١٩٧٩ .

- ابن جنى : سر صناعة الاعراب ، تحقيق د. حسن هنداوي ، دار القلم ، دمشق ، ١٩٨٥ ، ط١ .
- ابن جنى (١٣٩٢هـ) : الخصائص ، عالم الكتب ، بيروت ، تحقيق محمد علي النجار ، د.ت .
- الخطابي : غريب الحديث ، تحقيق عبد الكريم ابراهيم العزباوي ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٠٢هـ .
- رشيد بلحبيب : مقومات الدلالة النحوية ، قراءة في بعض الخصائص ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، الإمارات العربية المتحدة ، على شبكة المعلومات (الانترنت) و عنوان الموقع :
- <HTTP://WWW.FACULTY.UAEU.AC.AE/RACHID/RESEARCH/MAKAWI.MAT.HTM> ، بتاريخ ٢٤/٥/٢٠٠٥م.
- رمضان عبد التواب : المدخل إلى علم اللغة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٥ .
- رمضان عبد التواب : تطور اللغوی مظاهره وعلله وقوانينه ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٩٧ .
- الزجاج : معانی القرآن وإعرابه ، تحقيق عبد الجليل شلبي ، بيرون ، ١٩٧٣ .
- الزركلي : الأعلام ، الشيخ خير الدين الزركلي ، طبعة دار العلم للملايين ، بيروت .
- ابن سلام : غريب الحديث ، تحقيق د. محمد عبد المعيد خان ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٦هـ .
- ستيفن أولمان : دور الكلمة في اللغة ، ترجمة د. كمال بشر ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، مصر ، ١٩٩٠ .
- السخاوي : الضوء اللامع ،
- سعد مصلوح : المصطلح اللسانی وتحديث العروض العربي ، فصول ، ١٩٨٧/٣ .
- سعيد بحيري : ملاحظات حول مسألة العلاقة بين الكم والنبر في الشعر العربي ، فصول ، ١٩٨٦/٣ ، الهيئة المصرية العالمية للكتاب ، القاهرة ، مصر .

- سيبويه : الكتاب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الجبل ، بيروت ، ط١ ، (د.ت)
- السيوطي : همم الهوامع ، المكتبة التوفيقية ، مصر ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، (د.ت) .
- طاهر سليمان حمودة: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع ، الإسكندرية ، ١٩٨٢ .
- عبد الراجحي : النحو العربي والدرس الحديث ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر .
- عبد الراجحي: اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ،
- ابن عصفور الإشبيلي : الممتع في التصريف ، تحقيق د. فخر الدين قباوة ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٠٧-١٩٨٧ م .
- فايز الدایة : علم الدلالة العربي ، النظرية والتطبيق ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، ط٢ ، ١٩٩٦ .
- ابن قتيبة: غريب الحديث ، تحقيق: د. عبد الله الجبورى، مطبعة العاني، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ .
- كمال بشر: دراسات في علم اللغة، القسم الثاني، دار المعرفة، مصر، القاهرة، ١٩٧١ .
- كمال بشر: علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٥ م.
- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختر الصاحب، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٣
- محمد بن اسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي: صحیح البخاری ، ، دار ابن كثير ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧ م ، تحقيق د. مصطفى ديب البغـا .
- محمد حماسة عبد اللطيف: النحو والدلالة ،

- محمد عابد الجابري : اللفظ والمعنى في البيان العربي ، مجلة فصوص ، ١٩٨٥/١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة .
- محمود حجازي: مدخل إلى علم اللغة ، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، مصر ، ١٩٩١ .
- محمود السعراان: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، مصر ١٩٩٢ .
١٩٩٥
- ابن منظور : لسان العرب ، مادة لبند ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، (دب) .
- ابن هشام (ت ٧٦١): معنى اللبيب، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٥، ٦، تحقيق مازن المبارك ومحمد على حمد الله .
- ابن هشام : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، دار الجبل ، بيروت ، ط ٥ ، ١٩٧٩ .
- ابن هشام : شرح قطر الندى وبل الصدى ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، دار النشر ، القاهرة ، ط ١١٢ ، ١٣٨٢ هـ ، ١٩٩٣ م .

ثانياً: المراجع الأجنبية

- Cambridge Dictionaries online , Cambridge University press
[http:// dictionary.cambridge.org/help/phonetics.htm](http://dictionary.cambridge.org/help/phonetics.htm) : ، ٢٠٠٢
 وتاريخ العودة إليه: ٢٠٠٥/١/١٥
- Daan Wissing and Justus Roux: voic assimilation in Tswana Afrikaans: a phonetic solution for a phonological problem.
 من الشبكة العالمية للمعلومات، وتاريخ العودة إليه : ٢٠٠٥/١/٢٣ م، وموقعه:
HTTP://WWW.TRISMEGISTOS.COM
HTTP://WWW.CONKNET.COM:

-
- David Crystal, Adictionary of linguistics and phonetics, Oxford,UK,1987
 - DAVIED CRYSTAL, THE CAMBREIDGE ENCYCLOPEDIA OF LANGUAGE, CAMBRIDGE UNIVERSITY PRESS, NEW YOURK, 1987.
 - J.Richards, J.Plattand H. Weber, Longman Dictionary of applied Linguistics, Longman Group UK Limited,England, 1987 .
 - MARGARET MAGNUS ,OVERVIEW OF THE PHONOSEMANTICS LITERATURE, UNIVERSITY OF TRONDHEIM.
 - Peter Roach, A little Encyclopedia of phonetics, University of موقع على الشبكة العالمية للمعلومات ، و عنوانه reading, UK,2002 و تاريخ العودة http://www.personal.reading.ac.uk/~l1sroach/peter/: ٢٠٠٥/١١٥ إلى
 - Wouter Jansen: Dutch regressive voicing assimilation as a symmetric coarticulation process: a coustic evidence , مقال من الشبكة العالمية university of Groningen, November,5,2002 المعلومات (الإنترنت) idenuniv.nl/ulcl/faculty/vdweljer/dvoice/Jansen.pdf. WWW.lect

اسم الفاعل

دراسة نظرية تطبيقية

في البنية الصرفية والاستعمال النحوي

د. فكري محمد سليمان

قسم اللغة العربية - كلية الألسن
جامعة عين شمس

* مقدمة *

موضوع هذا البحث هو: اسم الفاعل دراسة نظرية تطبيقية في البنية الصرفية والاستعمال النحوي. وينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: ويتناول دراسة نظرية لاسم الفاعل في البنية الصرفية والاستعمال النحوي.

القسم الثاني: ويضم مدحثين:

- أـ دراسة تطبيقية لبنية اسم الفاعل، واستعماله النحوي في سورة البقرة.
- بـ اسم الفاعل والظواهر النحوية.

القسم الأول: وتناول الدراسة فيه النقاط التالية:

* تعريف اسم الفاعل عند النحوين .

* البنية الصرفية لاسم الفاعل:

- طريقة صوغه من الفعل الثلاثي من: « فعل، و فعل، و فعل».

- وروده على أوزان أخرى غير وزن فاعل.

- طريقة صوغه من غير الثلاثي .

- تحويل صيغة فاعل إلى أبنية للمبالغة والتكثير.

* تبادل الصيغ.

* أهمية الجانب الدلالي في التفريق بين الصيغ .

* اسم الفاعل في الفكر النحوي ويشتمل على النقاط التالية:

■ عمل اسم الفاعل:

- التأثير والتأثر بين اسم الفاعل والفعل المضارع.

- صورتا إعمال اسم الفاعل:

أ- وروده مجرداً من أى، وشروط عمله وأراء النحويين في هذه الشروط، ومناقشة هذه الآراء.

- جواز نصب وجر الاسم التالي لاسم الفاعل المجرد من أى.

- ارتباط العمل بالجانب الدلالي.

ب- وروده مقترباً بـأى، وأراء النحويين في عمله، وترجيع الراجح منها.

■ عمل اسم الفاعل المثنى والمجمع.

■ الأوجه الإعرابية لتابع مجرور اسم الفاعل، وذكر آراء النحويين في ذلك، ومناقشة هذه الآراء، و اختيار الراجح منها، وسبب ذلك.

■ عمل أبنية المبالغة، وارتباط ذلك بالكثرة والقلة، وذكر الخلاف بين النحويين في عملها، ومناقشة هذه الآراء، و اختيار الراجح منها.

القسم الثاني: البحث الأول، دراسة تطبيقية لبنيّة اسم الفاعل واستعماله النحوي في سورة البقرة؛ وقد تم اختيار هذه السورة؛ لأنها أطول سورة في القرآن الكريم؛ إذ يبلغ عدد آياتها (٢٨٦) مائتين وست وثمانين آية. ويتناول هذا البحث النقاط التالية:

- اسم الفاعل من الثلاثي من « فعل » و« فعل »، و« فعل ».

- من غير الثلاثي: ويشمل ما يلي:

أ- الرباعي المجرد « فعل ». .

ب- الثلاثي المزدوج بحرف « أفعَل ، وفَاعَل ، وفَعَل ». .

ج- الثلاثي المزدوج بحرفين: « افتَعل »، و« تفَاعَل » و« تفَعَل ». .

د- الثلاثي المزدوج بثلاثة أحرف، « استفَعل ». .

وقد روعي في ترتيب الآيات التي ورد فيها اسم الفاعل، الترتيب الألفبائي للأفعال التي اشتقت منها أسماء الفاعلين، وقد تم ذكر الوظيفة الإعرابية التي يشغلها اسم الفاعل هنا أمام الآية منعاً للتكرار عند الحديث عن الحالات

الإعرابية لاسم الفاعل، والوظائف النحوية التي يشغلها داخل هذه الحالات.

- دراسة اسم الفاعل من ناحية النوع والعدد، وسبب مجيء اسم الفاعل في صيغة جمع المذكر أكثر من غيرها من الصيغ.

الأحرف التي وقعت في نهاية فواصل سورة البقرة، ومجيء اسم الفاعل المجموع جمع تصحيح في نهاية الفواصل في (٨٦) ست وثمانين آية وعلة ذلك.

* الحالات الإعرابية لاسم الفاعل، والوظائف النحوية التي شغلتها في كل حالة. وذكر الحالات الأكثر وروداً من غيرها، والنسبة المئوية للوظيفة النحوية الأكثر استعمالاً.

- اسم الفاعل العامل، وشروط عمله في سورة البقرة .

- عمل النصب .

- اسم الفاعل المضاف في سورة البقرة: المضاف إلى اسم ظاهر، والمضاف إلى ضمير .

المبحث الثاني: اسم الفاعل والظواهر النحوية:

- ارتباط اسم الفاعل ببعض الظواهر النحوية وهي: أ- التنكير والتعريف .

ب- العامل وارتباط العمل بظاهرة الأصل والفرع، وارتباط الأصل والفرع بالقوة والضعف .
ج- التقديم والتأخير .

وتهدف هذه الدراسة إلى معرفة أبنية اسم الفاعل واستعماله النحوي في سورة البقرة، ومدى مطابقة ذلك مع ما قاله النحويون، وقد اعتمدت الدراسة هنا على بعض المصادر والمراجع في علوم مختلفة، ومن هذه المصادر والمراجع:

١- القرآن الكريم .

٢- تفسير القرآن .

٣- القراءات .

٤- إعراب القرآن .

٥- معاني القرآن وإعرابه .

٦- النحو والصرف .

٧- الخلاف والأصول .

٨- فقه اللغة .

٩- علم اللغة «الأصوات» .

١٠- الدلالة النحوية .

- وفي نهاية البحث تقع خاتمه وتضم أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

القسم الأول: اسم الفاعل دراسة نظرية في البنية الصرفية والاستعمال النحوي

اسم الفاعل من الأسماء المشتقة، والاسم المشتق هو ما أخذ^(١) من غيره، ودلّ على ذات ومعنى.

تعريفه: يقول رضي الدين: اسم الفاعل ما اشتق من فعل لمن قام به بمعنى الحدوث^(٢). ويقول ابن هشام: اسم الفاعل هو ما دلّ على الحدث والحدث وفاعله. فخرج بالحدث نحو: «أفضل» و«حسن» فإنهما إنما يدلان على الشبوت، وخرج بذكر فاعله نحو: «مضروب» و«قام»^(٣).

فقد ذكر هنا ابن هشام الفعل وهو «قام» لأنّه لا يدلّ بوضعه على الفاعل. وقد ذكر السيوطي كلمة «صاحب» بدلاً من فاعله عند ابن هشام، فقال: اسم الفاعل هو ما دلّ على حدث وصاحبه، وما دلّ على حدث يخرج الجامد والصفة المشبهة وأفعال التفضيل، وصاحبها يخرج المصدر واسم المفعول^(٤).

ولأنّ اسم الفاعل صفة في المعنى وكذلك يقع في الوظيفة الإعرابية أطلق عليه مصطلح «الوصف» وكذلك الصفة، والصفة هنا تدلّ على موصوف بما تحمله من معنى الحدث.

(١) اختلف التحويون في أصل المشتقات على أربعة مذاهب هي:

- ذهب البصريون إلى أنّ المصدر هو أصل المشتقات.

- ذهب الكوفيون إلى أنّ الفعل هو أصل المشتقات.

- زعم بعض البصريين كالفارسي، واختاره عبد القاهر إلى أنّ المصدر أصل الفعل، والفعل أصل للوصف، فيكون فرع الفرع.

- زعم ابن طلحة أنّ الفعل والمصدر أصلان، وليس أحدهما مشتقاً من الآخر.

ينظر: خالد الأزهري، شرح التصریح على التوضیح ٣٢٥ / ١.

وقد ذكر ابن الأباري الخلاف بين البصريين والكوفيين في أصل الاشتغال وأوضح علل كل فريق، والجواب عن آقوال الكوفيين.

ينظر: ابن الأباري، الإنصال في مسائل الخلاف ٢٤٥ - ٢٣٥ / ١ المسألة ٢٨.

(٢) رضي الدين، شرح الكافية في النحو ١٩٨ / ٢.

(٣) ابن هشام، أوضح المسالك ١٩٤ / ٣.

(٤) السيوطي، همع الهوامع ٩٥ / ٢.

قال الزمخشري: الصفة هي الاسم الدال على أحوال الذات، وذلك نحو طويل وقصير وعاقل وأحمق وقائم وقاعد^(١).

ويقول السيوطي: «جملة ما يوصف به ثمانية أشياء، اسم الفاعل واسم المفعول، والصفة المشبهة، وهذه الثلاثة هي أصل الصفات؛ لأنها تدخل في حد الصفة؛ لأنها تدل على ذات باعتبار معنى هو المقصود^(٢)».

وقد زاد بعض النحوين في التعريف شرط عمل اسم الفاعل، فقال ابن مالك: «هو الصفة الدالة على فاعل جارية في التذكير والتائית على المضارع من أفعالها معناه أو معنى الماضي»^(٣).

وقال ابن هشام: هو الوصف الدال على الفاعل الجاري على حركات المضارع وسكناته»^(٤).

ما تقدم من تعريفات لاسم الفاعل يتضح أنه اسم مشتق يدل على ما قام بالفعل أو وقع منه على جهة التجدد والحدث.

* البنية الصرفية لاسم الفاعل:

صوغه: يصاغ اسم الفاعل من الفعل الثلاثي وغير الثلاثي على النحو الآتي:
أولاً: من الثلاثي : يأتي اسم الفاعل من الفعل الثلاثي قياساً على وزن فاعل، وقد يأتي في السمع على غير فاعل، وذلك على النحو التالي:
١- « فعل» يأتي اسم الفاعل من « فعل» مفتوح العين على مثال « فاعل» متبعاً كان أو لازماً^(٥)، فمن الأول: ضارب من ضرب ، وكاتب من كتب ، وناصر من نصر ، ومن الثاني: قاعد من قعد ، وجالس من جلس ، وذاهب من ذهب ، وغاذ من غذا بمعنى^(٦) سال، يقال: غذا الماء إذا سال، وغذا العرق^(٧) إذا سال.

(١) الزمخشري، شرح المفصل لابن يعيش ٤٦/٣.

(٢) ينظر: السيوطي، الأشباء والنظائر في النحو ٢٢٤/٢.

(٣) ابن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ص ١٣٦.

(٤) ابن هشام، شرح قطر الندى وبل الصدى ص ٣٧٩ . (٥) ابن عقيل، شرح ابن عقيل ٢/١٣٤ .

(٦) ابن هشام، أوضح المسالك ٣/٢١٨ .

(٧) ينظر: خالد الأزهري شرح التصريح على التوضيح ٢/٧٧ .

بـ «فَعِل»: بكسر العين، يأتي اسم فاعله على وزن فاعل قياساً إذا كان متعدّياً، نحو: عالم من علم، وفاهم من فهم، وراكب من ركب، وشارب من شرب . وإذا كان لازماً، فيأتي على وزن فاعل ساماً وهو قليل^(١) ، نحو: آمن من أمن، وسالم من سلم، وعاشر من عاشرت المرأة، وصاحب من صاحبك، ولاعب من لاعب.

ويأتي على غير فاعل، وذلك على النحو التالي:

١ - «فَعِل» بفتح فكسر، نحو: نَضَرٌ من نَضَرٌ، وَبَطَرٌ من بَطَرٌ، وَأَشَرٌ من أَشَرٌ، وَفَرَحٌ من فَرَحٌ، وَتَعَبٌ من تَعَبٌ، وَأَسْفٌ من أَسْفٌ، قال تعالى: «فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضِبًا أَسْفًا» [طه: ٨٦].

٢ - «أَفْعَل» بفتح فسكون ففتح، في الألوان^(٢) والخلق، نحو: أخضر من خضر، وأسود من سود، وأعور من عور، وأجهز من جهز، وأعشى من عشى، وأعرج من عرج.

٣ - «فَعْلَان» بفتح فسكون، فيما دل على الامتناء، نحو: عطشان من عطش، وشبعان من شبع، وصديان من صدئ، وريان من روئي . وهي أفعال لازمة.

٤ - «فَعِيل» بفتح فكسر مددود، نحو: حزين من حزن، وغبي من غني . وهما فعلان لازمان .

والمعتل إذا كان على وزن «فَعَل» أو «فَعِل» يأتي على النحو التالي:

- إذا كان الفعل معتل الوسط «أجوف» قلبت عينه همزة إذا أعلنت في الماضي، مثل: قائل من قال، وخائف من خاف، وبائع من باع، والأصل قاول وخاوف وبائع «فهمزوا هذه الواو والياء إذ كانتا معتلتين، وكانتا بعد الألفات، كما أبدلوا الهمزة من ياء قضاء وسقاء حيث كانتا معتلتين، وكانتا بعد الألف، وذلك قولهم: خائف وبائع^(٣) .

(١) ابن عقيل، شرح ابن عقيل ٢/١٣٥.

(٢) ابن هشام، أوضح المسالك ٣/٢١٨.

(٣) سيويه، الكتاب ٤/٣٤٨.

وإذا كان الفعل الأجوف مهموز اللام، جرى مجرى قال وباع وخفاف في همز عينه، إلا أنه تحوّل فيه «اللام ياءً إذا همّزت العين وذلك قوله: جاء من جاء»^(١)، وناءٌ من ناءٍ.

فإن لم تُعلَّم العين في الماضي، بقيت كما هي في اسم الفاعل دون أن تقلب همزة نحو: عاور من عور، وحاور من حور.

- وإن كان الفعل معتل الآخر «منقوصاً» حذفت لامه، مثل: داع من دعا، ورامٍ من رمي، ولاقٍ من لقى.

وقد استغنى^(٢) عن وزن فَاعِلٍ من «فَعَلٌ» بأوزان أخرى سمعية، وهي قليلة: «فيتركون القياس المطرد ويستعملون غيره»^(٣) وهذه الأوزان هي:

١ - فَعْلٌ: بفتح فسكون، نحو: شيخ من شاخ. وهو فعل لازم.

٢ - أَفْعُلٌ: نحو: أشيب من شاب. وهو فعل لازم.

٣ - فَيُعِلٌ: بفتح فسكون فكسر، نحو: طَيْبٌ من طَابٍ، وميَّتٌ من ماتٍ وهما فعلان لازمان، نحو: سَيِّدٌ^(٤) من سادٍ، وهو فعل متعدد.

٤ - فَعِيلٌ، بفتح فكسر ممدود نحو: عَفِيفٌ من عَفَّ، وَخَفِيفٌ^(٥) من خَفَّ، ولم يقل: عافٌ وخفاف بالتشديد. وهما فعلان لازمان.

٥ - فَعَالٌ^(٦)، بفتح ففتح ممدود، نحو: جَوَادٌ من جَادٍ. وهو فعل لازم.

ويلاحظ هنا أن الأوزان المستغنى بها عن فاعل جاءت أغلبها من أفعال لازمة هي: شاخ وشاب وطاب ومات وعفّ، وخفّ وجاد، وجاءت من فعل متعدد هو ساد.

(١) سيبويه ، الكتاب ٤/٣٤٨. أصل جاء: جائى، الهمزة الأولى منقلبة عن عين الفعل، والثانية لام الكلمة، فقلبت الثانية ياء لتطرّفها إثر كسرة، ثم أعلنت إعلاّل قاض.

(٢) ينظر: ابن عقيل، شرح ابن عقيل ١٣٦/٢، وابن هشام، أوضح المسالك ٣/٢١٩.

(٣) خالد الأزهري، شرح التصريح ٧٨/٢.

(٤،٥) ينظر: السيوطي، همع الهوامع ١٩٩/٢.

(٦) المرجع السابق نفسه.

- جـ- (فَعْلٌ): وهو لازم دائمًا، ويأتي اسم الفاعل من «فَعُلُّ» بفتح فضم قليلاً نحو: حامض من حمْض، وفاره من فرُه^(١) بمعنى حذق^(٢) فهو حاذق.
- ويأتي قياساً على أوزان أخرى غير «فاعل» وذلك على النحو التالي:
- ١ـ فَعِيل، بفتح فكسر ممدود، نحو: شَرِيفٌ من شَرْفٍ، وظَرِيفٌ من ظَرْفٍ، وجَمِيلٌ من جَمْلٍ.
 - ٢ـ فَعْلٌ: بفتح فسكون، نحو: ضَحْمٌ من ضَحْمٍ، وشَهْمٌ من شَهْمٍ، وسَهْلٌ من سَهْلٌ، وصَعْبٌ من صَعْبٍ.
 - ٣ـ أَفْعَلٌ: بفتح فسكون ففتح، وهو قليل، نحو: أَخْطَبٌ من خَطْبٍ.
 - ٤ـ فَعَلٌ، بفتح ففتح، نحو: حَسَنٌ من حَسْنٍ، وَبَطَلٌ من بَطْلٍ.
 - ٥ـ فَعَالٌ، بفتح ففتح ممدود، نحو: جَبَانٌ من جَبْنٍ، وَحَصَانٌ من حَصْنٍ.
 - ٦ـ فُعَالٌ، بضم ففتح ممدود، نحو: شَجَاعٌ من شَجَعٍ، وَفَرَاتٌ من فَرَتٍ.
 - ٧ـ فُعُلٌ، بضم فضم، نحو: جَنْبٌ من جَنْبٍ.
 - ٨ـ فَعْلٌ، بكسر فسكون، نحو: مِلْحٌ من مَلْحٍ، قال الله تعالى: «هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أَجَاجٌ» [الفرقان: ٥٣].
 - ٩ـ فَعْلٌ، بضم فسكون نحو: صَلْبٌ من صَلْبٍ.

وجميع الصفات التي ذكرت فيما تقدم تدخل في دائرة الصفة المشبهة، لدلالتها على الثبوت والدوم، فإن دلت على التجدد والخدوث كانت أسماءً للفاعلين. وما جاء منها صريحاً على وزن فاعل، مثل: كاتب، وضارب، وقائم، فهو اسم فاعل إلا إذا أضيف إلى مرفوعه، ودلّ على الثبوت فإنه يعد صفة مشبهة، مثل: طاهر القلب^(٤)، وشاحط الدار أي: بعيدها. «والأصل طاهر قلبه، وشاحطة داره»^(٥)، ومثل: «ضامر

(١) الأشموني، شرح الأشموني ١/٥٧٢.

(٢) ينظر: خالد الأزهري، شرح التصريح ٢/٧٨.

(٣) ينظر: المراجع السابق نفسه.

(٤) ينظر: ابن هشام، أوضح المسالك ٣/٢٢٠.

(٥) خالد الأزهري، شرح التصريح ٢/٧٨.

الكشح، وساهم الوجه، وحامِل الذكر، وحائل اللون، وظاهر الفاقة»^(١) ويقول السيوطي: «ولقائل أن يقول: إن هذه الصيغة ونحوها أسماء فاعلين قُصد بها الثبوت، فعوّلت معاملة الصفة المشبّهة، لا أنها صفات مشبّهة»^(٢).

والحقيقة أن الصرفين فرقوا بين اسم الفاعل والصفة المشبّهة بدلالة الأول على التجدد والحدوث، وعلى الثانية بالثبوت والدّوام.

من هنا يتبيّن مدى أهمية الجانب الدلالي في تحديد الصيغة، فإن دلت على الثبوت والدّوام فهي صفة مشبّهة، وإن دلت على التجدد والحدوث فهي اسم الفاعل، فالسياق الذي تقع فيه الصيغة يساعد على تحديد هذا الجانب الدلالي.

كما تقوم القرينة اللغوية أيضًا بتحديد الصيغة، فظاهرُ قلبُه تحولت إلى ظاهرُ القلبِ بإضافة وزن فاعل إلى فاعله، واسم الفاعل لا يُضاف إلى فاعله، لذلك يحكم هنا على صيغة «فاعل» بأنّها صفة مشبّهة، وليس اسم فاعل. فوزن «فاعل» ليس دليلاً على أن ما جاء عليه اسم فاعل، بل يجب أن يدل على التجدد والحدوث.

ثانيًا: من غير الثلاثي:

يأتي اسم الفاعل من الفعل غير الثلاثي بزنة مضارعه، مع إبدال حرف المضارعة ببيم مضمومة وكسر^(٣) ما قبل الآخر مطلقاً، سواء كان مكسوراً في المضارع كمنطلق ومستخرج، أو مفتوحاً كمتعلم ومتدرج^(٤).

ويكون كسر ما قبل الآخر ظاهراً، نحو: مُنكَسِرٌ من انكسر، ومُقطَّعٌ من اقطع، ويكون مقدراً نحو: مختار من اختار، ومنقاد من انقاد. والأصل: مُختَيرٌ وَمُنْقَوِدٌ. كما تقدر الكسرة أيضًا بسبب إدغام التماثلين، نحو: مُمْتَدٌ من امتدَّ، ومستعدٌ من استعدَ، والأصل: مُمْتَدٍ، ومستعدٍ.

وإذا كان الفعل غير الثلاثي منقوصاً حذفت لامه نحو: منادٍ من نادى، ومتلقٍ من

(١) السيوطي، همع الهوامع ٢/١٦٩.

(٢) تشبيهاً باسم الفاعل من الثلاثي، ينظر: خالد الأزهري، شرح التصريح ٢/٧٩.

(٤) ينظر: رضي الدين، شرح الكافية ٢/١٩٩، وابن هشام، أوضح المسالك ٣/٢٢٠، وابن عقيل، شرح ابن عقيل ٢/١٣٧، والأشموني، شرح الأشموني ١/٥٧٤.

التقى، ومرتوى من ارتوى، ومستعلى من استعلى، فقد أعلت هذه الكلمات إعالاً قاضٍ.

وقد استغنى عن^(١) مُفعِل بفاعل نحو: عاشب من أعشب، ووارس من أورس، ويافع من أيفع، وماحل من أمحل.

كما استغنى عن^(٢) مُفعِل بكسر العين، وهو القياس من الرباعي، بمُفْعَل، بفتح العين، أي فتح ما قبل الآخر، وذلك في السماع، نحو: مُسْهَب من أسهب، ومُحْصَن من أحصن، ومُفلج من ألفج، أي أفلس ومُلْجَح^(٣) من الفح.

وسُمع «فعيل» بدلاً من مُفاعِل من الرباعي، مثل: حليف من حالف، وخليط من خالط، ورفيق من رافق، ونديم من نادم، وعنيد من عاند، وجليس من جالس^(٤).

وقد أدى حرص بعض العرب على مراعاة أثر الجوار وإحداث المحاذة بين أحرف بنية الكلمة إلى الخروج عن القياس نحو: متن من أنتن، فقد روی «مُتن»^(٥) بوزن «مُفعِل» بضم فسكون فضم، فقد ضمت التاء هنا لتوافق ضمة الميم، فالتأثير هنا تأثير تقدّمي، لتأثير التاء بحركة الميم. وروي «مِتن»^(٦) بوزن «مفعِل» بكسر فسكون فكسر، فقد أثّرت حركة التاء في حركة الميم، فكسرت الميم تبعاً لكسرة التاء، فالتأثير هنا تأثير رجعي.

والقياس من أنتن هو مُتن بوزن مُفعِل، إلا أنه خُولف مراعاة لأثر الجوار، والاهتمام بالتناسب الصوتي بين أحرف الكلمة، ويلاحظ أن النون في مُتن حرف ساكن، والساكن لا يعتد به، فهو حرف غير حصين^(٧) يقول الأخفش: «وقالوا في بعض الكلام في «المُتن: مِتن» وإنما هي من «أنتن» فهو «مُتن» مثل: أكرم فهو مُكرِّم فكسروا الميم لكسرة التاء، وقد ضم بعضهم «الباء» فقال: «مِتن» لضمة الميم»^(٨).

(٢,١) ينظر: رضي الدين، شرح الكافية في التحو ١٩٩/٢ .

(٣) ينظر: خالد الأزهري، شرح التصريح ٧٩/٢ .

(٤) ينظر: د. السيد محمد عبد المقصود، الأسماء العربية في التصريف ص ١٧٣ .

(٦,٥) ينظر: رضي الدين، شرح الكافية ١٩٩/٢ .

(٧) ينظر: ابن عبيش، شرح المفصل ٩٥/٤ .

(٨) الأخفش، كتاب معاني القرآن ٤/١ .

وبسبب مراعاة قرب الجوار، ولحدوث تناسب حركي بين أحرف الكلمة كسرت ميم اسم الفاعل في بعض الكلمات الرباعية إتباعاً لحركة ما بعدها، لذلك حُكم عليها بالشذوذ؛ لخروجها عن القياس نحو: «معين من أغان، ومغيرة من أغار، ومبين من أبان»^(١).

وقد تدل صيغة اسم الفاعل من غير الثلاثي على الثبوت والدואم، فتدخل في دائرة الصفة المشبهة نحو: منطلق اللسان، ومنبسط^(٢) الوجه، ومطمئن القلب، ومستقيم الرأي^(٣)، ومعتدل القامة».

* تحويل صيغة فاعل إلى أبنية المبالغة:

تحول^(٤) صيغة فاعل إلى أبنية تفيد المبالغة والتکثير، لذلك سميت أبنية المبالغة، وأشهرها خمسة أوزان:

١ - فَعَال، مثل: ضرَاب، أكَال، شرَاب، قَاتَل، هَمَاز، ظَلَام، فَهَام، تَوَاب^(٥)، ضَحَاك.

٢ - فَعُول، مثل: صبور، غفور، ضروب، شكور، فخور، جسور.

٣ - مفْعال، مثل: منحار، معطاء، مقدام، معوان.

٤ - فَعِيل، مثل: سميع، عليم، حكيم، لطيف، قدير، خبير، نصير، شهيد، فصيح، كريم، لثيم.

٥ - فَعِيل، مثل: فَطِن، حَذِر، يَقِظ، حَذِق، فَكَه.

والصيغ الثلاثة الأولى أكثر قياساً واستعمالاً من الصيغتين الأخيرتين. لذلك نجد ابن

(١) خالد الأزهري، شرح التصريح ٧٩/٢.

(٢) ينظر: السيوطي، همع الهوامع ١٦٩/٢.

(٣) ينظر: خالد الأزهري، شرح التصريح ٧٩/٢.

(٤) المرجع السابق ٦٧/٢.

(٥) ذكر بعض العلماء أن صفات الله تعالى التي هي على صيغة المبالغة مجاز؛ لأن المبالغة تكون في صفات تقبل الزيادة والنقصان، وصفات الله تعالى منزهة عن ذلك. وفي الكشاف: المبالغة في التوّاب على كثرة من يتوب عليه. ينظر: الصبان، حاشية الصبان ٢٩٧/٢.

فارس عند حديثه عن باب البناء الدال على الكثرة لا يذكر إلا الصيغ الثلاثة الأول. يقول: «البناء الدال على الكثرة، فعول وفعال، نحو: ضروب وضرائب، وكذلك مفعوال إذا كان عادة نحو: معطار، وامرأة مذكار، إذا كانت تلد الذكور، وكذلك "مثناث" في الإناث»^(١).

وأبینة المبالغة تدل على من قام بالفعل مثل اسم الفاعل، ففي قولنا: ضارب لا تدل الصيغة هنا بلفظها على القلة أو الكثرة، فإذا أردنا التكثير والمبالغة حولنا صيغة ضارب إلى ضرائب، لتفيد الكثرة والمبالغة في حدث الضرب، لذلك فهي تلحق^(٢) باسم الفاعل. ولأن وزن «فاعل» لا يشتق إلا من الفعل الثلاثي، لذلك فأمثلة المبالغة لحملها على وزن فاعل، لا تشتق إلا من الفعل الثلاثي المجرد لتقوية المعنى والمبالغة فيه.

وقد خرجمت بعض أوزان لصيغة المبالغة عن القياس، فصيغت من الثلاثي المزيد بحرف الهمزة «أفعل» لذلك وصفت بالندرة^(٣) والشذوذ^(٤) مثل: دراك من أدرك، وسار^(٥) من أسأر، ومعطاء من أعطى، ومهوان من أهان، وندير من أنذر، وسميع من أسمع، وأليم من آلم، وزهوق من أزهق.

* تبادل الصيغ:

أ- تأتي صيغة فاعل بمعنى صيغة أخرى، وذلك على النحو التالي:

١- تأتي فاعل^(٦) بمعنى مفعول: مثل: سرّ كاتم، أي: مكتوم.

وقوله تعالى: «لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ» [هود: ٤٣] أي: لا معصوم. و «مِنْ مَاءِ دَافِقٍ» [الطارق: ٦] أي: مدفوق. و «عِيشَةٌ رَاضِيَةٌ» [الحاقة: ٢١] أي: مرضي بها. و «جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا» [العنكبوت: ٦٧] أي: مأموناً فيه.

(١) ابن فارس، الصحاحي ص ٣٧٣.

(٢) يرى بعض الباحثين أن أمثلة المبالغة يجب فصلها عن اسم الفاعل لدلائلها على المبالغة والكثرة في الحديث. ينظر: د. السيد محمد عبد المقصود، الأسماء العربية في التصريف ص ١٦٣.

(٣) الأشموني، شرح الأشموني ١ / ٥٦٠.

(٤) السيوطي، معجم الهوامع ٢ / ١٦٩.

(٥) إذا أبقي في الكأس بقية.

(٦) ابن فارس، الصحاحي ص ٣٦٦ - ٣٦٧.

قول الشاعر:

إنَّ الْبَغِيْضَ لَمْ يُمْلَ حَدِيْثَهُ
فَانْقَعَ فَوَادِكَ مِنْ حَدِيْثِ الْوَامِقَ
أَيْ: الْمَوْمَقَ.

٢- يأتي «فاعل» بمعنى مُفعِل، نحو: هالك^(١) بمعنى مُهْلِك، قال العجاج: «ومَهْمَهُ
هالك من تعرجاً».

يقول ابن جني في القول السابق للعجاج: «وفيه قوله: أَحَدُهُمَا أَنَّ 'هالكًا'
يعنى مُهْلِك، أي: مُهْلِك من تعرج فيه...»^(٢).

٣- يأتي فاعل بمعنى المصدر، مثل قولهم: الفاضلة بمعنى الفضل والإفضال،
والعاافية بمعنى المعافاة، والعاقبة بمعنى العُقبُ، والعاقبة في كل شيء آخره، والعُقب: آخر
كل شيء^(٣)، وخاتمتها، قال النبي عليه السلام: «أَنَا الْعَاقِبُ»، أي: آخر الأنبياء. والكافنة من
قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَوْقَعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ [الراقة: ٢] بمعنى الكذب. ونحو قوله تعالى: ﴿فَهَلْ
تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٨]، أي: بقاء^(٤). ومن ذلك قراءة ابن مسعود: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ
ذِي عَالَمٍ عَلِيمٍ﴾^(٥). يقول ابن جني^(٦) تتحمل هذه القراءة ثلاثة أوجه منها: «أن يكون
”عالم“ مصدرًا كالفالج والباطل، فكانه قال: وفوق كل ذي علم عالِم» ويؤيد ما ذهب
إليه ابن جني أنه قراءة الجمهرة.

ويرى ابن جني أنه يجوز أن يبقى اسم الفاعل في التراكيب السابقة دون تأويل
بالمصدر، ويكون اسم الفاعل صفة لموصوف محدود، والتقدير في قوله تعالى: ﴿لَا
تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾^(٧)، لا تسمع فيها كلمة لاغية.

(١) ينظر: المبرد، المتنصب / ٤ / ١٨٠.

(٢) ابن جني، الخصائص / ٢ / ٢١١-٢١٠.

(٣) المعجم الوسيط، مادة «عقب».

(٤) ينظر: ابن جني، المحتسب / ١ / ٢٨٧، وابن عبيش، شرح المفصل / ٦ / ٥٢.

(٥) سورة يوسف / ٧٦.

(٦) ابن جني، المحتسب / ١ / ٣٤٦-٣٤٧.

(٧) المرجع السابق / ١ / ٢٨٧.

ويرى رضي الدين^(١)رأي ابن جنی ففي قوله تعالى: «فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ» يقول: يجوز أن يكون بمعنى نفس باقية، أو شيء باق، وفي قوله تعالى: «لَيْسَ لِوَقْتِهَا كَاذِبَةً» يقول: يجوز أن يكون بمعنى نفس كاذبة: أي تكون النقوس في ذلك الوقت مؤمنة صادقة.

فاسم الفاعل هنا يأتي بمعنى المصدر، وهذا من تبادل الصيغ، إلا أن هناك من ذهب إلى القول بحذف موصوف، وأن صيغة فاعل المذكورة صفة له.

والقول بمعنيء اسم الفاعل بمعنى المصدر يغنينا عن القول بحذف عنصر ربما لا يحتاجه السياق، وعدم التقدير أولى من التقدير والحذف، لذا يرى ابن جنی أن القول بال المصدر هنا «أعذب^(٢) وأعلى^(٣)» أي أعلى لغة وأعذب دلالة.

ب- يأتي المصدر بمعنى اسم الفاعل : مثل: رجل عدل، أي: عادل، وقوله تعالى: «فُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَأْوِكُمْ غَورًا» [الملك: ٣٠] أي: غائراً، كما يأتي اسم الفاعل بمعنى المصدر، مثل: قم قائماً، فالمعنى: قم^(٤) قياماً، وقول الشاعر:

على حلقة لا أشتم الدَّهَرَ مُسْلِمًا ولا خارجاً من في زور كلام

فأراد: ولا خروجاً، فوضع «خارجًا» في موضع المصدر «خروج» وهذا قول عامة النحوين^(٥).

ج- تأتي صيغة اسم المفعول بمعنى اسم الفاعل: قال ابن السكري ومنه «عيش مغيون» أي: غابن غير صاحبه، ومنه قوله تعالى: «إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا» [مريم: ٦١] أي: آتيا^(٦). ويقول الرضي: والأولى أنه من أتيت الأمر، أي: فعلته، فالمعنى إنه كان وعده مفعولاً^(٧). أي أن الصيغة هنا باقية على معنى اسم المفعول.

د- فعل بمعنى «مُفْعِل»: تأتي صيغة المبالغة «فعل» بمعنى اسم الفاعل «مُفْعِل» كقوله تعالى: «وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» [البقرة: ١٠].

(١) رضي الدين، شرح شافية ابن الحاجب، القسم الأول، ١٧٦/١.

(٢) ابن جنی، المحتب، ١/ ٢٨٧.

(٣) ينظر: البرد، المقتضب ٢٦٩/٣.

(٤) رضي الدين، شرح الكافية ١٩٩/٢.

(٥) ابن فارس، الصحبي ص ٣٦٧.

وقوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» [البقرة: ١١٠].

فـ «أَلِيمٌ» في الآية الأولى بمعنى «مؤلم» لأنه من قولك: آلم فهو مؤلم وجمعه ألماء
 وإلام^(١). وفي الآية الثانية يحتمل أن يكون بصير بمعنى مُبصر، كالسميع بمعنى
 المُسمع^(٢).

هـ- فعيلة بمعنى فاعل، ك الخليفة في قوله تعالى: «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً» [البقرة: ٣٠] فـ«خليفة» بمعنى خالف «أى يخلف غيره»، وزيدت الهاء للمبالغة^(٣).

* أهمية الجانب الدلالي في الفرق بين الصيغ:

يساعد الجانب الدلالي في السياق في التفريق بين الصيغ عند حدوث لبس بين صفتين أو أكثر، فدلاله الانقطاع والتعدد، وكذلك الدوام والثبوت، والبالغة، لها دور بارز في تحديد الصيغة، ففي مثل: خالد مستقيم الرأي، نجد أن دلاله الثبوت والاستمرار تساعد على جعل صيغة مستقيم صفة مشبهة، وليس اسم فاعل. فإذا أضفنا عنصراً جديداً إلى التركيب، وقلنا: خالد مستقيم الرأي الآن، تحولت الصيغة هنا إلى اسم الفاعل، لدلالتها على الحدوث الذي أفاده الظرف.

فالصفة المشبّهة إن قصد بها الحدوث والتجلّد ردت إلى^(٤) اسم الفاعل، فنقول في حَسَنٌ. خالدُ حسنُ الآن أو غداً، قال الله تعالى في ضيق، لما قصد به الحدوث **هؤلئك**^٥ به صدرك^٦ [هود: ١١].

ويرى رضي الدين «أن الصفة المشبهة كما أنها ليست موضوعة للحدث في زمان، ليست أيضاً موضوعة للاستمرار في جميع الأزمنة؛ لأن الحدوث والاستمرار قيدان في الصفة، ولا دليل فيها عليهما، فليس معنى «حسن» في الوضع إلا ذو حسن... وكان الظاهر ثبوته في جميع الأزمنة إلى أن تقوم قرينة تخصّصه ببعضها، كما

(١) العكيري، التبيان في إعراب القرآن، القسم الأول ص ٢٧.

(٢) أبو حيان، البحر المحيط ١/٥٦٠.

(٣) العكّري، التبيان في إعراب القرآن، القسم الأول ص ٤٧ .

(٤) رضي الدين، شرح الكافية ٢/١٩٨.

تقول: كان هذا حسناً فقبح أو سيصير حسناً، أو هو الآن حسن فقط، ظهوره في الاستمرار ليس وضعياً^(١).

فدلالة السياق تساعد على تحديد الصيغة بجانب القرائن اللفظية الدالة على الحدوث والتجدد. فدلالة الثبوت والدوام تحدد صيغة الصفة المشبهة، ودلالة التجدد والحدث ترتبط باسم الفاعل.

«الصفة المشبهة تشبه في مبنها صيغة الفاعل كظاهر، والمفعول موجود» صفة من صفات الله أو المبالغة كوّقح أو التفضيل كأبرص وأشدق، فالمعنى يفرق بين كل واحدة من هذه الصفات وبين الآخريات إذا اتفقت الصيغة في أي اثنين منها»^(٢).

فالجانب الدلالي له دور مهم في تعين الصيغة وتحديدها حال حدوث ليس مع غيرها من الصيغ، فقد تشتراك صيغة الصفة المشبهة مع كل من صيغ اسم الفاعل والمفعول وأمثلة المبالغة واسم التفضيل، ثم يقوم المعنى بالتفريق بين هذه الصيغ، وتحديد كل وصف على حدة.

كما أن هناك بعض القرائن اللفظية التي تساعد على هذا التحديد مثل: ظروف الزمان أو الإضافة، عن طريق إضافة الصيغة إلى فاعلها نحو: طاهرُ القلب، والأصل: طاهر قلْبُه، وهنا تدخل الصيغة في دائرة الصفة المشبهة لإضافتها إلى فاعلها.

* الاستعمال النحوى لاسم الفاعل:

المقصود من الاستعمال النحوى هنا، الوظائف التي يؤدىها اسم الفاعل حال دخوله في التراكيب اللغوية، كالعمل، والإسناد، والإضافة، والإتباع إلخ.

عمل اسم الفاعل: اسم الفاعل من الأسماء^(٣) التي تعمل عمل الفعل، وهو يعمل

(١) رضي الدين، شرح الكافية ٢٠٥ / ٢.

(٢) د. ثامن حسان، اللغة العربية معناها ومبناها ص ١٠٠.

(٣) الأسماء التي تعمل عمل الفعل «سبعة» هي: المصدر، واسم الفاعل، وأمثلة المبالغة، واسم المفعول، والصفة المشبهة، واسم التفضيل. ينظر: ابن هشام، قطر الندى ص ٣٥٩ - ٣٩٤، وقد زاد عليها ابن هشام في كتابه «شذور الذهب» ثلاثة أسماء، وهي: الظرف وال مجرور المعتمدان على نفي أو استفهام، واسم المصدر، فأوصلها إلى «عشرة». ينظر: شرح شذور الذهب ص ٣٥٧ - ٣٨٧.

عمل^(١) الفعل المضارع بجريانه عليه في اللفظ والمعنى «أما اللفظ فلأنه جار عليه في حركاته وسكناته، ويطرد فيه ذلك نحو: ضارب ومحروم ومنطلق ومستخرج، كله جار على فعله الذي هو: يضرب ويحرم وينطلق ويستخرج، فإذا أريده به ما أنت فيه وهو الحال أو الاستقبال صار مثله من جهة اللفظ والمعنى فجري مجراه»^(٢).

وليس المقصود هنا في الموافقة اللغوية بين اسم الفاعل والفعل المضارع هو نوع الحركة، بل المقصود هو الحركة على إطلاقها.

وقد عبر المبرّد عن الحال والاستقبال بقوله: «إإن جعلت اسم الفاعل في معنى ما أنت فيه ولم يقطع، أو ما تفعله بعد ولم يقع جري الفعل في عمله وتقديره»^(٣). فاسم الفاعل يعمل فعل المضارع بجريانه عليه في اللفظ والمعنى نحو: «هذا ضارب زيداً غداً، فمعناه وعمله مثل: هذا يضرب زيداً غداً... وهذا ضارب عبد الله الساعة، فمعناه وعمله مثل: هذا يضرب زيداً الساعة»^(٤).

فاسم الفاعل أعمل حملاً على الفعل، كما أن الفعل المضارع أعرّب لمضارعته الاسم وهنا يبدو - عند النحوين - جانب التأثير والتاثير بين اسم الفاعل والفعل المضارع.

فالفعل المضارع أعرّب لمضارعته الاسم^(٥) عند البصريين، إذ كان أصل الإعراب للأسماء، واسم الفاعل أعمل بمضارعته الفعل إذ كان أصل الإعمال^(٦) للأفعال، «نكل واحد منها داخل على صاحبه... لأنه إنما شبيه بما ضارعه من الفعل، كما شبيه به في الإعراب»^(٧).

(١) سيبويه، الكتاب ١/١٦٤ .

(٢) ابن عيسى، شرح المفصل ٦/٦٨ .

(٣) سيبويه، الكتاب ١/١٤٩ .

(٤) وذلك لثلاثة أوجه: أحدها: التخصيص بعد الشبيه. الثاني: أنه تدخل عليه لام الابتداء كما تدخل على اسم الفاعل نحو: إن زيداً ليقوم، كما يقال: إن زيداً لقائم. الثالث: أنه يجري على اسم الفاعل في حركته وسكونه نحو: يضرب فإنه على وزن ضارب في حركته وسكونه. ينظر: ابن الأنباري، الإنصال في مسائل الخلاف ٢/٥٤٩-٥٥٠ المسألة ٧٣ .

(٥) ينظر: ابن السراج، الأصول في النحو ١/١٢٣ .

(٦) سيبويه، الكتاب ١/١٧١ .

- ولاسم الفاعل في العمل صورتان هما:

الأولى: أن يكون مجرّداً من «أَلْ». الثانية: أن يكون مقتناً بـ«أَلْ».

المصورة الأولى: مجيء اسم الفاعل مجرّداً من «أَلْ».

يعمل اسم الفاعل المجرّد من «أَلْ» بشرطين وجوديين^(١)، وبشرطين عدميين. فالشرطان الوجوديان هما:

١ - أن يكون اسم الفاعل بمعنى الحال أو الاستقبال؛ لأنّه محمول على لفظ المضارع، والمضارع يدل بصيغته على الحال أو الاستقبال إذ كان جارياً على^(٢) المضارع في حركاته وسكناته وعدد حروفه، كما أنه في معناه، فلما اجتمع له الشبه اللفظي والمعنوي عمل فعل الفعل المضارع.

فتتحقق وظيفة اسم الفاعل هنا يعتمد على شرط^(٣) دلالي هو أن يكون دالاً على الحال أو الاستقبال، كما هو الحال فيما حُمل عليه.

٢ - أن يعتمد على نفي أو استفهام أو مخبر عنه أو موصوف؛ لأن هذا الاعتماد يقربه من الفعلية^(٤). فمثلاً الاسم المخبر عنه قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ بِالْغََمْرَةِ» [الطلاق: ٣].

والاسم الموصوف المعتمد عليه قد يكون مذكوراً أو مقدراً، مثال الأول: مررت برجل ضارب زيداً، ومثال الثاني قول الشاعر:

كَنَاطِحُ صَخْرَةً يَوْمًا لِيُوْهِنَاهَا فَلِمَ يَضِيرُهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعِيلُ
أَيْ كَوَاعِلُ ناطح^(٥) . وقولهم: يا طالعاً جيلاً، أي: يا رجلاً^(٦) طالعاً.

وقد عدَ ابن مالك المثال الأخير من الاعتماد على حرف النداء «يا». وقد اعترض على ذلك خالد الأزهري فقال: إن ذلك سهو من ابن مالك «لأن المعتمد عليه يقرب

(١) ينظر: خالد الأزهري، شرح التصريح ٢/٦٥ . (٢) ينظر: ابن عيسى، شرح المفصل ٦/٧٦ .

(٣) ينظر: د. محمد حماسة، النحو والدلالة ص ١٣٠ . (٤) ينظر: الأشموني، شرح الأشموني ١/٥٥٣ .

(٥) ينظر: ابن هشام، شرح شذور الذهب ص ٣٦٤-٣٦٥ . وابن عقيل، شرح ابن عقيل ٢/١٠٩ .

(٦) ينظر: ابن هشام، أوضاع المسالك ٣/١٩٧ .

الوصف من الفعل، وحرف النداء لا يصلح لذلك؛ لأنَّه مختص بالاسم، لكونه من علاماته، فكيف يكون مُقرًّا من الفعل»^(١).

فإنْ فُقد الشرط الأول بأنَّ كان اسم الفاعل دالاً على الماضي، فإنَّه لا يعمَل، بل يضاف إلى ما بعده، وتكون إضافته^(٢) معنوية، فلا يقال: خالد ضارب عمرًا أمس، بل يقال: خالد ضارب زيدًا أمس. لأنَّ اسم الفاعل فقد المضارعة اللفظية بينه وبين الماضي، فاسم الفاعل ضارب «ليس على عدد ضرب ولا مثله في حركاته وسكناته»^(٣).

فضرب في معنى ضارب، فالمضارعة بينهما متحققة في المعنى فقط، واسم الفاعل لا يعمَل الفعل إلا إذا وافقه في المعنى واللفظ، وقد فقد الماضي شرط المضارعة اللفظية، كما أنه فقد أيضًا شرط الدلالة الزمنية، وهي الحال أو الاستقبال.

فإذا كان اسم الفاعل بمعنى الماضي، لم يجز فيه التنوين ولا العمل فيما بعده، بل يجب إضافته، مثل: هذا ضارب زيدًا أمس، «لأنَّه اسم منزلة قوله: غلام زيد، وأخوه عبد الله، ألا ترى أنك لو قلت: هذا غلام زيدًا كان محلاً، فكذلك اسم الفاعل إذا كان ماضياً لا تتوئه؛ لأنَّه اسم، وليس فيه مضارعة الفعل، ولا يجوز أن تدخل عليه الألف واللام وتضييفه، كما لم يجز ذلك في الغلام»^(٤).

ويرى الكسائي^(٥) وتبعه هشام الضرير^(٦) وابن مضاء، وأبو جعفر^(٧) وجماعة جواز إعمال اسم الفاعل إنْ كان بمعنى الماضي. واستدلوا بقوله تعالى: «وَكَلِبُهُمْ بَاسِطُ ذرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ» [الكهف: ١٨] ووجه الاستدلال أنَّ اسم الفاعل «باسط» جاء بمعنى الماضي وعمل النصب في «ذراعيه» اعتباراً بالشبه معنى وإن زال الشبه^(٨) لفظاً، وردَ

(١) خالد الأزهري، شرح التصريح ٦٦/٢ - ٦٧.

(٢) ينظر: رضي الدين، شرح الكافية ٢/٢ - ٢٠٠.

(٣) ابن عيسى، شرح المفصل ٦/٧٦.

(٤) البرد، المقتضب ٤/٨.

(٥) ينظر: رضي الدين، شرح الكافية ٢/٢ - ٢٠٠، وابن عيسى، شرح المفصل ٦/٦٧ - ٧٧، وابن هشام، أوضح المسالك ٣/١٩٥، والأشموني، شرح الأشموني ١/٥٥٤، وابن عقيل، شرح ابن عقيل ٢/١٠٦.

(٦) ابن هشام، شرح شذور الذهب ص ٣٦٢.

(٧) خالد الأزهري، شرح التصريح ٦٦/٢ - ٦٧.

(٨) ينظر: السيوطي، همع الهوامع ٢/٩٥.

المانعون بأنه على حكاية الحال^(١) الماضية، والمعنى يبسط ذراعيه، فيصح وقوع المضارع موقعه والدليل^(٢) على ذلك ما يلي:

- أن الواو في «وكلبهم» واو الحال.

- أن الخالق سبحانه وتعالى قال: «ونقلَّبُهُم» بلفظ المضارع الدال على الحال، ولم يقل سبحانه: «وقلَّبناهم».

وقال بعض النحويين: لا حاجة إلى تكليف الحكاية؛ لأن حال أهل الكهف مستمر إلى الآن، فيجوز أن يلاحظ في باسط الحال، فيكون عاملًا^(٣).

واستدل الكسائي على إعمال الماضي أيضًا ببعض الأمور ومنها:

١ - قوله سبحانه وتعالى: «فَالْقِيلُ الْإِصْبَاحُ وَجَاعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ» [الأنعام: ٩٦]. في قراءة^(٤) ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر.

٢ - قول العرب: هذا ماربزيد أمس. ٣ - قولهم: الضارب زيداً أمس.

وقد أجبت عما جاء به الكسائي على النحو التالي:

- أما عن الآية الكريمة فمن أوجه تأويلها أنها جاءت على حكاية الحال الماضية، كما هو في «باسط ذراعيه» فجعل على هذا التأويل «عامل لكونه يعني جعل»^(٥).

- وأما عن المثال الثاني وهو: هذا ماربزيد أمس. فإنما أعمل في الجار وال مجرور، ولم ي العمل في مفعول «والجار والمجرور يجري مجرى الظروف، والظروف ي العمل فيها روائع الأفعال»^(٦).

(١) حكاية الحال الماضية هي التعبير عن الماضي والآتي كالتعبير عن الشيء الحاضر نصداً لإحضاره في الذهن حتى كأنه مشاهد حالة الإخبار. ابن هشام مغني اللبيب ٧٩٧/٢. ويقول الأندلسي: معنى حكاية الحال أن تقدر نفسك كأنك موجود في ذلك الزمان، أو تقدر ذلك الزمان كأنه موجود الآن. رضي الدين، شرح الكافية ٢٠١/٢. وينظر: الصبان، حاشية الصبان ٢٩٣/٢.

(٢) ينظر: ابن هشام، شرح قطر الندى ص ٣١٨، وخالد الأزهري، شرح التصریح ٦٦/٢.

(٣) الصبان، حاشية الصبان ٢٩٣/٢.

(٤) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر (وجاعل الليل سكناً) بالف. وقرأ عاصم وحمزة والكسائي (وجعل الليل سكناً) بغير الف. ابن مجاهد، كتاب السبعة في القراءات ص ٢٦٣.

(٥) ينظر: خالد الأزهري، شرح التصریح ٢/٧٠. (٦) ابن عبيش، شرح المفصل ٦/٧٧.

- وأما المثال الثالث وهو: «هذا الضارب زيداً أمس، فإنما عمل لأن الألف واللام فيه بمعنى الذي، واسم الفاعل المتصل بها بمعنى الفعل»^(١)، ولأن اسم الفاعل المقترب بأي لا يشترط في عمله دلالته على زمان بعينه فهو يعمل في كل الأزمنة.

والخلاف السابق بين جمهور النحويين، والكسائي ومن تبعه في عمل اسم الفاعل المجرد من أى إن كان بمعنى الماضي يخص حالة النصب فقط وهي نصب المفعول به، أما عمل اسم الفاعل الرفع فقد اختلف فيه على أقوال^(٢) هي:

- ١ - ذهب بعض النحويين أنه لا يرفع الظاهر وبه قال ابن جنی والشلوبيين.
- ٢ - ذهب قوم إلى أنه يرفعه وهو ظاهر كلام سيبويه واختاره ابن عصفور.
- ٣ - أما رفعه المضمر فقد اختلف فيه، فبحکی ابن عصفور الاتفاق أنه يرفعه، وبحکی غيره عن ابن طاهر وابن خروف المنع.

وإن فقد الشرط الثاني وهو اعتماد اسم الفاعل، وجاء غير معتمد على ما ذكر من قبل لم يجز^(٣) عمله، وأجاز عمله غير معتمد الكوفيون^(٤) والأخفش، نحو: ضارب زيداً عندنا. واستدل الأخفش على عمله دون اعتماد بالمستوى الشعري، كقول الشاعر:

خَبِيرُ بْنُو لَهْبٍ فَلَاتِك مُلْغِيَا مَقَالَةَ لِهْبِي إِذَا الطِيرُ مَرَّتْ

و«خبير» هنا على وزن فعال وهي صيغة مبالغة، إلا أنها محولة عن وزن فاعل، لذا صح الاستدلال بها، فهي تعمل بنفس شروط اسم الفاعل. فالأخفش يرى أن «بنو لهب» فاعل بخبير، مع أن خبيرًا لم يعتمد على شيء.

وأجيب بأن الكلام على التقديم والتأخير، فـ«خبير» خبر مقدم و«بنو لهب» مبتداً مؤخر، وصيغة «فعال» تستعمل للمفرد^(٥) والجمع، قال تعالى: «وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ» [التحريم: ٤].

(١) ابن يعيش، شرح المفصل ٦/٧٧.

(٢) الأشموني، شرح الأشموني ١/٥٥٤.

(٣) ينظر: ابن مالك، تسهيل الفوائد ص ١٣٦-١٣٧، وابن هشام، شرح شذور الذهب ص ٣٦٠.

(٤) السيوطي، همع الهومع ٢/٩٥.

(٥) ينظر: ابن هشام، شرح قطرى الندى ص ٣٨٢-٣٨٤.

فبجمهور النحوين يشترط لعمل اسم الفاعل المجرد من «أَل» الاعتماد، والدلالة الزمنية على الحال أو الاستقبال وهمما شرطان وجوديان.

أما الشرطان العدميَّان فهما يرتبطان بالتصغير والوصف، بمعنى أن لا يصغر اسم الفاعل وأن لا يوصف، فإن صُغر أو وُصف لم يعمل^(١) عند الجمورو؛ لأن التصغير والوصف يخرجانه عن تأويله^(٢) بالفعل، «فكم لا يصغر الفعل لا يصغر مشبهه»^(٣).

وفي جواز عمله هنا ثلاثة آراء هي:

١ - ذهب الكسائي^(٤) إلى جواز عمله مصغراً وموصفاً، واحتج بقول بعضهم أظني مرتحلاً وسويراً فرسخاً. ولا حججة له في ذلك «لأن فرسخاً ظرف يكتفي برائحة الفعل»^(٥).

٢ - يرى الكوفيون عدا الفراء ووافقهم النحاس أنه يجوز إعمال اسم الفاعل المصغر بناء على مذهب الكوفيين أن المعتبر شبه اسم الفاعل لل فعل في المعنى لا في اللفظ، أما النحاس فقد قاسه على جمع التكسير^(٦).

٣ - ذهب بعض^(٧) المتأخرین أنه يجوز إعمال المصغر الملائم للتصغير الذي لم يلفظ به مكِّراً، كقول الشاعر: «مضرس بن ربعي»

فِمَا طَعْمُ رَاحٍ فِي الزُّجَاجِ مُدَامٌْ تَرَفَّقُ فِي الْأَيْدِي كُمِيتٍ عَصِيرُهَا
في رواية جر «كميت»^(٨).

ولحمل اسم الفاعل في العمل على الفعل في اللفظ والمعنى، مُنْعِ من العمل عند جمهور النحوين إذا اقترب من صفة لا يختص بها الفعل، فلا يعمل مصغراً أو

(١) ينظر: ابن هشام، شرح شذور الذهب ص ٣٦٠.

(٢) ينظر: رضي الدين، شرح الكافية ٢٠٣ / ٢.

(٣) رضي الدين، شرح شافية ابن الحاجب، القسم الأول ٢٩٢ / ١.

(٤) ينظر: ابن مالك، تسهيل الفوائد، ص ١٣٦ . و خالد الأزهري، شرح التصريح ٦٥ / ٢.

(٥) الأشموني، شرح الأشموني ١ / ٥٥٤.

(٦) السيوطي، همع الهوامع ٩٥ / ٢.

(٧) ينظر: الأشموني، شرح الأشموني ١ / ٥٥٤-٥٥٥.

(٨) السيوطي، همع الهوامع ٩٥ / ٢.

موصوفاً؛ لأن الفعل لا يكون كذلك، ولأن هاتين الصفتين تدخلانه في دائرة الأسمية، وتبعدهما عن دائرة الفعلية التي هي مناط عمله. فالعمل هنا أساسه الحمل على الفعل في اللفظ والمعنى، فإن فقد شرط الاتفاق في اللفظ بأن كان اسم الفاعل بمعنى الماضي وجوب إضافته إلى ما بعده.

والحقيقة أنه لا فرق في المعنى بين المثالين التاليين:

خالدٌ ضاربٌ زيداً أمسِ.
وَخَالِدٌ ضَارِبٌ زَيْدًا أَمْسِ.

فالتركيب في المثال الأول صحيح نحوياً عند الجمهور؛ لأن اسم الفاعل جاء بمعنى الماضي، وقد فقد شرط المضارعة اللفظية بينه وبين فعله الذي حمل عليه، فعدُّ عن نصب ما بعده إلى جره بالإضافة التي هي أخص خصائص الأسماء.

أما المثال الثاني فهو غير صحيح نحوياً، ولا يجوز استعماله عند الجمهور؛ لأن اسم الفاعل فيه نصب ما بعده مع مخالفته للفعل في اللفظ، وكذلك في الدلالة الزمنية. مع أن صيغ المبالغة تعمل عمل الفعل عندهم مع مخالفتها له في اللفظ.

فالنظرية هنا لم تراع المعنى المراد، بل اهتمت بالأمور الشكلية اللفظية، وهي ضرورة أن يجري اسم الفاعل مجرد من الـ مجرى فعله في الحركات والسكنات.

* جواز النصب والجر:

يجوز في الاسم الفضلة التالي لاسم الفاعل العامل، أي الدال على الحال أو الاستقبال أن ينصب به، أو يُجر بإضافته إليه وذلك للتخفيف، وقد قرئ في السبع بالوجهين^(١) النصب والجر، قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالْغَامِرِهِ﴾ [الطلاق: ٣]، و﴿هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾ [الزمر: ٣٨]، النصب على المفعولية، والجر بالإضافة.

فالأية الأولى: قرأها عاصم بالجر، وقرأها الباقيون بالنصب^(٢) والأية الثانية قرأها أبو عمرو وعاصم بالنصب، وقرأها الباقيون^(٣) بالجر. وقد قرئ بالجر، أي بإضافة اسم

(١) خالد الأزهري، شرح التصريح ٦٩/٢، والأشموني، شرح الأشموني ٥٦٢/١.

(٢) ابن مجاهد، كتاب السبعة في القراءات ص ٦٣٩.

(٣) المرجع السابق ص ٥٦٢.

الفاعل إلى تاليه، قوله تعالى: «هَدِيًّا بِالْغَائِبَةِ» [المائدة: ٩٥] و «إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ» [آل عمران: ٩].

وقد اختلف في حالي النصب والجر هنا على قولين^(١):

- ١ - قال أبو حيان وهو ظاهر كلام سيبويه أن النصب أولى من الجر.
- ٢ - قال الكسائي هما سواء.

وقد اختار السيوطي حالة الجر «لأن الأصل في الأسماء إذا تعلق أحدهما بالأخر الإضافة، والعمل إنما هو بجهة الشبه للمضارع، فكان على الأصل أولى»^(٢).

والراجح هنا هو حالة الجر لفائدتها التخفيف، لأن عمل اسم الفاعل النصب يأتي حملًا على الفعل، وليس النصب أصلًا في الأسماء بل الأسماء محمولة كلها في النصب على أفعالها، أما الجر بالإضافة فهو أخص خصائص الاسم، وهو أصل فيه.

أما ما عدا التالي^(٣) فيجب نصبه نحو « الخليفة ». من قوله تعالى: «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً» [البقرة: ٣٠]. لأن الجار والمجرور «في الأرض» فصل بين العامل «جاعل» والمعمول « الخليفة » فاستحال الإضافة.

فالغرض من إضافة اسم الفاعل العامل إلى ما بعده، هو طلب الخفة، يقول سيبويه: «واعلم أن العرب يستخفون فيحذفون التنوين والنون، ولا يتغير من المعنى شيء، وينجر المفعول لكف التنوين من الاسم، فصار عمله فيه الجر، ودخل في الاسم معاقبا للتنوين... وليس يغير كف التنوين إذا حذفه مستخفا شيئاً من المعنى، ولا تجعله معرفة»^(٤). مثال حذف التنوين قوله تعالى: «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ» [آل عمران: ٨٥] - والأنبياء: ٣٥ - والعنكبوت: ٥٧، «هَدِيًّا بِالْغَائِبَةِ» [المائدة: ٩٥].

أمثلة حذف النون قوله تعالى: «إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ» [القمر: ٢٧]. و «وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ» [السجدة: ١٢]، «غَيْرُ مُحْلَّ الصَّيْدِ» [المائدة: ١].

(١) السيوطي، همع الهوامع ٩٦/٢.

(٢) ينظر: ابن هشام، أوضح المسالك ٢٠٧/٣.

(٣) سيبويه، الكتاب ١٦٥/١.

وقد يحذف التنوين لالتقاء الساكنين، كقول أبي الأسود الدؤلي:

فَأَلْفَيْتُهُ غَيْرَ مُسْتَغْبِطٍ وَلَا ذَاكِرَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا

«لم يحذف النون استخفافاً ليعاقب المجرور، ولكنه حذفه لالتقاء الساكنين كما قال: رَمَى الْقَوْمُ وَهَذَا اضطرار»^(١).

* اسم الفاعل المتعدي للفعولين:

إذا كان اسم الفاعل غير العامل يتعدى للفعولين حَمْلًا على فعله تعين إضافته إلى الذي يليه^(٢)، ووجب نصب الثاني نحو: هذا معطي زيد أَمْسِ درهما، وقد اختلف في عامل النصب في الاسم الثاني على قولين:

١ - يرى أكثر النحوين^(٣) أنه منصوب بفعل مضمر.

٢ - أجاز السيرافي^(٤) النصب باسم الفاعل؛ لأنها اكتسبت بالإضافة إلى الأول شبيها بمحبوب الألف واللام والمنون.

وقد اختار ابن يعيش القول الثاني، وعلل ذلك بقوله: «فلو كان الثاني ينتصب بإضمار فعل لكنه في الأول مقتصرًا على مفعول واحد وهو ما أضيف إليه اسم الفاعل، وذلك لا يجوز، والجيد أن يكون منصوبًا بهذا الاسم»^(٥).

والراجح هو الرأي الأول، وإن كان يلجأ إلى التقدير؛ لأن اسم الفاعل هنا غير عامل، وحتى في حال عمله فهو فرع على الفعل، الذي هو أصل العمل.

* ارتباط العمل بالمعنى:

للمعنى دور مهم في عمل بعض العناصر التي يتشكل منها التركيب اللغوي، فاسم الفاعل يضاف إلى المفعول به، ولا يضاف إلى فاعله؛ لأن الاسم لا يضاف إلى نفسه.

(١) سيبويه، الكتاب ١/١٦٩.

(٢) ينظر: ابن عصفور، المقرب ١/١٢٤.

(٣) ابن يعيش، شرح المفصل ٦/٧٧.

(٤) الأشموني، شرح الأشموني ١/٥٦٢.

(٥) ابن يعيش، شرح المفصل ٦/٧٧.

واسم الفاعل هو ما دل على الحدث وصاحبـه، فلا يصح دلاليـاً أن يضاف إلى مرفوعـه، بل يستتر فيه فاعلهـ وينصب مفعولـه أو يجرهـ بالإضافة.

فإذا جاء اسم الفاعل لازماً، ودل على الثبوت والدوام، وافق بهاتين الصفتين الصفة المشبهة من هنا يُحمل عليها، فيجوز إضافته إلى مرفوعه فالعامل الدلالي هنا هو سبب اكتساب الوصف «اسم الفاعل» حالة الجر إلى الفاعل؛ لأنّه انتقل بهذه السمة الدلالية إلى دائرة الصفة المشبهة. فيعامل معاملتها «في رفع السبيبي ونصبه على التشبيه بالفعل» به إن كان معرفة، وعلى التمييز إن كان نكرة وجره بالإضافة^(١). مثل: خالد قائم الأب أو ظاهر القلب. برفع الأب والقلب، ونصبهمما وجرّهما.

هذا إذا كان اسم الفاعل مشتقاً من فعل لازم، أما إذا كان متعدياً لأكثر من مفعول لم يجز إلحاقه^(٢) بالصفة المشبهة، وخالف في اسم الفاعل المتعدد لواحد على^(٣) النحو التالي: أ- قال الأخفش بالجواز مطلقاً.

ب- ذهب جمهور النحويين إلى المنع مطلقاً.

جـ- يرى ابن عصفور وابن أبي الريبع أنه إذا حذف مفعوله جاز، وإنما امتنع.
ويرى خالد الأزهري أن ما ذهب إليه كل من ابن عصفور وابن أبي الريبع هو
الصحيح الذي يشهد به القياس والاستعمال^(٤).

قال الشاعر:

وَلَا الْكَرِيمُ بِهِنَاءٍ وَإِنْ ظَلِّمًا مَا الرَّحْمُ الْقَلْبُ ظَلَامًا وَإِنْ ظَلِّمًا

فالخلاف هنا لا يمس الجانب الدلالي؛ لأن اسم الفاعل لا يعامل^(٦) معاملة الصفة المشبهة إلا إذا دل على ما تدل عليه، وهو الشبوت والدلوام، أما الخلاف فيدور حول نوع الفعل من التعدي واللزوم، فإن كان متعدياً لأكثر من مفعول، فهو بعيد جداً عن طبيعة

(١) خالد الأزهري، شرح التصريح / ٢٧٠.

(٢) ينظر: الأشموني، حاشية الصياغ ٣٠٣ / ٢.

(٣) ينظر: خالد الأزهري، شرح التصريح /٢، ٧١، والأشموني، شرح الأشموني /١، ٥٦٥.

(٤) ينظر: خالد الأزهري، شرح التصريح ٧١ / ٢.

(٥) ينظر: خالد الأزهري، شرح التصريح /٢، ٧١، والأشموني، شرح الأشموني، ١/٥٦٥.

(٦) قد يأتي اسم فاعل دالاً على الثبوت والدوم بصيغته مثل: خالد، ومستمر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ سُلْطَانِي حَالَهُ وَمَسْتَرُ.

الصفة المشبهة التي لا تصاغ إلا من الفعل اللازم، وإن كان متعدياً لواحد اختلف فيه أيضاً، لأن التعدد يبعده عن الصفة المشبهة، وأجازه بعض النحويين كابن عصفور وابن أبي الربيع بشرط حذف المفعول اقتصاراً حتى يقترب الفعل المتعدد بذلك من الفعل اللازم.

* الصورة الثانية: أن يكون اسم الفاعل مقترناً بأل:

إذا جاء اسم الفاعل مقترناً بأل عمل بدون شروط، فيعمل مطلقاً في جميع الأزمنة ماضياً وحالاً ومستقبلاً، كما أنه يعمل دون حاجة إلى الاعتماد على شيء، مثل: جاء الضاربُ خالداً أمسِ أو الآن أو غداً. وذلك لأن «أل» فيه موصولة، واسم الفاعل ضاربٌ وقع موقع الفعل، لأن الصلة تكون جملة فضارب «حالٌ محلٌ ضربٌ إذا أردت الماضي أو يضرب إن أردت غيره، والفعل يعمل في جميع الحالات، فكذلك ما حلَّ محله»^(١).

وقد اختلف النحاة في عمل اسم الفاعل المقترب بـ «أل» على أربعة أقوال هي:

١ - ذهب جمهور النحويين أنه يعمل مطلقاً ماضياً أو حالاً أو مستقبلاً وهو الرأي السابق ذكره.

٢ - ذهب الأخفش^(٢) أنه يأتي بمعنى الماضي، وأن «أل» فيه معرفة، وليس موصولة، كهي في الرجل، وانتساب الاسم بعده على التشبيه بالمفعول به، كما هي في: زيد الحسن الوجه. ويرى رضي الدين أن رأي الأخفش رأي ضعيف^(٣).

٣ - ذهب قوم إلى أنه لا يعمل، وأن انتساب ما بعده بفعل مقدر، ونقل هذا الرأي عن المازني^(٤)؛ لأن اللام عنده في اسم الفاعل ليس بموصول وليس ذو اللام في الحقيقة فعلاً؛ لأنه ليس صلة لموصول.

(١) ابن هشام، شرح قطر الندى ص ٣٧٩، وينظر: خالد الأزهري، شرح التصریح ٦٥ / ٢.

(٢) ينظر: ابن مالك، تسهيل الفوائد ص ١٣٧، وابن يعيش، شرح المفصل ٦ / ٧٧، ورضي الدين، شرح الكافية ٢٠١ / ٢، والسيوطى، همع الهوامع ٢ / ٩٦، والأشمونى، شرح الأشمونى ١ / ٥٥٦.

(٣) ينظر: رضي الدين، شرح الكافية في النحو ٢٠١ / ٢.

(٤) المرجع السابق نفسه.

٤ - ذهب جماعة من النحويين منهم الرماني^(١) والمازني^(٢) أنه لا يعمل إلا إذا كان ماضياً، فشرط العمل هنا فيما بعده أن يدل على الزمان الماضي، ولا يعمل حالاً أو مستقبلاً.

فللمازني هنا رأيان: الأول أن اسم الفاعل المقترب بـ «أَل» لا يعمل، وأن ما بعده منصوب بفعل مقدر. الثاني: أنه يعمل إذا كان ماضياً، مثلما ذهب الرماني.

والرأي الرابع الذي يشترط عمل اسم الفاعل المقترب بـ «أَل» إذا كان ماضياً، يردّه ما جاء عاماً بمعنى الحال، كقوله تعالى: «وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ» [الأحزاب: ٣٥]، وعمل اسم الفاعل المقترب بـ «أَل» أولى^(٣) إذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال من عمله إذا كان ماضياً؛ لأنّه في المنون لا يعمل ماضياً.

والراجح من الأقوال السابقة هو عمل اسم الفاعل المقترب بـ «أَل» مطلقاً دون التقيد بزمن بعينه وهو رأي جمهور النحويين، وهو المشهور^(٤)؛ لأن «أَل» في اسم الفاعل هنا تدل على معنى الذي، فهي اسم موصول، واسم الفاعل معها يقع موقع يجب تأويله بالفعل؛ لأن جملة الصلة تكون جملة فعلية، ويصلح الفعل هنا أن يقدر بحسب الزمن الذي يدل عليه الحدث، فقد يدل على الماضي أو الحال أو الاستقبال، فيعمل عمل الفعل الذي هو معناه ومثال الماضي قوله: هذا الضارب زيداً، يقول سيبويه: «فصار في معنى هذا الذي ضرب زيداً، وعمل عملاً»^(٥).

* عمل المثنى والمجموع:

يعمل اسم الفاعل المثنى والمجموع جمع تصحيح أو تكسير عمل المفرد منه بالشروط السابقة. وقد اهتم النحويون هنا أيضاً بالناحية الشكلية بين اسم الفاعل وبين

(١) ينظر: ابن مالك، تسهيل الفوائد ص ١٣٧، وابن عقيل، شرح ابن عقيل ١١٠/٢، والسيوطى، همع الهوامع ٩٦/٢.

(٢) ينظر: الأشمونى، شرح الأشمونى ١/٥٥٦.

(٣) ينظر: السيوطى، همع الهوامع ٩٦/٢.

(٤) ينظر: ابن عقيل، شرح ابن عقيل ١١٠/٢، والأشمونى، شرح الأشمونى ١/٥٥٦.

(٥) سيبويه، الكتاب ١/١٨١-١٨٢.

فعله الذي حمل عليه، فذهبوا إلى أن أولى الجموع بالعمل هو جمع التصحيح «السالم» «لأنه يسلم فيه لفظ واحد»، فتكون طريقة الواحد، والواحد جارٍ مجرى الفعل، وزيادة الثنوية والجمع تجري مجرى الزيادات اللاثقتين لل فعل، فتقول: هذان ضاربان زيداً، كما تقول: يضربان زيداً، وهم ضاربون زيداً، كما تقول: يضربون زيداً... ثم أجرروا الجمع المكسّر مجرى الجمع السالم إذ كانوا جميعاً جمعين^(١).

فما زالت النّظرة إلى الاهتمام بالجانب الشكلي هنا هي المسيطرة على فكر النحوين، فقد حالوا اختلاف المحاذاة اللغوية بين اسم الفاعل المثنى والمجموع والفعل الذي حمل عليه، مع أن الفعل لا يدخل في دائرة الثنوية والجمع؛ لأنهما من خصائص الأسماء، فقالوا: إن ضاربان توازي يضربان
وضاربون توازي يضربون

فالآلف والنون في المثنى كما هما في الفعل المضارع، والواو والنون في جمع التصحيح كما هما في الفعل المضارع.

وعندما لم يجدوا المحاذاة الشكلية متحققة في الجمع المكسّر حملوه على جمع التصحيح. فكلاهما جمع. وكأن العمل لا يتم ولا يتحقق إلا عند تصييد المحاذاة الشكلية بين العامل والفعل الذي حمل عليه في العمل، أي بين اسم الفاعل مفرداً كان أو مثنى أو جمعاً وبين الفعل المضارع، وهذه المحاذاة في الثنوية والجمع لا تتحقق إلا في بنية الجملة الاسمية .

* أمثلة عمل اسم الفاعل المثنى والجمع:

= من القرآن الكريم^(٢) :

أ- جمع التصحيح: قوله تعالى:

- ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

- ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [النساء: ١٦٢].

(١) ابن بعيسى، شرح المفصل ٦/٧٤.

(٢) ينظر: ابن هشام، أوضح المسالك ٣/٢٠٢، وسيبوه ، الكتاب ١/١٨٣ .

- «هل هن كاشفات ضر» [الزمر: ٣٨]. في قراءة^(١) أبي عمرو وعاصم بتنوين « Kashfāt »

ب- جمع التكسير: قوله تعالى «خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ» [القمر: ٧]. فـ «خُشَّعًا»، بضم الخاء وتشديد الشين، جمع تكسير لـ «خاشع» في قراءة ابن كثير ونافع وعاصم، وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي «خاشعاً» بـ «الف»^(٢).

= من الشعر:

أ- المشي: قول الشاعر:

الشَّاتِئِي عِرْضِي وَلَمْ أَشْتَهِمَا
وَالنَّادِرِيْنِ إِذَا لَمْ الْقَهُمَا دَمِي^(٣)

ب- جمع التصحيح: قول امرئ القيس:

القَائِلِيْنَ الْمَلَكَ الْحَلَاحِلَةَ
خَيْرَ مَعَدَ حَسِيبًا وَنَائِلًا^(٤)

ج- جمع التكسير، ومنه جمع فواعل أجروه مجرى فاعله، حيث كانوا جمعوه وكسروه عليه^(٥)، كقول أبي كبير الهدلي:

مَا حَمَلْنَ بِهِ وَهُنَّ عَوَاقِدُ
حُبُكَ النُّطَاقِ فَعَاشَ غَيْرَ مُهَبِّلٍ

صرف عوقد ضرورة، ونصب به حُبُك، وعوقد جمع عاقدة^(٦).

وقال العجاج: أو الفا مكة من ورق الحمي

صرف ألفا ضرورة وألف جمع آفة^(٧).

= من النثر:

أ- المشي: هذان الضاربان زيداً.

ب- جمع التصحيح: هؤلاء الضاربون خالداً.

(١) ابن مجاهد، كتاب السبعة في القراءات ص ٥٦٢.

(٢) المرجع السابق ص ٦١٧-٦١٨.

(٣) ينظر: ابن هشام، أوضح المسالك ٢٠٢/٣.

(٤) ينظر: ابن هشام، قطر الندى ص ٣٧٩.

(٥) سيبويه، الكتاب ١/١٠٩-١١٠.

(٦) ينظر: ابن عيسى، شرح المفصل ٦/٧٤-٧٥.

(٧) ينظر: ابن عيسى، شرح المفصل ٦/٧٤-٧٥.

جـ- جمع التكسير : قولهـم: الـهـنـدـاتـ ضـوـارـبـ عـمـراـ.

وقولـهـمـ: «ـهـلـ هـنـ حـوـاجـ بـيـتـ اللـهـ»^(١).

فـ «ـحـوـاجـ» جـمـعـ حاجـةـ «ـوـفـيهـ نـيـةـ التـنـوـينـ، وـإـنـمـاـ سـقـطـ؛ لـأـنـهـ لاـ يـنـصـرـفـ، فـكـانـ ماـ فـيـهـ مـنـ أـسـبـابـ مـنـعـ الصـرـفـ بـمـنـزـلـةـ التـنـوـينـ، فـلـذـلـكـ نـصـبـ مـاـ بـعـدـهـ»^(٢).
وـ تـحـذـفـ نـوـنـ المـشـنـىـ وـالـجـمـعـ عـنـدـ إـضـافـةـ، كـقـوـلـ الشـاعـرـ:
الـفـارـجـوـ بـاـبـ الـأـمـيـرـ الـبـهـمـ^(٣).

يـقـوـلـ سـيـبـوـيـهـ: «ـفـإـنـ كـفـفـتـ النـوـنـ جـرـرـتـ وـصـارـ الـاسـمـ دـاخـلـاـ فـيـ الـجـارـ، وـبـدـلـاـ مـنـ النـوـنـ؛ لـأـنـ النـوـنـ لـاـ تـعـاقـبـ الـأـلـفـ وـالـلـامـ... وـذـلـكـ قـوـلـكـ: هـمـاـ الضـارـبـاـ زـيـدـ، وـالـضـارـبـوـ عـمـرـوـ»^(٤).

وـقـدـ تـحـذـفـ النـوـنـ وـيـقـىـ نـصـبـ مـاـ بـعـدـهـ، كـقـوـلـ الشـاعـرـ:
الـخـافـظـوـ عـورـةـ العـشـيرـةـ لـاـ يـأـتـيـهـمـ مـُـ منـ وـرـائـنـاـ نـظـفـ
«ـفـلـمـ تـحـذـفـ النـوـنـ هـنـاـ لـلـإـضـافـةـ، وـلـاـ لـيـعـاقـبـ الـاسـمـ النـوـنـ، وـلـكـنـ حـذـفـوـهاـ كـمـاـ حـذـفـوـهاـ مـنـ الـلـذـيـنـ وـالـذـيـنـ حـيـثـ طـالـ الـكـلـامـ، وـكـانـ الـاسـمـ الـأـوـلـ مـنـتـهـاـ الـاسـمـ الـآـخـرـ،
قـالـ الـأـخـطـلـ:

أـبـنـيـ كـلـيـبـ إـنـ عـمـيـ اللـذـاـ
سـلـبـاـ الـلـسوـكـ وـفـكـكـاـ الـأـغـلاـ
لـأـنـ مـعـنـاهـ مـعـنـيـ الـذـيـنـ فـعـلـواـ»^(٥).

فـإـطـالـةـ التـرـكـيـبـ الـلـغـوـيـ عـنـ طـرـيـقـ التـعـديـةـ سـاعـدـتـ عـلـىـ حـذـفـ النـوـنـ، لـأـنـ اـسـمـ
الـفـاعـلـ «ـمـعـ المـفـعـولـ بـهـ بـمـنـزـلـةـ اـسـمـ مـفـرـدـ، كـمـاـ أـنـ الـذـيـنـ فـعـلـواـ مـعـ صـلـتـهـ بـمـنـزـلـةـ اـسـمـ»^(٦).
فـالـنـوـنـ فـيـ الـمـشـنـىـ وـالـجـمـعـ لـاـ تـعـاقـبـ الـأـلـفـ وـالـلـامـ، وـإـنـمـاـ تـعـاقـبـ إـضـافـةـ «ـوـلـذـلـكـ

(١) يـنـظـرـ: سـيـبـوـيـهـ، الـكتـابـ ١٠٩/١.

(٢) ابنـ يـعـيشـ، شـرـحـ المـفـصـلـ ٧٥/٦.

(٣) يـنـظـرـ: ابنـ معـطـيـ، الـفـصـولـ الـخـمـسـونـ صـ ١٢٩ـ.

(٤) سـيـبـوـيـهـ، الـكتـابـ ١٨٤/١.

(٥) سـيـبـوـيـهـ، الـكتـابـ ١٨٦/١.

تقول: هذا الضارب الرجل أمس، تضييف الوصف وهو مقتربن بالألف واللام إلى ما فيه الألف واللام، تشبيهًا بالحسن الوجه، لذلك لا يجوز أن نقول: هذا الضارب زيد أمس؛ لأنَّه فقد المضارعة مع الصفة المشبهة، فيجب إضافته إلى ما فيه الألف واللام، أو إلى ما أضيف إلى ما فيه الألف واللام، مثل: الضاربُ رأس الجانِي^(٢).

* التابع لمجرور اسم الفاعل:

إذا اتبع المجرور باسم الفاعل بأحد التوابع، فإما أن يكون اسم الفاعل عاملًا أو غير عامل:

أ- فإن كان اسم الفاعل عاملاً، جاز في المعطوف «التابع» وجهاً^(٣) من الإعراب
هما: ١- الجر على اللفظ . ٢- النصب بإضمار فعلٍ يناسب المعنى .
مثال العطف قوله: هذا ضاربُ زيد وعمرٌ وعمرًا .

فالجر على لفظ «زيد» المجرور بالإضافة، والنصب بتقدير فعل اتفاقاً، أي: ويضرب عمراً أو بإضمار^(٤) وصف منون. ويلاحظ هنا أن المعطوف لم يفصل بينه وبين المجرور بفاصل. ويرى سيبويه أن الجر هنا أقوى^(٥) فالحمل على اللفظ أولى^(٦) من النصب بتقدير فعل وهو الوجه^(٧).

أما إذا فصل بين التابع والاسم المجرور بفواصل مثل: هذا ضارب[ُ] زيد فيها وعمرها.

(١) ابن السراج، الأصول في النحو ١/١٢٩.

(٢) ينظر: ابن هشام، أوضاع المسالك ٣/٨٤.

(٣) ينظر: سيبويه، الكتاب ١ / ١٧٤، ورضي الدين، شرح الكافية ٢ / ٢٠٣.

(٤) ينظر: ابن هشام، أوضاع المسالك ٢٠٧/٣.

⁽⁵⁾ ينظر: سيبويه، الكتاب ١ / ١٧٤

(٦) رضي الدين، شرح الكافية ٢٠٣/٢

(٧) ينظر : خالد الأزهري ، شرح الفتن .

٢٠١١، سرچ اسٹریچ، دہلی، ایڈ ریزیری، پیسر.

فالنصب هنا عند سيبويه أقوى للفصل وإطالة الكلام، فكلما طال الكلام كان النصب أقوى، و«ذلك أنك لا تفصل بين الجار وبين ما ي العمل فيه، فكذلك صار هذا أقوى»^(١).

فالفصل الموقعي بين الجار والجرور يؤدي إلى ضعف حالة الجر ويقوّي حالة النصب، و«لأن الناصب ينصب ما تباعد منه والجار ليس كذلك»^(٢).

ففي حالة الفصل بين التابع والاسم المجرور باسم الفاعل يكون نصب المعطف أولى من جره، فالبنية السطحية Surface Structure «المتطوقة» هنا في المثال السابق هي: «وعمراً» والبنية العميقية Deep Structure المفسرة لها بحسب دلالة السياق هي: ويضرب عمراً. لذلك يقول تشومسكي: «البنية العميقية تعبر عن المحتوى الدلالي، بينما تحدد البنية السطحية الشكل الصوتي»^(٣).

ويجوز هنا عند بعض النحوين «وهم الكوفيون وطائفة من البصريين» النصب على المحل، فيكون للنصب وجهان: الأول: على تقدير فعل أو بإضمار وصف منون، والثاني بالمعطف على محل^(٤) المجرور؛ لأنه معمول لاسم الفاعل العامل الذي يجوز فيه وجهاً النصب، والجر بالإضافة، فقد أضيف هنا اسم الفاعل لذلك يحتفظ المجرور به بحالة النصب.

أما سيبويه فيرى أن نصب المعطف يكون بفعل مُقدَّر يناسب المعنى، ويرى رضي الدين أن تقدير اسم الفاعل المنون في حالة النصب «أولى من تقدير الفعل ليوافق المقدَّر الظاهر»^(٥).

فرضي الدين يرى أن التوافق اللفظي بين العنصر المذكور والمقدَّر أولى من الاختلاف، لذا يرى تقدير اسم فاعل يناسب لفظ المذكور، في حالة نصب المعطف. وربما تكون نظرية سيبويه في تقدير فعل ترجع إلى أن الفعل هو الأصل في العمل،

(١) سيبويه، الكتاب ١/١٧٤.

(٢) ابن السراج، الأصول في النحو ١/١٢٧-١٢٨.

(٣) Chomsky, N. : Aspects of the Theory of Syntax, Cambridge. 1965, P.143.

(٤) ينظر: ابن هشام، أوضح المسالك ٣/٢٠٧.

(٥) رضي الدين، شرح الكافية ٢/٢٠٣.

واسم الفاعل محمول عليه فهو فرع له، والأصل أقوى من الفرع، لذلك لم يهتم سيبويه بالتناسب الشكلي بين العامل الظاهر والمقدّر.

ومثال ما روي بالوجهين في العطف قول الشاعر:

لواهبُ المائةَ الهجانِ عبدَها عُودًا تُزجي بينها أطفالها^(١)

تنصب كلمة «عبد» وجرّها. وقول الآخر:

هل أنت باعثُ دينارٍ حاجتنا أو عبدَ ربٍّ أخا عونَ بن مخراقي^(٢)

وكلمة «عبد» في البيت الثاني رويت بالوجهين أيضاً النصب والجر، فالنصب على تقدير فعل، أو اسم فاعل موافق للمذكور في اللفظ. والتقدير: أو تبعث عبدَ ربٍّ، أو باعثُ عبدَ ربٍّ، والجر على اللفظ، ويجوز أن يكون النصب عطفاً على محل^(٣) «دينار»؛ لأن اسم الفاعل «باعت» يعمل لدلالته على الاستقبال، فالشاعر يستفهم المخاطب عما سيقع.

ويرى المبرد في البيت السابق أن المعطوف منصوب بفعل مقدّر، ومع هذا عند التقدير قدر اسم فاعل موافق للمذكور، فقال: «ونصب الثاني لأنه أعمل فيه الفعل، كأنه قال: أو باعثُ عبدَ ربٍّ»^(٤) وربما يرجع ذلك إلى أن اسم الفاعل يساوي الفعل في المعنى والعمل.

والنصب في الbeitين السابقين أقوى من الجر، لوجود فاصل بين الاسم المجرور «المعطوف عليه» والمعطوف، و«كلما تباعد الثاني من الأول قوى النصب واختير»^(٥). وهذا هو مذهب سيبويه، لذلك روى البيت في كتابه^(٦) بالنصب.

(١) ينظر: ابن عقيل، شرح ابن عقيل ٢/١١٩.

(٢) ينظر: سيبويه، الكتاب ١/١٧١، والمبرد، المقتضب ٤/١٥١، ورضي الدين، شرح الكافية ٢/٢٠٣، وابن السراج، الأصول في التحو ١/١٢٧، وابن عقيل، شرح ابن عقيل ٢/١٢٠.

(٣) ينظر: ابن عقيل، شرح ابن عقيل ٢/١٢٠.

(٤) المبرد، المقتضب ٤/١٥١.

(٥) المرجع السابق نفسه.

(٦) ينظر: سيبويه، الكتاب ١/١٧١.

هذا إن كان اسم الفاعل مضافاً إلى اسم ظاهر فيجوز كما تقدم النصب والجر، أما إذا أضيف اسم الفاعل العامل إلى ضمير، حُمِل^(١) المعطوف على الفعل نحو «هذا ضاربك وزيداً غداً». يقول ابن السراج: «لما لم يجز أن تعطف الظاهر على المضمر حملته على الفعل، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا مُنْجِوْكَ وَأَهْلَكَ﴾ [العنكبوت: ٣٣] ولم تعطف على الكاف المجرورة»^(٢).

فُعْلَفُ الاسم الظاهر على الضمير المجرور باسم الفاعل العامل، لا يجوز فيه الجر،
إلا إذا أعيد ذكر الجار «المضاف» مع المعطوف. فإذا لم يذكر الجار قبل المعطوف لم يبق
إلا النصب بياضمار فعل مناسب أو اسم فاعل يوافق المذكور.

بـ- وإذا كان اسم الفاعل غير عامل، أي كان بمعنى الماضي جاز فيما بعده وجهاً من الإعراب:

١- الجر وهو المختار^(٣).

٢- النصب بتقدير فعل من لفظ اسم الفاعل. نحو: «هذا ضارب عبد الله وزيداً، يقول سيبويه: « وإنما جاز هذا الإضمار؛ لأن معنى الحديث في قولك: هذا ضارب زيد، هذا ضرب زيداً، وإن كان لا يعمل عمله فحمل على المعنى»^(٤).

فاسم الفاعل هنا وإن كان غير عامل إلا أنه حمل على معنى الماضي فجاز تقدير فعل من لفظه. ويرى البرّد أن النصب هنا يكون على المعنى، ولبعد المطوف عن الجار، يقول في نحو: هذا معطي زيد الدرّاهم أمسِ وعمرو «جاز لك أن تنصب عمراً على المعنى بعده عن الجار. فكأنك قلت: وأعطي عمراً»^(٥).

(١) يضاف اسم الفاعل المجرد العامل إلى المفعول به جوازاً، إن كان ظاهراً متصلةً ووجوباً إن كان ضميراً متصلةً. ينظر: ابن مالك، تسهيل الفوائد ص ١٣٧.

(٢) ابن السَّاج، الْأَصْبُولُ فِي النَّحْوِ ١٢٨/١

(٣) نظر: رضي الدين، شرح الكافية ٢٠٣/٢

(٤) سمه به، الكتاب ١/١٧٢

(٥) البرد ، المقتصب ٤ / ١٥٤ . ومثال المقتصب: هذا مُعطى الدرَّاهِمْ أَمْ وعمرُو . فاسم الفاعل فيه غير مضاف، وصحته ما ذُكر هنا . وينظر ابن السراج ، الأصول في النحو ١ / ١٢٨ .

ويتعين^(١) هنا في حالة النصب إضمار فعل من لفظ اسم الفاعل، ولا يجوز إضمار اسم فاعل من لفظ المذكور؛ لأنّه غير عامل، كما لا يجوز العطف بالنصب على المحل لنفس السبب، وهو عدم صلاحية اسم الفاعل للعمل، لعدم جريانه على الفعل الماضي في اللفظ، ولعدم دلالته على الحال أو الاستقبال.

ولا يكون الفعل المقدّر هنا إلا ماضياً، لি�وافق اسم الفاعل المذكور في الحدث والدلالة الزمانية «إلا إن كان هناك ما يدل على خلافه، نحو: هذا ضارب زيد أمس، وعمراً غداً»^(٢).

ومثال المعطوف على مجرور الوصف غير العامل قوله تعالى: «فالق الإصباح وجعل الليل سكناً والشمسَ والقمر» [الأنعام: ٩٦]. فكلمة «الشمس» في الآية السابقة منصوبة بفعل يناسب المعنى، يقدّر من لفظ اسم الفاعل المذكور، وهو «جعل»^(٣) ولا يجوز نصيّبها «بإضمار وصف متون ولا بالعطف على المحل؛ لأنّ الوصف المذكور غير عامل لكونه بمعنى الماضي»^(٤).

هذا إذا لم يُرد باسم الفاعل «جاعل» حكاية الحال، فإنّ كان على حكاية الحال الماضية مثل «باسط» في قوله تعالى **﴿وَكَلَّهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعِيهِ﴾** [الكهف: ١٨] فهنا يجوز النصب بالعطف على محل^(٥) المجرور؛ لأنّ اسم الفاعل يكون حينئذ عاملأً.

ويرى رضي الدين أن نصب الاسم بالعطف على محل مجرور اسم الفاعل غير العامل فيه ضعف^(٦)، والختار هو جر المعطوف حملأً على اللفظ؛ لأنّ اسم الفاعل هنا غير عامل.

فسيبويه يرى أن الاسم المنصوب المعطوف على مجرور الوصف غير العامل يشغل

(١) ينظر: ابن هشام، أوضح المسالك ٢٠٧/٣، وخالد الأزهري، شرح التصريح ٢/٧٠، والأشموني شرح الأشموني ١/٥٦٣.

(٢) رضي الدين، شرح الكافية ٢/٢٠٣.

(٣) ينظر: ابن هشام، أوضح المسالك ٢٠٧/٣، والأشموني، شرح الأشموني ١/٥٦٤.

(٤) خالد الأزهري، شرح التصريح ٢/٧٠.

(٥) الصبان، حاشية الصبان ٢/٣٠١.

(٦) ينظر: رضي الدين، شرح الكافية ٢/٢٠٣.

وظيفة المفعول به، ويقدّر له عاملاً من لفظ اسم الفاعل المذكور ففي نحو: هذا ضارب^١
عبد الله وعمرًا، يكون التقدير: ضرب عمرًا^(١).

فالتقدير هنا جاء لسد حاجة المعمول إلى عامل؛ لأنه لا يمكن أن يكون هناك
معمول بغير عامل. ويصف «رويشل» Reuschel "منهج كل من الخليل وسيبويه في
التقدير، فيقول: «إنهما لا يريدان أن يصفا ما يتكلمه المرء، بل ما يجب أن ينطق به»^(٢).
ويقول ثايل "Weil" في وصف ظاهرة التقدير: «التقدير هو الاستعمال الشديد
للقياس لطابقة النص الخارج على القواعد، وليس لشرح النصوص المقولة»^(٣).
فالتقدير كما يرى كل من رويشل وثايل، لا يصف الواقع المنطوق وإنما الغرض منه
المحافظة على القواعد المقررة من قبل النحاة.

* عمل أبنية المبالغة:

أبنية المبالغة ضرب من أسماء الفاعلين، وهي محوّلة عن «فاعل» لقصد المبالغة
والتكثير، فاسم الفاعل أصل لأمثلة المبالغة، وهي تعمل عمل اسم الفاعل سواء كانت
مفردة أو مثنىأ أو مجموعة بشرطه، وأشهرها خمسة أوزان هي: فعال وفعول ومفعال
وفعال وفعل.

يقول ابن يعيش: «وقد أجروا ضرباً من أسماء الفاعلين مما فيه معنى المبالغة مجرى
الفعل الذي فيه معنى المبالغة في العمل، وإن لم يكن جارياً عليه في اللفظ فقالوا: زيدُ
ضرَابُ عبيده وقتل أعداءه، كما قالوا: زيد يضرب عبيده، ويقتل أعداءه»^(٤).

فابن يعيش يشترط في صيغة المبالغة أن يكون فعلها مما يقبل معنى المبالغة والتكثير،
مثل: ضرب، وقتل، فيقال: ضرَاب وقتل، فلا تستعمل صيغة المبالغة إلا حيث يمكن
الكثرة والمبالغة في الحديث، «فلا يقال موّات، ولا قتال زيد، بخلاف قتال الناس»^(٥).

(١) ينظر: سيبويه، الكتاب ١ / ١٧٢.

(٢) Reuschel, w. Al Ḥalīl Ibn Aḥmad der Lehrer Sībawayhi als Grammatiker,
Berlin 1959, S. 63.

(٣) Weil, G. Abu'l - Barkāt Ibn Al- anbārī, Die Grammatischen Streitfragen
der Basrer und Kufer, Leiden 1913, S. 27.

(٤) ابن يعيش، شرح المفصل ٦ / ٧٠.

(٥) السيوطي، همع الهوامع ٢ / ٩٧.

وترد الصيغ الثلاثة الأولى وهي: فعّال وفعول ومفعول بكثرة، أما الصيغتان الأخيرتان فتأتيان بقلة^(١).

وقد اختلف في عمل صيغ المبالغة على ثلاثة آراء هي:

الأول: ويرتبط بعمل الصيغ الثلاثة الأولى، فقد ذهب^(٢) البصريون إلى جواز إعمالها لكثرة ورودها في السماع، مثال^(٣) ذلك قول الشاعر:

أخا الحرب لباساً إليها جلالها
وليس بولاج الخوالف أعقلاً

وقول الآخر:

ضروب بنصل السيف سوق سمانها إذا عدمو واذا فإنك عاشر
وحكى سيبويه: «إنه لمحار بوائكتها»^(٤).

الثاني: ويتعلق بإعمال الصيغتين الأخيرتين وهما فعل وفعل، وقد اختلف فيما على النحو التالي:

١ - لم يجز بعض البصريين^(٥) إعمالهما، ويقول السيوطي: أنكر أكثر^(٦) البصريين إعمالهما.

٢ - أجاز الجرمي إعمال فعل دون فعل؛ لأنه على وزن الفعل كعلم وفهم وفطن^(٧). ويروي السيوطي عنه عكس ذلك يقول: « وأنكر الجرمي فعل دون فعل؛ لأنه أقل وروداً حتى إنه لم يسمع إعماله في نثر»^(٨).

٣ - يرى أبو عمرو جواز عمل « فعل » بضعف^(٩).

٤ - أجاز أبو حيان إعمالهما، لكن لا يتعدي فيهما السماع^(١٠)، بل يقتصر عليه.

(١) ينظر: ابن هشام، أوضح المسالك ١٩٧/٣، وابن عصفور، المقرب ١٢٨/١.

(٢) ينظر: رضي الدين، شرح الكافية في النحو، ٢٠٢/٢، وخالد الأزهري، شرح التصریح ٦٨/٢.

(٣) ينظر: سيبويه الكتاب ١١١/١، ابن هشام، أوضح المسالك ١٩٧/٣-١٩٩.

(٤) سيبويه، الكتاب ١١٢/١.

(٥) خالد الأزهري، شرح التصریح ٦٨/٢.

(٦) السيوطي، همع الهوامع ٩٧/٢.

(٧) خالد الأزهري، شرح التصریح ٦٨/٢.

(٨) السيوطي، همع الهوامع ٩٧/٢.

(٩) المراجع السابقة نفسها.

(١٠) المرجع السابق نفسه.

٥- يرى سيبويه جواز إعمالهما، وهو بهذا يخالف أكثر النحوين، واستشهد على ذلك بما جاء في الشعر، كقول ساعدة بن جويبة:

بَاتْ طِرَايَا وَبَاتَ اللَّيلَ لَمْ يَنْمِ^(١)
حَتَّى شَاهَا كَلِيلٌ مَوْهِنًا عَمِلٌ

وقول آخر:

مَا لَيْسَ مُتَجِيَّهَ مِنَ الْأَقْدَارِ^(٢)
حَذَرُ أُمُورًا لَا تَضِيرُ وَآمِنٌ

فأما المعارضون «فقد قالوا»^(٣) إن فعلاً وفعيلاً موضوعان للذات والهيئة التي يكون الإنسان عليها، لأن يجريا مجرى الفعل فهما كقولك: رجل كريم وظريف وعجل وأجابوا عن البيتين اللذين ذكرهما فقالوا: إن البيت الأول جاءت فيه كلمة «موهناً» ظرف زمان، «والظرف يكفيه رائحة الفعل»^(٤). أما البيت الثاني فهو مصنوع من اللاحقي عندما طلب منه سيبويه شاهداً في تعدى « فعل».

ويرى ابن يعيش^(٥) أن ما ذهب إليه سيبويه هو الصحيح، وهو القياس على صيغة فعل، كقولك: رحيم من راحم، وعليم من عالم، ويجوز عنده: زيد رحيم عمراً. وعن البيت الأول يرى أن كليل بمعنى مُكِلٌ، وإنما غير للتکثیر وفعيل بمعنى مفعل كثير مثل عذاب أليم بمعنى مؤلم، وعن البيت الثاني ذكر أن سيبويه رواه عن بعض العرب، وهو ثقة لا سبيل إلى ردّ ما رواه.

الثالث: ذهب الكوفيون^(٦) إلى عدم جواز إعمال صيغ المبالغة، وذلك لمخالفتها الفعل المضارع في اللفظ والمعنى. فصيغ المبالغة تدل على التکثیر والمبالغة، والفعل لا يدل على ذلك، وحملوا الاسم المنصوب بعد صيغ المبالغة على تقدير فعل.

فسبب عدم الإعمال عند الكوفيين يرجع إلى فوات الشبه اللغطي بين صيغ المبالغة والفعل المضارع، ويرى البصريون أن المبالغة تجبر^(٧) هذا النقص الشكلي.

(١) ينظر: سيبويه، الكتاب ١/١١٣، ١١٤.

(٢) ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل ٦/٧٣. ورضي الدين، شرح الكافية ٢/٢٠٢.

(٣) ينظر: رضي الدين، شرح الكافية ٢/٢٠٢.

(٤) ينظر: رضي الدين، شرح الكافية ٢/٢٠٢، خالد الأزهري، شرح التصریح ٢/٦٨، والسوطی، مع الهوامع ٢/٩٧.

(٥) ينظر: رضي الدين، شرح الكافية ٢/٢٠٢.

مما تقدم من خلاف بين النحوين في عمل صيغ المبالغة يتبيّن الآتي:

١- أن الاهتمام بالشكل بين العامل «صيغ المبالغة» وبين ما حملت عليه وهو الفعل المضارع، ساعد على حدوث هذا الجدل بعيد كل البعد عن الواقع اللغوي. فقد رفض الكوفيون - وهم الذين يتسم منهمجهم بالسمع - عمل صيغ المبالغة رغم ورودها في الشعر، بناء على عدم توافر المحاذاة الشكلية بين أبنية المبالغة والفعل المضارع.

وما يراه البصريون من أن معنى المبالغة يعني عن فوات الشبه اللفظي بين صيغ المبالغة والفعل، شيء بعيد عن طبيعة اللغة ولا يصف الواقع اللغوي المنطوق، كما رفض أيضًا بعض البصريين إعمال صيغتي فعل وفعل لقلة ورود السمع بهما، ولم يحدّدوا عدد الشواهد المسموح القياس عليها.

والحقيقة أن صيغتي فعل وفعل يدلان على الذات والهيئة التي يكون عليها الإنسان، فهما أقرب إلى الصفة المشبّهة، لذلك يكتفى فيهما بالسمع، وخصوصاً أن الشواهد التي وردت في إعمالهما - كما قيل - قليلة.

٢- هناك تناقض واضح بين ما رواه العمالان خالد الأزهري والسيوطى في أمرين هما: أ- ذكر الشيخ خالد الأزهري أن الجرمي أجاز إعمال فعل دون فعل؛ لأنه على وزن الفعل كعلم وفهم^(١) وفطن. بينما ذكر السيوطى أن الجرمي أنكر فعل دون فعل؛ لأنه أقل وروداً حتى إنه لم يسمع^(٢) إعماله في نثر.

ب- ذكر الشيخ خالد الأزهري في عمل صيغتي فعل وفعل، أن بعض البصريين^(٣) لم يجز إعمالهما، وذكر السيوطى، أن أكثر البصريين^(٤) يرون ذلك.

ولم يذكر كل منهما المصادر والمراجع التي أخذوا منها هذه الآراء حتى يستطيع الباحث متابعة الآراء المنسوبة إلى بعض النحوين.

(١) ينظر: خالد الأزهري، شرح التصریح ٦٨/٢.

(٢) ينظر: السيوطى، همع الهوامع ٩٧/٢.

(٣) ينظر: خالد الأزهري، شرح التصریح ٦٨/٢.

(٤) ينظر: السيوطى، همع الهوامع ٩٧/٢.

* القسم الثاني:

المبحث الأول: دراسة تطبيقية لبنيّة اسم الفاعل وعمله في سورة البقرة.

وتتناول الدراسة ما يلي:

١ - اسم الفاعل من الشّلّاثي وغير الشّلّاثي، وتُذكّر الآيات هنا حسب الترتيب الألفبائي للأفعال التي صيغ منها اسم الفاعل.

٢ - الحالات الإعرابية لاسم الفاعل، والوظائف النحوية التي شغلها في هذه الحالات.

٣ - صور إعمال اسم الفاعل وشروط عمله، ومدى اتفاق ذلك مع ما قاله النحاة.

١- اسم الفاعل من الشّلّاثي:

أ- من « فعل » بفتح العين.

الآيات	رقمها	وظيفة اسم الفاعل ^(١)
﴿ولستم بأخذيه إلا أن تغمضوا فيه﴾	٢٦٧	جار و مجرور خبر «ليس»
﴿من يقول آمنا بالله وبال يوم الآخر﴾	٨	صفة لمجرور
﴿وبالآخرة﴾ ^(٢) هم يوقنون	٤	مجرور بالحرف متعلق بالفعل
﴿فتبوا إلى بارئكم﴾	٥٤	مجرور بالحرف متعلق بالفعل

(١) تم ذكر وظيفة اسم الفاعل هنا منعاً لتكرار الآيات عند الحديث عن الحالات الإعرابية والوظائف النحوية التي شغلها اسم الفاعل في هذه الحالات.

(٢) كلمة الآخر مؤنثها الآخرة، جاءت على وزن فاعل وهما مشتقان من مادة «آخر» وليس لهما فعل يدل علىحدث والزمن، وكذلك اسم الفاعل منهمما، والآخر بعد الأول وهو صفة، والأخرّة: دار البقاء، وهي صفة غالبة. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة «آخر».

وكلمة «الآخر» وردت سبع مرات وجاءت فيها كلّها نعتاً مجروراً للكلمة «اليوم» والأيات هي: (٢٦٤، ٢٣٢، ٢٢٨، ١٧٧، ١٢٦، ٦٢، ٨).

أما الكلمة «الآخرة» فقد وردت عشر مرات وذلك على النحو التالي:

- سبع مرات مجرورة بالحرف (٤، ٨٦، ١٠٢، ١١٤، ١٣٠، ٢٠٠، ٢٠١).

- مرتين معطوفة على مجرور (٢١٧، ٢٢٠).

- مرة واحدة صفة لرفوع (٩٤).

وظيفة اسم الفاعل	رقمها	الأية
مضاف إليه	٥٤	﴿ذلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ﴾
جار و مجرور متعلق بالفعل	٤٢	﴿وَلَا تُلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾
جار و مجرور متعلق بالفعل	١٨٨	﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾
مضاف إليه	١٧٣	﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغِ﴾
خبر «إن»	٣٠	﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾
خبر «إن»	١٢٤	﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾
خبر «كان»	١٩٦	﴿ذَلِكَ لِمَنْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِيَ الْمَسْجِدِ﴾
صفة لمنصوب	٢٨٢	﴿إِلَّا أَنْ تَكُونْ تِجَارَةً حَاضِرَةً﴾
مجرور بالحرف متعلق بالفعل	١٨٨	﴿وَتَدْلِوْا بِهَا إِلَى الْحَكَامِ﴾
مجرور بالحرف خبر «ما»	١٦٧	﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾
صفة لمنصوب	٦٥	﴿فَقَلَنَا لَهُمْ كُونِوا قَرْدَةً خَاسِئِينَ﴾ ^(١)
مجرور بالحرف متعلق بالمصدر	٤٥	﴿وَإِنَّهَا لِكَبِيرَةٍ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾
خبر مبتدأ	٢٥	﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾
خبر مبتدأ	٢٥٧،٣٩	﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾
خبر مبتدأ	٨٢	﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾
حال	١٦٢	﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَخْفَفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾
خبر مبتدأ	٢١٧	﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾
خبر مبتدأ	٢٧٥	﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾
حال	٩٤	﴿لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةٌ﴾
خبر مبتدأ	٢٥٩	﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرِيَّةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾
مضاف إليه	١٦٤	﴿وَوَبَثَ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾

(١) خَسَأَ، إِذَا ذَلَّ، فهو فعل لازم مطاوع خسأته، فاللازم منه والمعدي بلفظ واحد مثل: زاد الشيء وزدته، وغضض الماء وغضنته. ينظر: العكيري، التبيان في إعراب القرآن، القسم الأول ص ٣٧.

الآية	رقمها	وظيفة اسم الفاعل
﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أَجِيبُ دُعَوَةَ الدَّاعِ﴾	١٨٦	مضاف إليه.
﴿وَأَتَهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾	٤٦	خبر «أن».
﴿قَالُوا إِنَا لِلَّهِ وَإِنَا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾	١٥٦	خبر «إن».
﴿وَارْكَعُوا مَعَ الْرَّاكِعِينَ﴾	٤٣	مضاف إليه.
﴿وَالْمَسَاكِينُ وَابْنُ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ﴾	١٧٧	معطوف على منصوب
﴿وَالْعَاكِفُونَ وَالرَّكِعُونَ﴾	١٢٥	صفة لمجرور
﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلَيْهِمْ﴾	١٥٨	خبر «إن»
﴿وَالذِّينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ﴾	٦٢	معطوف على منصوب
﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾	١٥٣	مضاف إليه
﴿وَبَشَّرَ الصَّابِرِينَ﴾	١٥٥	مفعول به.
﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ﴾	١٧٧	مفعول به.
﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾	٢٤٩	مضاف إليه .
﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾	١١١، ٩٤، ٣١، ٢٣	خبر «كان».
﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ﴾	١٠٢	خبر «ما» الحجازية .
﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لِمَنِ الظَّالِمِينَ ^(١) ﴾	١٩٨	مجرور بالحرف، خبر كان.
﴿أَنْ طَهَّرَ أَبْيَتِي لِلظَّاهِفِينَ﴾	١٢٥	مجرور بالحرف، متعلق بالفعل.
﴿فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾	٣٥	مجرور بالحرف، خبر كان.
﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾	٩٢، ٥١	خبر مبتدأ
﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾	٩٥	مجرور بالحرف متعلق بالوصف
﴿لَا يَنْالُ عَهْدِ الظَّالِمِينَ ^(٢) ﴾	١٢٤	مفعول به

(١) ضَلَّلَ، بالفتح لغةً تجد، وهي اللغة الفصحى، وبنو تميم وأهل الحجاز وأهل العالية ينطقونها بالكسر ضَلَّلَتْ. ابن منظور، لسان العرب، مادة: «ضلل».

(٢) قرأت بالرفع «الظالمون» قرأها عبد الله. ينظر: الفراء، معاني القرآن /١/ ٧٦. والمعنى في الرفع والنصب واحد؛ لأن النيل مشتمل على العهد وعلى الظالمين إلا أنه منفي عنهم. القراءة الجيدة هي على نصب الظالمين؛ لأن المصحف هكذا فيه. ينظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه /١/ ٢٠٠.

الآية	رقمها	وظيفة اسم الفاعل
﴿إِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾	١٤٥	مجرور بالحرف، خبر إنّ
﴿فَإِنْ انتَهُوا فَلَا عَذَابَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾	١٩٣	مجرور بالحرف متعلق بالمصدر
﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾	٢٢٩	خبر مبتدأ
﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾	٢٤٦	مجرور بالحرف متعلق بالوصف
﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾	٢٥٤	خبر مبتدأ
﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾	٢٥٨	صفة منصوب.
﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾	٢٧٠	مجرور بالحرف، خبر مقدم .
﴿وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾	١٣٨	خبر مبتدأ.
﴿فَمَنْ أُضْطُرَ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٌ فَلَا إِثْمٌ عَلَيْهِ﴾	١٧٣	معطوف على مجرور.
﴿أَنْ طَهَرَا بَيْتِي لِلطَّائِفَيْنَ وَالْعَاكِفَيْنَ﴾	١٢٥	معطوف على مجرور.
﴿وَلَا تَبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾	١٨٧	خبر مبتدأ.
﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾	١٤٩، ١٤٠، ٨٥، ٧٤	مجرور بالحرف خبر «ما».
﴿وَمَا اللَّهُ (١) بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾	١٤٤	مجرور بالحرف، خبر «ما».
﴿وَمَا يَضْلِلُ بَهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾	٢٦	مفعول به .
﴿وَمَا يَكْفِرُ بَهِ إِلَّا الْفَاسِقُونَ (٢)﴾	٩٩	فاعل.
﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفَرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾	٦٩	صفة لمروء.

(١) بخلاف في موضع نصب على أن تكون «ما» حجازية، ويجوز أن تكون في موضع رفع، على أن تكون «ما» تميمية، ودخلت الباء في خبر المبتدأ، وسُوّغ ذلك النفي. أبو حيان، البحر المحيط /١٤١.

(٢) برى الزجاج أن «الفاسقين» منصوب على الاستثناء، والمعنى : وما يضل به أحد إلا الفاسقين. ينظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه /١٠٥. ويرى العكري أن «الفاسقين» منصوب على المفعولة، فهو مفعول به لـ «يضل» وليس منصوب على الاستثناء؛ لأن «يضل» لم يستوف مفعوله قبل إلا. ينظر: العكري، التبيان في إعراب القرآن، القسم الأول ص ٤٤.

ويقول أبو حيان: ما ذهب إليه العكري ليس بممتنع، ويجوز في «الفاسقين» وجهان: النصب على المفعولة وعلى الاستثناء ويكون مفعول يضل قد حذف لفهم المعنى. ينظر: أبو حيان، البحر المحيط /١٢٠٣، ٢٠٤.

والأرجح إعراب الفاسقين مفعولاً به لحاجة الفعل «يضل» إلى مفعول، وللبعد عن القول بالحذف والتقدير .

الأية	رقمها	وظيفة اسم الفاعل
﴿وَإِذْ يُرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدُ مِنَ الْبَيْتِ﴾	١٢٧	مفعول به
﴿كُلَّ لَهُ قَانْتُونٌ﴾	١١٦	خبر مبتدأ
﴿وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾	٢٣٨	حال
﴿بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبُ كَاتِبٌ﴾	٢٨٢	فاعل
﴿وَلَا يَضَارُ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾	٢٨٢	نائب فاعل أو فاعل
﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا﴾ ^(١)	٢٨٣	مفعول به
﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾	١٩	محروم بالحرف متعلق بالوصف
﴿أَعَدْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾	٢٤	محروم بالحرف متعلق بالفعل
﴿إِلَّا إِبْلِيسُ أَبِي وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾	٣٤	محروم بالحرف خبر كان
﴿وَلَا تَكُونُوا أُولَئِكَ أَفَبِهِمْ لَا يَرَوُونَ﴾ ^(٢)	٤١	مضاف إليه
﴿فَلْعَنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾	٨٩	محروم بالحرف، خبر
﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾	٩٠	محروم بالحرف خبر مقدم
﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوُّ لِلْكَافِرِينَ﴾	٩٨	محروم بالحرف صفة
﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	١٠٤	محروم بالحرف خبر مقدم
﴿لَوْ يَرْدَنُكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾	١٠٩	حال
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾	١٦١	خبر مبتدأ
﴿كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾	١٩١	مضاف إليه
﴿فِيمَا تُهْوِي هُوَ كَافِرٌ﴾	٢١٧	خبر مبتدأ
﴿وَانْصَرَنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾	٢٥٠	صفة لمجرور

(١) فرأ ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك وأبو العالية (ولم تجدوا كتاباً)، وروى عن ابن عباس (ولم تجدوا كتاباً). قال أبو جعفر: هذه القراءة شاذة والعامة على خلافها، ونسق الكلام يدل على كاتب. قال تعالى قبل هذا «وليكتب بينكم كاتب بالعدل» وكتاب يقضى جماعة.

^{٣٤٨} ينظر: أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن ١ / ٣٤٨.

(٢) يجوز أن تكون الكلمة «كافر» صفة لموصوف ممحذف، والتقدير: أول فريق كافر.
ينظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه /١٢٣/. والعكري، البيان في إعراب القرآن، القسم الأول ص ٥٨.

وظيفة اسم الفاعل	رقمها	الأية
مبتدأ	٢٥٤	﴿والكافرون هم الظالمون﴾
صفة لمنصوب.	٢٦٤	﴿والله لا يهدي القوم الكافرين﴾
صفة لمجرور.	٢٨٦	﴿أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾
صفة لمرفوع.	١٩٦	﴿تلك عشرة كاملة﴾
صفة لمنصوب.	٢٣٣	﴿يرضعن أولادهن حولين كاملين﴾
فاعل.	١٥٩	﴿أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾
مفعول به.	٦٩	﴿تسر الناظرين﴾
فاعل.	٢٦٤	﴿فأصابه ^(١) وابل فتركه صلداً﴾
فاعل.	٢٦٥	﴿كمثل جنة بربوة أصابها وابل﴾
مجرور بالحرف متعلق بالمصدر	٨٣	﴿لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناً﴾
مجرور بالحرف خبر.	١٨٠	﴿إن ترك خيراً الوصية للوالدين﴾
مجرور بالحرف متعلق بالوصف	٢١٥	﴿قل ما أنفقت من خير فللوالدين والأقربين﴾
مبتدأ	٢٣٣	﴿والوالدات يرضعن أولادهن﴾
نائب فاعل.	٢٣٣	﴿لا تضار ^(٢) والدة بولدها﴾

ب - من « فعل » بكسر العين:

خبر إنّ	٢٨٣	﴿ومن يكتمها فإنه آثم قلبه﴾
مفعول ثان أو حال	١٢٦	﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً﴾
مجرور بالحرف خبر «ما».	١٤٥	﴿وما أنت بتابع قبلتهم، وما بعضهم بتابع﴾
مجرور بالحرف خبر «كان».	٦٧	﴿قل أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين﴾

(١) كلمة وابل بزنة فاعل، اسم للمطر.

(٢) قرئت على ضربين: برفع الراء مشددة، وبفتح الراء مشددة. الزجاج، معاني القرآن وإعرابه ٣١٣/١ . فقد قرأ بالرفع ابن كثير وأبو عمرو، ويعقوب، وأبان عن عاصم، وقرأها باقي السبعة بفتح الراء جعلوها نهياً، وفي حالة تشديد الراء مرفوعة أو مفتوحة أو مكسورة، يحتمل أن يكون الفعل مبنياً للفاعل، ويحتمل أن يكون مبنياً للمفعول. ينظر: أبو حيان، البحر المحيط ٥٠٢/٢ .

الآيـة	رقمها	وظيفة اسم الفاعل
﴿وَيَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُونَ أَغْنِيَاءَ مِنَ الْعَنْفَ﴾	٢٧٣	فاعل
﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ^(١)	٢٧	خبر مبتدأ
﴿لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾	٦٤	مجرور بالحرف خبر كان
﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾	١٢١	خبر مبتدأ
﴿مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾	١١٤	حال
﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا حَالِدُونَ﴾	٢٥٧، ٨١	خبر مبتدأ
﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾	٨٢	خبر مبتدأ
﴿وَلَا تُسَأَلُ عَنِ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾	١١٩	مجرور بالحرف متعلق بالفعل
﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا حَالِدُونَ﴾	٢١٧	خبر مبتدأ
﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا حَالِدُونَ﴾	٢٧٥	خبر مبتدأ
﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ﴾	١٩	مجرور بالحرف متعلق بالفعل
﴿فَأَخْذُتُكُمُ الصَّاعِقَةَ وَأَنْتُمْ تَنْظَرُونَ﴾	٥٥	فاعل
﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾	٢٣٣	مجرور بالحرف، خبر مقدم
﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلَيْهِمْ﴾	١١٥	خبر إنَّ
﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِمْ﴾	٢٦٨، ٢١٦، ٢٤٧	خبر مبتدأ

ج- من « فعل » بضم العين:

﴿وَبَشَّرَ الدِّينَ أَمْنَا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾	٢٥	مفعول به
﴿وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾	٦٢	مفعول به أو صفة لمحذوف
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾	٨٢	مفعول به
﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ﴾	١٣٠	مجرور بالحرف، خبر إنَّ
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾	٢٧٧	مفعول به.

(١) الخاسرون، خبر لـ «أولئك» و«هم» ضمير فصل أو خبر لـ «هم» باعتباره مبتدأ ثانياً. ينظر: العكبري، التبيان في إعراب القرآن، القسم الأول ص ٤٥.

الآيـة

وظيفة اسم الفاعل	رقمها
------------------	-------

صفة مرفوع	٦٨	﴿إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ ^(١) وَلَا بَكَرٌ﴾
صفة منصوب	٣٣	﴿إِلَهًا وَاحِدًا ^(٢) وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾
صفة مرفوع	١٦٣	﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ^(٣) ﴾
صفة منصوب	٢١٣	﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾

٢- اسم الفاعل من غير الثلاثي

أ- من الرباعي « فعل »

- « وما هو بمزحزحه من العذاب »

ب- من الثلاثي المزيد: ١- المزيد بحرف:

* « أ فعل »

مجرور بالحرف، خبر « ما »	٩٦	﴿وَمَا هُوَ بِمَزْحِزْحٍ مِّنَ الْعَذَابِ﴾
مجرور بالحرف، خبر « كان »	٨	﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾
مجرور بالحرف متعلق بالمصدر	٩٧	﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾
صفة مرفوع	٢٢١	﴿وَهُدَىٰ وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾
صفة مرفوع	٢٢١	﴿وَلَامَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُشْرِكَةٍ﴾
صفة مرفوع	٢٢٣	﴿وَلَعِبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُشْرِكٍ﴾
مفعول به	٢٧٨ ، ٢٤٨	﴿وَبُشْرَىٰ الْمُؤْمِنِينَ﴾
خبر كان	٢٨٥	﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾
آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون	٢٠٨ ، ١٦٨	﴿أَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾
معطوف على مرفوع	٢٠٨ ، ١٦٨	﴿إِنَّهُ لِكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾

(١) يرى الزجاج أن الكلمة «فارض» خبر لمبدأ تقديره «هي». الزجاج، معاني القرآن وإعرابه / ١٥٠ / ويعترض أبو حيان على إعرابها خبراً؛ لأن الأصل عدم الحذف، ويرى أنها صفة لبقرة، والصفة وإن كانت منافية به «لا» وجب تكرارها. ينظر: أبو حيان، البحر المحيط / ٤٠٦ /.

ويرى العكري جواز الوجهين، يقول: «لا فارض» صفة لبقرة «ولا» لا تمنع ذلك، لأنها دخلت لمعنى النفي، فهو كقولك: مررت برجل لا طويل ولا قصير، وإن شئت جعلته خبر مبتدأ، أي: لا هي فارض» العكري، التبيان في إعراب القرآن، القسم الأول ص ٧٤ .

(٢) واحد هنا بذنة فاعل، وهي صفة مشبهة للخالق عزوجل.

الآية	رقمها	وظيفة اسم الفاعل
﴿وَسَنُزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾	٥٨	مفعول به
﴿بَلِّيْ مِنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾	١١٢	خبر مبتدأ
﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾	١٩٥	مفعول به
﴿مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾	٢٣٦	مجرور بالحرف متعلق بالمصدر
﴿وَاللَّهُ مَحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾	١٩	خبر مبتدأ
﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كَتَمُوا نَكْتَمُونَ﴾	٧٢	خبر مبتدأ
﴿وَنَحْنُ لَهُ مَخْلُصُونَ﴾	١٣٩	خبر مبتدأ
﴿وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ﴾	١٢٨	مفعول ثانٍ
﴿وَمِنْ ذَرِيتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾	١٢٨	صفة لمنصوب
﴿فَلَا تَمُوتُنَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾	١٣٢	خبر مبتدأ
﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾	١٣٦، ١٣٣	خبر مبتدأ
﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ﴾	١٠٥	معطوف على مجرور
﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾	١٣٥	مجرور بالحرف، خبر كان
﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنْنَ﴾	٢٢١	مفعول به
﴿وَلَا مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ﴾	٢٢١	مجرور بالحرف متعلق بالوصف
﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا﴾	٢٢١	مفعول به
﴿وَلَعِبْدُ مُؤْمِنٍ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ﴾	٢٢١	مجرور بالحرف متعلق بالوصف
﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾	١١	خبر مبتدأ
﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾	٢٢٠	مجرور بالحرف متعلق بالفعل
﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابُوهُمْ مُصْبِيَةً﴾	١٥٦	فاعل
﴿ثُمَّ تُولِيهِمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعَرْضُونَ﴾	٨٣	خبر مبتدأ
﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾	١٢	خبر إن، أو خبر مبتدأ

(١) يجوز هنا في «هم» ثلاثة أوجه إعرابية:

١- أن يكون مبتدأ ثانياً والمفسدون خبره.

٢- أن يكون توكيداً للهاء والميم «اسم إن» فيكون في موضع نصب.

٣- أن يكون ضمير فصل لا محل له من الإعراب، والكافيون يقولون: عmad.

ينظر: العكري، التبيان في إعراب القرآن، القسم الأول ص ٢٩، وأبو جعفر النحاس، إعراب القرآن ١٨٩ - ١٩٠.

الآية	رقمها	وظيفة اسم الفاعل
﴿وَلَا تَعْثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾	٦٠	حال
﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسَدَ مِنَ الْمُصَلِّحِ﴾	٢٢٠	مفعول به
﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	٥	خبر مبتدأ
﴿وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرِهِ﴾	٢٣٦	مجرور بالحرف خبر
﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾	٢١٣	معطوف على منصوب
﴿وَلِلْكَافِرِ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾	٩٠	صفة لمرفوع
﴿وَمُتَّعِّهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرِهِ﴾	٢٣٦	مجرور بالحرف خبر
﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصِّنٍ﴾ ^(١) ﴿جَنَفا﴾	١٨٢	مجرور بالحرف متصل بالفعل
﴿وَالْمَوْفُونَ﴾ ^(٢) ﴿بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾	١٧٧	خبر مبتدأ محدود
* فاعل :		
﴿الَّذِينَ يَظْنَنُونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبَّهُمْ﴾	٤٦	خبر «أن»
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ﴾	٢٢٣	خبر «أن»
﴿قَالَ الَّذِينَ يَظْنَنُونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهَ﴾	٢٤٩	خبر «أن»
* « فعل » بتضييف العين :		
﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ﴾	٢١٣	حال
﴿وَآمَنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾	٤١	حال

(١) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وأبن عامر «من موصن» بتسكن الواو وتحقيق الصاد، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي «من موصن» بفتح الواو وتشديد الصاد.

ينظر: ابن مجاهد، كتاب السابعة في القراءات ص ١٧٦.

(٢) في رفع «الموفون» ثلاثة أوجه (*) إعرابية هي:

- ١ - أن يكون معطوفاً على مَنْ آمن . ينظر: الفراء، معاني القرآن / ١٠٥ ، والزمخشي، الكشاف / ٢٢٠ .
- ٢ - أن يكون خبراً لمبتدأ، والتقدير: هم الموفون. ينظر: أبو حيَان، البحر المحيط / ١٣٩ / ٢ .
- ٣ - أن يعطف على الضمير في الفعل «آمن». .

* ينظر: العكري، التبيان في إعراب القرآن، القسم الأول ص ١٤٤، ١٤٥ .
ويرى الزجاج أن أجود الآراء هو الرأي الثاني، وهو رفعه على المدح؛ لأن النعت إذا طال رفع بعضه ونصب على المدح، والمعنى : هم الموفون بعهدهم. ينظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه / ١ . ٢٤٧ .

الآية	رقمها	وظيفة اسم الفاعل
﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق﴾	٨٩	صفة لمرفوع
﴿هو الحق مصدقاً لما معهم﴾	٩١	حال
﴿يأذن الله مصدقاً لما بين يديه﴾	٩٧	حال
﴿رسولٌ من عند الله مصدقٌ لما معهم﴾	١٠١	صفة لمرفوع
﴿ولكلَّ وجهة هو مُولِّها﴾	١٤٨	خبر مبتدأ

٢ - ثلاثي مزيد بحروفين:
* «افتتعل»

﴿قال إن الله مبتليكم بنهر﴾	٢٤٩	خبر إن
﴿إن الله لا يحب المعتدين﴾	١٩٠	مفعول به
﴿فلا تكوننَّ من المعتدين﴾	١٤٧	محرر بالحرف خبر تكون
﴿وما كانوا مهتدين﴾	١٦	خبر كان
﴿ وإنَّا إن شاء الله لمهتدون﴾	٧٠	خبر إن
﴿وأولئك هم المهتدون﴾	١٥٧	خبر مبتدأ
﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هُدَى للمتقين﴾	٢	صفة لمرفوع
﴿وموعذة للمتقين﴾	٦٦	محرر بالحرف صفة
﴿وأولئك هم المتقون﴾	١٧٧	خبر مبتدأ
﴿حقاً على المتقين﴾	٢٤١، ١٨٠	محرر بالحرف متعلق بالمصدر
﴿واعلموا أن الله مع المتقين﴾	١٩٤	مضاف إليه، خبر إنَّ
﴿وأتوا به متشابهاً ولهم فيها أزواج مطهرة﴾	٢٥	حال

(١) يرى أبو حيان أن كلمة «مصدق» صفة ثانية، وقدّمت الأولى عليهما؛ لأن الوصف بكينونته من عند الله أكد، ووصفه بالتصديق ناشئ عن كونه من عند الله. أبو حيان، البحر المحيط ٤٨٦/١ . وقد قرئت شذوذًا بالنصب على الحال. ينظر: الكعبري، التبيان في إعراب القرآن، القسم الأول ص ٩٠، والزمخري، الكشاف، ١/١٦٤ .

ونتناول هنا اسم الفاعل في سورة البقرة من حيث العدد والنوع، فقد ورد اسم الفاعل من حيث الإفراد والثنية والجمع، وكذلك المذكر والمؤنث على النحو التالي:

١- ورد اسم الفاعل مفرداً (٨٩) مرة موزعة على النحو التالي:

أ- المفرد المذكر: جاء مفرداً مذكراً (٦٦) مرة، في الآيات الآتية:

،١٢٤،٣٠،١٧٣،١٨٨،٤٢،(٥٤ مرتين)،٢٦٤،٢٣٢،٢٢٨،١٧٧،١٢٦،١٦٢،٨١
،٢١٧،٤١،(٣٣ مرات)،٢٨٢)،٦٩،١٤٤،١٤٩،١٤٠،٨٥،٧٤،١٧٣،١٥٨،١٨٦
٢٦٨،٢٦١،٢٤٧،١١٥،٢٣٣،٢٧٣،(١٤٥ مرتين)،١٢٦،٢٦٥،٢٦٤
٢٣٦،٣٣،٦٢،(٢٢٠ مرتين)،٩٦،١٦٣،١٩،١١٢،٢٠٨،١٦٨،٧٢،(٢٢١ مرتين)،
.٩٠،٢٥،٢٤٩،١٤٨،١٠١،٩٧،٩١،٨٩،٤١،١٨٢،٩٠ مرتين)

بـ- المفرد المؤنث (٢٣) مرة في الآيات التالية:

، ٢٠٩ ، ٩٤) ، ٢٨٢، ٢٢٠ ، ٢١٧ ، ٢٠١، ٢٠٠، ١٣٠ ، ١١٤، ١٠٢، ٨٦، ٤
. { ١٥٦، ٢٢١)، ٢١٣، ٦٨، ١٩٦، ٢٣٣، ٥٥، ١٦٤

٢- المثنى المذكر: (٥) مرات في الآيات التالية: {١٢٨، ٢١٥، ١٨٠، ٨٣، ٢٣٣}.

٣- ورد اسم الفاعل جمعاً (١٢٦ مرة)، موزعة على النحو التالي:

أ- جمع المذكر السالم (١٠٩) مرات، في الآيات التالية:

۴۳، ۱۰۶، ۴۶، ۲۷۰، ۲۰۷، ۲۱۷، ۱۶۲، ۸۲، ۳۹، ۲۰، ۴۰، ۶۰، ۱۷۷، ۱۹۶، ۲۶۷
۰۱، ۳۰، ۱۲۰، ۱۹۸، ۱۰۲، ۱۱۱، ۹۴، ۳۱، ۲۳، ۲۴۹، ۱۷۷، ۱۰۰، ۱۰۳، ۶۲، ۱۷۸
۹۹، ۲۷، ۱۸۷، ۱۲۵، ۱۳۸، ۲۷۰، ۲۰۸، ۲۰۴، ۲۴۷، ۲۲۹، ۱۹۳، ۱۴۰، ۱۲۴، ۹۰، ۹۲
۷۹، ۱۰۹، ۲۸۶، ۲۶۴، ۲۰۴، ۲۰۰، ۱۹۱، ۱۰۴، ۹۸، ۹۰، ۸۹، ۳۴، ۲۴، ۱۹، ۲۳۸، ۱۱۶
۱۹۰، ۵۸، ۲۸۰، ۲۷۸، ۲۴۸، ۲۲۳، ۹۷، ۹۳، ۹۱، ۹۸، ۱۳۰، ۱۱۴، ۱۲۱، ۷۴، ۲۷، ۶۷
۴۶، ۱۷۷، ۲۱۳، ۰۶۰، ۱۲، ۸۳، ۱۱، ۲۲۱، ۱۳۰، ۱۰۰، ۱۳۶، ۱۳۳، ۱۳۲، ۱۳۹، ۲۳۶
۱۴۶، ۲۲۲، ۲۴۱، ۱۹۴، ۱۸۰، ۱۷۷، ۶۶، ۲۶، ۱۰۷، ۷۰، ۱۷۶، ۱۴۷، ۱۹۰، ۲۱۳، ۲۴۹، ۲۲۳

ب- جمع المؤنث (٥) مرات {٢٣٣، ٢٥٠، ٢٧٧، ٨٢٠، ٢٠١، ٢٢١}.

جـ - جمع التكسير (١٢) مرة {٨٢، ٢٥٧، ٨١، ١٦١، ١٠٩، ١٢٧، ١٢٥، ١٨٨} . {١٩، ٢٧٥، ٢١٧، ١١٩}

ما تقدم يتبين أن اسم الفاعل المجموع جمع تصحيح للمذكر هو أكثر الحالات وروداً من حيث العدد. ويرجع ذلك إلى ضرورة الناسب الصوتي في نهاية فواصل الآيات في سورة البقرة، فقد جاء حرف النون في نهاية فواصل سورة البقرة في {١٩٥} مائة وخمس وتسعين آية، منها {٩٦} ست وتسعون آية شغلت فواصلها الأفعال الخمسة المرفوعة بثبوت النون و{٨٦} ست وثمانون آية شغل فواصلها اسم الفاعل المجموع جمع مذكر سالم ولا يناسب ذلك إلا أن يأتي اسم الفاعل في صيغة الجمع، حتى يتم التوافق الصوتي بين فواصل الآيات.

ويبلغ عدد آيات سورة البقرة {٢٨٦} مائتين وست وثمانين آية، يشغل فواصل هذه الآيات سبعة أحرف^(١) هي: «الباء، والدال، والراء، والقاف، واللام، والميم ، والنون». وحرف النون هو أكثر الحروف وروداً في نهاية الفواصل، فقد ورد (١٩٥) مرة بنسبة ٦٨,٢٪ تقريباً إلى المجموع الكلي لعدد آيات السورة وهو (٢٨٦) آية.

يليه حرف الميم، فقد ورد {٥٤} مرة بنسبة ١٨,٩٪ تقريباً إلى المجموع الكلي لعدد آيات السورة وهو (٢٨٦) آية، ويرجع ذلك إلى أنهما حرفان متقاربان في المخرج، ومتفارقان في الصفة، فكلاهما حرف أنيفي^(٢) مجهور، بمعنى أن الهواء المحبوس يخرج عن طريق الأنف، ويتدبر الوتران الصوتيان عند النطق بهما، إلا أن الميم تنطق عن طريق انتبات الشفتين انتباتاً تاماً، فينحبس الهواء، أما النون فتنطق عن طريق اعتماد طرف اللسان على أصول الأسنان العليا مع اللثة فينحبس الهواء.

(١) وردت الأحرف الستة الأولى على النحو التالي:

- الباء (٩) مرات {٢٠٢،٢١٢،٢٠٢،٢٦٩،١٩٧،٢١٤،١٩٦،١٦٥،١٦٦،٢١١،١٩٦،٢٠٣،٢٥٣}.
- الدال (٧) مرات {٢٠٦،٢٠٥،٢٠٧،١٢٥،٢٦٧،١٧٦،٢٥٣}.
- الراء (١٩) مسرة {٢١٠،٢١٠،١٤٨،١٤٨،١٠٩،١٠٩،١٠٦،٢٠٢،٢٦٥،٢٣٧،٢٣٣،١١٠،٢٨٤،٢٥٩،١٤٨،١٠٩،١٠٦،٢٠٢،٢٧٠،٢٨٥،١٢٦،٢٨٤،٢٥٩}.
- اللام مرة واحدة {١٠٨}.

- القاف مرة واحدة {٢٠٠}.
- الميم (٥٤) مسرة {١٠٤،٢٧٦،١،٢٣٥،٢٦٠،٢٤٠،٢٢٨،٢٢٥،٢٢٠،٢٠٩،١٢٩،٣٢،١١٩،١٧٨،١٧٤،١٠٤،٢٧٦}.
- الميم (٥٤) مسرة {١١٤،١٠٥،٤٩،٧،٢٢٦،٢١٨،١٩٩،١٩٢،١٨٢،١٧٣،١٦٣،١٦٠،١٤٣،١٢٨،٥٤،٣٧،٢٠٤،٢٦٣}.
- الميم (٥٤) مسرة {٢٧٣،٢٦٨،٢٦١،٢٥٦،٢٤٧،٢٤٤،٢٣١،٢٢٧،٢٢٤،٢١٥،١٨١،١٥٨،١٣٧،١٢٧،١١٥،٢٩،٢٥٥}.
- الميم (٥٤) مسرة {٢١٣،١٤٢،٢٨٣،٢٨٢}.

(٢) د. كمال محمد بشر، علم اللغة العام، الأصوات، دار المعارف بالقاهرة، ١٩٧٣م، ص ١٣٠.

- الأفعال الخمسة المرفوعة بثبوت النون (٩٦) مرة، وأياتها هي:

{٤٨، ٤٤، ٤٢، ٣٨، ٣٣، ٣٠، ٢٨، ٢٢، ٢١، ١٨، ١٧، ١٥، ١٣، ١٢، ١٠، ٩، ٦، ٤، ٣،
 ، ٧٨، ٧٧، ٧٦، ٧٥، ٧٤، ٧٣، ٧٢، ٧١، ٦٨، ٦٣، ٦٢، ٦١، ٥٩، ٥٧، ٥٦، ٥٥، ٥٣، ٥٢، ٥٠
 ، ١٤١، ١٤٠، ١٣٤، ١٢٣، ١١٨، ١١٣، ١١٢، (١٠٣-١٠٠)، ٩٦، (٨٨-٨٤)، ٨٠، ٧٩
 ، ١٧٩، ١٧٢، ١٧١، ١٧٠، ١٦٩، ١٦٤، ١٦٢، ١٥٤، ١٥٢، ١٥١، ١٥٠، ١٤٩، ١٤٦، ١٤٤
 ، ٢٦٢، ٢٤٥، ٢٤٣، ٢٤٢، ٢٣٩، ٢٣٢، ٢٣٠، ٢٢١، ٢١٩، ٢١٦، ٢٠٣، (١٨٩-١٨٣)
 . ٢٨١، ٢٨٠، ٢٧٩، ٢٧٧، ٢٧٤، ٢٧٢، ٢٦٦

- اسم الفاعل المجموع جمع تصحيح للمذكر (٨٦) مرة، وأياته هي:

{٤٦، ٤٥، ٤٣، ٣٩، ٣٥، ٣٤، ٣١، ٢٧، ٢٦، ٢٥، ٢٤، ٢٣، ١٩، ١٦، ١٤، ١١، ٨، ٥، ٢،
 ، ٩٩، ٩٨، ٩٧، (٩٥-٩١)، ٨٩، ٨٣، ٨٢، ٨١، ٧٠، ٦٩، ٦٧، ٦٦، ٦٥، ٦٤، ٦٠، ٥٨، ٥١
 ، ١٤٧، ١٤٥، ١٣٩، ١٣٨، ١٣٦، ١٣٥، (١٣٣-١٣٠)، ١٢٤، ١٢٢، ١٢١، ١١٦، ١١١
 ، ٢١٧، ١٩٨، ١٩٥، ١٩٤، ١٩٣، ١٩١، ١٩٠، ١٨٠، ١٧٧، ١٥٩، ١٥٧، ١٥٦، ١٥٥، ١٥٣
 ، ٢٦٤، ٢٥٨، ٢٥٧، ٢٥٤، ٢٥٠، ٢٤٩، ٢٤٨، ٢٤٦، ٢٤١، ٢٣٨، ٢٣٦، ٢٢٩، ٢٢٣، ٢٢٢
 . ٢٨٦، ٢٧٨، ٢٧٥

فقد ورد اسم الفاعل المجموع جمع مذكر سالم (١٠٩) مرة في سورة البقرة بنسبة ٥٪ تقريباً إلى المجموع الكلي لعدد وورد اسم الفاعل وهو (٢٢٠) مرة منها (٨٦) مرة، جاءت في فواصل الآيات، ويرجع ذلك إلى كثرة مجيء حرف النون في فواصل الآيات، ولا يناسب ذلك إلا وورد اسم الفاعل في صيغة الجمع المذكر ليؤدي مع غيره من الكلمات النونية إلى حدوث التناسب والتنغيم الصوتي في فواصل الآيات.

ثانيًا: الحالات الإعرابية لاسم الفاعل في سورة البقرة، والوظائف النحوية التي شغلتها في هذه الحالات.

وقع اسم الفاعل في الحالات الإعرابية الثلاث، الرفع والنصب والجر، وذلك على النحو التالي:

أ- حالة الرفع {٧٩} مرة .

شغل اسم الفاعل بعض الوظائف النحوية التي تخص حالة الرفع وهي:

- ١- المبتدأ، ورد مرتين {٤٤، ٢٣٣}.
- ٢- خبر المبتدأ (٤٢) مرة {٢٢٩، ٩٢، ٥١، ٢٥٩، ٢٧٥، ٢٥٧، ٢١٧، ٨٢، ٣٩، ٢٥}.
- ٣- الفاعل (٨) مرات {١٥٦، ٥٥، ٢٧٣، ٢٦٥، ٢٦٤، ١٥٩، ٢٨٢، ٩٩}.
- ٤- نائب الفاعل ورد مرتين {٢٣٣، ٢٨٢}.
- ٥- خبر حرف ناسخ «إن» (١٢) مرة {١١٥، ٢٨٣، ١٥٨، ١٥٦، ٤٦، ٣٠، ١٢٤}.
- ٦- صفة مرفوع (١٣) مرة {٩٤، ٢٠، ١٠١، ٨٩}.
- ٧- معطوف على مرفوع وردمرة واحدة {٢٨٥}.

ب- حالة النصب (٥٣) مرة .

شغل اسم الفاعل بعض الوظائف النحوية التي تدخل في دائرة النصب وهي:

- ١- خبر «كان» (١٠) مرات {١٦، ٢٧٨، ٢٤٨، ٩٣، ٩١، ١١١، ٩٤، ٣١، ٢٣، ١٩٦}.
- ٢- المفعول به (٢١) مرة {٦٢، ٢٥٦، ١٢٦، ٢٨٣، ٦٩، ١٢٧، ٢٦، ١٢٤، ١٧٧، ١٥٥}.
- ٣- الحال (١١) مرة {٢٥، ٩٧، ٩١، ٤١، ٦٠، ٢١٣، ١١٤، ١٠٩، ٢٣٨، ٩٤، ١٦٢}.
- ٤- صفة لمنصوب (٨) مرات {١٢٨، ٢١٣، ٣٣، ٢٣٣، ٢٦٤، ٢٥٨، ٦٥، ٢٨٢}.
- ٥- معطوف على منصوب (٣) مرات {٢١٣، ٦٢، ١٧٧}.

جـ- حالة الجر (٨٨) مرة .

١- الجر بالحرف وينقسم إلى قسمين:

أ- متعلق بمحذوف ويشغل وظيفة إعرابية:

- متعلق بمحذوف (١) خبر لمبتدأ (٩) مرات {٢٣٣، ١٨٠، ١٠٤، ٩٠، ٨٩، ٢٧٠} مرات {٢٣٦، ١٠٢} مرتين).

- متعلق بمحذوف خبر فعل (٢) ناسخ «كان» (٨) مرات {٦٧، ٣٤، ٣٥، ١٩٨، ٢٦٧} مرات {١٤٧، ١٣٥، ٦٤}.

- متعلق بمحذوف خبر حرف (٣) ناسخ «إن» ورد مرتين {١٤٥، ١٣٠}.

- متعلق بمحذوف صفة (٣) مرات {٦٦، ٩٨، ١٦٧}.

بـ- متعلق بذكر في الجملة، وهو ثلاثة أنواع هي:

- متعلق بالفعل (٦) مرة {٤٢، ٥٤، ٢٢٠، ٢١٧، ٢٠١، ٨٦، ٤} مرات {١٨٨، ٤٣} مرتين).

. {٢٢٠، ١٨٢، ١٩، ١١٩، ٢٤، ١٢٥}.

- متعلق بالمصدر (٩) مرات {١١٤}.

. {٢٤١، ١٨٠، ٢٣٦، ٩٧، ٨٣، ١٩٣، ٤٥، ٢٠٠}.

- متعلق بالوصف (٨) مرات {٢٢١، ٢١٥، ١٩، ٢٤٦، ٩٥، ١٣٠} مرتين).

. {٢٢٠}.

٢- الجر بالإضافة (١٠) مرات {١٧٣، ١٥٣، ١٨٦، ١٦٤، ١٧٣}.

. {١٩٤، ١٩١}.

٣- صفة لمجرور (١٠) مرات {٢٨٦، ٢٥٠، ١٢٥، ٢٦٤، ٣٣٢، ٢٢٨، ١٧٧، ١٢٦، ٦٢، ٨}.

٤- مجرور بالحرف خبر «ما» (٤) الحجاجية (١٠) مرات {١٤٠، ٨٥، ٧٤، ١٠٢}.

. {١٦٧، ٨، ٩٦، ١٤٥، ١٤٤، ١٤٩}.

٥- معطوف على مجرور (٣) مرات {١٧٣، ١٠٥، ١٢٥}.

(١) تعدد هذه الحالة من حالات الرفع .

(٢) تعدد هذه الحالة من حالات التنصب .

(٣) تعدد هذه الحالة من حالات الرفع .

(٤) تعدد هذه الحالة من حالات التنصب .

ما تقدم من عرض للحالات الإعرابية، والوظائف النحوية التي شغلها اسم الفاعل في هذه الحالات يتبيّن أن اسم الفاعل ورد مرفوعاً (٧٩) مرة، وكانت أكثر الوظائف النحوية استعمالاً في حالة الرفع هي وظيفة الخبر، فقد وردت (٥٤) مرة موزعة كالتالي:

- خبر مبتدأ (٤٢) مرة . - خبر حرف ناسخ «إن» (١٢) مرة .

بنسبة ٤٦,٨٪ تقريباً إلى المجموع الكلي لحالة الرفع .

كما جاء اسم الفاعل منصوباً (٥٣) مرة وكانت أكثر الوظائف وروداً في حالة النصب هي وظيفة المفعول به، فقد وردت (٢١) إحدى وعشرين مرة بنسبة ٣٩,٦٪ تقريباً، يليها وظيفة الحال فقد وردت (١١) إحدى عشرة مرة بنسبة ٢٠,٨٪ تقريباً إلى المجموع الكلي لحالة النصب .

أما حالة الجر، فقد ورد اسم الفاعل مجروراً (٨٨) مرة منها (٧٥) خمس وسبعون مرة جُرّ فيها بالحرف بنسبة ٨٥,٢٪، وجاء مجروراً بالإضافة (١٠) مرات، بنسبة ١١,٣٪ إلى المجموع الكلي لحالة الجر .

ثالثاً: اسم الفاعل العامل في سورة البقرة:

جاء اسم الفاعل عاماً في سورة البقرة، وتنوع العمل بين الرفع والنصب وذلك على التّحو التالي :

أ- عمل الرفع:

رفع اسم الفاعل، الاسم الواقع بعده على الفاعلية في موضعين هما:

- قوله تعالى: «وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبَهُ» [البقرة: ٢٨٣] .

(١) قرئت الآية بنصب كلمة «قلبه» واختلف في إعرابها على ثلاثة أوجه هي:

١- أنها منصوبة على التمييز، وهو وجه ضعيف لأنها معرفة.
٢- أنها منصوبة على التشبيه بالمفعول به.
٣- أنها بدل من اسم إن «الضمير» بدل بعض من كل، ولا يمنع ذلك الفصل بين البدل والمبدل منه بالخبر «آثم». أبو حيان، البحر المحيط ٧٤٦/٢ .

- قوله سبحانه: «إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفَرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنَهَا» [البقرة: ٦٩].

فاسم الفاعل في الآيتين السابقتين، جاء منوناً، فرفع ما بعده على الفاعلية^(١)، وهو كلمة «قلبه» في الآية الأولى، و«لونها» في الآية الثانية، وقد اعتمد اسم الفاعل في الآية الأولى على مخبر عنه «اسم إن» كما اعتمد في الآية الثانية على موصوف هو «بقرة»، وهذا يؤيد ما ذهب إليه النحويون من ضرورة أن يعتمد اسم الفاعل على شيء إذا جاء مجرداً من «آل» ودل على الحال أو الاستقبال.

بـ- عمل النصب:

جاء اسم الفاعل عملاً للنصب، وهو مجرد من «آل» في عشرة مواضع:

١ - قوله تعالى: «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً» [البقرة: ٣٠].

فاسم الفاعل «جاعل» في الآية السابقة يراد به الاستقبال، لذلك عمل، فقد نصب خليفة على المفعولية، ويرتبط تأثيره الإعرابي هنا بالمعنى الذي يدل عليه في السياق، فإن كان «جاعل» بمعنى خالق، تعود إلى مفعول به واحد هو «خليفة»، أما إن كان بمعنى «مُصِيرٍ»، فيتعدى إلى مفعولين، الأول «خليفة»، والثاني هو الجار والمجرور^(٢) «في الأرض».

ويرى أبو حيان أن المعنى الأول وهو الخلق أرجح، لدلالة السياق عليه، فقد قالوا: «أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا» ظاهر هذا أنه مقابل «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً» ، فلو كان يجعل الأول على معنى التصريح لذكره ثانية فكان: أيجعل فيها خليفة من يفسد فيها^(٣).

(١) لـ «آئم» وجهان آخران من الإعراب:

أ- يجوز عند الزمخشري أن يكون «آئم» خبراً مقدماً، و«قلبه» مبتدأ متأخراً، والجملة خبر إن. ينظر: الزمخشري، الكشاف ١/٣٢٩.

ب- يرى ابن عطية أن «آئم» مبتدأ، و«قلبه» فاعل سد مسد الخبر، وهذا لا يجوز عند البصريين لعدم اعتماده على أداة نفي أو أداة استفهام. ينظر: أبو حيان، البحر المحيط ٢/٧٤٦.

(٢) العكري، التبيان في إعراب القرآن، القسم الأول، ص ٤٧.

(٣) أبو حيان، البحر المحيط ١/٢٢٦.

وهنا يتضح مدى أهمية الجانب الدلالي في تحديد معنوي العامل «الصيغة» ومدى تأثيره الإعرابي في عناصر الجملة، فاسم الفاعل «جاعل» في الآية السابقة ينص مفعولاً به واحداً، هو كلمة «خليفة» لدلالته على الخلق.

٢- قوله تعالى: «وَأَمْتُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ» [البقرة: ٤١].

٣- قوله سبحانه: «وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ» [البقرة: ٩١].

٤- قوله تعالى: «فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ» [البقرة: ٩٧].

٥- قوله عزَّ وجلَّ: «وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ» [البقرة: ٨٩].

٦- قوله سبحانه: «وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ» [البقرة: ١٠١].

فكلمة «مصدق» في الآيات الخمس السابقة اسم فاعل من الفعل الثلاثي المزيد بتضييف العين « فعل» وقد جاء منوناً دالاً على الاستقبال، وقد عمل النصب في محل اسم الموصول «ما» المجرور بحرف الجر «اللام» التي تفيد التقوية^(١)، وقد اعتمد اسم الفاعل المنصوب «مصدقاً» في الآيات من (٤-٢) على صاحب الحال وهو الضمير، سواء كان ظاهراً، أو مستترأً كما في الآية الأولى، واعتمد اسم الفاعل المرفوع «مصدق» في الآيتين الأخيرتين (٦-٥) على المخبر عنه «كتاب» و«رسول»، وهذا يؤيد ما قاله النحاة من ضرورة اعتماد اسم الفاعل المجرد من «آل» على شيء يقربه من الفعلية.

٧- قوله تعالى: «وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ» [البقرة: ٧٢].

فاسم الفاعل «مخرج» في الآية السابقة، وإن كان من حيث المعنى ماضياً، إلا أنه على حكاية الحال، فقد حكى ما كان مستقبلاً وقت^(٢) التدارُؤ، ويرى الزجاج^(٣) أنه يدل على الحال أو الاستقبال. فنصب اسم الموصول «ما» ويجوز أن تكون «ما» مصدرية، ويكون المصدر بمعنى المفعول، أي: يخرج كتمكم، أي: مكتومكم^(٤).

(١) ينظر: محمد عبد الخالق عصيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، القسم الثاني، الجزء الثالث ص ٣٢٩.

(٢) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط ٤١٩/١.

(٣) ينظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه ١٥٤/١.

(٤) العكري، التبيان في إعراب القرآن، القسم الأول، ص ٧٨.

فاسم الفاعل «مخرج» جاء منوناً، ويدل على الحال أو الاستقبال، وقد اعتمد على المخبر عنه وهو هنا «لفظ الجملة» لذلك عمل النصب في الاسم الواقع بعده وهو «ما».

٨ - قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤].

فاسم الفاعل «جاعل» جاء منوناً دالاً على الحال أو الاستقبال، وقد اعتمد على المخبر عنه وهو «اسم إنّ»، وقد تعدد - مثل فعله - إلى مفعولين الأول الضمير «الكاف» وقد أضيف إليها، والثاني الاسم الظاهر وهو «إماماً».

٩ - قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قَبْلَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قَبْلَهُمْ بَعْضٌ﴾ [البقرة: ١٤٥].

جاء في الآية السابقة اسم الفاعل «تابع» مرتين، وهو اسم منون يدل على الحال أو الاستقبال، وقد اعتمد على المخبر عنه وهو «أنت» و«بعضهم»، ولذلك عمل النصب في الاسم الواقع بعده وهو «قبلة» على المفعولية.

١٠ - قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهٍ هُوَ مُوْلَيهَا﴾ [البقرة: ١٤٨].

فاسم الفاعل في الآية السابقة «مولٌّ» مشتق من الفعل الثلاثي المزيد بتضييف العين «وليٌّ»، وهو يتعدى لفهولين، الأول هو الضمير «ها» والثاني^(١) محذوف يدل عليه سياق الكلام، والتقدير: مولّها وجهه^(٢) أو نفسه.

ويلاحظ أن اسم الفاعل العامل في سورة البقرة لم يأت إلا على صورة واحدة هي كونه مجرداً من «آل» فلم يأت مقترناً بـ«آل».

* وقد جاء اسم الفاعل مضافاً في بعض المواقع، وذلك على النحو التالي:

أ - إضافته إلى الاسم الظاهر:

أضيف اسم الفاعل إلى الاسم الظاهر في ثلاثة مواقع هي:

١ - قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظْنُونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٦].

فاسم الفاعل في الآية السابقة جاء نكرة، وقد أضيف إلى الاسم الظاهر «ربهم»،

(١) العكبري، التبيان في إعراب القرآن، القسم الأول، ص ١٢٧ .

(٢) ينظر: أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن ١ / ٢٧١ .

«ولم يقع^(١) الفعل». واسم الفاعل المتون يجوز فيه وجهان النصب والجر، وقد جاء هنا على الوجه الثاني.

وأصله «ملاقون» وحذفت النون للتخفيف^(٢)، وهو بمعنى الحال أو الاستقبال وإضافته إضافة لفظية «غير ممحضة»^(٣)، فالنون حذفت هنا منعاً للثقل وطلبًا للخفة، كقوله تعالى: «إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ» [القمر: ٢٧]. وهذا قبل الإرسال، ولكن حذفت النون استثنالاً^(٤).

٢- قوله تعالى: «قَالَ الَّذِينَ يَظْهُرُونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهَ» [البقرة: ٢٤٩].

فقد أضيف اسم الفاعل «ملاق» في الآية السابقة إلى لفظ الحالة واسم الفاعل هنا يدل على الاستقبال، وقد أضيف إلى معموله، وهذا جائز، وقد حذفت النون للإضافة.

٣- قوله تعالى: «ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرٍ الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ» [البقرة: ١٩٦].
فاسم الفاعل الجمع «حاضر» في الآية السابقة جاء خبراً لكان وقد أضيف إلى اسم ظاهر، وحذفت نونه بسبب الإضافة.

ب- إضافته إلى ضمير:

أضيف اسم الفاعل في سورة البقرة للضمير في أربعة مواضع هي:

١- قوله تعالى: «فَتُوبُوا إِلَيَّ بَارِئُكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ» [البقرة: ٥٤].

فقد جاء هنا اسم الفاعل «بارى» مجروراً مرتين، وأضيف إلى معموله «الضمير»، وهنا تتعين إضافته لأن ما بعده جاء ضميراً.

٢- قوله تعالى: «وَأَنْقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ» [البقرة: ٢٢٣].

فقد جاء في الآية السابقة، اسم الفاعل «ملاق» نكرة وهو يدل على الاستقبال، وقد أضيف إلى معموله «ضمير لفظ الحالة» وحذفت النون للإضافة.

(١) ينظر: الأخفش، معاني القرآن / ١ / ٨٩ . (٢) ينظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه / ١ / ١٢٧ .

(٣) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط / ١ / ٣٠٠,٣٠١ . (٤) الأخفش، معاني القرآن / ١ / ٨٩ .

٣ - قوله تعالى: «وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُعْمِضُوا فِيهِ» [البقرة: ٢٦٧].

فاسم الفاعل في الآية السابقة «أخذ» جاء نكرة دالاً على الاستقبال، وقد أضيف إلى ضمير الغائب المذكر «الهاء». إلى ضمير الغائب المذكر «الهاء».

٤ - قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِكُمْ^(١) بِنَهَرٍ» [البقرة: ٢٤٩].

فقد أضيف هنا اسم الفاعل «مبتل» إلى ضمير المخاطب الجمع، فاسم الفاعل في الموضع الأربعه السابقة جاء مضافاً إلى ضمير وهنا تتعين إضافته لوقوع الضمير بعده.

* ■ *

القسم الثاني:

المبحث الثاني: اسم الفاعل والظواهر النحوية:

يرتبط اسم الفاعل ببعض الظواهر النحوية حال دخوله في التراكيب اللغوية، وهي: ١ - ظاهرة التكير والتعريف .

٢ - ظاهر العامل .

٣ - ظاهرة التقديم والتأخير .

٤ - ظاهرة التكير والتعريف: لاسم الفاعل صورتان:

أ - أن يكون مجرداً من «أَل» وحيثئذ يكون منوناً.

ب - أن يقترن به «أَل».

ويكون في الصورة الأولى نكرة لتنوينه، ويكون في الصورة الثانية معرفاً بألف التي تدل على اسم الموصول «الذى»، نحو: الضارب والكاتب إلخ.

وإذا أضيف الاسم على إطلاقه إلى اسم محلى بألف، أو إلى ضمير اكتسب عن طريق هذه الإضافة التعريف مما أضيف إليه، مثل: غلامُ خالدٍ، وكتابُ عليٍّ، وغلامُه،

(١) قرأ الجمهور: بنهر، بفتح الهاء، وقرأ مجاهد، وحميد الأعرج وأبو السمّاك وغيرهم بإسكان الهاء في جميع القرآن. ينظر: أبو حيان، البحر المحيط ٥٨٦/٢.

وكتابه؛ لأن الإضافة هنا إضافة محضة «معنوية» تفيد معنى التعريف، ولو أضيف إلى نكرة اكتسب معنى التخصيص، نحو: غلام رجل.

أما اسم الفاعل فإذا أضيف إلى ما بعده، حذف التنوين طلباً للخفة، ولا يتغير من المعنى شيء، يقول سيبويه: «وليس يغير كف التنوين إذا حذفته مستخفاً شيئاً من المعنى ولا يجعله معرفة»^(١).

إضافة اسم الفاعل إلى ما بعده إضافة لفظية، الغرض منها غرض لفظي وهو التخفيف من ثقل التنوين، فهي إضافة غير محضة ولا يكتسب اسم الفاعل منها التعريف أو التخصيص، بل يبقى نكرة كما كان قبل دخوله في التركيب الإضافي. وأمثلة ذلك قوله تعالى: «هَدِيَا بَالِغُ الْكَعْبَةِ» [المائدة: ٩٥].

فقد أضيف اسم الفاعل «بالغ» إلى اسم معرف بالألف واللام هو «الكعبة» وحذف التنوين استخفاً، ومع هذا لم يكتسب اسم الفاعل من المضاف إليه التعريف، وبقي على تنكيره، فالإضافة هنا إضافة لفظية غير محضة؛ لأنها على نية الانفصال.

فاسم الفاعل «بالغ» هنا لا زال نكرة، وهو على إرادة التنوين، فلو لم يكن على إرادة التنوين «لم يكن صفة لهدي، وهو نكرة»^(٢).

- قوله تعالى: «هَذَا عَارِضٌ مُمْطَرُنَا» [الأحقاف: ٢٤].

فقد جاء اسم الفاعل «ممطر» مضافاً إلى الضمير «نا»، ومع هذا لم يكتسب التعريف، وبقي على تنكيره، والدليل على ذلك أنه وقع صفة للخبر النكرة «عارض»، فلو لم يكن على التنوين ما جاز أن يكون صفة للنكرة، فالإضافة هنا إضافة لفظية، الغرض منها التخفيف من ثقل التنوين.

- قوله تعالى: «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ» [العنكبوت: ٥٧، الأنبياء: ٣٥].

فقد أضيف اسم الفاعل المؤنث «ذائقـة» إلى الكلمة معرفة بالألف واللام هي

(١) سيبويه، الكتاب ١/١٦٥.

(٢) المبرد، المقتضب ٤/١٤٩، ابن السراج، الأصول في النحو ١/١٢٦-١٢٧، ابن يعيش، شرح المفصل ٦٨/٦.

«الموت»، ولم يكتسب التعريف؛ لأنه جاء صفة للنكرة قبله «نفس»، فاسم الفاعل هنا يحكم عليه من حيث دلالته بأنه نكرة، ويتربى على ذلك أن يعامل معاملة النكرة في الجملة، ومن هنا يتحكم العنصر الدلالي في العنصر الصوتي المنطوق، ويفرض نفسه عليه⁽¹⁾

فاسم الفاعل المضاف هنا إلى معرفة، لم يكتسب التعريف مما بعده وبقي نكرة، ودليل ذلك وقوعه صفة للنكرة. وهناك أدلة أخرى على تنكيره رغم إضافته إلى معرفة، ومنها:

أ- وقوعه حالاً في بعض التراكيب رغم إضافته إلى مضاد إلى معرفة، كقوله تعالى: «ثَانِي عَطْفٍ لِيُضْلِلُ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» [الحج: ٩] فكلمة «ثاني» تشغل وظيفة الحال، وهي مع إضافتها إلا أنها تعد نكرة، لأن الحال لا تكون إلا نكرة^(٢) فالالأصل في الحال التنكير.

ب- دخول رُبَّ علیه ، کقول جریر:

يا رب غابطنا لو كان يطلبكم لاقى مباعدة منكم وحرمانا

و«رُبَّ» حرف لا يجر إلا النكيرات، واسم الفاعل «غابط» هنا أضيف في البنية المنطقية إلى ضمimir معرفة، إلا أنه بعد نكرة في البنية العميقـة «المقدّرة»، بدلـيل وقوعه بعد ما يختص بالنكيرات، وقد حذف الشاعر التنوين استخفافاً، و«وهو يريد رُبَّ غابـط لنا»^(٣)

جـ- دخول «أـلـ» عليه رغم إضافته نحو: الضارب الرجل، والضاربـا زيدـ، ولا تقول الغلامـ الرجلـ، ولا الغلامـا زيدـ، فاسم الفاعل هنا نكرة؛ لأنـه على إرادة التنوين^(٤) والانفصالـ.

وقد يتعرف اسم الفاعل إذا حل محل اسم معرفة، فالجانب الدلالي له دور مهم في

(١) د. محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة ص. ١٥٠.

١٥٠ / ٤) المقاضي، المدد (٣، ٢)

(٤) ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل ٦/٦٨.

تحديد حالته من التنکير والتعريف، يقول سيبويه: «وزعم يونس والخليل أن هذه الصفات المضافة إلى المعرفة، التي صارت صفة للنكرة قد يجوز فيهنَ كلهنَ أن يكنَ معرفة، وذلك معروف في كلام العرب. بذلك على ذلك أنه يجوز لك أن تقول: مررت بعد الله ضاربك، فجعلت ضاربك بمنزلة صاحبك»^(١).

فالاهتمام بالجانب الدلالي لاسم الفاعل، والحمل على البديل في المعنى، الذي هو معرفة عن طريق الإضافة، ساعد على دخول اسم الفاعل المضاف إلى معرفة في دائرة التعريف.

٢- ظاهرة العامل:

يُعمل اسم الفاعل حملاً على الفعل المضارع الذي هو بمعناه، والحمل هنا يعتمد على الجانب اللفظي والجانب الدلالي، ويُعمل اسم الفاعل عمل فعله في التعدي واللزم، فاسم الفاعل محمول في العمل على الفعل.

والأصل في العمل عند النحوين للأفعال، ومن هنا اكتسبت الأفعال قوة في العمل، لأصالتها في ذلك، وحمل عليها الأوصاف «المشتقات» في العمل، لذلك فالوصف فرع في العمل على الفعل، والفرع ينحط عن درجة الأصل «فلما كانت أسماء الفاعلين فروعًا على الأفعال كانت أضعف منها في العمل»^(٢).

وهناك دليلان على ضعف اسم الفاعل في العمل، عند النحوين وهما:

أ- أنه يتعدى أحياناً إلى المعمول بحرف جر هو اللام، وذلك لضعفه، نحو:

خالدُ ضاربُ لعمره، ولا يجوز ذلك في الفعل، فلا يقال: ضربت لزيد «قال تعالى: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا﴾» [الشعراء: ٢٠]، فعدى الفعل بنفسه، وقال تعالى: ﴿فَعَالَ لِمَا بِرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧، والبروج: ١٦]، فعدى الاسم باللام»^(٣).

وقد تعدى اسم الفاعل بحرف الجر اللام في سورة البقرة في الآيات الآتية:

(١) سيبويه، الكتاب /٤٢٨.

(٢) ابن عييش، شرح المفصل /٦٧٨.

(٣) المرجع السابق نفسه

- «مَصْدِقًا لِمَا مَعَكُمْ» [البقرة: ٤١]. - «مَصْدِقًا لِمَا مَعَهُمْ» [البقرة: ٨٩].

- «مَصْدِقًا لِمَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ» [البقرة: ٩٧]. - «مَصْدِقًا لِمَا مَعَهُمْ» [البقرة: ٩١].

واختصاص اللام هنا بتعددي اسم الفاعل إلى المفعول به من بين حروف الجر يرجع إلى إفادتها التخصيص^(١) المناسب بين العامل والمعمول.

بـ- ضرورة اعتماده على مخبر عنه أو موصوف أو صاحب حال، أو نفي أو استفهام «وَهَذِهِ الْأَمَاكِنُ لِلأَفْعَالِ، وَالْأَسْمَاءُ فِيهَا فِي تَقْدِيرِ الْأَفْعَالِ، لَا تَرَى أَنَّ الْخَبَرَ فِي الْحَقِيقَةِ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْفَعْلِ... وَكَذَلِكَ الصَّفَةُ وَالْحَالُ لِأَنَّكَ إِنَّمَا تَحْكِيمُهُ بِفَعْلٍ أَوْ مَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ فَعْلٌ، وَأَمَّا الْاسْتِفَهَامُ فَهُوَ فِي مَوْضِعِ الْأَفْعَالِ... وَكَذَلِكَ النَّفِيُّ، فَاسْمُ الْفَاعِلِ لِضَعْفِهِ فِي الْعَمَلِ لَا يَعْمَلُ أَوْ يَعْتَمِدُ، وَالْفَعْلُ فِي قُوَّتِهِ لَا يَفْتَرِرُ إِلَيْهِ ذَلِكُ»^(٢).

فاسم الفاعل ضعيف في العمل لفرعيته، لذلك يحتاج إلى ما يقويه وذلك عن طريق اللام التي تساعده على الوصول إلى المعمول، أو عن طريق الاعتماد الذي يقربه من الفعل.

وقوة الفعل في العمل ترتبط بموقعه في الجملة، فموقعه في صداراة الجملة يكسبه قوة أو بمعنى آخر يحافظ على قوته التأثيرية في غيره أما إذا تزحزح عن الصداراة، بأن أصبح غير متقدم على معموله، فإن ذلك قد يضعف من قوته في العمل، ولذلك قد يحتاج حينئذ إلى اللام لتقويته عند تقدم معموله عليه، يقول رضي الدين: «يجوز أن يعمد الفعل باللام إذا تقدم عليه المتصوب، كقوله تعالى: «لِلرَّؤْيَا تَعْبُرُونَ»^(٣)، وقولك: لزيد ضربت»^(٤).

وما ذهب إليه رضي الدين يعدّ نادراً، فقد جاء المعمول «المتصوب» متقدماً على العامل «ال فعل» ، ولم يعمد الفعل باللام، قال تعالى: «فَفَرِيقًا كَذَبْتُمْ وَفَرِيقًا قُتْلُوكُمْ» [البقرة: ٧٨]، ونقول: زيداً ضربت، والكتاب قرأته، وهو الكثير في الاستعمال.

(١) ينظر: رضي الدين، شرح الكافية ٢٠٢/٢.

(٢) ابن عييش، شرح المفصل ٦/٧٨-٧٩.

(٣) يوسف / ٤٣.

(٤) رضي الدين، شرح الكافية ٢٠١/٢.

فالعمل هنا ارتبط بظاهرة الأصل والفرع، وهي بدورها ارتبطت بظاهرة القوة والضعف، وارتبط الفرع بالانحطاط والضعف، وهي أمور لا تناسب مع الواقع اللغوي المنطوق؛ لأنها أمور تعليلية خارجة عن طبيعة اللغة.

أما عن تعدى اسم الفاعل بحرف اللام إلى معموله، فهو يشبه بعض الأفعال في ذلك، فهناك أفعال تتعدى بنفسها كما تتعدى باللام، مثل: شكر، ونصح، وزن، نحو: شكرته وشكرت له، ونصحته ونصحت له، وزنته وزنت له. والأكثر في الاستعمال هو مجيء الفعل هنا بحرف الجر اللام.

فقد جاء الفعل «شكراً» في القرآن الكريم متعدياً باللام في كل الموضع إلا موضعاً واحداً تتعدى فيه بنفسه، فمن أمثلة تعديه^(١) باللام قوله تعالى:

- «أن اشكر لله» [لقمان: ١٢].

- «أن اشكر لي ولوالديك» [لقمان: ١٤].

- «واشكروا لي ولا تكفرون» [آل عمرة: ١٥٢].

- «ومن شكر فإنا يشكر لنفسه» [النمل: ٤٠].

ومثال تعديه بنفسه قوله تعالى: «واشكروا نعمة الله» [آل عمرة: ١١٤].

ويلاحظ أن المشكور إن لم يكن ذاتاً فإن الفعل شكر يتعدى إليه بنفسه وإن كان ذاتاً تعدى إليه بحرف الجر اللام.

ولكثرة ورود الفعلين «شكراً ونصح» بحرف الجر اللام، يقول^(٢) الفراء: «العرب لا تcad تقول: شكرتُك، إنما تقول: شكرتُ لك، ونصحتُ لك ولا يقولون: نصحتُك، وربما قيلنا، قال بعض الشعراء:

هم جمعوا بؤسِي ونعمَّى عليكم فهلا شكرت القوم إذ لم تقاتلِ
وقال النابغة:

نصحتُبني عوفِ فلم يتقبلوا رسولِي ولم تنجح لديهم وسائلِي

(١) وكذلك البقرة / ١٧٢، والعنكبوت / ١٧، وسباء / ١٥. (٢) الفراء، معاني القرآن / ٩٢ / ١.

فتعدى الفعل بنفسه أو بحرف جر، ظاهرة لغوية، يمكن حمل اسم الفاعل على الفعل فيها، فيكون اسم الفاعل متعدّياً بنفسه في موضع، ومتعدّياً بحرف الجر اللام في موضع آخر، وخصوصاً أنه جاء متعدّياً باللام في القرآن الكريم.

ويكون تفسير قولهم في اتصال اللام باسم الفاعل لتقويته مرتبًا بالحدث وتأكيده، وليس مرتبًا بالعمل وضعفه، فكما يتعدى الفعل مرة بنفسه ومرة بالحرف، فكذلك الوصف «اسم الفاعل».

٣- ظاهرة التقديم والتأخير:

يُعمل اسم الفاعل عمل الفعل المضارع إذا كان مجرداً من «أ» فيعمل مقدماً ومؤخراً^(١) ومظهراً ومضمراً، ويجوز - كما يجوز في الفعل - تقديم معموله عليه، نحو: هذا زيداً ضاربٌ، وزيداً هذا ضاربٌ، فضاربٌ هنا في معنى «يضرب^(٢)» فقد تقدم المعمول على اسم الفاعل في المثال الأول، وتقدم في المثال الثاني على المبتدأ الذي أخبر عنه باسم الفاعل.

أما إذا جاء اسم الفاعل مقترباً بأ نحو: زيدٌ الضاربُ عمرًا، فلا يجوز تقديم معموله عليه، فلا يقال: عمرًا زيدٌ الضارب؛ لأن معناه: زيد الذي ضرب عمرًا، ولا يجوز تقديم «عمرًا» «لأنه بعض الاسم إذ كان من صلته»^(٣). فأـ في اسم الفاعل اسم موصول بمعنى الذي، ولا يجوز تقديم الصلة أو بعضها على الموصول^(٤)؛ لأن «الصلة والموصول كاسم واحد لا يتقدم بعضه ببعض»^(٥).

وإذا جاء اسم الفاعل مجروراً بحرف جر أصلي أو بالإضافة، فلا يجوز تقديم معموله عليه ففي نحو: هذا غلامٌ قاتل زيداً، ومررت بضارب زيداً، لا يقال: هذا زيداً غلام قاتل، ولا مررت زيداً بضارب.

(١) ينظر: سيبويه، الكتاب ١٠٨/١.

(٢) ينظر: البرد، المقتضب ١٩٧/٣.

(٣) البرد، المقتضب ١٦٥/٤.

(٤) هناك أمثلة تركيبية يشترط فيها الترتيب فلا يجوز فيها تقديم الثاني على الأول نحو: الموصوف والصفة، والجار والجرور، والمضاف والمضاف إليه، والمعطوف عليه، والمعطوف إلخ.

(٥) البرد، المقتضب ١٩٧/٣.

أما إذا جُرَّ بحرف جَرَّ زائد، فيجوز عند قوم تقديمه نحو: ليس زيد عمرًا بضارب^(١). فالباء هنا زائدة في خبر «ليس»، وربما يرجع ذلك إلى أن الزائد يمكن الاستغناء عنه، فكأنه لا وجود له في التركيب، عكس حرف الجر غير الزائد.

وإذا جاء اسم الفاعل هو ومعطوف عليه خبراً عن مثنى أو وصفاً له، امتنع تقديم معوله عليه نحو: هذان ضاربٌ زيداً ومُكرمه، وجاء رجلان ضاربٌ زيداً ومُكرمه»^(٢).

فاسم الفاعل يجوز تقديم معوله عليه إلا في حالات ثلاث هي:

١ - إذا كان مقترنا بأل.

٢ - إذا جُرَّ بحرف جر غير زائد أو بالإضافة.

٣ - إذا وقع هو ومعطوفه خبراً عن مثنى أو وصفاً له.

ولأن أبنية المبالغة محولة عن اسم الفاعل، ويجوز في معولها التقديم كما يجوز في اسم الفاعل، ذكر سيبويه^(٣) أنه سَمِع من يقول: أما العسل فأنا شرَّاب. بتقديم معول صيغة المبالغة «فعال»، و«منع التقديم الفراء»^(٤) لضعفها في العمل»^(٥).

وتقديم عنصر من عناصر الكلام أو تأخيره لا يرتبط فقط بالجانب التععيدي، أي بما تمليه القواعد من ضرورة ترتيب عناصر الكلام، وإنما يرتبط أيضاً بالجانب الدلالي المقصود من سياق الكلام، فالعرب تقدم ما هم به أعنى وأحرص، فمن الثابت «أن التقدم يفيد معنى مغايراً لما يفيده التأخر»^(٦).

* ■ *

(١) ينظر: السيوطي، همع الهوامع ٩٦/٢.

(٢) الصبان، حاشية الصبان ٢٩٢/٢.

(٣) ينظر: سيبويه، الكتاب ١١١/١.

(٤) رُوي عن الكوفيين أنهم لا يجيزون عمل صيغ المبالغة. خالد الأزهري، شرح التصریح ٦٨/٢ . ورأى الفراء هنا دليلاً على أنه يرى جواز العمل.

(٥) ينظر: رضي الدين، شرح الكافية ٢٠٢/٢.

(٦) د. علي أبو المكارم، المدخل إلى دراسة التحوّل العربي، الجزء الأول، القسم الثاني ص ٣١٣.

* خاتمة البحث *

مما تقدم من دراسة نظرية لاسم الفاعل في الفكر الصرفى والنحوى ودراسة تطبيقية لحالات اشتقاقه وصور إعماله في سورة البقرة، يمكن رصد بعض النتائج ومنها:

١- اهتمام النحويين في العمل بالجانب الشكلي بين اسم الفاعل وما حُمل عليه، وهو الفعل المضارع، ويتمثل هذا الجانب الشكلي في أمرين:

أ- ضرورة الاتفاق اللغظى في الحركات والسكنات بين اسم الفاعل والفعل المضارع.

ب- ضرورة اعتماد اسم الفاعل على مخبر عنه أو موصوف أو صاحب حال أو نفي أو استفهام، حتى يقترب بذلك من دائرة الفعلية.

وهذه النظرة الشكلية، كانت الدافع عند الكوفيين إلى رفض عمل أبنية المبالغة؛ لأنها - عندهم - لا تتفق مع الفعل في الجانب اللغظى أى في الحركات والسكنات، وبناء على ذلك رفضوا الشواهد التي جاءت دليلاً على عمل صيغة المبالغة.

٢- ارتباط عمل صيغة المبالغة بقانون الكثرة والقلة، فذهب بعض البصريين إلى إعمال الصيغة الثلاثة الأول «فعال، مفعال، فعال» لكثرتها وروادها؛ ورفض بعضهم إعمال صيغتي « فعل وفِعل» لقلتهما في الاستعمال، ولم يحدّدوا العدد المسموح القياس عليه.

٣- استخدم النحاة بعض المصطلحات المرتبطة بظاهرة العامل، والبعيدة عن طبيعة اللغة، مثل الأصل والفرع، والقوية والضعف، والانحطاط وهي مصطلحات لا يجوز وجودها في مجال التعقيد اللغوي؛ لأنها بعيدة عن المنهج الوصفي للغة المنطقية.

٤- تناقض بعض الآراء المنسوبة للجرمي في عمل صيغة « فعل» من أبنية المبالغة، فقد ذكر الشيخ خالد الأزهري في [شرح التصريح ٦٨/٢] أن الجرمي أجاز إعمال « فعل» دون فعل؛ لأنه على وزن الفعل كعلم وفهم وفطن، بينما ذكر

السيوطى فى إهمع الهوامع ٩٧/٢، أن الجرمي أنكر « فعل » دون فعال؛ لأنه أقل وروداً، حتى إنه لم يسمع إعماله في نثر.

٥- يرى الفراء جواز إعمال صيغ المبالغة، وهو هنا بخلاف الكوفيين، فقد ذكر أن معمول صيغة « فعال » لا يجوز أن يتقدم عليها لضعف الصيغة في العمل أرضي الدين، شرح الكافية ٢٠٢/٢، وهذا دليل على أنه يقول بعملها.

٦- ورد اسم الفاعل في سورة البقرة (٢٢٠) مرة، منها (١٥٠) مرة اشتق فيها اسم الفاعل من الفعل الثلاثي بنسبة ٦٨,٢٪ تقريباً، والباقي وهو (٧٠) مرة، اشتق فيها من الفعل غير الثلاثي بنسبة ٣١,٨٪ تقريباً.

وأكثر الأوزان التي اشتق منها اسم الفاعل من الثلاثي هو وزن « فعل » بفتح العين، فقد جاء منه اسم الفاعل (١١٨) مرة بنسبة ٨٧,٧٪ تقريباً إلى المجموع الكلى للفعل الثلاثي البالغ عدده (١٥٠) مرة وأكثر الأوزان من غير الثلاثي، هو وزن « أفعال »، فقد ورد (٤٤) مرة بنسبة ٦٢,٨٪ تقريباً إلى المجموع الكلى لغير الثلاثي البالغ (٧٠) مرة.

٧- اشتق اسم الفاعل من بعض أوزان الأفعال مرة واحدة وهي:

- الرباعي المجرد « فعلل » (آية ٩٦).

- الثلاثي المزيد بحرفين « تفأعل » (آية ٢٥)، و« تفعّل » (آية ٢٢٢).

- الثلاثي المزيد بثلاثة أحرف « استفعل » (آية ١٤).

٨- من ناحية النوع والعدد، جاء اسم الفاعل مفرداً (٨٩) مرة، وورد مثني في (٥) مرات، وورد مجموعاً (١٢٦) مرة موزعة كالتالى:

- جمع المذكر (١٠٩) مرات.

- جمع التكسير (١٢) مرات.

فاسم الفاعل المجموع جمع تصحيح للمذكر هو أكثر حالات اسم الفاعل وروداً في سورة البقرة، ويرجع ذلك إلى أنه جاء (٨٦) مرة في فواصل الآيات، وأكثر أحرف فواصل السورة هو حرف النون، فقد ورد (١٩٥) مرة منها (٩٦) مرة للأفعال الخمسة

المرفوعة بثبوت النون، و(٨٦) مرة لاسم الفاعل المجموع جمع مذكر، ومن هنا أتى اسم الفاعل في صورة جمع التصحيح، حتى يتم التناوب الصوتي والتنغيم الموسيقي بين فواصل الآيات.

٩- ورد اسم الفاعل مرفوعاً (٧٩) مرة، وكانت أكثر الوظائف النحوية وروداً في حالة الرفع هي وظيفة الخبر، فقد ورد (٥٤) مرة بنسبة ٦٨,٣٪ تقريباً موزعة على النحو التالي:

- خبر مبتدأ (٤٢) مرة . - خبر حرف ناسخ «إن» (١٢) مرة .

وجاء منصوباً (٥٣) مرة، وكانت أكثر الوظائف وروداً في حالة النصب هي وظيفة المفعول به، فقد ورد (٢١) مرة بنسبة ٣٩,٦٪ تقريباً. وورد مجروراً (٨٨) مرة، منها (٧٥) مرة جرّ فيها بالحرف بنسبة ٨٥,٢٪ تقريباً، وجاء مجروراً بالإضافة (١٠) مرات بنسبة ١١,٣٪ تقريباً إلى المجموع الكلي لحالة الجر.

١٠- جاء اسم الفاعل عاملاً في سورة البقرة في (١٢) اثنى عشر موضعًا، منها موضعان جاء فيما رافقا لما بعده، وعشرة مواضع عمل فيها النصب، وقد استعمل في هذه المواضع مجرداً من أى، فلم يأت عاملاً مقترباً بأى.

١١- ورد اسم الفاعل مضافاً إلى ما بعده في (٧) سبعة مواضع منها ثلاثة مواضع أضيف إليها إلى الاسم الظاهر، وأربعة مواضع أضيف إلى الضمير فيها.

١٢- ارتبط اسم الفاعل ببعض الظواهر النحوية وهي:

أ- ظاهرة التكير والتعريف .

ب- ظاهرة العامل .

ج- ظاهرة التقديم والتأخير .

* ■ *

* المصادر والمراجع *

أولاً: المصادر والمراجع العربية:

- القرآن الكريم .
- الأخفش (أبو الحسن سعيد بن مساعدة): كتاب معاني القرآن، تحقيق د. هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- الأشموني (أبو الحسن علي نور الدين بن محمد): شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار إحياء الكتب العربية ، فيصل عيسى البابلي الحلبي بالقاهرة، د.ت.
- ابن الأنباري (كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد): الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والковيين، تحقيق: محمد محبي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- د. تمام حسان اللغة العربية، معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩م .
- ابن جنی (أبو الفتح عثمان) .

* الخصائص، تحقيق: محمد علي النجاري، عالم الكتب، بيروت، ط الثالثة
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

* المحتسب في تبيين وجوه شواد القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: علي النجدي
ناصف وأخرين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة
١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .

- أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف): البحر المحيط في التفسير، دار الفكر للطباعة
والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

- خالد الأزهري: شرح التصريح على التوضيح، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى
البابلي الحلبي بالقاهرة. د. ت .

- رضي الدين (محمد بن الحسن الاستراباذلي):

* شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق: محمد نور الحسن وزميليه، دار الكتب العلمية،
بيروت، لبنان، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .

* شرح الكافية في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

- الزجاج (أبو إسحاق إبراهيم بن السري): معاني القرآن وإعرابه، شرح وتحقيق: د. عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر): الكثاف عن حفائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكاتب العربي، بيروت، د. ت.
- ابن السراج (أبو بكر محمد بن السري بن سهل): الأصول في النحو، تحقيق: د. عبدالحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الثانية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر): الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.
- د. السيد محمد عبد المقصود: الأسماء العربية في التصريف، مطبعة الأمانة بالقاهرة، ط. الأولى ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.
- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر).
* الأشباه والنظائر في النحو، الجزء الثاني، تحقيق: غازي مختار طليمات، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، د.ت.
- * همع الهوامع شرح جمع الجواجم، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.
- الصبان (محمد بن علي): حاشية الصبان على شرح الأشموني، عيسى البابلي الحلبي بالقاهرة، د. ت.
- ابن عصفور (علي بن مؤمن): المقرب، تحقيق: أحمد عبد الستار الجساري، وعبد الله الجبوري، مطبعة العاني - بغداد، ط. الأولى ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م.
- ابن عقيل (أبو عبد الرحمن عبد الله بهاء الدين بن عبد الرحمن): شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محبي الدين عبد الحميد، مكتبة دار التراث بالقاهرة، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- العكري (أبو البقاء عبد الله بن الحسين): التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: علي محمد البحاوي، دار الجليل، بيروت، ط. الثانية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

- د. علي أبو المكارم : المدخل إلى دراسة النحو العربي ، دار الوفاء للطباعة بالقاهرة ، ١٩٨٠ م، الجزء الأول، القسم الثاني .
- ابن فارس (أبو الحسين أحمد) : الصاحبي ، تحقيق السيد أحمد صقر ، عيسى البابلي الحلبي ، القاهرة ، د. ت.
- الفراء (أبو ذكرياء يحيى بن زياد) : معاني القرآن ، عالم الكتب ، بيروت ، ط الثانية ١٩٨٠ م.
- كمال محمد بشـر: علم اللغة العام، القسم الثاني الأصوات، دار المعارف بمصر ١٩٧٣ م.
- ابن مالك (أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله) : تسهيل الفوائد و تكميل المقاصد ، تحقيق: محمد كامل بركات ، دار الكاتب العربي بالقاهرة ، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.
- البرد (أبو العباس محمد بن يزيد) : المتضصب ، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، ١٣٨٨ هـ .
- ابن مجاهد (أبو بكر أحمد بن موسى) : كتاب السبعة في القراءات ، تحقيق: د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، ط الثانية ١٤٠٠ هـ .
- د. محمد حمامة عبد اللطيف: النحو والدلالة ، مطبعة دار السلام ، القاهرة ، ط الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- محمد عبد الخالق عضيمة: دراسات لأساليب القرآن الكريم ، دار الحديث بالقاهرة ، د. ت ، القسم الثاني ، الجزء الثالث.
- ابن معطى (زين الدين أبو الحسين يحيى بن عبد المعطي) : الفصول الخمسون ، تحقيق: محمود محمد الطناхи ، عيسى البابلي الحلبي وشركاه بمصر ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م.
- النحاس (أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل) : إعراب القرآن ، تحقيق د. زهير غازي زاهد ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت ، ط. الثالثة ١٤٠٩-١٩٨٨ م.

- ابن هشام (أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد).
- * أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محبي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- * شرح شذور الذهب، تحقيق: محمد محبي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- * شرح قطر الندى وبل الصدى، تحقيق محمد محبي الدين عبد الحميد، دار الفكر العربي، الكويت، د. ت.
- * مغني اللبيب عن كتب الأعارة، تحقيق: محمد محبي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ابن يعيش (موفق الدين يعيش بن علي)
- شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، د. ت.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

1- Chomsky, N.

- Aspects of the Theory of Syntax, Cambridge 1985 .

2- Reuschel, W.

- Al Ḥalīl Ibn Aḥmad - Der Lehrer Sībawayhs, als Grammatiker Berlin 1959.

3- Weil, G.

- Abul- Barkāt Ibn Al- Anbārī. - Die grammatischen Streitfragen der Basre und Kufer, Laiden 1913.

* ■ *

الرسول صلى الله عليه وسلم والشعر

د. محمد نافع المصطفى

أستاذ مساعد قسم اللغة العربية وأدابها

كلية الآداب - جامعة الشارقة

من المسلمات عندنا نحن المسلمين أن القرآن الكريم والسنة المطهرة آيتا الرسالة، وحجة الله علىخلق، ومرجع الأمة المسلمة في أمورها كلها. ولا تقام الأحكام في الأنشطة البشرية على استحسان الناس واستقباحهم. وإنما تقوم على دليل من القرآن والسنة.

والسنة - كما هو معلوم - : كل ما صدر عن النبي ﷺ غير القرآن، من قول، أو فعل، أو تقرير، مما يصلح أن يكون دليلاً شرعياً. ولما كان القرآن هو كلية الشريعة، وعمدة الملة. وكانت السنة راجعة في معناها إليه، تفصل مجمله، وتبيّن مشكلة، وتبسط موجزه، كان لابد من الرجوع إليهما معاً: (فلا ينبغي في الاستنباط من القرآن الاقتصار عليه، دون النظر في شرحه وبيان، وهو السنة) ^(١). والأمر إن صحت نسبة إلى الرسول ﷺ فهو كالقرآن من حيث التشريع. روى الإمام الأوزاعي، عن حسان بن عطيه، قال: «كان الوحي ينزل على الرسول ﷺ، ويحضره جبريل بالسنة التي تفسر ذلك» ^(٢).

وما نسيت هذا وأنا أكتب، عن موف (القرآن من الشعر) في بحث مستقل، إذ كان فهم الآيات، ومعرفة مرادها في ضوء الأحاديث المتصلة بها. وخاصة الآيات المركزية في هذه القضية (والشعراء، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعدهما ظلماً، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) ^(٣). فلنا: الاستثناء في الآية، كان لنفر من

الشعراء، لهم خصائصهم وسماتهم. وأساس تلك الصفات الإيمان الذي وفر في القلب، وانطبع أثره على حصاد الجوارح وكسبها. إذ لا يمكن أن يبقى ذاك الإيمان مقررات نظرية في الشعور بل يتبع الاعتقاد القلبي السلوك العملي في عمل صالح. وهذا فيصل بين الشاعر الذي يحرص الإسلام على فنه، ويشجعه ويستزده منه. وغيره من الشعراء الذين هجر الإيمان قلوبهم، وكان حظهم في الحياة إجاده في صناعة القول، والفشل في ساحة العمل. بل تخذل أفعالهم أقوالهم. مع غفلتهم عن ذكر الله عز وجل، الذي يقوم الألسنة والأعمال والنوايا ويرعاها، ويحوطها حفاظاً من مكائد أعدائه، شياطين الجن والإنس، فقد روى الحارث الأشعري، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «... وامركم أن تذكروا الله فإن مثل كمثل رجل خرج العدو في إثره سراعاً، حتى أتى على حصن حصين، فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله...»^(٤).

وزلت أقلام كثير من الباحثين وهي تعالج قضية القرآن والشعر، وما ذاك إلا نتيجة طبيعية لتحكم أفهامهم في النصوص القرآنية، وعدم استنطاقهم الأحاديث النبوية التي تكشف عن معناها، وتبيّن المراد منها، وتوضح سبب نزولها - (والخطاب الذي جاء بسبب لا يمكن في بعض الحالات فهمه، ولا إدراك معناه، إلا من معرفة الواقعية، أو السؤال الذي تسبب في وروده؛ ففائدة معرفة السبب الذي ورد عليه الخطاب تعين على فهم المراد)^(٥). وفي كل ذلك رد الأمر إلى الله ورسوله، واستجابة لأمر الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم، فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، ذلك خير وأحسن تأويلاً»^(٦). قال ميمون بن مهران: «الرد إلى الله الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول إذ كان حياً. فلما قبضه الله، فالرد إلى سنته»^(٧). وهذا ما كان عليه رجال خير القرون. فهذا كعب بن مالك

رضي الله عنه لما نزلت الآيات الأخيرة من سورة الشعراة أتى النبي صلی الله عليه وسلم فقال: إن الله تبارك وتعالى قد أنزل في الشعر ما قد علمت، وكيف ترى فيه؟ فقال النبي صلی الله عليه وسلم: «إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه»^(٨).

وهذا ما فات كثيراً من الباحثين، ومنهم أستاذنا الدكتور شكري فيصل - رحمه الله تعالى -، وتابعه جلة من جاء بعده من الدارسين. ولو لا خشية الخروج عما نحن بصدده لأوردت أقوالهم كلها. يقول: (إذا نحن تجاوزنا القرآن الكريم إلى أحاديث الرسول صلوات الله عليه، بدا لنا الموقف من معارضة الشعر واضحاً كذلك، والحديث الذي ترويه كتب السنة «لأن يمتليء جوف أحدكم قيحاً خيراً له من أن يمتليء شرعاً» ليفصح عن هذه المعارضة، ويحسن تصويرها، ويمثل الزراعة والحط من قدره)^(٩). ولو جاد بنظرة إلى كتب الصالحين، في أبواب التفسير، لوجد فيها ما وقاه من مداحض الزلل. وتغير حكمه، ونحو فيه نحو آخر. لأنه سيد جواب رسول الله صلی الله عليه وسلم لكتب بن مالك الذي سلف ذكره. والحديث الذي أثبته الإمام البخاري في صحيحه عقب الآيات الأخيرة من سورة الشعراة (إن من الشعر حكمة)^(١٠) وللأسف انتشرت تلك الأقوال المدخلولة، وفشت وتناقلها الباحثون على تجنيها. وإن دققت فيها لم تكن ترى إلا باطلأً فيه شوب من الحق. وهو التعصب على الشعر. وتعذر هؤلاء مرة أخرى، وهم يقررون موقف الرسول صلی الله عليه وسلم من الشعر، عبر أحاديث وأخبار لم يكن نصيبيها من الصحة مرضنياً. أو التمسوا أحاديث صحيحة تؤيد رغبتهم في موقف مسبق ولد نتيجة النظرة العجلى لها. أو لى أعناقها لتصحب آراءهم، فضلاً عن التغاضى عن كثرة من الأحاديث الصحيحة، التي تثنى على الشعراء المؤمنين، الذين استثنوا الآيات تلك. مع أنه (لاتضاد بين آيات القرآن الكريم، ولا بين الأحاديث النبوية، ولا بين أحدهما مع الآخر، بل الجميع جار على مهيع واحد،

ومنتظم إلى معنى واحد^(١١)). ولم يزهدوا بالآثار الواهية الباطلة، إذ كان لها نصيب وافر من أدتهم التي ساقوها، نقلًا عن كتب الأخبار والأدب من غير تمحيق، ولا غوص على أدلة صحيحة مكينة في مصادر الصحيح من الأخبار. فهذا الدكتور محمد مصطفى هدارة - رحمة الله تعالى - يقول: (وهذا الحديث - لأن يمتلى جوف أحدكم... - إن كان صحيحًا ينبغي أن يوجه، بحيث لا يعم الشعر كله، بوصفه فناً لذاته...)^(١٢).

ألا يجدر به - إنصافاً للعمل وإجلالاً للحق - أن يتحقق من صحة هذا الحديث - وهو صحيح - كي يكون على بينة فيما يذهب إليه. ولا يتجنى على أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم. وهو الذي ساق الحديث الصحيح كذلك، بصيغة التمريض والتضعيف، إذ يقول: (وقد حاول بعض الباحثين أن ينسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم شعراً، كقوله عليه الصلاة والسلام يوم الأحزاب حين كان ينقل التراب...).^(١٣) وسترد معنا هذه الأحاديث، ونرى كيف وجهتها إن شاء الله تعالى. فلذا كانوا في كثير مما ذهبوا إليه في هذه القضية مجافين للصواب. والغريب في الأمر أنه رحمة الله تعالى، ينقل كلاماً للشيخ أحمد شاكر، ورد في تحقيقه لكتاب الشعر والشعراء، لابن قتيبة، تعليقاً على خبر باطل، نسب لرسول الله صلى الله عليه وسلم: «امرأ القيس قائد الشعراء إلى النار» أو «معه لواء الشعراء في النار» وقد استدل به المؤلف وقال: (اتضح لنا مدلول حديث الرسول حين ذكر امراً القيس...) وهو حديث منكر^(١٤) - يقول الشيخ شاكر: (وكم من حديث وخبر مشهور عند الأدباء والإخباريين، ولكنه غير معروف، ولا موثق عند علماء الحديث، وهم الحجة فيما ينسب لرسول الله من الأخبار)^(١٥). ولن ينقضي عجب المتابع لهم إذا قرأ ما انتهى إليه الدكتور هدارة: (لقد صدرت أحاديث كثيرة، تعبر عن موقف الرسول من الشعر، ولكنها اختلفت في نصرة الشعر، أو الغض منه...).^(١٦) هكذا وطرف الحق

كسيـر.. ولو نسب الاختلاف إلى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم. وإنما حمدت العلماء بالثبت من حجتها، لتصح أقوالها وأحكامها. ولم ينقدـهم من تلك العثرات ما ساقوه من آثار صحيحة، لأنـها جاءـت على أيديـهم جاءـت ممزـقة مهـشـمة، بعد أن انتزـعت من جـسدـ الحديث النـبـويـ، وجـهـلتـ أسبـابـ قولـهاـ. ولـنـ يـحـكمـ أمرـ معـ التـضـيـعـ.

وـقـبـلـ أنـ نـشـرـ عـبـالـحدـيـثـ عنـ مـوقـفـ الرـسـوـلـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ منـ الشـعـرـ. يـجـمـلـ بـنـاـ أنـ نـقـدـمـ الحـدـيـثـ عنـ مـوقـفـ الشـعـرـ منـ الرـسـوـلـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ وـدـعـوـتـهـ، وـفـىـ ضـوـئـهـ تـكـشـفـ لـنـاـ حـقـيـقـةـ المـوقـفـ النـبـويـ منـ هـذـاـ الفـنـ القـوـلـىـ.

(إن تجارب التاريخ تقرر لنا أصالة الدين في جميع حركات التاريخ الكـبـرـىـ، ولا تـسـمـحـ لأـحـدـ أنـ يـزـعـمـ أنـ العـقـيـدـةـ الـدـيـنـيـةـ شـىـءـ تـسـطـيـعـ الجـمـاعـةـ أـنـ تـلـغـيـهـ. ويـسـطـيـعـ الـفـرـدـ أـنـ يـسـتـغـنـيـ عـنـهـ فـيـ عـلـاقـتـهـ بـتـلـكـ الجـمـاعـةـ، أـوـ فـيـمـاـ بـيـنـ وـبـيـنـ سـرـيرـتـهـ الـمـطـوـيـةـ عـمـاـ حـولـهـ. ولـوـ كـانـ مـنـ أـقـرـبـ النـاسـ إـلـيـهـ... وـهـذـهـ القـوـةـ -ـ لـلـدـيـنـ -ـ لـاـ تـضـارـعـهـ قـوـةـ الـعـصـبـيـةـ، وـلـاـ الـوـطـنـيـةـ، وـلـاـ قـوـةـ الـعـرـفـ، وـلـاـ قـوـةـ الـشـرـائـعـ وـالـقـوـانـيـنـ، إـذـ كـانـ هـذـهـ القـوـةـ إـنـمـاـ تـرـتـبـطـ بـالـعـلـاقـةـ بـيـنـ الـمـرـءـ وـوـطـنـهـ، أـوـ الـعـلـاقـةـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ مـجـتمـعـهـ، أـوـ الـعـلـاقـةـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ نـوـعـهـ عـلـىـ تـعـدـدـ الـأـوـطـانـ وـالـأـقـوـامـ. أـمـاـ الدـيـنـ فـمـرـجـعـهـ إـلـىـ الـعـلـاقـةـ بـيـنـ الـمـرـءـ وـبـيـنـ الـوـجـودـ بـأـسـرـهـ، وـمـيـدـانـهـ يـتـسـعـ لـكـلـ مـاـ فـيـ الـوـجـودـ مـنـ ظـاهـرـ وـبـاطـنـ، وـمـنـ عـلـانـيـةـ وـسـرـ، وـمـنـ مـاضـ وـمـصـيرـ إـلـىـ غـيـرـ نـهـاـيـةـ بـيـنـ آـزـالـ لـاـ تـحـصـىـ فـيـ الـقـدـمـ، وـآـبـادـ لـاـ تـحـصـىـ فـيـمـاـ يـنـكـشـفـ عـنـهـ عـالـمـ الـغـيـوبـ. وـهـذـاـ عـلـىـ الـأـقـلـ هـوـ مـيـدـانـ الـعـقـيـدـةـ الـدـيـنـيـةـ فـيـ مـثـلـهـ الـأـعـلـىـ، وـغـايـتـهـ الـقـصـوـيـ... وـإـنـمـاـ تـفـضـلـ الـدـيـانـةـ سـواـهـاـ بـمـقـدـارـ شـمـولـهـاـ لـمـطـالـبـ الـرـوـحـ، وـارـتـقاءـ عـقـائـدـهـاـ وـشـعـائـرـهـاـ فـيـ آـفـاقـ الـعـقـلـ وـالـضـمـيرـ. وـكـذـلـكـ الـدـيـانـةـ الـإـسـلـامـيـةـ لـاـ تـفـضـلـهـاـ مـلـةـ فـيـ شـمـولـ حـقـائـقـهـاـ، وـخـلوـصـ

عباداتها وشعائرها من شوائب الملل الغابرة... وإن بعض العقائد ليصيب النفس بما يشبه داء الفصام، لأنه يقسم الشخصية الإنسانية على نفسها، ويمزقضميرالحائز بين نوازع الجسد ونوازع الروح، وبين سلطان الأرض وسلطان السماء. وبين فرائض السعي وفرائض العبادة. وشمول العقيدة الإسلامية هو الذي يعصم ضمير المسلم من هذا الفصام الروحاني...^(١٧). وهكذا كان أمر عقيدتنا كان العرب الذين بعث فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم يدينون بركام من العقائد المظلمة. فمن عبادتهم لأصنام وغيرها من الجن والملائكة، إلى إنكار اليوم الآخر، إلى عبادة أهوائهم وشهواتهم؛ فاستطابوا الخبيث، واستمرأوا الوخيم. فأنسنت الحياة في حماة الجاهلية الظالمة. وطغت الأرجاس والأدوات الخلقية. التي كانت في الوقت ذات من مفاحرthem في أشعارهم، ومن مفاحراتهم في أسواقهم... من الخمر إلى القمار، إلى الثارات القبلية التي استولت على اهتماماتهم. وغدت الشجاعة فتكاً ونهباً، والكرم إسرافاً ورياءً، والأنفة حمية جاهلية... وهذا ما ولدته تلك العقائد التي عشت في عقولهم.

ومن الله عز وجل عليهم - وعلى أهل الأرض - بالهبة العظمى، (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة، وإن كان من قبل لففي ضلال مبين)^(١٨). من عليهم بهذا الدين الذي نقلهم من عبادة القبيلة ونظمها وأعرافها إلى عبادة الله وحده. وظهر أرواحهم من دنس الشرك، وظلمات الجاهلية، ورفعهم من المستنقع الآسن الوبيء، إلى معارج السعادة، حيث هدى السماء، ونقل أرواحهم وقلوبهم - بعد أن أشريت مشاعرهم عقيدة التوحيد - من الظلمات إلى النور. فكانت هذه الدعوة ثورة على الجاهلية وعقائدها وعوائدها وأعرافها وأخلاقها. فانقلب حياة الناس، بتبدل المعتقدات والقيم، وتغير المقاييس.

وكان الشعر في خيام الجاهلية، وتحت رواقها، تعبيراً عن حياة العرب ومعتقداتهم وأعرافهم وقيمهم - وإن كانت تلك الرؤى طافية في صدورهم - إذ لا سلطان لها على قلوبهم وسلوكهم إلا ما أشرب من أهوائهم ونزوواتهم. وهذا شأن من يصنع قوانينه لنفسه، ويُقعد لسلوكه وقيمه، صادراً عن رؤى متقلبة، وأعراف مضطربة. وخوف من أهل السلطة، زعماء وكهنة وفرسان وشعراء. خلافاً لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من ربه عقيدة وشريعة ونظم حياة. فما أن استقرت العقيدة في قلوب الأتباع، حتى شرع يصوغ الحياة والناس صياغة جديدة، ويصبح الحياة بصبغة الواحد المهيمن. فتجسدت تلك العقيدة والشريعة في الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الأخيار، الذين مثلوا العينات السامية لتلك التربية. إذ لم يسعهم بعد أن دخلوا في دين الله، إلا أن تتکيف أعمالهم وأقوالهم وأنشطتهم مع مراد هذا الدين، باتباع الكتاب الكريم والسنة المطهرة. وما تخلف العمل ظاهراً - مع عدم المانع - عن القول إلا لوهن ودخن اعتبرى ما بالفؤاد، لأن نقصه في العمل دليل نقصه في الإيمان، وقوته دليل قوته. وكل إيمان لا يبعث على العمل فمدحول.

وكان كفار مكة يعاينون تزلزل الكيان النفسي لمن اتبع محمداً صلى الله عليه وسلم. إذ كانت عملية البناء يسبقها هدم للجاهلية في النفوس والواقع، كي يقوم البناء على مكين الأركان، وقويم البنيان، متفرد الصياغة. وكان هناك في الساحة شعر وشعراء، بل (كان الشعر عند العرب في الجاهلية ديوان علمهم، ومنتهى حكمهم، به يأخذون وإليه يصيرون) (١٩) فكان تعبيراً عن حياتهم، وحامل مضمون فكرهم، تلوح في ألفاظه ومعانيه وصوره قيمهم ومازدهم، والمثالب التي أنشبوا أظفارهم بأهلها، فكان يمثل رموز حياته، وكما كان يمثل عصارة الطاقات الفنية لديهم، إذ يختار له الأفصح من اللفظ، والأروع من البيان. فهو عصارة الجاهلية وقيمتها ورؤاها. جمع أشباح ماضيهم وخيالاته وشعور أبنائه

وعصيّبَتْهُمْ . فترى فيه تعظيم الأصنام والطواغيت والسحرة والكهنة والشعراء ، وتمجيد الظلم والعدوان وسفك الدماء ، والإشادة بالأعراف الظالمة ، والمحامد الزائفة ، والقيم البائسة . كحمية الكبر والبطر والفخر ، التي دفعتهم لنصرة كل ظالم . وما ظنك إذا غاب الوازع الحقيقى الذى يدفع إلى التبصر والاستقامة ، وصحوة الصنمير ، والإنصاف للخير والفضيلة وأهلها . وما كان الشاعر الجاهلى إلا نصيراً لأخيه ظالماً أو مظلوماً ، مع أنه يمثل ريادة معنوية لأبناء قبيلته ، ويحتل مكاناً مرتفعاً في مجتمعه . بل كان القوم يحسبون أن قدر القبيلة رهن بالشاعر وقدرته الفنية ، إذ كان داعيّتهم وهجاءهم وكاهنهم . وحملاته تفل سيف الأعداء ، وتケف الغلبة لقبيلته (فقد أنزلته العرب منزلاً النبي ، فينقادون لحكمه ، ويصدقون كهانته) (٢٠) .

لقد حدد العرب في ذلك الزمن للشعر مهمته ، وهي التعبير عن الجماعة (كما حدد للشاعر مكانه ، حين وكل إليه القيادة المعنوية لقومه ، وبمقدار ما كان لهذه المهمة من جلال وخطر ، كانت القبيلة تحتفل بنبوغ شاعر فيها ، وتقبل التهنئة فيه ، وتعد ذخيرة عزة وقوة لها . كان الشعر إذ ذاك سلاحاً من أحسن الأسلحة في حياة لا مكان فيها إلا للقوى الغالب) (٢١) .

وقد تناقضت الآن مشفقةً على الشعراء وفنهم ، أن يفقد هؤلاء زعامتهم ، وأن يدفع الشعر عن موقعه . وهل سيصبر هؤلاء على هذه الدعوة ، التي سَفَهَتْ ما هم عليه ؟ يدابرون وديان الضلال التي كانوا يهيمنون فيها ، ويتركون جهالة أبي جهل ، أم يثورون لهباً في وجه هذه الدعوة مع أبي لهب ؟ ! أم سيهجرون تلك المخادع ، وقد أظلمهم ربيع الحق ، فيصدحون على أفنان الدعوة ، ويحدون لركبها ، ويحلقون مع سريها ؟ !! وفتنة البيان غلابة .

إن الإجابة عما سبق، والانتهاء بها إلى رأى سديد، يتطلب معرفة بالمعطيات الجديدة، التي شهدت ولادة هذه القضية. التي هي أعمق من حكم سريع نصدره، أو تعليل نزوره. فقد تجمعت أمشاج هذه القضية من مواقف عديدة ومتعددة. كانت نتاج النقلة العظيمة من الشرك وتعدد الأرباب، والتقارب إليها. إلى الصورة الباهرة التي جاء بها الإسلام، من توحيد وعقيدة وعبادة. ومن الطبقيّة الباغية، حيث السيادة والزعامة. إلى المساواة بين العباد، والتفاصل بالتقوى. ومن الأخلاق الفاسدة السائدة إلى الأخلاق السامية التي ينشرها الإسلام.

كانت هذه النقلة وحدها كافية لنشوب صراع مرير بين هذا الدين وزعماء الكفر. ناهيك عن الاعتبارات الاجتماعية والنفسية والنفعية والتعسفية والفنية. وإن كان بحثنا يضيق بالحديث عن اعتبارات كثيرة، فلن يضيق بالاعتبارات الفنية. وأقصد الفن الشعري.

لما عرف سدنة الضلال أن هذا الدين ليس حبيس مشاعر في الصدر، ولا أشباح عبادات، بل حياة جديدة، وإنسان جديد، وقيم جديدة. يرفع أناس، ويوضع آخرون. حياة يصوغها القرآن وتوجهيات الرسول الأمين. فقد أوضحا سبيل هذه الحياة، وأنهجا معلم الحق... فالتحقى القرآن حركة عقدية في سرير أدبى مؤثر مع النفس المتلقية له، حيث يلقى على أهل الفصاحة والبيان، كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم قدوة منظورة ملموسة تعلقت بها المشاعر، مع ما لحديثه من آثار عميقه في القلوب. وفي النفس استعداد للتأثر بما يلقى إليها من الكلام الصادق الرضي الندى، إذ كان يأخذ طريقه إليها فيحرك المشاعر، ويوقف المدارك. وينهد لللاستجابة فكان القرآن الكريم وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أداء حية فاعلة، تعمل عملها في أفئدة السامعين، وتصرف الناس إلى هذا الدين.

فكانت معارضه المشركين شديدة لهذا الدين بالنكر، وتغيير وجهه صوابه بالإفك. فنسبوا للقرآن الكريم ولرسول الإسلام كل محال، ورمواهم بأنواع البهتان. وفي الواقع لم ينكروا إلا ما توقعوا به زوال سلطانهم؛ فنصبوا له حرب العداوة، حيث لم يصبروا إلا على آهتهم. وخذلتهم مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم مع إغراءاتهم له بالمال والملك والجاه، وثبات أتباعه على دينهم، برغم ال欺辱 والعقاب والاضطهاد.. ولم يكن الشعر بعيداً عن هذا الصراع، ولا غائباً. فمن الأيام الأولى لصدع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعونه على الملا، وإسماعهم بعضاً من كلام الله تعالى. وقف القوم حياله في دهشة وحيرة، وهم الذين يعتدون بما هم عليه من فصاحة وبلاغة. بل كانوا يعتقدون أن البيان في صورته المثلث لا يتمثل إلا في الشعر؛ فأرادوا طمس حقيقته، وصرف الناس عنه بترهات الشعراء. (فكان النضر بن الحارث من شياطين قريش، ومن يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وينصب له العداوة. وكان قد قدم من الحيرة، وتعلم أحاديث ملوك الفرس، وأحاديث رستم واسينديار. فكان إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلساً، فذكر فيه بالله... خلفه في مجلسه إذا قام، ثم قال: أنا والله يا معاشر قريش أحسن حديثاً منه، فهلم إلى، فإننا أحدهم أحسن من حديثه)^(٢١). وكان النضر يقرأ عليهم من أشعار الأقدمين. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال حدثني حجا، عن ابن جريح، قال: (أساطير الأولين أشعارهم وكهانتهم)^(٢٢). ولا غرابة بعد ذلك أن أيقظت تلك الفرق في نفوس المشركين نسبة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الشعر، ووصفه بالشاعر. وقارب بين موضوع الشعر والقرآن وصيغتهما؛ حتى انعطفت بالأذهان على ظن أن القرآن نوع من الشعر جديد، يشبه في طريقته ذلك الشعر القديم «وذهب الدكتور البهبي إلى أن النضر بن الحارث (كان يقرأ عليهم قصيدة (جلجا ميش) بكل صورتها، معتبراً بما فيها على القصص القرآنية)^(٢٣). وفي قناعتي أن الذي حرك

الشعراء لدخول هذه الخصومة، وأغراهم بالتصدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والنيل منه، ليست إغراءات سدنة الشرك من زعماء مكة، ولا تحرىضم فحسب، على الرغم من أنهم استنزلوهم كما استنزلوا سفاءهم إلى ساحة الصراع، ومناسبة العداء لهذا الدين. وقد صرخ ابن الزبعرى بذلك، بعد أن أقصر عن باطله، وثاب إلى رشده. ودخل فى دين الله تعالى. فقال:

أسدت إذ أنا في الضلال أهيم
سهم، وتأمرني بها مخزوم
أمر الغواة، وأمرهم مشؤوم

إني لمعتذر إليك من الذي
أيام تأمرني بأغوى خطة
وأمد أسباب الردى ويقودنى

وإنما أراد هؤلاء الشعراء أن يحافظوا على مكانتهم التي رفعهم إليها نتاجهم الشعري، ووهبهم تلك الامتيازات، التي أصبحت مهددة إذا لحقتهم الهزيمة أمام ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من معجز الآيات، ورائع البيان، الذى أسر قلوب الناس، واستمالهم. مما يعني أن بضاعة هؤلاء الشعراء ستلقى كساداً ويواراً، كما ستلقى قياداتهم صرعاً، فاللتقت صالح الملا - شعراء وزعماء وكهان وتجار - على مناولة الدعوة ومحاربتها فى شخص الرسول صلى الله عليه وسلم، وما نزل عليه من وحى، وإلى جانبه أحاديث، وتصرفه فى أساليب القول، وامتلاكه أزمة البيان.

وقف كفار مكة صفاً متلاحماً، يدفعون عن سلطانهم وعزهم القائم، بعد أن شعرو أن هذه الدعوة تدفعهم إلى ما كانوا يرونها هاوية من التسوية بينهم وبين الناس جميراً. هذه المصالح المتشابكة بين شيخوخ قريش وشعائرها، دفعتهم إلى ساحة المجابهة المريرة مع هذا الدين. ولا ينكر ما لأشعار هؤلاء الشعراء من أثر فى تعويق هذه الدعوة، بل والصد عن سبيلها؛ عبر النيل مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، والقدح به، إذ

لقيت من تسفيههم وعسفهم الكثير. والركبان تتناقل مع أزواجها تلك الأشعار؛ مما روج انتشارها بين القبائل، مخلفة جفوة بينها وبين هذا الدين. وأية فتنة عن دين الله أعظم من هذه الفتنة. بل هي اعتداء صريح على الأقدس في حياة البشر. وأشد من قتل النفوس، وإزهاق الأرواح. ويستوى في ذلك أن تكون الفتنة بالقول، أو الاضطهاد، أو التزييف، أو بحراسة أوضاع مصلحة، تزين الضلال والإعراض عن الحق.

هذه الخصومة العنيفة أصلت الرسول صلى الله عليه وسلم ودعوته ألواناً من العذاب والأذى، وتركت آثار ليست بالقليلة في نفوس أبناء قبائل الجزيرة العربية، وخاصة تلك التي كانت تجول حول مكة المكرمة والمدينة المنورة. إذ أضرمت في حنایاهم أحاسيس الكراهة والمقت. لقد أراد الزعماء والشعراء ومنتبعهم من الغواة أن يغتالوا الدعوة بأشعارهم، وحاولوا وأدّوها في مهدها.. وإن كانت قلوبهم وجلة من اتساع رقعتها. وذو البغي من خوب الفؤاد.. ذاك هو موقف الشعر من الرسول صلى الله عليه وسلم ودعوته.

إنه استثار النخوة الجاهلية، وأجج جذوة العصبية الطاغية، وحاول أن يجند قوى الشر لترمي الرسول صلى الله عليه وسلم عن قوس واحدة.

إذا كان الدين الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من ربه، هو النظام الذي ارتضاه للحياة البشرية بجملتها، والمنهج الذي يحدد مسيرة النشاط البشري برمهه. ولا يند عن هيمنته واحد منها، فإن الشعر نشاط أدبي من الأنشطة الإنسانية، يحمل عقائد الشعراء وتصوراتهم وقيمهم. فلابد أن يحظى بنصيب من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، تبياناً لمكانته، وتحديداً لساحتها، ومبركة لوظيفته، خاصة أنه كان من الأسلحة المشهرة في وجهه صلى الله عليه وسلم، ووجه دعوته وأتباعه. شأنه شأن أسنة الباطل، وفرسان الضلال، وسيوف الجاهلية.

وبعد جمع الأحاديث والأخبار من كتب الصحاح والسنن وغيرها من كتب الحديث الشريف، ودراستها رواية ودراسة، مستأنساً بآراء أهل الذكر في هذا العلم. معرضاً عن كتلة ليست قليلة من الأحاديث الضعيفة والموضوعة - إذ في الصحيحه غنية عنها - ومتابعاً أقوال العلماء في بيان معانٍها وتوجيهها. أليست في تلك الأحاديث سبيلاً للدارسين للانتهاء إلى تكوين تصور دقيق، عن موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من هذا الفن. فلا تدع في النفس شيئاً مما ارتا به دارسون. ولا حيرة واصطراباً معاوقة فيه متجلون، حيث خلطوا بين الصحيح والموضوع منها، فانتهى بهم خلطهم إلى أحكام جائرة، تميّل ذات اليمين وذات الشمال. وكان الحق بينهما. وإن كان وراء بعضهم فيما ذهبوا إليه ورعراء بارد، جفاءً للشعر، وغضباً من مكانته. وما درى هؤلاء أن خيراً ما يأتيه العبد ويستحسن له الحلال، وكل تنزه عنه - كما يزعمون - إنما هو طعن برسول الله صلى الله عليه وسلم. فقد أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: صنع النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً، فرخص فيه، فتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فخطب، فحمد الله، ثم قال: «ما بال أقوام يتزهون عن الشيء أصنعه، فوالله إني لأعلمهم بالله، وأشدّهم له خشية»^(٢٦). فلا تقوى إلا بمتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم، والوقوف حيث وقف.

و قضية خطيرة كهذه لا يسلم دارسها من الزلل، ما لم ينظر إليها من موقعها الحقيقي، ضمن المنظومة العقدية والتعبدية، التي يمارسها الإنسان إيماناً وسلوكاً. وكل خلل فيما يتوصل إليه ناتج عن اختلال التصور الصحيح لهذه القضية.

فالإنسان بأصغريه قلبه ولسانه. وإذا كان القلب مكملاً لعقيدة التي يملها صاحبه، فإن اللسان هو المعبر عمما في القلب، إذ يتبع مكنوناته وتحولاته، فاستقامته مرهونة باستقامة القلب. ولذا كان مدار صلاح

الإنسان على صلاح القلب، وبه تبدأ عملية التغيير (وإن في الجسد مرض ، إذا صلحت صحة الجسد كلّه ، ألا وهي القلب)^(٢٧) . وبما أن اللسان ترجمانه ، وخليفة في ظاهر البدن . كان الإيمان الحقيقي ما توافر عليه القلب واللسان . وكان الإسلام (إسلام القلب لله عز وجل ، وأن يسلم المسلمون من اللسان واليد)^(٢٨) . ومن ملك لسانه ملك أمره . ولذا حظى اللسان بالذكر في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم . فضبطه وكفه – إلا عن ذكر الله وما والاه – هو أصل الخير كلّه ، (لأن أكثر خطايا ابن آدم في لسانه)^(٢٩) بل أكثر ما يدخل الناس به النار حصاد الألسنة ، فلا عجب أن كان تأكيد الرسول صلى الله عليه وسلم على حفظ اللسان في وصيته لمعاذ بن جبل رضي الله عنه . [فقال : احفظ لسانك ، ثكلتك أمك يا معاذ ، وهل يكتب الناس على وجوهم إلا حصائد ألسنتهم]^(٣٠) . فرب متكلم بكلمة ، غير عابئ بها ، تويق دنياه وأخترته ، كما بين ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم : (إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ، ما يظن أن تبلغ ما بلغت ، فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم القيمة . وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت ، فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم القيمة)^(٣١) . قوله صلى الله عليه وسلم : (إن العبد ليتكلم بالكلمة لا يرى بأها ، يهوى بها سبعين خريفا)^(٣٢) .

ومتى آثر الإنسان صوت داعية الهدى على وساوس الهوى ، حكم إيمانه على قلبه ولسانه ، الذي إذا أصبح صاحبه (فإن الأعضاء كلها تکفر اللسان ، فتقول : أتق الله فيما فينا فإنما نحن بك ، فإن استقمت استقمنا ، وإن اعوججت واعجوججنا) . فنجاة المرء مرهونة بحفظ اللسان . وحسبه مكانة أن يدخل الإنسان الإسلام بكلمة منه ، ويعصم دمه وماله بذكرها – وإن كان لا ينجو من عذاب الله إلا بتحقيقها بالقلب واللسان والجوارح – وما اكتسبت الأمة المسلمة هذه الخيرية إلا بالإحسان في استعمال اللسان – بعد الإيمان بالله – في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. وهي مهمة البيان

والبلاغ. وإن كانت الاستجابة متعدزة إلا إذا تحقق البيان بالقول والفعل المطابق له. وهو الغاية في البيان. مع ما يتطلع الإنسان إليه من أجر عند خالقه يوم يوفيه حسابه. وقد عظم أجر تلك الكلمة الطيبة، إذ دلت الآخرين على سبيل الخير والصلاح. فشاركهم في أجراهم، من غير أن ينقص من أجراهم شيئاً، وهي صدقة جارية، لا ينقطع أجرها. فعن أنس ابن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من رجل ينشد لسانه حقاً، يعمل به بعده، إلا جرى عليه أجره إلى يوم القيمة، ثم وفاه الله ثوابه يوم القيمة) (٢٤).

وملاك أمر هذا اللسان خطامه عن الباطل وما يدور في فلكه، إن لم يتمكن صاحبه من قياده في سبيل الحق. فعن أبي شريح العدوى. قال: سمعت أذناي، وأبصرت عيناي، حين تكلم النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: (... ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليصمت) (٢٥). وإن كان لا يفهم من الحديث ما ذهب إليه أصحاب الورع البارد، أن سمت المؤمن وشعاره الصمت، والنجاة فيه، مظاهرين مذهبهم بحديث آخر لرسول الله صلى الله عليه وسلم، عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من صمت نجا) (٢٦). والذي يفهم من مجموع الأحاديث أن الصمت خير للمرء من الخوض في الباطل. بل الساكت عن الحق - مع القدرة على إنشائه - مأزور، لأن الأمر النبوى متحقق بقول كلمة الحق، أو الإمساك عن الباطل. والأصل أن يقوم المسلم بحق البيان والنصائح. فقد روى إياد بن لقيط، عن ليلى امرأة بشير، أن زوجها سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم: أصوم يوم الجمعة ولا أكلم ذلك اليوم أحداً؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تصم يوم الجمعة إلا في أيام هو أحدها، أو في شهر. وأما أن لا تكلم أحداً، فلعمري لأن تكلم

بمعروف، وتنهى عن منكر خير من أن تسكت»^(٣٧) وكيف يسكت وقد تقىه تلك الكلمة الطيبة النار «فليتق أحدكم النار ولو بشق تمرة، فإن لم يجد بكلمة طيبة»^(٣٨). وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الناس ثلاثة أنواع: فسامِلٌ وغَانِمٌ وشَاحِبٌ، فالسامِلُ: الساكت، والغانِمُ: الذي يأمر بالخير وينهى عن المنكر، والشَّاحِبُ: الناطق بالخنا، والمعين على الظلم»^(٣٩).

وهل مفتاح كل خير إلا الكلمة الطيبة، فتستبين عبرها الآيات، وتنتفتح الرؤى، فتغير أفكار الناس وسلوكيهم، إذ تملك القدرة على السيطرة والتأثير.

وقد تأكَّد ذلك في الرسالة الخاتمة، التي اتخذت من الكلمة القرآنية، والبيان النبوى وسيلة أساسية لها في التمكين للحق، ونشره في العالمين، إذ كانت الكلمة الطيبة تنهادى إلى قلوب الناس، وتحملهم إلى رحاب الدين. مما خص به الرسول صلى الله عليه وسلم فكانت آيته الكلمة الخالدة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من الأنبياء نبى إلا أعطى من الآيات ما مثله أمن عليه البشر، وإنما كان الذي أُوتِيتَه وحِيَا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَىٰ، فَأَرْجُو أَنِّي أَكْثُرُهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٤٠). فكانت هذه المعجزة آية تقدير لمكانة البيان وأهميته. وكانت فصاحته وبيانه مما استهوى السامعين، وأسرهم. (فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَ لِمَا وَضَعَ رَسُولَهُ مَوْضِعَ الْبَلَاغِ مِنْ وَحِيَهُ، وَنَصَبَ مَنْصَبَ الْبَيَانَ لِدِينِهِ، اخْتَارَ لَهُ مِنْ الْغُلَّاتِ أَعْرِيهَا، وَمِنَ الْأَلْسُنِ أَفْصَحَهَا وَأَبَيَّنَهَا، لِيُبَاشِرَ فِي لِبَاسِهِ مَشَاهِدَ الْتَّبْلِيغِ، وَيَنْبَذَ الْقَوْلَ بِأَوْكَدِ الْبَيَانِ وَالْتَّعْرِيفِ، ثُمَّ أَمْدَهُ بِجَوَامِعِ الْكَلْمِ الَّتِي جَمَعَهَا رَدْءًا لِلنَّبُوَّةِ، وَعِلْمًا لِرَسَالَتِهِ، لِيَنْتَظِمْ فِي الْقَلِيلِ مِنْهَا عِلْمُ الْكَثِيرِ، فَيُسْهَلُ عَلَى السَّامِعِينَ حِفْظَهُ، وَلَا يُؤْدِهِمْ حَمْلَهُ»^(٤١).

فلا عجب أنه قال: «بعثت بجواب الكلم...»^(٤٢). فجمع الله تعالى له بين المهابة والحلوة، وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام، مع عدم التكلف، وطلاؤه المنطق، وشدة التأثير في قلوب الرجال وغابتها. وفي روایة عن أبي موسى (أعطيت فواتح الكلام وجوابه وخواصه)^(٤٣).

هذه حال الكلمة الطيبة، فكيف إذا أديت بلغة الشعر؟ حيث التعبير في الصور الحية الجميلة الموحية المؤثرة، والشعر - كما هو معلوم - نشاط تخيلي يتجلّى على مستوى التشكيل، وعلى مستوى التأثير. (والخيال الشعري عملية تأثير تفضي إلى تحسين أو تقبیح، وكل تحسين أو تقبیح، يفضي - بدوره - إلى اتخاذ المتكلّى وقفه سلوکية... وهذا ما بينه حازم القرطاجي، إذ قال: (والمقصود بالشعر إنهاض النفوس إلى فعل شيء، أو طلبه، أو اعتقاده، أو التخلّى عن فعله أو طلبه أو اعتقاده، بما يخيل لها فيه من حسن أو قبح، أو جلالة أو خسفة)^(٤٤). فالشعر الحق يبسط النفوس إلى المراد ويقبضها عما لا يراد. وكمال الشعر مرتبط بكمال الحياة، والغاية منه أن يعين على تحقيق الغاية من الحياة، فلم ينزل الرسول الشعر منزلة الترف أو الألهيّة. وإنما اتجه به ليكون وسيلة من وسائله في نشر الدين والترغيب فيه، والذود عن عقائده وقيمه ورجالاته، وتوجيه الناس للفضائل، أمراً ونهاياً، بل عَدَّه الرسول لوناً من ألوان الجهاد، أداته اللسان. مثله مثل الجهاد بالنفس والمال. فعن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: (جاهموا المشركين بأسنتكم وأنفسكم وأموالكم وأيديكم)^(٤٥) وإن كان الجهاد باللسان هنا على إطلاق، ولكن في الحديث الآخر خص الشعر دون غيره من ألوان جهاد اللسان. ألم يكن جواب الرسول الله صلى الله عليه وسلم لكتاب بن مالك، لما نزلت آيات سورة الشعراء قوله: (إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه)^(٤٦). وكعب بن مالك نفسه رضى الله عنه يروى عن الرسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: (اهجوا

بالشعر، إن المؤمن يجاهد بنفسه وماليه، والذى نفس محمد بيده كأنما
تنضحهم بالنبل) (٤٧).

لقد أنزل الرسول صلى الله عليه وسلم الشعر إلى ساحة المعركة
المحتدمة بينه وبين مشركي العرب، بعد أن أشهر هؤلاء الشعر في وجهه
صلى الله عليه وسلم ووجه دعوته. وكانت حركة استنفار الشعراء لخوض
المعركة، ومنازلة الخصوم، انتصاراً لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم
ودعوته، وشفاءً لصدره ولتصور المؤمنين. فكان الجهاد باللسان والبيان
حتى يخلى بين الحق وبين الناس. فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم، قال: اهج قريشاً، فإنه أشد عليهم من رشق النبل،
فأرسل إلى ابن رواحة، فقال: اهجمهم، فهجاهم فلم يرض، فأرسل إلى
كعب بن مالك، ثم أرسل إلى حسان بن ثابت، فلما دخل عليه، قال
حسان: قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه، ثم أدلع لسانه
 يجعل يحركه، فقال: والذي بعثك بالحق، لأفرینهم بلسانى فرى الأديم،
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تعجل، فإن أبا بكر أعلم أهل
قريش بآنسابها، وإن لي فيهم نسباً، حتى يلخص لك نسبى). فأتاه حسان،
ثم رجع فقال: يا رسول الله، قد لخص لى نسبك، والذي بعثك بالحق،
لأسنك منهم كما تسل الشارة من العجين. قالت عائشة: سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول لحسان: (إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما
نافتحت عن رسول الله) وقالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول: (هجاهم حسان فشفى واستشفى) قال حسان:

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه وعند الله في ذاك الجزاء (٤٨)
بل ذكرت السيدة عائشة رضي الله عنها: (أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وضع لحسان منبراً في المسجد، ينافح عنه في الشعر) (٤٩).
فأسند الرسول صلى الله عليه وسلم للشعراء مهمة عظيمة، وحدد
دورهم بالمنافحة بكل طاقاتهم عن دينهم ونبيهم صلى الله عليه وسلم.

وبالردد على الكائدين والمترىصين بهم، وبالتبشير بهذا الدين وقيمه وغاياته؛ حتى يستقيم في الصدور، ويستغلل في القلوب . والقيام بأعباء هذه المهمة رباط وجهاً.. ولذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يساندهم بدعواته، وهي تحريض لهم كي يبدعوا في استخدام هذا السلاح في المعركة العقدية . فعن البراء بن عازب، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى، فقيل: يا رسول الله، إن أبا سفيان يهجو الحارث بن عبدالمطلب، فقام ابن رواحة، فقال: يا رسول الله، آيذن لي فيه، فقال: (أنت الذي تقول: فثبتت الله...؟) قال: نعم، فقلت يا رسول الله:

فثبت الله ما أعطاك من حسن ثبيت موسى، ونصرًا مثل مانصروا
قال: (وأنت يفعل الله بك خيراً مثل ذلك) . قال: ثم وتب كعب،
قال: يا رسول الله: آيذن لي فيه . قال: (أنت الذي تقول: همت...؟) . قال:
نعم، قلت يا رسول الله:

همت سخينة أن تغالب ربها فليغلبن مغالب الغلاب

قال: (أما إن الله لم ينس لك ذلك..) قال: ثم قام حسان، فقال:
يا رسول الله! آيذن لي فيه، وأخرج لساناً لهأسود، فقال: يا رسول الله، آيذن
لي إن شئت أفريت به المزاد، فقال: اذهب إلى أبي بكر، ليحدثك حديث
القوم وأيامهم وأحسابهم، ثم اهْجُّهم وجبريل معك) (٥٠).

وإن لم يكن هذا اللون من الشعر جهاداً، فأنا لروح القدس أن يؤيد
شاعر الرسول في حملته على شعراً المشركين، دفاعاً عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ودعويه؟! ولو كان شعره من اللهو أو الباطل لتفردت
به الشياطين، (ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقىض له شيطاناً فهو له
قرین) (٥١). وروى عن ابن مسعود، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
(ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن، وقرينه من الملائكة) .
قالوا وإياك يا رسول الله، قال: (إياتي، ولكن الله عز وجل أعانتني، فلا
يأمرني إلا بخير) (٥٢). فلا تلتقي مظاهرة الملك ووسوسة الشياطين، الذي

يُقذف في قلوب أتباعه من الشعراء بالباطل، فالشاعر يتبع هواتف النفس، فإن كانت في الخير فهى من الجهاد، والا فسبيل الباطل وأهله. ومن هنا كان الشعر الذي يظاهر الباطل مذموماً. والشعر يكون تارة من وحي الشياطين، وتارة من النفس إذا كان حقاً. وكل يمدّه قرينه .. وهذا ما بينه الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه عبد الله بن الشخير، قال: أنت سيد قريش، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (السيد الله). قال: أنت أفضلها فيها قوله، وأعظمها فيها طولاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليقل أحدكم بقوله ولا يستجره الشيطان) ^(٥٣). قوله هنا: إنما المراد به الكلام الطيب، المجافى للشرك والرذائل والنفائص. ويتصفح معناه بذكر الحديث الذي رواه خالد بن ذكوان، قال: قالت الريبع بنت معوذ بن عفراء: جاء النبي صلى الله عليه وسلم يدخل حين بنى على، فجلس على فراشى كمجلسك منى، فجعلت جويريات لنا يضربن بالدف ويندب من قتل من آبائى يوم أحد، إذ قالت إحداهن:

وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ

قال: (دعى هذه، وقولى بالذى تقولين) ^(٥٤). أى اتركى ما يتعلق بمدحى الذى فيه من الإطراء المنهى عنه - لأنه استجرار للشيطان فى القائل - لأنه لا يعلم ما فى غد إلا الله، ولا يمكن للشيطان أن يهدى إلى الطيب من القول.. فكان الاستحسان والاستهجان تبعاً لموافقة الشعر للحق الذى نحمله.

وهل معنى روح القدس، إلا طهارته ونزاهته عن العيوب، وهما اللذين ينشدهما الشاعر المسلم، ويطمح إلى الاتصال بهما. وسيكون التأييد الذى سيحف بحسان وشعراء الإسلام، إنما يكون بإلهامهم طيب القول، وإرشادهم لما هو الصواب والحق، وذلك متتحقق فى الدفاع عن نبى الإسلام، والزياد عن حياض الإيمان، والكتب لأعداء الله ورسوله..

وأى جهاد أكبر من فلَّ سلاح خصوم الرسول صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإسقاطه . والدفاع عن البناء العقدي الذي نهدى الرسول صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى بنائه في نفوس الناس ، ومدافعة هؤلاء الذين يبغون الحياة عوجاً، بصددهم عن سبيل الله ، وإيدائهم لرسوله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوارص الهجاء . وهل شُرُّعُ الجهاد إلا لدفع كل فتنة تحول بين الناس ودعوة الحق . فلم يزهد في هذا السلاح ، ويعطل أو يبعد عن ساحة الصراع بين الحق والباطل . ولا يخفى أثر الفن الشعري في النفوس ، ونفاده إلى أعماقها ، خاصة في أبناء العربية .. فكيف يغفل الرسول صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن هذا السلاح ؟ ويسعى إلى حرمان أهل البيان من هذا المتنفس الأدبي ؟ ! لقد جَدَّ الرسول صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تسخير هذه الأداة الفنية ، وتوظيفها في خدمة هذا الدين ، دفاعاً ونصرة وتبشيراً . فاستثار الشعراء لنصرته والمنافحة عنه ، وحرضهم على هجاء الخصوم ، والرد عليهم . ولذا نرى أن ما جاء في الأحاديث السابقة - وهي قليل من كثير كثير - من قول عن الشعر والشعراء كان مرتبطاً بالمعركة الهجائية المضطربة ، بين شعراء الرسول صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشعراء المشركين . فكانت دفعاً للشعراء أن يقوموا بدورهم في هذه المعركة ، بالإغلاظ عليه ، لأن في الإغلاظ بياناً لحقيقةهم ، وانتصاراً منهم لهجائهم رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ودعوة لهم للإنفاق من أشعارهم - وهو أرباب البيان - ، وإثارة لهم ، وتحريكاً للقلوب . وهو الإنفاق من طيبات كسب الشاعر ، لأن فيه إسعافاً للمسلمين ، وشداً من ساعدتهم ، ومرابطة على ثغورهم ... واستثماراً للشعراء في خدمة هذا الدين ، والتمكين له ، والذود عنه . وهذا ما يتبدى جلياً في مواقف الرسول صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من توجيه هذه الأداة الفعالة إلى ما يخدم رسالته ، وينصر دعوته ، وهو بذلك يعيد الشعر إلى أداء الدور الحقيقي له - مؤكداً على قيمته الفنية - بالحث على كل خصلة طيبة ، وتأثيره كريمة ..

أليس هو القائل صلوات الله وسلامه عليه: (إن من البيان لسحراً، وإن من الشعر لحكمة)^(٥٥). والبيان المقصود هنا: (بيان بلاغة وحذق، وهو ما دخلته الصنعة بالتحبير له، والتحسين لألفاظه، حتى يروق السامعين، ويستميل قلوبهم، فهو الذي يشبه بالسحر إذا خلب العقول، وغلب على النفوس،... والممدوح منه ما صرف إلى الصدق، ونصرة الحق، وأما الضرب المذموم، فهو أن يقصد به الباطل، وأن يلحد به إلى اللبس والتورية، حتى يوهمك القبيح حسناً، والمنكر معروفاً. وهذا هو المذموم المشبه بالأمر المذموم، وهو السحر)^(٥٦). وعلق ابن الأثير رحمه الله تعالى على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن من الشعر لحكمة) بقوله: [إن من الشعر كلاماً نافعاً، يمنع الجهل والسفه، وينهى عنهما]^(٥٧). وقال ابن حجر العسقلاني: [أى قولًا صادقاً مطابقاً للحق. وقيل: أصل الحكمة المنع، فالمعنى أن من الشعر كلاماً نافعاً يمنع من السفه... قال الطبرى: (وفي هذا الحديث رد على من كره الشعر مطلقاً)^(٥٨). فقرن البيان بالسحر فصاحة منه صلى الله عليه وسلم، وجعل من الشعر سحراً، لأن السحر يخيل للإنسان ما لم يكن للطافته، وحيلة صاحبه، وكذلك البيان يتصور فيه الحق بصورة الباطل، والباطل بصورة الحق، لرقة معناه، ولطف موقفه. وأبلغ البيانين عند العلماء الشعر بلا مدافعة، قال رؤبة:

لقد خشيت أن تكون ساحراً راوية مرأة ومراً شاعر^(٥٩)

وهل البيان إلا استحسان المنطق، وإيراد الحجة الدامغة. حتى يكون بمنزلة السحر في استمالة القلوب له، أو في العجز عن الإتيان بمثله.

أليس في نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم للشعر بالحكمة، وللبيان بالسحر، رفع لمكانتهما وأثراهما في النفوس. وقد جاء النعت في معرض الثناء وال مدح. فهل يمكن أن نذهب إلى أن الرسول صلى الله عليه

وسلم قد حط من قدر الشعر، وأزرى بالشعراء؟! وهو صلوات ربى وسلامه عليه يهش للكلمة الطيبة، والشعر الحسن، ويثنى على قائله خيراً.. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أصدق كلمة قالها الشاعر، كلمة لبيد»^(٦٠):

ألا كل شيء ما خلا الله باطل ...

وهو القائل صلوات الله عليه: إن أخا لكم لا يقول الرفت - يعني عبد الله بن رواحة - قال^(٦١):

إذا انشق معروف من الفجر ساطع	وفينا رسول الله يتلو كتابه
به موقنات إن ما قال واقع	أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا
إذا استثقلت بالمركبين المضاجع	يبيت يجافى جنبه عن فراشه

بل ذكر البخارى وغيره، عن الشريد، قال: أردفني النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت؟»، قلت: نعم، فأنسدته بيتاً، فقال: «إنه كاد يسلم»^(٦٢). فاستنشاده الشعراء إقرار بمكانة هذا الفن في الحياة، ودوره في تحريك المشاعر. وإثارة النفوس.. مع ما كان يتمثل به من الأشعار، فعن عائشة رضي الله عنها قال: قيل لها: هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر؟ قالت: «كان يتمثل بشعر ابن رواحة، ويتمثل (بقول طرفة)»^(٦٣):
ويأتيك بالأخبار من لم تزود».

وعن جندب بن سفيان البجلي، قال: أصاب حجر إصبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فدميت، فقال يرتجز بكلمات ابن رواحة^(٦٤):

هل أنت إلا إصبع دمي وروى الإمام أحمد في مسنده، عن سماسك، قال: قلت لجابر بن	وفي سبيل الله ما لقيت سمرة: أكنت تجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم، وكان
طويل الصمت، قليل المتكلك. وكان أصحابه يذكرون عنده الشعر، وأشياء	

من أمورهم، وربما تبسم^(٦٥). فهذا السماع والاستنشاد من رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس دليلاً على محبة الرسول صلى الله عليه وسلم للشعر الذي يسمى إلى معالي الأمور، ويدعو إلى مكارم الأخلاق، وفاضل الخصال، ورائع الحكم؟ أليس هو صلوات الله عليه الذي دخل مكة في عمرة القضاء، وعبد الله بن رواحة يمشي بين يديه، وهو يقول^(٦٦):

خلوا بنى الكفار عن سبيله اليوم نضركم على تنزيله
ضرياً يزيل الهام عن مقيله ويذهب الخليل عن خليله

قال له عمر: يا بن رواحة، بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي حرم الله عز وجل تقول الشعر. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «خل عنه، فلهم أسرع فيهم من نصح النبل».

وعن عروة بن الزبير، قال: (... ثم بناه مسجداً - مرید التمر لسهيل وسهل - وطبق رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم اللبن في بنائه، يقول - وهو ينقل اللبن - :

هذا الحمال لا حمال خير هذا أبر رينَا وأطهر
ويقول:

اللهم إن الأجر أجر الآخرة فأرحم الأنصار والمهاجرة
فتمثل بشعر رجل من المسلمين، لم يسمْ لي^(٦٧).

وعن البراء بن عازب، قال:رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق، وهو ينقل التراب، حتى وارى شعر صدره - وكان رجلاً كثير الشعر - وهو يرتجز برجز عبد الله:

لهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الأعدا قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

يرفع بها صوته^(٦٨).

وروى أنس، أن الأنصار كانت تقول يوم الخندق:

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّداً عَلَى الْجَهَادِ مَا حَيَّنَا أَبْدَا
فَأَجَابَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ:

اللَّهُمَّ لَا يَعِيشُ إِلَّا عِيشُ الْآخِرَةِ فَأَكْرَمْ الْأَنْصَارَ وَالْمَهَاجِرَةَ^(٦٩)

وقد يقول قائل: إن تلك الأشعار لم تكن سوى الرجز. وهل الرجز إلا لون من ألوان الشعر كما قال. فحكمه حكم الشعر كما قال ابن بطال: [ما كان في الرجز والشعر ذكر الله تعالى، تعظيم له، ووحدانيته وإيثار طاعته، والاستسلام له، فهو حسن مرغب فيه، وهو المراد في الحديث بأنه حكمة. وما كان كذباً وفحشاً فهو مذموم]. قال الطبرى: وفي هذا الحديث رد على من كره الشعر مطلقاً.... وأما ما أخرجه الخطيب البغدادى في التاريخ، عن عائشة، فهو شيء لا يصح^[٧٠]. ويقول ابن كثير: سألت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزى عن هذا الحديث المنسوب إلى عائشة: ما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت شعر فقط، إلا بيتاً واحداً:

تَفَاعَلَ بِمَا تَهْوَى يَكْنِي فَلَقَلْمَانِي يَقَالُ لِشَيْءٍ كَانَ إِلَّا تَحْقِيقًا

قال: هو منكر، وثبتت في الصحيحين خلافه، وسمعت من شيخنا الألبانى عن كسر بعض أبيات الشعر، بدعوى أن الشعر لم يجر على لسانه صلى الله عليه وسلم، مما لا أصل له، وإن كانت سجيته صلى الله عليه وسلم تأبى صناعة الشعر طبعاً وشرعأً. فالذى لا يجوز بحق الرسول صلى الله عليه وسلم إنشاء الشعر لا إنشاده. وحججة الباحثين قدماء ومحدثين فيما ذهبوا إليه، على أن الرسول صلى الله عليه وسلم حرص على تجنب إنتاج آية صياغة شعرية، وحرصه عند أداء آية صياغة شعرية لشاعر على تغيير نظامها أو الاستشهاد بجزء منها، هو هذا الحديث المنكر. وما يحصل من كلام أهل العلم في تلك الأحاديث، [أن حد الشعر الجائز، أنه إذا لم يكثر منه في المسجد، وخلا عن هجو، وعن الإغراب في المدح،

والكذب المحسن، والتغزل بمعين لا يحل. وقد نقل ابن عبد البر الإجماع على جوازه إذا كان كذلك... وقال: ما أنسد بحضرته النبى صلى الله عليه وسلم أو استنشده لم ينكره. وأخرج الطبرى من طريق ابن جرير، قال: سألت عطاء عن الحداء والشعر والغناء، فقال: لا بأس به إن لم يكن فاحشاً^(٧١). وكيف يفقد الشعر مكانته وسحره فى قوم معجزة نبيهم بيانية باهرة. [ولو أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد فهم من آية الشعراء مثل ما فهمه أولئك النقاد الذين اتخذوه شاهداً على أن القرآن قد ناصب الشعر العداء، لكان إصغاؤه صلى الله عليه وسلم إلى الشعراء، وتشجيعه لهم، ونديه إياهم لنصرة الدعوة، غير مفهوم من نبى مبعوث بدين يقف من الشعر موقف العداوة، ولكن مسلكه عليه الصلاة والسلام حيال حسان، وكتب بن مالك، وعبد الله بن رواحة وغيرهم، من خاضوا المعركة إلى جانبهم بالسنن، مناقضاً لموقف دعوته من الشعر]^(٧٢) ولكن الأحاديث السابقة وغيرها تدل على اعتناء الرسول صلى الله عليه وسلم بالشعر، إذا تضمن المعانى المستحسنة، شرعاً وطبعاً، ولم ينكر الحسن من الشعر، وهكذا كان أهل العلم، وأولو النهى، وليس أحد من كبار الصحابة، وموضع القدوة والفضل إلا قال الشعر، أو تمثل به، أو سمعه، ما لم يكن فيه فحش ولا خنى، ولا لمسلم أذى... وحسب الشعر مكانة، أن اتخاذ الرسول صلى الله عليه وسلم سلاحاً من أسلحة العقيدة، نازل به المشركين وأحملهم، كى تبقى الساحة وقفأ على كلمة الحق والصدق، كما أنه آثر الشعراء بقريه، واتخذهم مجنأ له من سهام شعراء الشرك والضلال.. وسهماً مردياً لأبواق الجاهلية وظلامها. وما استبيح دم كعب بن الأشرف إلا لشعره الهجائى، الذى نال به من مقام سيد الأنام محمد صلى الله عليه وسلم، وترك شعره صدى فى صدور الناس، يحول بينهم وبين سماع كلمة الحق، التى حبست عنهم بأباطيله وافتراضاته. ولا تدخل الكلمات القلوب بغير استئذان إذا لم تصدر عن تجله القلوب وتكبره... ولذا أهدر الرسول صلى الله عليه وسلم دم كعب بن الأشرف، وانتدب محمد بن مسلمة لقتله. فعن جابر رضى

الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لکعب بن الأشرف فقد آذى الله ورسوله»^(٧٣).

وفي رواية الإمام أحمد، عن عبد الله بن كعب بن مالك، عن عمه، أن كعب بن الأشرف كان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم، فأمر سعد بن معاذ أن يبعث إليه خمسة من النفر، فأتوه، وهو في مجلس قومه في العوالى ... فلما أصبح اليهود، غدوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: قتل سيدنا غيلة، فذكرهم النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يهجوه في أشعاره، وكان يؤذيه^(٧٤). فلم يكن قتله إلا بسبب شعره الذي يصد الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وفي ذلك بيان أن الشعراء - كما بينت آيات سورة الشعراة، إما أن يكونوا سادرين في أودية الضلال، وألسنتهم إلى جوار الأسنة التي تحارب الله ورسوله، فهو لاء من يحب إسكاتهم، والحجر على ملائتهم، بعد أن تمكن إلْفُه منهم، والأخذ على أيديهم واجب يملئه الدين والعقل والحزم؛ حفاظاً على استقامة المجتمع وسلامته. فشعرهم مذموم مهجوم، ليس لأنه شعر، بل لمداربه الحق ومناهضته له، وسيره في ركب الظالمين. يسعى في الأرض مفسداً، وفاتحاً لأبواب الفتنة، والفتنة أكبر من القتل، ومنه ذلك الشعر الذي سماه الرسول صلى الله عليه وسلم نفث الشيطان. في حديث رواه نافع بن جبير ابن مطعم، عن أبيه، قال: سمعت رسول النبي صلى الله عليه وسلم يقول في التطوع: الله أكبر كبيراً - ثلاث مرات - والحمد لله كثيراً - ثلاث مرات - وسبحان الله بكره وأصيلاً - ثلاث مرات - «اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم، من همزه ونفثه ونفعه» قلت: يا رسول الله ! ما همزه ونفعه ونفثه ؟ قال: «أما همزه فالموته التي تأخذ ابن آدم، وأما نفعه الكبير، ونفثه الشعر»^(٧٥). ويلحق به الخبر الذي رواه أبو نوفل، قال: سألت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسامح عنده الشعراء ؟ قالت: (قد كان أبغض الحديث إليه)^(٧٦). وإن لم يحمل على تلك الأشعار التي يوحى بها الشياطين لإخوانهم من الشعراء، وينفثها القرىن

على لسان قرينه . فعلى أي شعر تحمل ؟! والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : «أحب الحديث إلى أصدقه»^(٧٧) . والحديث قد يكون شعراً، وقد يكون نثراً.. فكيف يكون الشعر الصادق بغيضاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو الذي كان يستمع إلى الشعر، ويهش للشعراء، الذين كانوا لا ينطقون بالخنا، والرفث ولا الكذب، وإنما يشعرون بين الناس قيم العقيدة ورؤاها . ويجلون ظلام الزوابع الكاذبة التي كان يثيرها شعراء الضلال حول نبى الإسلام ، مع احتفاله صلى الله عليه وسلم بالشعر، لما يتركه فى النفوس . بل قد ترك فى صدره أثراً بالغاً، ورق لقائه بعد أن أهدر دمه . وما قصة كعب بن زهير عنا بغاية، وإن زعموا أن الرسول صلى الله عليه وسلم سريله بردته . ولكن من عليه بعد أن سمع قصيده الشهيرة :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفدى مكبول
فضلاً عما رواه أبو جرول زهير بن صرد الجشمى ، قال: لما أسرنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين - يوم هوازن - وذهب يفرق
الشبان والسبى ، أنسدته هذا الشعر :

امن علينا رسول الله فى كرم فإنك المرء نرجوه ونتضر
امن على بيضة قد عاقها قدر مفرقاً شعلها فى دهرها غير

.....

امن على نسوة قد كنت ترضعها وإذا يزينك ما تأتى وما تذر
فلما سمع هذا الشعر، قال: (ما كان لى ولبني عبد المطلب، فهو
لكم . وقالت قريش: ما كان لنا فهو لله ورسوله وقالت الأنصار: ما كان لنا
 فهو لله ولرسوله) . وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يطمح أن
يتحيز الشعر لمعسكره، فيحترضن ما لاعم دعوته، وانقضى على
خصومه .

وبعد أن ننتقل إلى الأحاديث التي لو يتلقى عناقها على أيدي الذين لا
يجدون في الشعر غنا ، ولا يليق بدعاة الإسلام وأهل الفضل والصلاح .

ونضع هذا الحديث فاصلاً بين الموقفين . فقد روت السيدة عائشة رضي الله عنها ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (الشعر بمنزلة الكلام ، فحسنـه كحسن الكلام ، وقبيحـه كقبيحـ الكلام) ^(٨٠) . وقال الذهبي : (وكذلك الشعر هو كلام كالكلام ، فحسنه حسن ، وقبيحـه قبيح . والتتوسع فيه مباح ، إلا التتوسع في حفظ مثل شعر أبي نواس ، وابن الحجاج ، وابن الفارض ، فإنه حرام ، قال في مثله نبيك محمد صلى الله عليه وسلم : لأن يمتلئ جوف أحدهم قيحاً حتى يريه خير له من أن يمتلئ شعراً) ^(٨١) .

وفي رواية عند الإمام مسلم ، عن أبي سعيد الخدري قال : بينما نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعرج ، إذ عرض شاعر ينشد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (خذوا الشيطان أو أمسكوا الشيطان ، لأن يمتلئ جوف رجل قيحاً خيراً من أن يمتلئ شعراً) ^(٨٢) .

فقول صلى الله عليه وسلم : خذوا الشيطان : هو الذي استدل به من يقول بكرابهية الشعر مطلقاً ، حيث سمي النبي صلى الله عليه وسلم الشاعر شيطاناً ، وأجاب العلماء عن التسمية ، بأنه لعله كان كافراً ، أو كان شعره مذموماً . فلا يلزم أن يكون كل شاعر شيطاناً .. وسبق أن ذكرنا من يستجره الشيطان إلى الفاحش والسيء من القول .. أما تتمة الحديث فما فيها ذم للشعر مطلقاً ، وإنما دعوة إلى الإكثار منه .

وقال النووي : هذا الحديث محمول على التجرد للشعر ، بحيث يغلب عليه ، فيشغله عن القرآن والذكر . وقال القرطبي : من غلب عليه الشعر ، لزمه بحكم العادة الأدبية الأوصاف المذمومة وعليه يحمل الحديث ... وما ذكر من النهي هو الذي ترجم به البخاري في صحيحه للحديث ، فقال : باب من يكره الغالب على الإنسان الشعر حتى يصده عن ذكر الله . وزاد هؤلاء المتعاملون على الشعراء ، في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبارة (هجيت به) ^(٨٣) ، فتردوا في ضلال أعمق وبهتان أكبر ، - وهم يظنون أنهم يحسنون صنعاً - فقولهم : هجيت به : يعطى أن القليل من الشعر الذي فيه هجاؤه صلى الله عليه وسلم جائز ، وهذا باطل ، وما لزم

منه باطل، فهو باطل. وقال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام، بعد أن ذكر قول البعض المشار إليه: (والذى عندي فى هذا الحديث غير هذا القول، لأن الذى هجى به النبي صلى الله عليه وسلم لو كان شطر بيت، لكان كفراً. فكأنه إذا حمل وجه الحديث على امتلاء القلب منه، أنه قد رخص في القليل منه). ولكن وجهه عندي: أن يمتلىء قلبه من الشعر حتى يغلب عليه، فيشغله عن القرآن، وعن ذكر الله، فيكون الغالب عليه. فأما إذا كان القرآن والعلم غالبين عليه، فليس جوفه ممتلأ^(٨٤). أما ابن رشيق فقد فهم من الحديث ما قاله: (إنما قصد من غالب الشعر على قلبه، وملك نفسه، حتى شغله عن دينه، وإقامة فرائضه، ومنعه من ذكر الله تعالى، وتلاوة القرآن، وأما غير ذلك من يتخذ الشعر أدباً وفكاهة، وإقامة مروءة، فلا جناح عليه)^(٨٥).

والى مثل هذا ذهب قدامة بن جعفر في معنى الحديث، فقال: (إإن المعقول من معنى الامتلاء أن يشغل المالئ للشيء جميع أجزائه، حتى لا يكون فيها فضلة لغيره... وإن كان هذا هكذا، فإنما أراد النبي صلى الله عليه وسلم بهذا القول: من امتلاء جوفه من الشعر حتى لا يكون فيه موضع للذكر، ولا لحفظ القرآن، ولا لعلم الشرائع ولا الأحكام، والسنة في الحلال والحرام)^(٨٦).

فلا متعلق لهؤلاء في هذه الأحاديث الشريفة، ولا تأذن لهم باتهامها بالتبليغ من هذا الفن أو ازدرائه، والحط من قدره... فهو في قمة البيان الإنساني، في ثناياه يكمن هذا السحر الذي تنقاد له الفنون، وتستجيب له... إنه واحد من أسلحة الحق في صراعه مع الباطل وأعوانه.. ولا يمكن أن يفصل المرء بين قيمة الشعر و مهمته في الحياة، وفرق ما بين لونى الشعر - الشعر الذي احتضنه الرسول صلى الله عليه وسلم والشعر الذي جفاه وأقصاه - هو تباين التوجيه واختلاف الهدف. فال الأول يجاهد القوى المحتشدة في طريق الدعوة، مع موافقة الحق، والآخر رغاء كرغاء البعير، مع منابذه للحق، فلا خير فيه.

لقد فرق الرسول صلى الله عليه وسلم بين شعر وشعر، وبين شعراً وشعراً - كما فرق القرآن الكريم من قبل - فليسوا سواء في نظره، وإن استويا في القيمة الفنية. ولكن لا قيمة في الرذائل ولو سريلها بعضهم أثواباً جميلة موشأة.. فالشعر وثيق الصلة بتوجهات النفس وتطلعات الضمير، وليس مجرد عبارات منمقة.

لقد وقف الرسول صلى الله عليه وسلم من الشعر موقفه من الإرث الجاهلي، إذ أعلن الحرب والنكير على كل من يعارض العقيدة ومتطلباتها، فأسقطها وأصحابها. وشذب تلك النتوءات الممتدة في الحقل الجاهلي من بعض ذلك الإرث، إن كان في أصله منسجماً مع مقتضيات الإيمان، ملتئماً مع الطوابع الإسلامية. فهجر من ساحته الأشعار التي تدفقت من قلوب ذاتت أسس الإيمان فيها، وانهارت دعائم الأخلاق. حتى لحت عن كل وطر طيب من أوطار الحياة، وعن كل مهمة من مهامات الدين. وركب قائلوها مطاييا الخصومة والعداء لموكب الإيمان، وهم يصورون في شعرهم أشباح عقائدهم الفاسدة، ويضمونه أفكارهم وحياتهم وحياة من حولهم، وهم في ذلك كله يعملون على ترسيخ تلك العقائد والقيم، حيث يرون في الفاحشة والرذيلة مآثر وفضائل، وفي الطهر والعفاف والاستقامة نقائص ومثالب.. والإبقاء على هذا اللون من الشعر في حياة الناس خذلان لكلمة الله تعالى، ودعوة رسوله صلى الله عليه وسلم، واستحياء لكلمة الذين كفروا. فلم يهش الرسول صلى الله عليه وسلم لأولئك الشعراء ولا لنتائجهم، بعد أن كذبواه، وسعوا في الصد عنه وعن رسالته.

لقد أدار الرسول ظهره لكل شاعر ينبع على أطلال الجاهلية، وشركها الدارس. وما حوتة في صورها من مخاز ومتالب، وعدوان وانحراف، وتيه وهدم، لأن البيان الشعري أسمى من أن يرتهن لخدمة الضلال. فهو مرآة كلامية للحياة البشرية. فلا يليق أن يظهر في تلك المرأة مواقف الكنود والشروع، ولا ما يشوّه جمال الإنسان والإيمان. ويمسخ الفطرة التي خلقت في أحسن تقويم، إذ باتت الأغراض الشعرية

وتجهاتها على أيديهم تمثل نشازاً فنياً وشعورياً، واستغواةً للناس بالأساطير والأكاذيب وتالياً لهم على مناسبة هذا الدين العداء، مؤثرين الدنيا ومتاعها. فأقاموا شعرهم على تلك الاعتبارات، فبسطوا أيديهم وألسنتهم بالسوء لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وصبووا حمهم على المسلمين، محاربين الله ورسوله. فالشعر رسالة في الحياة، تنير الطريق كى يدرك السائرون الغاية المثلى التي سلكها القرآن في عقد آياته، وركنها الرسول صلى الله عليه وسلم في سنته.. فالشعراء الذين شاركوا في صياغة الحياة وسكبها في قوالب الإيمان، وإسالتها في مقاصد الشرع، وهو (إخراج المكلف من اتباع هواه، حتى يكون عبداً لله) (٨٧).

وارتحلوا من ساحة المنافة عنشرف القبيلة، وإذاعة مآثرها، وسلق خصومها بآلته حداد، مقيدين مخازيمها مع تضخيمها، وأبوا أن يكون فنهم مستودعاً لتلك الأغراض البائسة. وكان الأجرد به، وهو مجتلى القدائح، ومتنفس العواطف أن يكون شعرهم دعوة ووسيلة بيان للحق، وعوناً لتمكينه في القلوب، وتحقيقه في الوجود..

فكان قاعدة عمل الشعراء في نظر الرسول صلى الله عليه وسلم، هي البلاغ لتعبيد الناس لله وحده، وهذه المهمة تتطلب بلاغاً وأداءً، بلاغ البيان، وأداء العمل.. كى لا تجد العناصر الجائرة مكاناً لنشر فسادها وفجورها، فتتعوق حركة الهدى.. فالشاعر المسلم مطالب بالقيام بدوره في بناء الأمة، والتصدى لأعداء التور، والحداء لمواكب الفجر، حتى تكمل السير في رحلتها الميمونة. من غير نسيان لحظ أشواقه وعواطفه، ولا ينكر ما للتمكن من الإبداع الشعري من دور حيوى في التوجيه والمنافحة والتصدى. بل هو رداء ذلك كله.

إن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتعامل مع الفن الشعري، ليعدل به عن سبيل الجاهلية ومتاهاتها، ويطوى ماضيه في ثنايا النسيان أولاً، ثم يصبغه بالصبغة الإيمانية، ويفتح له صفحة جديدة نقية، تنسق مع الهدى الذي جاء به، ويعمل على تحقيق الانسجام بين مضمونه وقيم

العقيدة ورؤاها.. فأضحتى النظر فى الشعر - من مشكاة النبوة - من حيث الدوافع (البواعث)، ومن حيث الغايات... فاكتسب قيمته من شريف الدوافع، وسامي الأهداف. ولذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم ييش لهذا الفن، وهو يحقق غايتين اثنتين: ما يتحققه من أهداف في صدور الخصوم، وإنعاش لكلمة الحق بداية، ثم ما يبعثه في النفس من إعجاب ومتعة. ولذا كان من أقرب وسائل التأثير في النفوس، وهو ينقل ما في الوجдан إلى الآخرين في صورة بدعة، حيث العبارة المؤثرة، والعرض الآسر.. فتسمع صدى العقيدة يصبح من ثنايا الأبيات وأعطاف القصائد، بعد أن أطلقه الرسول صلى الله عليه وسلم من إسار الجاهلية إلى رحاب الهدى.. ولو جرد الشعر من ذلك فلن يبقى سوى عبارات خاوية.. بل لا يمكن أن يتصور عاقل العشر نبتاً سابحاً في الهواء، حيث لا جذور ولا أرض.. بل هو نبتة جذرها في صدر الشاعر، وغذاؤها تصوراته وقيمه، وثمرتها الكلمة الطيبة الوعائية الداعية. فمهمة الشعراء عند الرسول صلى الله عليه وسلم، هي وظيفة تركيز القواعد العقدية في النفوس. ومحاربة الخواج الشيطانية، التي تبعث على السقوط. والإغراء بالقيم الإيمانية، والتعبير عن الأسواق السامية، والعواطف النبيلة. أما توهם المدابر والمقت للشعر من الرسول صلى الله عليه وسلم أو تخيلها، فضربي من الاستخفاف بالنص النبوى والعقل والمنطق. ولا أدرى كيف يستبيح بعضهم أن يقول: (فلا تلتقي الشاعرية القوية مع إيمان قوى... فلا يجتمعان ولا يتفقان... فإذا اشتعلت جذوة الإيمان وتهاوت جذوة الشاعرية. أو بدأت تتهاوى) ^(٨٨). ولعله خدع بظاهر تلك الكلمة، وهي أن الشعر بابه الشر، إذا دخل بباب الخير لان. وغفل عن قول ابن سلام (أشعرهم حسان بن ثابت، وهو كثير الشعر جيده، وقد حمل عليه ما لم يحمل على أحد. لما تعاوضت قريش واستتببت، وضعوا عليه أشعاراً كثيرة لا تلتقي) ^(٨٩).

أنى يكون هذا والإبداع في الصنعة الشعرية - وغيرها - واحد من مطالب الإيمان، إذ يأمر أهله أن يتقنوا صناعتهم ويجدوا أعمالهم.

ويزيّنوها باللمسات الجمالية الماتعة. التي نالت حظها في صنع الله تعالى في الوجود.. تناسقاً وجمالاً وكماً، واقتان الصنعة من كمال الوظيفة.

فالحميمية بين الشعر والعقيدة لا تخفي. إذا تواشجاً مضموناً وتشكيلاً فنياً، فالمضمون متربع بثوابت العقيدة، التي ينهل منها الشاعر لفنه، إذ هي قائمة في وجوده، مهيمنة على شعوره، وفنيناً بالبناء الفنى إجاده واقتاناً.. فتجد في الشعر ذوب العقيدة وجمال الصياغة. والمهارة الشعرية في حسن الصنعة، وجمال التصوير.

وإن تعجب فعجب قول هؤلاء بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد حط من قدر الشعر، وازدرأه فجاهه. وإن لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم شاعراً ولا قرضاً شعراً، ولكنه صلوات الله وسلامه عليه كان مجيداً لفهمه، متذوقاً لمحاسنه، يجري إنشاده على لسانه، يتمثل بالأبيات منه. يعرف المحقق والمؤثر. وما قوله صلى الله عليه وسلم في حسان بن ثابت، دون كعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة (فشفى واستشفى) سوى دليل على درايته بالشعر وتأثيره.

وكلمة أخيرة: إن موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من الشعر هو موقف القرآن نفسه، وزاد عليه بالتفصيل والإيضاح، قوله وعملاً وإقراراً، إذ سمعه واستئنسده، وتمثل به، وأمر أصحاب الموهبة الشعرية من أصحابه أن يجاهدوا به خصومه، وأغرّاهم بالأجر العظيم، والذكر الجميل، ومظاهرة جبريل عليه السلام إن بذلوه نصرة لله ولرسوله. أما إذا سار الشعر في ركاب الباطل، كان نقصاً وسفاهة وزوراً. وهذا استثناء، وذاك أصل. فالاستقامة هي الأصل، والشذوذ حالة استثنائية عارضة.

وكل ما ورد في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم هو تحديد الطريق للشعر، وإيابة لوظيفته ودوره، وإطلاق للمواهب أن تبدع تحت راية الجهاد. وليس حبراً على الشعراء، ولا كبتاً لانفعالاتهم، ولا وأداً لتنفسهم الفنى، ولا جفاء لمقدرتهم الشعرية، وإنما أراد الرسول أن يميل بهم عقولاً ونظرأً وتدبراً إلى هذه المنحة العظيمة، فلا ترتهن في ساحة

الباطل والخيال الكاذب . وتكون أشعارهم من الأوزار الثقيلة المردية .. وإنما تكون سلاحاً يجاهدون به لإعلاء كلمة الله عز وجل . والجهاد سنام الإسلام وعموده . والوسائل تشرف بغاياتها .. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه . والحمد لله رب العالمين . ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، واغفر لنا ما كان منا .

الهوامش والمراجع

- ١ - المواقفات، للشاطبى تحقيق/ مشهور آل سلمان. ج ٤/١٨٣ . دار ابن عفان/ السعودية ط ١٤١٧ هـ.
- ٢ - سنن الدارمى ١٤٥/١ وإسناده صحيح، مؤسسة الكتب الثقافية/ بيروت، ط ١٤٠٨ هـ.
- ٣ - الشعراة / ٢٢٤ – ٢٢٧ .
- ٤ - صحيح سنن الترمذى. الألبانى برقم/ ٢٨٦٣ / ١٤٣ وهو صحيح. مكتبة المعرف/ الرياض . ١٤١٩ هـ.
- ٥ - المواقفات للشاطبى، حاشية ج ٤/٤ .
- ٦ - النساء / ٥٩ .
- ٧ - الفقيه، للخطيب البغدادى ج ١٤٤ / ١ إسناده حسن.
- ٨ - المسند، للإمام أحمد برقم / ١٥٧٨٥ . تحقيق شعيب الأرنؤوط وأخواته. مؤسسة الرسالة/ بيروت، ط ١٤١٦ ، ١٤١٦ هـ. بإسناد صحيح على شرط الشيفين .
- ٩ - المجتمعات الإسلامية في القرن الأول الهجرى. ص / ٣٣١ . دار العلم للملايين/ بيروت ط ١٩٨١ م .
- ١٠ - صحيح الإمام البخارى برقم / ٦١٤٥ . ومسند الإمام أحمد برقم / ١٥٧٨٦ بسند صحيح على شرط الشيفين .
- ١١ - الاعتصام للشاطبى. تحقيق/ سليم الهلالى ٨٢٢/٢ . دار ابن عفان/ السعودية، ط ، ١٤١٤ هـ.
- ١٢ - الشعر العربى في القرن الأول الهجرى. ص / ٨٦ . دار العلوم العربية/ بيروت ١٤٠٨ هـ.
- ١٣ - المصدر السابق ص / ٨٧ .
- ١٤ - رواه أحمد، والبزار، انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة

والموضوعة للألبانى برقم / ٢٩٣٠ . مكتبة المعارف / الرياض
ط ، ١٤١٢ هـ .

- ١٥ - الشعر العربى فى القرن الأول الهجرى . ص / ١٠١ .
- ١٦ - المصدر السابق ص / ١٠٢ .
- ١٧ - حقائق الإسلام وأباطيل خصومه لعباس محمود العقاد . ص
- ١٨ - بتصريف يسir .
- ١٩ - طبقات فحول الشعراء ، لابن سلام ، تحقيق / محمود شاكر .
ج ١ / ٢٤ . مطبعة دار المدنى / القاهرة ، بدون تاريخ .
- ٢٠ - منهاج البلغاء ، لحازم القرطاجنى ، تحقيق / محمد الحبيب ابن
الخوجة . ج ١ / ١٢٢ . دار الغرب الإسلامي ط ١٩٨١ م . والقول
لابن سينا .
- ٢١ - قيم جديدة للأدب العربى ، عائشة عبدالرحمن . ص / ٢٧ . دار
المعارف / مصر ، ط ١٩٧٠ م .
- ٢٢ - السيرة النبوية لابن هشام . تحقيق / مصطفى السقا وإخوانه .
١ / ٣٠٠ . مؤسسة علوم القرآن بدون تاريخ .
- ٢٣ - تفسير الطبرى . تحقيق / محمود شاكر ، ١٣٧ / ١٨ . دار التربية
والتراث / مكة المكرمة بدون تاريخ .
- ٢٤ - المعلقة العربية ، نجيب محمد البهبى . ١ / ٧٦ . دار الثقافة /
الدار البيضاء ، ط ١٤٠ هـ .
- ٢٥ - السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٤١٩ . وقال عقبها : وبعض أهل
العلم بالشعر ينكرها له .
- ٢٦ - صحيح البخارى برقم / ٦١٠١ . ومسلم (٢٧ - ٢٣٥٦) .
- ٢٧ - صحيح البخارى برقم / ٥٢ . ومسلم برقم (١٠٧ - ١٥٩٩) .
- ٢٨ - مسند أحمد برقم / ٢٧٠٢٧ وهو حديث صحيح . عن عمرو
ابن عبسة قال : قال رجل : يارسول الله ! ما الإسلام ؟ قال : (أن

يسلم قلبك لله عز وجل، وأن يسلم المسلمين من لسانك ويدك)
ولل الحديث لفظ آخر عند البخارى برقم / ١١ (أى الإسلام
أفضل...) وعند مسلم برقم / ٦٤ - ٤٠ (أى المسلمين
خير...).

٢٩ - صحيح الجامع الصغير وزيادته، للألبانى برقم / ١٢٠١
وهو حديث حسن. المكتب الإسلامي / بيروت، ط ١٤٠٨ هـ.

٣٠ - المصدر السابق برقم / ١١٢٢ .

٣١ - سلسلة الأحاديث الصحيحة للألبانى، برقم / ٨٨٨ .

٣٢ - أخرجه مسلم فى صحيحه برقم / ٤٩ - ٢٩٨٨ . وأحمد فى
مسنده برقم / ٧٢١٥ .

٣٣ - صحيح سنن الترمذى، للألبانى برقم / ٢٤٠٧ عن أبي سعيد،
وهو حديث حسن.

٣٤ - مسند أحمد برقم / ٣٨٠٣ والحديث صحيح لغيره، وإنعاش
الحق: رفعه وإظهاره وتشهيره .

٣٥ - صحيح البخارى برقم / ٦٠١٩ .

٣٦ - أخرجه أحمد فى مسنده برقم / ٦٤١٨ ، ج ١٩/١١ . والتزمذى
فى سننه برقم / ٢٥٠١ وهو حديث حسن.

٣٧ - أخرجه أحمد فى مسنده برقم / ٢٥٨/٣٦ ٢١٩٥٤ بأسناد
صحيح.

٣٨ - صحيح البخارى برقم / ١٤١٣ .

٣٩ - رواه أحمد فى الزهد / ٢٠٦ . وقال عنه الألبانى فى حاشية
الحديث رقم / ١٤٩/٥ - ج ٢١٢٨ من سلسلة الأحاديث
الضعيفة والموضوعة، صح موقوفاً.

٤٠ - صحيح البخارى برقم / ٧٢٧٤ . ومسلم فى صحيحه
برقم / ٢٣٩ - ١٥٢ .

٤١ - غريب الحديث للخطابى تحقيق / عبدالكريم الغريaoى . ص /

- ٤٨ . مركز البحث العلمي وإحياء التراث . جامعة أم القرى
١٤٠٣ هـ .
- ٤٢ - أخرجه أحمد في مسنده برقم / ١٤٠٣ هـ .
- ٤٣ - صحيح الجامع الصغير وزيادته برقم / ١٠٥٨ / ٢٤١ .
- ٤٤ - منهاج البلغاء وسراج الأدباء . ص / ٨٥ .
- ٤٥ - آخرجه أحمد في مسنده برقم / ١٢٥٥٥ خ / ٢٩ / ٢٠ . وصحيح
سنن النسائي للألباني برقم / ٤٠٣ .
- ٤٦ - أخرجه أحمد في مسنده برقم / ١٥٧٨٥ ج / ٦٣ / ٢٥ . عن كعب
ابن مالك .
- ٤٧ - المصدر السابق برقم / ١٥٧٨٥ بإسناد صحيح .
- ٤٨ - أخرجه مسلم في صحيحه برقم / ١١٨٠ .
- ٤٩ - أخرجه أبو داود في سننه برقم / ٥٠١٥ . والترمذى في سننه
برقم / ١٣٥ / ٢٨٤٦ وهو حديث حسن .
- ٥٠ - أخرجه الألبانى فى سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم / ١٩٧٠ .
- ٥١ - الزخرف / ٣٦ .
- ٥٢ - أخرجه مسلم في صحيحه برقم / ٢٨١٥ .
- ٥٣ - أخرجه أحمد في مسنده برقم / ٢٣٤ / ٢٦ . ج / ١٦٣٠٧ بإسناد
صحيح على شرط مسلم .
- ٥٤ - صحيح البخارى برقم / ٥١٤٧ .
- ٥٥ - أخرجه البخارى في صحيحه في حديثين . الأول
برقم / ٥١٤٦ ، والثانى برقم / ٦١٤٥ . وأحمد في مسنده
برقم / ٥٧٨٦ بإسناد صحيح على شرط الشيفيين . وصحيح
الجامع الصغير وزيادته للألباني برقم / ٤٤١ / ٢٢١٥ بتمامه .
- ٥٦ - غريب الحديث للخطابي ج / ٣ / ١٩٧٨ .
- ٥٧ - النهاية في غريب الحديث لابن الأثير . تحقيق / طاهر

- الزاوى، ومحمود الطناحى ج ١/٤١٩ . دار الفكر / بيروت .
بدون تاريخ .
- ٥٨ - فتح البارى، لابن حجر العسقلانى . تحقيق / عبدالعزيز بن باز ج ١٠ ٥٤٢/١ . دار الفكر / بيروت . ط ١٤٦٥ هـ .
- ٥٩ - العمدة، لابن رشيق، تحقيق / محيى الدين عبد الحميد، ج ١/٢٧ . دار الجيل / بيروت ، ط ١٤٠١ هـ .
- ٦٠ - أخرجه البخارى فى صحيحه برقم/ ٦١٤٧ . ومسلم
برقم/ ٢٢٥٦ .
- ٦١ - صحيح البخارى برقم/ ٦١٥١ . وأحمد فى مسنده
برقم/ ١٥٧٣٧ .
- ٦٢ - صحيح الأدب المفرد، للألبانى ٦١٣/٧٩٩ . دار الصديق/
الجبيل السعودية ، ط ١٤١٤ هـ . وصحيح سنن ابن ماجه
للألبانى برقم/ ٣١٠ . مكتبة المعرف / الرياض ، ط ١٤١٩ هـ .
- ٦٣ - مختصر الشمائل المحمدية . للإمام الترمذى ، اختصره
الألبانى برقم/ ٢٠٦ . مكتبة المعرف / الرياض ١٤١٣ هـ .
- ٦٤ - صحيح البخارى برقم/ ٤١٠٤ . ومسلم برقم/ ١٧٩٦ .
- ٦٥ - مسند أحمد برقم/ ٢٠٨١٠ وهو حديث حسن .
- ٦٦ - صحيح سنن النسائى للألبانى برقم/ ٣٠٥/٢٨٧٣ . وصحيح
سنن الترمذى للألبانى برقم/ ١٣٦/٢٨٤٧ وهو حديث صحيح .
مكتبة المعرف / الرياض ، ط ١٤١٩ هـ .
- ٦٧ - صحيح البخارى برقم/ ٣٩٠٦ .
- ٦٨ - المصدر السابق برقم/ ٣٠٣٤ و ٤١٠٤ .
- ٦٩ - المصدر السابق برقم/ ١٩٦١ . ومسلم برقم/ ١٨٠٥ .
- ٧٠ - فتح البارى شرح صحيح البخارى، لابن حجر قراءة وتعليق
عبدالعزيز بن باز ج ١٠ ٥٤٢/١ . المكتبة التجارية . ط ١٤٠٨٦ هـ .
- ٧١ - المصدر السابق ج ١٠/٥٣٩ .

- ٧٢ - قيم جديدة للأداب العربي . بنت الشاطيء ص/ ٧١ .
- ٧٣ - صحيح البخاري برقم / ٤٠٣٧ . وورد في سلسلة الأحاديث
الصحيحة للألبانى برقم / ٦٥٣٢ . مكتبة المعارف / الرياض .
س ١٤١٥ هـ .
- ٧٤ - مسند الإمام أحمد برقم / ٦٥٠٠ ج ٥٠٥ / ٣٩ وهو صحيح
غيره .
- ٧٥ - المصدر السابق برقم / ١٦٧٣٩ وهو حسن لغيره .
- ٧٦ - المصدر السابق برقم / ٢٥٥٥٤ بإسناد صحيح .
- ٧٧ - السيرة النبوية لابن هشام ٥٠٣ / ٢ .
- ٧٩ - أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ج ٥ / ٢٦٩ .
والألبانى في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم / ٣٢٥٢ .
- ٨٠ - صحيح الأدب المفرد برقم / ٨٦٤ .
- ٨١ - مسائل في طلب العلم وأقسامه ص / ٢٠٩ . والحديث في
صحيح البخاري برقم / ٦١٥٤ . ومسلم برقم / ٢٢٥٧ .
- ٨٢ - صحيح مسلم برقم / ٢٢٥٩ . ومسند أحمد برقم / ١٥٠٦ بإسناد
صحيح على شرط الشيفين .
- ٨٣ - أخرجه بهذه الزيادة العقili في الصنفاء . ص / ٤٣٥ .
والألبانى في سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم / ١١١١ وقال : بل
هذه الزيادة باطلة قطعاً ، والحديث مكذوب .
- ٨٤ - سلسلة الأحاديث الضعيفة للألبانى ج ١ / ٦٦ بتصريف في
ترتيب النقول .
- ٨٥ - العمدة ج ١ / ١٨ .
- ٨٦ - نقد الشعر ، لقديمة بن جعفر ، ص / ٧٨ . المكتبة العلمية / بيروت
س ١٤٠٠ هـ .
- ٨٧ - الموافقات ، للشاطبي ٢ / ٢٦٤ .
- ٨٨ - الشعراء المخضرمون ، عبدالحليم حفني ص / ٢٨ .
- ٨٩ - طبقات حول الشعراء ، تحقيق / محمود شاكر ج ١ / ٢١٥ .